

الدرر

وفي

منتخبات الطيب الذكر الخالد الاثر :

المرحوم

اديب استحق

عني بجمعها واختيارها من آثار الفقيه
احد اصدقائه الخلفاء

جرجس ميخائيل نحاس

محرر جريدة المحروسة

غدير المسئول .

طبعتم بنفقة جامعها و خليل افندي النقاش

١٨٨٦

حقوق الطبع محفوظة

بمطبعة جريدة المحروسة بالاسكندرية

سنة ١٨٨٦

هوحي الباقي

اي مقتني هذه الصفحات أبارك الله من لطفه المحزون على فراق العزيز الهاجر هجر ساعة الصفاء في اليوم الغابر . وحماك الله من لوعة الكتيب الصابر صبر الضعيف على حكم القدر السائر . ووقيت غدر الزمان وصرف المحدثان ونوازل الايام وما رأيت من عبر الدهر بالانام وعذبت من كلمة المتوجع ووقفه المتفجع وغصه البكاء وترديد الرثاء . ثم لا اراك الله مصاباً تجد فيه باللفظ مثلي ولا اذاقك كأساً تشد بعد تجرعه قولي .

جد الماء رعباً وارتياعاً وجرى الصخر أنة والنباعا
وضياء هذا استحال ظلاماً وإلى المحو مطلقاً قد تداعى
مذ هوى من اعالي الفضل طود راسخ جاوز السماء ارتناعا
يومر هول بكاهنا اشتد فيه فلأنا من الدموع البقاعا
حتى خلنا من الآسى كل طفل نائحا قبل أن يتم الرضعا
لفراق الاديب من كان برعى لنا ودا وقد غدا لا يرعى
مجلول النضاء بالموت بالرزى الالم بما ابتلانا وراعنا
كل قلب فينا لا نلقى خلا من جرى الخطاب ليس يشكو الصراعا
ايها الراحل العزيز المندى قف قليلاً لاستزيد الوداعا
من بنان سبا العيان اقتياداً من لسان به ملكت السماء
من بيان استغفر الله فهو آ سر نعنو له القول انصياعا
كيف تنأى ولم تدع فينا روحاً نتمنى البقاء تأبى النزاعا
لا وحق الولاء لم يبق ما من برحى من الحياة انتفاعا
بعد خطب اقل ما نروي فيه كل ننس اليك طارت شعاعا
بعد رنم بكت عليك المعالي فيه والبأس قد نوى اليراعا
اي عين تكفكف الدمع والهجى ر طوبل رغبته فيه انقطاعا
اي قلب لم يجرح اليوم والص د بعيد ازمت فيه امتناعا
آ لو كنت تنظر القوم خلف آ نيش يرجون بالنقيد اجتماعا
بك يا من اضاعه العلم مأسو فآ عليه واي ذوق اضاعا
كم رأينا براعك الحر في ك ل مجال جرى بروم انساعا
وسمعنا على المنابر من في ك الخطاب البالغ بشي الصداعا
ورأيناك في الجدال اماماً ومن القرن فيه اطول باعا
وعرفناك في السياسة بالأو طاب تخشى على الحقوق الضياعا

ما ذكرناك حقّ ذكرك في فو لنا فضلُ الاديبِ ذاعا وشاعا
 ان غدّنا سنيّة تجرّيه في بحر اجتهادٍ عُدّت انتَ الشراعا
 أو بسوق الاداب رمتَ اثبارًا كُنتَ في الفومر من شري ثم باعا
 يا حبيبًا صفا له الوقتُ في بحر نصيرٍ وللثرفِ استطاعا
 لكن الدهرُ لم يدع من سبيلٍ فيه تزدادُ عزّةً وارتفاعا
 هكذا الناسُ بين حرٍّ وغرٍّ قبلَ ذا قد مضوا تباعًا سراعا
 وكذلك الباؤون بمضون طرّا بعد ذا للثري ثلاثًا رباعا
 فتعزّ يا قلبُ فالموت عبدٌ منفذٌ للاله امرًا مطاعا

كنتي وما كنت لأُسك في الرثاء عن الزيادة لولا ان بعض السادة الفضلاء قد وفوا التقييد
 حنّه من الوصف في صدق البيان كما يرى الفارسي اللبيب في باب اقوال الجرائد وقسم مرثي
 الشعراء الذين اولونا من فضلهم غنيّ عن بقية الرثاء بما شهدت شهرة آدابهم لادينا المفقود ما
 لا يسع هذا المقام له ذكرًا

ولقد كان في النية على عهد الصديق الخالدة له في الفواد آثار الاسف المبرح عزيزنا
 المرحوم سليم النقاش ان يجمع شتات ما ترك التقييد من اثار علمه وادبه منتخبة من فصوله
 ومقالاته ورسائله ورواياته واشعاره ومصنفاته وسائر ما خطبه باللسان وخطه بالبنان مجرداً مع
 ذلك من كل ما نشأ عن الحدة التي عرفتها بنزق الشباب في احدى ملاحظاتي الواردة في
 هذا الكتاب ساعين الى هذا القصد من طريق حفظ تلك الاثار التي لم تطبع في كتاب مخصوص
 ضناً بها ان تبقى منفردة منشورة لا تجتمعها صفحات جامعة ولا ترعاها بعد فقد الحبيب آذان سامعة
 وقد كانت للبلاغة مثلاً وللبراعة عنواناً وعلى الذكاء والنباهة برهاناً وكانت ولا مراء خلافة
 نهى بدقة المعاني وسلافة رقة في كؤوس الالفاظ

فتنفيذاً لهذا المشروع استحصلنا على مجموعات اقواله المنشورة وفصوله المنشورة في بعض
 صحف بيروت واخصها صحيفة التقدم التي تولى تحريرها في ازمة مختلفة فاضفناها الى المجموع
 لدينا من منشوراته الادبية والسياسية الاخذة باسباب الاعمال المتجافية عن مواطن الجفاء
 ما هو مثبت في جرائد مصر والعصر الجديد والمحرسة والى المحفوظ من بقية نثره وشعره ما لم
 ينشر في الجرائد ولم تسمع له فسيحة الاجل بطبعه

ولكن حالت دون المرام اذ ذاك ناجعة السليم فبقي المشروع في طي الخفاء الى ان سنحت
 الفرصة لهذا العاجز فانهزمتها مأذوناً من صاحب الحق في طبع هذه المنتخبات حضرة الصديق
 الوفي الاروع عوني افندي استحق شقيق التقييد بعد استشارة حضرة والده الجليل معتمداً في
 تحقيق الامل بتعميم فوائدّها على الثهاب ارباب الذوق شوقاً اليها ورغبة في اقتنائها مستنداً
 في جمعها بكتاب مخصوص من جريدة المحرسة حيث طبعت اقساماً على فضل حكومتنا السنية

وعناية رجالها العظام وموظفيها الكرام بنشر المعارف والآداب وترويج بضاعة الانشاء اطلاب
الفلم العربي في ظل اميرنا الوارف سيدنا السنند صاحب النوائل والمعارف ايد الله سموه وعلاءه
ورفع على هام الانام لواءه

وكنا قد عولنا على افتتاح المجموعة بترجمة حال النقيد مأخوذاً بعضها عما نعلم العالم الشخصي
وبعضها الآخر عن لسان شقيقه البارع مذكوراً بصحة الرواية وقد تم لنا ذلك فليث محفوظاً
في الذهن الى ان ظفر المشروع بالزمن المطلوب فاثبتنا الترجمة في مكانها من هذه المقدمة
كما سيحيي

وتراكت علينا مرثي الشعراء والادباء في ذلك الحين فكان منها ما يحكي السحر الحلال
ومنها ما يزرى بالدرر الثوال فاخترت من مجموعها ما ورد في قسم المرثي دلالة على مكانة
النقيد من البراعة والاجتهاد وحفظت منها لهذا المقام رثاء بليغاً لحضرة صديقنا الكاتب اللوذعي
اسكندر افندي العازار لعلاقته بترجمة الاديب ووصف شأنه فيعمله تمهيداً للترجمة وتوطئة لما هو
آتي في ايراد الحقائق من الكلام الصادق

قال .

ما طلعت على اديبنا شمس الخميس وما عرف في صباحه وجه انيس استنكبت منه علة
الصدر فما دفع الاطباء منه مقدوراً وما محيا الاحياء ما كان مسطوراً وما راقب الموت فيه
احلاً ولا عشيراً فتلاشى نفساً في نفس وقبضت روحه عند الغلس فمات وعيناه البرقيتان
منفتحتان ترسلان نوراً كأنهما محمدتان الى فضاء الابدية

قضى في سفيح لبنان حيث انتمس العافية من الهواء والماء ومن ابن اللداء العياء دواء
فانصل نعي وفاته ببيروت الاسفة فلا نسل التلويح عما تترك ولا الصدور عما توفد ولا
العيون عما جرى انك تكاد لا تجد الا رأساً قلناً وصبراً مفترقاً ودمعاً مستيقاً وقاباً محترقاً
فيا لله ما هذه البلية

كان رايته في علم اللسان وآيته في صناعة البيان وغايتها في حب الانسان . كان والله
فتى ولا كالتبيان جريئاً في الحق ما اخذته فيه لومة وما رهب فيه وعيداً بل ما كان له
شعاراً في هذه الحال او مثلاً من الاحوال الا قول من قال

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جباناً

فعاش حرّ الضمير فكراً وقولاً وفعلاً ومات حرّ الضمير فكراً وقولاً وفعلاً ببيكبه ضمير
الاحرار وتندبه الحرية نبأً وطنياً خالصاً صحيحاً وعاش جندياً لأشرف الاصول واسي الغايات
وانفق في خدمتها من روحه ما كان ينفق في القلم من الروح وجاهد جهاداً جنسياً بنفس كبيرة
اعيت بدنه وقوضت اركانه فصيح فيه

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

فات شهيداً حميداً فبعداً وحق لاسمه ان يخلد الى الذرية
كان زهرة الادب في الشام وريحانة العرب في مصر فلا عجباً اذا الفيت بنسيانته احشاه
الآم شحاحاً او لفتدانه امتلأت نواحي ارض مصر نواحي اي والانسانية كان للانسانية نصيراً
ولاعنائها نديراً وبالانسانية بشيراً فلتبكي الانسانية

ويا اخوان ادب المنتشرين في الارض مات اديب وأدرج في كفته واصابت الديدان
مقبلاً في بدنه واخرسته الموت في تراه وحيل بيننا وبين خطابه فابكوا ما وجدتم في العيون
دموعاً ولا تسألوا قبلة الوداع فقد قبلته عنكم جميعاً وقد
ودعته وبودي لو بودعني طيب الحياة واني لا اودعه

دفنا: وتركناه ولو أقمنا مانفعناه وهو من قبل قد نرعت اليكم روحه شوقاً فاوصاني بالفاء النجبة
وانت يا شفيق الروح بامن اوحشت الدار ومن فيها وانست القبور وساكنيها يامؤين
الامراء ورائي العلماء وباكي الادباء والكبراء والفقراء يا ايها الراقص بلا حراك ولا يجدر
بتأبينك سواك بيبك القلم يا اميره والحق يا اسيره بيبك الاهل والاحباء فقد كنت ودوداً
حيياً وبيبك الشعراء والكتاب والخطباء فقد كنت شاعراً وكتاباً وخطيباً . تبكيك
المجالس ياخير جلس ونبكيك محاضر الانس ياخير انيس . تبكيك صحف بعبراتها وترثيك صحف
بعبراتها ولا نسل عن استرهن الامور باوقاتها فترجمة حالك سنفضح ما كان مستوراً تبكيك
افاضل الكهنوت الحق انك كنت للافاضل عضداً كريماً . تبكيك الجمعيات الادبية . تبكيك
بكاء اندرومك امك زهرة الآداب ياغصناً نصيراً ونسفيك الذكرى في كل عشية

واما الكتيب الكاسف البال رفيق صباك واعمالك واخوك في جهادك فاجثو بالذلة والاكتئاب
عدد ذلك التراب واستمطر دمع العين لهما واستوقد نار الصدر أسفاً وابكيك وارثيك ما بقي لي
من الحياة بقية

واقسم بوحشتك آنسها الله وبغريتك رحماً الله اني منم على ولانك محب لاجرائك عدو
لاعدائك لا عزاء اقبلي الأسوان الا التأسي بان تبغيني واباك ظلمة الابدية
فحسبي شجواً ان ارى الدار بلفعاً خلاء وإشلاء الحبيب نراباً (انتهى)
وهك ترجمة النفيد طالب ثراه

ولد وآسفاه عليه في دمشق الشام عام ١٨٥٦ فلم ينظم عن الرضاع حتي ظهرت عليه
مخاض النجابة طفلاً تتفرق ذهنه مؤثرات التربية لادقها اشارة واقلمها ظهوراً ولما ترعرع ادخله
والده مدرسة الابهاء العازرين فتلقى فيها مبادئ العربية والفرنسوية بما كان يزيد في اوقات
الامتحان نقداً على اقرانه وكان استاذة في العربية يقول لايه « ان ابنك سيكون قوياً الا » اي
شاعراً لان اكثر كلامه كان يرد مسجماً عفواً الفريجة وهو لا يعرف اذ ذاك شيئاً من قواعد
اللغة ولما بلغ العاشرة اخذ ينظم الشعر كلغاً به وفي الحادية عشرة دخل في خدمه الكرمك براتبه

يسير واخذ بعول عائلته اذ اصابها في ذلك العهد سوء حال وعطلة اعمال وما اتمّ الثانية عشرة من سنه الزاهرة حتى كان له عدة قصائد وموشحات ثم عرض لوالده ان سافر الى بيروت ودخل في خدمة البوسطة العثمانية ففي الخامسة عشرة استدعاه اليه من دمشق ليكون معيناً له في خدمته فجاها وتعرف ببعض ادباء بيروت وله مع اكثرهم كصباح افندي رمضان والشيخ فضل النصار وبولس افندي زين مطارحات ورسالات شعرية وفي السابعة عشرة نال وظيفة في ادارة كرك بيروت ففضى فيها مدة يسيرة ثم نزعته اليه نازعة العلى الى الاشتغال بفن الكتابة والانصباب على الانشاء فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشأتها الاولى زمناً طويلاً وله فيها فصول شائقة كاله قصائد كثيرة في ديوان يوسف افندي الشلفون وكان يصرف اوقات فراغه في المطامعة ونظم الشعر فألف كتاباً سماه (نزهة الاحداق في مصارع العشاق) لم تظهر بنسخة منه ثم دخل جمعية زهرة الاداب وقام فيها عضواً مهتماً يلقي على مسامح اقرانه الخطب البليغة والقصائد الرائقة ويباحثهم في المواضيع الادبية وبعد ذلك كلفه حضرة صديقنا الفاضل سليم افندي شحماده بمشاركته مع زميله المرحوم سليم الخوري في تحرير آثار الادهار عام ١٨٧٥ وهو كتاب نفيس فاشتغل فيه مدة وكان سنة دون العشرين وله في ثلاثة اجزاء منه فصول تدل على سعة اطلاعه وغزارة باده ولبت على هذه الحال الى ان جاء الاسكندرية باشارة فقيدها السليم فساعده في تمثيل الروايات العربية وكان قد عرّب في بيروت عن راسيت الشاعر الفرنسي المشهور رواية اندروماك وهو في التاسعة عشرة من العمر اجابة لطلب قنصل فرنسا فترجمها ونظم اشعارها وعلم ادوارها في مدى ثلاثين يوماً ودفعها الى حضرة القنصل فثلث اسعافاً للبنات البناتى ثلاث مرات فجمعت خمسة وثلاثين الف غرض فلما حضر الى الاسكندرية قلبها بطناً لظهر ونظم فيها ابياتاً جديدة من الشعر الرائف فحصل لها وقع عظيم وهي مثبتة في هذه المجموعة مع رواية شارلمان التي ترجمها في الاسكندرية ونالت من استحسان القوم حظاً وفيراً ثم قصد المحروسة عاصمة البلاد المصرية وازم العلامة جمال الدين افندي الافغاني فقرأ عليه شيئاً من الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق ورغب اثناء ذلك في انشاء جريدة عربية فحصلت له هذه الغاية فانشأها باسم مصر عام ١٨٧٧ وليس في جيبه اكثر من عشرين فرنكاً ولا رأى من اقبال الناس عليها ما يشد الأزر فنقل ادارة المجريدة الى الاسكندرية مشتركاً في ادارتها وتحريرها مع فقيدها الاخر (وكفانا نسيه) نلقيا نجاحاً ليس باليسير ثم انشأ كلاهما جريدة التجارة فاصدراها يومية وابقيا « مصر » اسبوعية فحصل لها جميعاً اقبال عظيم ثم ألغيت المجريدتان لمقتضيات دعت الى الغائها فابتعد الاديب عن مصر عام ١٨٨٠ مهاجراً الى باريس حيث انشأ جريدة « الفاهة » وكتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة لا يعاب اكثرها الا بما كان فيها من آثار الحدة وكفى .

وحصلت له في باريس حظوة موصوفة بافلام بعض كتاب الجرائد الباريسية وجريدة تركية

منشأة في تلك المصاهرة ونعرف ببعض المتقدمين من رجال الدولة الفرنسية وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة فزادته خطب البلغاء منهم إقداماً على الخطابة ودخل المكتبة الاهلية فطالع فيها عدة مؤلفات من المخاطيط العربية القديمة ونسخ عنها نفقا كثيرة وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرضت للمؤثرات فلما ذهب الى باريس اتفق ان يردنا كان في منتهى الشدة فاصيب بعلة الصدر وتالم منها مدة الشتاء ثم عاد الى بيروت مصدوراً بعد ان قضى في باريس تسعة شهور فعهد اليه صاحب «النقد» بتحرير جريدته فتولى تحريرها للمرة الثانية وقد اثرا عنها مقالات كثيرة في هذا الكتاب واقام على ذلك نحواً من سنة فلما حصل انقلاب الوزارة المصرية اواخر عام 1881 عاد الى مصر مدعوا اليها فودعه اصحابه وخلائه بنفوس الآسفين على فراقه وكنت في جملة من اغتدر لوداعه الى رصيف البحر فارأيت قلباً غير مائل الى اصطحابه واني لذكر ما سمعت احد وجهاء بيروت عززوا حسن افندي بيهم قائلاً انه ساعة الوداع

انا نودع روحنا وفؤادنا ومع الاديب نودع الآدابا

فاجابة بقوله «ليس ببقائك وداع للآداب» ثم سار واتى القاهرة فعين ناظراً لقلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف ورخصت له الحكومة في استئناف نشر جريدة مصر فاصدرها اولا في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات ونال خلال ذلك الرتبة الثالثة وعين كاتباً ثانياً لمجلس النواب ولما طرأت الحوادث العسكرية عاد الى بيروت فيمن هاجر الى القطر السوري وبعد ان حل الانكليز في الاسكندرية جاءها مرة اخرى في الخامس شأنه الاول فلم يحصل عليه فأبعد الى بيروت حيث اقام متولياً بتحرير جريدة التقدم المرق الثالثة الى ان اشتد عليه الداء وهو السل الرئوي فاشار دليو الاطباء بالذهاب الى مصر مستفيداً من ملاءمة هوائها لصحته فالتمس الرخصة في العودة اليها بواسطة المغفور له سلطان باشا فاجابت الحكومة السنية الخامس كرواً واحساناً فأتاها ساعياً الى العفولدى من لقي من شائله عنو الكرم واهل بو من عرفوا قدر ادبه فاقام في مصر اياماً قليلة ثم عاد الى الاسكندرية فنصرف بضعة ايام في محلة الرمل الخامس العافية ولكن ضاقت بو سعة العمر فلم يرجوا الاطباء له شفاء فافنعوه بالعود الى اهله في ثغر بيروت فعاد اليها ولم يمض على عودته ثلثون يوماً حتى جاءنا خبر وفاته وكنت اذ ذاك مساعداً لفقيدها السليم في تحرير جريدته المحروسة وكتاب «مصر للمصريين» فها لنا الخبر فبكينا الاديب بقل الغام وكان قد ملا اسماعنا قبل رحيله من الاسكندرية كلمات آمال وابناس فاذا كرتني بعد ورود الخبر بقول القائل

هم اودعوا مسعى يوم النوى درراً فردّها الدمع من عيني بواقينا
(جرجس ميخائيل)
(نحاس)

افعال الجرائد

قالت المحروسة بلسان فتيدنا المرحوم سليم النقاش بعنوان

اديب

كذا فليجل الخطبُ وليندح الامرُ وليس لعينٍ لم يفيض ماؤها عذراً
أمن حدُّ الاقلام ان تجري بعد فقد الاديب من المحابر أمن واجب الدموع ان تبقى بعد
هذا المصاب مصونة في المحاجر . أمن العدل أن نعاف اليوم من اثواب الحداد . أمن الغرابة
ان نغنى بهذه الفاجعة الهدى والرشاد . لا والاسف وحر نار الهف فقد ثلَّ عرشُ الفضل ودكَّ
طودُ الذكاء والنبل وغاضَّ معين البراعة وشوَّ وجه البراعة وبدد شمل البلاغة واخزل نظام
الانشاء وكان لا يأخذ بحاسنه المدُّ والاحصاء وانقبضت الصدور واضطربت القلوب وانذهلت
البصائر وشخصت الابصار فعمت الاحزان واستولت الاكدار وحارت الافكار

وغاضت بناييع المسرة وانقضت ايامها كم كان للانس اوقاتُ
واصبحت الآداب تندب حظها نقول مضى سعدي واهلي قد ماتوا

كيف لا

والدهر قد فوق نحو العلى سهماً وهذا السهم كان المصيب
نعماً لهذا الدهر من خائنٍ لم ينج منه فاضلٌ او اديب
اجل لقد ارسلت المنية رسلاً فاخفظت زهرة الفضل الزاهرة وفغرت الداهية الدهاء فاما
فابتلعت درة الادب الباهرة

والموت نقادٌ على كفه جواهرٌ يجنار منها الغوال
ومن ذا الذي يجمع باقول بدر المعارف وغروب شمس اللطائف
ولم يسلم من عينه ادمعاً تساجل السحب وفيض البحار
ولم تروِّع قلبه حمرةٌ تلون الوجه بلون البهار
مضى الاديب الذي كان للعلم حرزاً وللبلابة كنزاً وللنصاحة ركناً وللسماحة حصناً
هيهات ان يأتي الزمان بمثله ان الزمان بمثله للجفيل
مضى فكان المول هولاً صير بياض العيش سواداً ورحل فكان الخطب خطباً جعل
نور الحياة ظلاماً

واني لا بكيه واني اصادقُ عليو وبعض الفائلين كذوبُ
مضيت واي مثله ايها الاديب لاندرف الدمع عليك صبيحاً واي امره من مفتوني ادبك
لا يتفجع عليك بكاء ونحيباً فارقتنا ونأيت وما اصعب تأبك وفراقك ورحلت عنا ومضيت

فنجعت برحمتك احبابك وعشاقك وقد اطعمتهم يوم وداعك بامل اللقاء ووطدت رجاء الاجتماع
وم لثؤوك في السفينة لثمة الاخاء فما كان العهد بهجرك ان يكون اليوم مزيل الصفاء مذنب
الهواء لاصبر بعده ولا عزاء

ولو قسم الحزن على فقدك اعشاراً لاصاب عشرٌ منها والدبك وآلك وعشرٌ اصدقاك
وخلانك والادباء الذين عرفوا قدرك وشانك وعشرٌ كل من سمع بك ورآك او علم برفعة
مقامك واصابني انا السبعة الاعشار وما ارضاها قسمة ضيزي اكون بها اقل من الجميع حزناً
عليك لاسيما انك غبت عن العين ولم التك لثمة الوداع قبل ان تغض و آسفاء عينيك
ولو جمعت في رثاءك ما قيل في الدنيا من رثاء لما جاء وافياً بجزء من الواجب وهيهات
ان يوفيك حنك منه الا من هبطت عليه اسرار بلاغتك وأعطيت منحة براعتك وكان لك في
البراعة قريباً وفي سرعة الخاطر ندّاً ومثيلاً

ولقد شهدناك في ايام شبابك تأخذ بناصر المبادئ الحرة وتؤيد شأن القواعد الصحيحة
فدلنا ذلك على انك لست من ابناء هذا الجيل وليس اهلك اقرانك بل انك سابق بمئات من
السنين في الوجود وانك واثق سيأتي على الاعصار القادمة زمنٌ يذكرك اهلك بما نشأت عليه في
زمانك فينادونك ثم ايها الاديب هذا عصرك الخالق بك فقد وجد فيه رجالك وهم بك حريون
ثم وانشروهم مبادئك واهاليك الديمقراطية فهم الك مصغون ولشأنك معظمون
فقدناك يا فتى النبهاء بالغاً مبلغ الكهول من الحكمة ولم تبلغ الثلاثين من عمرك ولكمك
ابقيت لك ذكراً يؤبد دهوراً واثراً يخلد من بعدك اجيالاً فعلم بهما الفضلاء كيف يحيا
الذكر ويبقى الاثر

وتم تذكرك تذكرًا بادبك أبطالاً لسانك وقد كنت واسطة عقد الخطباء ام بتوقد
جنانك وقد كنت خيرة الالباء ونخبة الاذكياء

فكم رأيناك على المنابر تجل عينيكم ملتفتاً نحو ملتفتي دررك بمنه وشمالاً فصيحاً بليغاً قوي
النصور حاد الذهن حاضر الذكر سريع الخاطر متين الحجّة صحيح البرهان ثابت الجنان
وكم عرفناك في مكاتب الصحف متقلّباً بين فنون البراعة بما هو بادي الاثار في جرائدنا
شاهداً على سعة معارفك وطول باعك في السياسة والمباحث العلمية والمناقشات اللغوية
والمناقشات الادبية والمدح والتهجاء والتأيين والرثاء وحسن الرواية واحكام طرق الاخبار
والحكاية والفنن في اساليب الجدل والهلل والعدر والرجاء واللوم والعتاب والتوصل منها بمناسحة
الخلان والاحباب والمغازلة والمداعبة والحزن والطرب وسائر فنون الادب وكليات الامور
وجزئياتها على اختلاف احوالها وصفاتها

وتم نستوفي ذكر محاسنك ونستجمع بقية اوصافك واحاسنك أبهى القريض وقد كنت ابن
بيدته وقائد نجده مقتبساً مبتكراً مجيداً مؤثراً مرقصاً مطرباً محزناً مبكياً تلعب بالعتول بين

الرفقة والانجمام وتأخذ بالالباب على ابدع نظام في نظم الكلام أم برقة جانبك في المعاشرة
 ولطف محاضرتك في المصاحبة أم بحسن وفائك وجميل ولائك وبشاشة وجهك وكراة طبعك
 وبم نملك لدى العين في سجاياك ومناقبك ومزاياك أبالآداب وقد كنت صحيحة من غير
 نصنع ولا رياء أم باخلافك وطباعك وقد كنت حاد الطبع سريع التأثر والانفعال غير حقود
 او ججود طيب القلب سليم النية عنبري الصوت مسكي السمعة مستقيم الشأن رضي الخلق لا
 يتولاك الحسد ولا يملكك الطمع ملتهباً غيرة على ابناء جنسك عزيز النفس ايها طاهر السريرة
 نقية انوفاً من غير كبرياء مقدماً جسوراً لا يأخذك العجب آن الفوز والخلاص حكيماً ذكياً
 منبسط اليدين سخياً محسوداً على ما كان فيك من النباهة مشكوراً على ما كنت منطوراً عليه
 من النزاهة

وبم نغذ بعد ذلك من اثار حياتك سبباً للسلوان وموجباً للعزاء أخطبك واقوالك التي
 ذكرنا او صفات كمالك التي عددنا . نعم هذه آثارك في الادهار تنهد على سعة علمك بغير بيان
 وهذه باريسينك الحسناء تنطق بحسن بيائك بغير لسان وهذه رواية اندروماك التي لو علم
 واضعها بما لبناك عليها من فضل التعريب لانبعث مطأطئاً في موقف الاجلال لمقام الكاتب
 الاديب وهذه جرائد مصر والفجارة والعصر الجديد والحروسة والتقدم وغيرها ما جاء مطوقاً
 بفلائد فصاحتك السبحانية محلى بفرائد حكمك اللغامية وجاء معلناً انك لم تكن فيما اجدت به
 وابديت الا اياسي الذكاء اخطي الادب وهذه المؤلفات العديدة والمنشورات المفيدة التي
 اشتركت مع اربابها في التأليف والتصنيف فكانت دليلاً على اجتهادك وسعيتك في نفع بلادك .
 وهذه سوربة تنفخر بكونها مسقط رأسك ومطالع شمسك وهذه مصر تنافس بك الاصار وتنفخر
 بكونها مظهر فديتك ومحلى افكارك

وكيف بسلوك اهلها وقد كتبت الي منذ سنة في احدى رسائلك نقول آه لو ارى
 مصر نظرة اخرى في حياتي . وقد نلت اربك وبلغت منك فنجتها ورأيتها فاکرم امرأها
 وفادتك مأهلين بك مرحين ثم نأيت عنها على امل العود اليها بعد الشفاء فحال واحسرتها
 بيننا وبينك الداء فكانوا عليك آسفين وبما ذكرناك به ذاكرين

وكيف اسلوك يارفيق الشباب وكنت ان تمت رأيك في منامي وناجيتك في احلامي وان
 صحت رأيك الي جانبي وامامي وان تكلمت كنت مونسوع كلامي وان كتبت سيفتني الى ذكرك
 اقلامي

فمن اين لي بعد ذلك ان اصبر على عظم هذه المصيبة فيك ومن اين لي ان ارى بعدك
 مثل الدرر التي كانت تنثر من فيك فوالآسفاء على اوقات تقضت بقربك واحسرتها على
 زمن . كان انقضاء نحبك الزمن الذي كان يتوقع فيه ابناء بلادك زيادة النفع بافدامك واجتهادك
 فتق وانتم تحت الثرى اناديك حياً بذكرك اني لا اسأل بعد هذا الخطاب صبراً قليلاً كان

او جزيلًا فقد رأيت بعين الحفيدة امرًا مستحيلًا ولكني اسأله لوالد بك واخويك وآلك وسائر
محبك وخلانك

وكفى لعزيتي ان لا اجد على فقدك من
بظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جنوني غير منسكب

وورد في جريدة الاهرام الغراء

يزيد الاسف والشجن نعت لنا اخبار بيروت فقد الشاب الاديب اديب افندي اسحق
توفاه الله يوم ١٢ الشهر الجاري في قرية الحدث من اعمال لبنان قرب بيروت اثر داء عياه
الم من مدة طويلة فعالجته اطباء بما وصل اليه جهدهم حتى تعاضى عليهم ففضى النفيد في
شرح صباه مغادرًا الاهل والخلان يرددون عليه زفرات النحيب والاسف ولا غرو فقد كان
رحمة الله شابًا نبهاً حاد الذهن وكاتبًا بليغًا تشهد له نقاشات افلامه التي اودعها الطروس وحفظتها
الصحف دالة على ما كان له من الباع الطويل في فنون الادب وانها لتحفظ له الذكر الجميل
يردده العالمون بنفضل اولي الفضل وبماودون الاسف على فقدته قبل ان استوفى حق عمره
لانه توفي عن ٣٠ عامًا صرف جلها في الانكباب على المطالعة والامتصاص بالكتابة واندمج في سلك
الخدمة المصرية ونال من لدنها الرتبة الثالثة ثم تجرد في بيروت لكتابة صحيفة التقدم ولما انتهكت
الداء انتطع عنها الى المعالجة حتى قبض فنسأل الله ان يسقي ضريحه غيث الرحمة ويلهم اهله
وخلاته صبرًا جميلًا ويكتب لم بذلك اجرًا جزيلًا

وجاء في الطبيب بقلم حضرة صديقنا العلامة اللغوي الشهير الشيخ ابراهيم اليازجي
رزقًا وطني

نعي الى الوطن وآله والفضل ورجالو خطب يوم جئت فيه المخابر وسالت المهاجرو قامت
نوادب الفصاحة ترثي موشي حبرها وانبرت خطباء البلاغة تؤين خطيب منبرها نعي اليه الكاتب
البارع النحرير والخطيب المفعوه الشهير اديب بك اسحق صاحب النبل المعروف والدكاه الموضوف
الذي غاضت مناهل الادب لفيض بحاره وراح واسان الحال ينشد في آثاره
استشعر الكتاب فقدك سالفاً وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سودت الصحائف وجهها حزناً عليك وشقت الافلام

وقد استأثرت برحمة الله تعالى في صباح يوم الخميس الثاني عشر من هذا الشهر في مصيفه
بحدث بيروت على اثر داء في الصدر اعيا الاطباء علاجه وقدر سد على ذوي البصائر منهاجة
ودفن بها رطب الشباب غصن الاهاب غير تجاوز تسعاً وعشرين سنة ملاً فيها الاسماع والقلوب

وطار ذكره في الآفاق بما لا تمحو اثره الخطوب وكان دفنه بشهد سواد من اوليائه واحبابه بعد ان قضوه سنة الوداع والتأين بما يقتضي حتى آدايو رحمه الله رحمة واسعة وافرح عليه محائب رضوانه وثوابه

وقال لسان الحال

ما ت الاديب . قضى من كان في قلوبهم للذكاء اوفد شعله وللولاة اخلاص طينة وللوطنة امضى بنينا عزبة وللخبر والتخير امدًا باعًا ولا داب الجبل اوسع اطلاقًا اضعنا الرصيف وفقدنا الزميل . فبا للنارلة لا تدفع وبالنظير لا يرد . اضعنا ادب بك اسحاق عند غلس الخسيس في الحدث احد ارباض المدينة . ثم نعي للبلد بلسان الرسل وما انتشرت مناخه مسطورة الا بعيد عصارى النهار لما اصاب آله الفضلاء وخلافة من روع الخطب نتولاهم الحيرة بين ان يواروه سفح لبنان اجابة لدعوة اهل المكان الذي قضى فيه وبين ان يسيروا به الى المدينة امثالًا الى رأي صحيح وسائر من قدر فضله . ثم غلب الرأي الاول فدفن في مقبرة الحدث والعمون بالدع شكرى والصدور بالاسف ملائ . واهل الادب بالنعش يحنون وذوو المكانة يؤنون . واما من اصاب السنهم عجمة الخطب وعقدة المصاب فقد كانوا بالدموع يتكلمون وبشبه الجوارح وعطفات الجوارح يرثون . وكان ارق من خطب (واما برخم صوت الكتيب ولوعة الشاكي ودعة الباكي) جناب البارح الذكي الفتواد اسكندر افندي العازار ثم تلاه جناب الاملي الاديب ابراهيم افندي الحوراني . وكان في جملة من خطب واجاد الذكيان خليل افندي الخياط وسامي افندي قصيري . على انه لما كانت الشمس موشكة ان تغيب امسك كثيرون من الخطباء عن التأين ثم تفرق الحشد . الحداثون الى منازلهم والبيروتيون الى بلدكم (وبلي ذلك ترجمة حال التقيد فاضربنا عن نشرها لورودها في مقدمة الكتاب)

وقال الجنان

اختطف المتون حلية شبان العصر الخطيب النصح الفاضل المرحوم اديب بك اسحق بن كان لعين البلاغة قرن وللوطن فرحة ومسرة . قضى وهو في يانع الشباب غيسان لا يعوزه الا العجمة ولا يلزمه الا الشفاء اغتالته المنية وانتشبت فيه اظفارها بعد ان طال به المرض وتمكن من جسمه فايضة غصنا رطبًا في التاسعة والعشرين من العمر ولما سرى نعيه في الاقارب والاصدقاء تفطرت منهم القلوب وشقوا الجيوب وبكوا الاديب بكاء لا يزيك بكاء وحزنوا على فقده حزنا ولا حزن الخساء فمن نادب سوء حظ الوالدين والاخ والشفقة ومن ناشئ على الاديب احًا حرم الذي خطابه ونافع الفاظه الفصيحة واعرابه ومن ذاكر للتقيد اقوالا وحسن معنى وصح سبك حباه به رشدًا وهداية . ونحن في مقدمة الذين يحبون خسارة التقيد النجيب

ننقسم الجميع حزناً منهم وتأينهم ولو اردنا اظهار ما حاق بالقوم من الكآبة والالم لملأنا
الصفحات والمطور ولم نأت بجزء ما يتخلج في الصدور قلدا ولما انتشر الخبر وذاع نساقت
كذائب القوم الى قرية الحدث حيث اقام الفقيه في هذه الايام يؤدون واجب التعزية
للوالد وحزنة اشبه بحزن يعقوب والوالدة الثكلى الحزينة حتى اذا استكمل ندد الاصدقاء
والاقارب صلى احد الالباء الاجلاء على الفقيه وبعد ان فرغ رفع النعش على الاكف وسير
به الى المدفن وهناك استأنف حضرة الاب الجليل الصلاة عن نفس الفقيه

ثم ابنة جناب خليل افندي خياط معدداً محامده وحسناته ثم خطب من بعده جناب
اسكندر افندي العازار مؤيداً الفقيه بنظية مؤثرة فان علانيته معه ومحبة له لاشهر من ان تذكر
ثم ابنة جناب المعلم ابراهيم افندي الحوراني فاجاد واحسن ومن بعده لفظ جناب الدكتور بشارة
افندي زلزل تأييداً جميلاً اعرب فيه عن حاسيات الجمهور ذاكراً خدام الفقيه المتتالية واعماله
الكثيرة الى ان تكلم جناب سامي افندي قصيري بعبارة رفيعة اثرت في القلوب عظيم تأثير
ثم ردوا للتراب على الفقيه وارفض القوم كل بكفكف دسوعة وبشكو ما به من ألم الحزن
ولسان حالهم يقول

لأنسفن على ميت لك اثر ما مات والله من ابني لك اثر

وجاء في مجلة الانسان لصاحبها الفاضل حسن بك حسني

بعد قصيدة الرثاء التي ادرجناها في قسم المراثي

ورد اليها الرقيم الالم بتاريخ ٢٠ حزيران ينعي الى الصديق الحميم بل الخليل القديم رجلاً
الادباء وغرة الالباء وكانت وفاته في هجيرة يوم الخميس « ولا كانت » الموافق ١٢ حزيران
في قرية الحدث في جبل لبنان واتني لاخلج وحرمة الادب ان البس الصحيفة عليه ثياب
الحداد كلافا يلبس الحداد الا على من مات اما اديب فلم يميت ذكراً وان مات جعاً ولم
يفقد اثرًا وان فقد عيناً احسن الله عزاء المعارف والاداب واجزل الصبر على اهلوه والاصحاب
وابقى لنا شقيقه السالك طريقه الحائز صفات اخيه بما يضمن آمال المعالي فيه

وفد تنبينا الصحف العربية قاطبة ناعية نادية شاكية باكية لفقد وعلى فقد رب البراعة
وصاحب البراعة غرة جبين زبانه والحسنة الماثورة من اولاده اديب بك نسحق ولا غرو ان
تدمع على اثره العيون وتهلج الشجون وتنوح النوائح على مثله فلقد كان فاضلاً كاملاً واديباً
ارياً ظهرت براعته وقهرت براعته فلم تغطرت حدائق الصحف بطبيب نشره وتقلدت اجساد
المعارف بلائي نظمه وشذور ثمره كان تحرير التحرير ان كتب منور اشقر بران اعتد فخطب مع
كال الفطن وجمال اللسان كان بدر الباب فأجنته هالة الاجل وكان كوكب آداب
اشرق حتى اقل

المراثي

قال جناب صديقنا الشاعر البليغ الشيخ خليل اليازجي

أَخْلَقَ يُجَسِّمُكَ أَنْ يَبْنِيَ كَلِيلًا عَنْ جَهْدِ نَفْسِكَ أَوْ بِوَيْتِ عَلِيلًا
 نَهَكَتْ نَفْسُكَ فِي الْمَطَالِبِ وَالْعَلَى حَتَّى تَمُوتَ انْفِرَاقَ سَبِيلًا
 يَا رَاحِلًا أَبْكِي عَلَيْهِ مَحَابِرًا وَمَنَابِرًا وَمَنَاجِرًا وَطُولًا
 تَرْتِيكَ أَقْلَامٌ يَكُونُ صَرِيرُهَا نَوْحًا عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى وَعَوِيلًا
 تَتَذَكَّرُ الْكَفِّ الَّتِي كَانَتْ بِهَا أَصْوَانُهَا التَّغْرِيدُ وَالتَّرْسِيلًا
 وَهِيَ الَّتِي قَدْ كُنَّ بَيْنَ بَنَانِهَا قَضِيًّا وَكَانَ صَرِيرُهَا صَلِيلًا
 كَفَّ بِضَاهِهَا لِسَانُكَ خَاطِبًا وَهُوَ الَّذِي لِلسَّيْفِ كَانَ مِثْلًا
 فَوْقَ الْمَنَابِرِ لَا يَنْفِلُ غَرَارُهُ لَكِنْ يَكُونُ لَهُ الْمَهْمُ فُلُولًا
 تَمْنِجُ مِنْكَ إِلَى خُطْبَيْهِ مُصْتَعِرٌ يَتَلَوُّ ثَنًا لَكَ فِي الْأَنَامِ جَمِيلًا
 وَلَعَلَّ ذَلِكَ لَيْسَ يَوْجَدُ عِنْدَنَا حَتَّى نَرَى لَكَ مِنْكَ عَنْكَ بَدِيلًا
 يَرَوِي مَآثِرَ عَنْكَ يَقْصُرُ دُونَهَا صَوْنُ الْقَوَائِي فِي ثَنَاكَ طَوِيلًا
 وَبَعْدَ مَا أَحْصَيْتُهُ فِي مَدَّةٍ قَصُرَتْ فَنَاتِ الْعَرْضِ مِنْهَا الطُّوْلًا
 أَنْ كَانَ قَلَّ مَدَى حَيَاتِكَ عِنْدَنَا فَقَلِيلٌ مِثْلُكَ لَا يَعْدُ قَلِيلًا
 فَلَقَدْ مَلَأْتَ بِهِ السَّمْعَ جَرَائِدًا وَقَصَائِدًا وَرِسَائِلًا وَفُصُولًا
 مَا بَيْنَ شَرْقٍ فِي الْبِلَادِ وَمَغْرِبٍ لَمْ تَأَلُ فِيهِ تَغْرِبًا وَرَحِيلًا
 مُسْتَصْحَبًا لَكَ هِمَّةٌ نَفَازَةٌ وَعَزِيَّةٌ مِثْلُ الْحَسَامِ صَقِيلًا
 وَقَرِيحَةٌ وَقَادَةٌ وَبَصِيرَةٌ نِقَادَةٌ تَسْتَوْضِحُ الْجَهُولًا
 لَا يَبْعُدُكَ اللَّهُ مِنْ نَآءٍ مَضَتْ مَعَهُ قُلُوبٌ لَا تَرُومُ قَنُولًا
 أَنْ كُنْتَ قَدْ أَوْحَشْتَ يَهُودًا فَقَدْ أَوْحَشْتَ بَارِسًا وَشَقَّتْ النُّبُلًا
 فَعَلَى ضَفَافِ النَّيْلِ مِنْكَ مَآثِرٌ سَالَتْ فَكَانَتْ ضَفْنَاهُ مَسِيلًا
 أَنْتَ الْأَدِيبُ كَمَا سَمِيتَ وَحَبِذَا اسْمُ عَلَيْكَ نَرَاهُ قَامَ دَلِيلًا
 لَكَ عِنْدَنَا ذِكْرٌ يَهْبُ نَسِيمَةٌ فَيَسِيلُ مِنْ مَحَبِّ الدَّمْعِ سَيُولًا
 فَإِذَا تَذَكَّرْنَا شَبَابَكَ ذَاوِيًا رَطْبًا ذَكَّرْنَا الْمَغْصُوفَ ذَبُولًا
 وَإِذَا تَذَكَّرْنَا خِلَافَكَ الَّتِي لَهْفَتْ تَذَكَّرْنَا النِّسَمِ الْبَلِيلًا
 وَإِذَا تَذَكَّرْنَا حَدِيثَكَ فَالْطَّلَا نَسِي قُلُوبًا الْمَلَا وَعَقُولًا
 وَإِذَا تَذَكَّرْنَا مَحَاسِنَكَ الَّتِي غَرِبَتْ ذَكَّرْنَا الْمُبْدُورَ أَفُولًا
 فَعَلَيْكَ مِنْ لَدُنِ الْمُهَيَّمِ رَحْمَةٌ نَسْفِي ضَرْبُكَ بِكَرَّةٍ وَأَصِيلًا

وقال جناب الشيخ سليمان الحداد شيخ طائفة الروم الكاثوليك في الاسكندرية

بكيت للبين بعد البين ازمانا
قد كنتُ اَجَل في دمي فامسكته
على اديبه به ايامه غدرت
على اديبه اتي حسان آوته
على اديبه له في كل جارحة
على اديبه به ايامنا فقدت
على اديبه له آدابه شهدت
وعن اديبه اسأل الدمع من مقلد
نقول اجدات قوم اذ يجاورها
يا حداث البين قد واريث في حداث
رسم حوى طود علم في جوانبه
يا ايها الرسم هل تدري مكانته
الفاظه الخيل في مضمار خطبه
ما غالت القوم في مضمار من سلوى
هدمت هيكل جسم زائده ادب
غمدت كالنصل في ارض بنيت لها
قد كنت للعرب قسماً في منابرها
نوقد الذهن فيه كانت آفته
قلنا به الصدق والايام مكاذبة
ما زال يجني الوري من لفظه عسلاً
قد كانت سامعه في قوله غملاً
قد لازم الحمد والاقدار قدارة
يا شارباً من كوؤس الين نهله
اعداك دالة عدو الفضل نحسبه
آيات حفي لنا كانت رسائله
تبكي البصائر والابصار آسفة
يدعي ادبياً وهذا الوصف منتشر

فاحدث الدمع في الاجفان اجفانا
واليوم ابذله دراً ومرجانا
فغادر اليوم في الاكباد احزاننا
سحاب الدمع تبكي منه سحباننا
عين ترى دمعه في الحبي هتاننا
كثر من الفضل والآداب ملآننا
في كل فن فلا يحتاج نيلنا
لم بسأل القلب بمد البين سلواننا
لله من جدث يسقي فاسقاننا
من سفل لبنان بين التراب لبناننا
قد صار للفضل والآداب اوطاننا
وفضله كان بين الناس كيطاننا
غرت المعاني عليها كن فرماننا
اذ كان فضلك للباقيين برهاننا
فما به رمت الآداب عمراننا
فخرًا وحزنك فيها قصر غمداننا
وللفصاحة فيما قلت حساننا
اذ كان افراطه النفس عدواننا
وليس ما اتبع الفاوون اغواننا
حتى ارتدى فده العصال اكفاننا
واليوم اضحي بخمر الحزن نشواننا
على شجاع وان لم يرض اقراننا
ابقيت كلاً الى لفيك عطشاننا
فليت فضلك قبل البين اعداننا
فكلما قلته ما كان بهتاننا
من كان منه لعين الفضل انماننا
فكل من ذكر الآداب ابكاننا

وقال جناب الالمعي وديع افندي الخوري

شئت عليك قلوبها الاخوانُ ما بعدها بستر العزاء يسانُ
وبكتك اقلام الرثاء بكنها فجرى لفندك دمعها الهتان
دمع يسود طرسها بمداها كالسكيل تجلو حسنه الاجفان
تخشى الطروس لهيبه فكاه نار المصاب تثيرها الاشجان
مدّ الدجى ليلاً على ليل الاسى ودجى فاهما له الرجحان
قد مرت من دار الغرور الى بها دار يفاض بها لك الاحسان
فهنالك لا غدر ولا شر ولا ضر ولا كدر ولا احزان
يبدو هناك الامن ثم الخير ثم البشر ثم اللطف والرضوان
لو كانت الاصحاب تكتم ما بها من حرقه لاذاعه الكتمان
او كان صرف الدهر يترك فاضلاً جزع الغرور اليه واليهتان
ولي الذي لم تبد درة نطقه الا غدت تتنازع الازهان
اني لا عجب كيف خر من الذكا جبل احل بقلبه لبنان
يا قبر اكرم وفد ضيف قد اتى فيكل قطر تكرم الضيفان
اني اعز به والداً بنجبه يشجو الفضا ويحبه الاخدان
قصفت يد الحدثنان غصن حياته بغياً فلا صبر ولا سلوان
واخّ والدة وصحب قد رثى شعر لحر مصابهم وبيان
صحب اذا بغت العزاء قلوبهم لعبت بها من ذكرك النيران
نارت على الايام حرب اسى لقد جاءت بها الاقلام وهي عوان
مات الذي احبى البلاغة بعد ما مرّت عليها للفنا ازمان
لطف الملاك بغره لكن مذ ولي علمنا انه انسان
وبراعه ثل وما بمداها راجّ وما بسطوره ربحان
عهدي بصحب اديب اسنّ كلام وهنا نظرتهم وهم خرسان
حصر المصاب بيانهم فجرت لهم للفصح عنه مقلّة وجنان
ذكر للطفك في صميم فوادهم حي فليس يمتد نسيان
ضربات يا أس في قلوبهم اند وفرت بها الاسماع والاذان
بكت النهى جزع المحبى قلن الذكا شكت الرفاق وناحت الخلان
شفت جيوباً للمصاب واتبعت تلك الجيوب بشقها الاخوان
لو دام قلب لم يشق رأيه دمعا عليك تسيلة الاجفان

عزّو المهابر والمنابر قد مضى قس الزمان وقد قضى سعيان
 نثّات صدرك مذبدت تهدي السنى شامت بها عقد البهاء حسان
 تبدى لنا ثم المحجى كرمًا وما ظهرت لنا بطروسها اغصان
 حفظت لك الاداب ذكرًا زهرة يبدو وانت لعامها نيسان
 شئت الزمان وقد عرفت شؤونه اعنى يحل بكفى الميزان
 يهوي به من كان ملء طابعه فضل وعلو من به نقصان
 يبكي عليك الصحب لكن كلهم بك لاحق لما يبين اوان
 فمهم ضمين والحياة حظيرة والموت ذئب خاطف غرثان

وقال جناب الكاتب البارع ميخائيل افندي جورج عورا في جريدة البيان

وفدت علينا صحيف بيروت ناعية لنا فقد الكاتب التحرير رب البراعة والتحرير وقدوة اهل
 التعبير اديب بك استحق فلما شاع الخبر في القاهرة ثارت لوائح الاحزان وتولت القلوب الاشجان
 وملكت الرعدة الخواطر وفاض دمع المهاجر وشامت الوجوه وخشعت الابصار وحارت الافكار
 فيارحمة الله على رجل الادب وطود العلم ونجم الفضل الآقل ورفيق المجد الراحل وكوكب
 الاوطان وتاج هذا الزمان

بربك ما هذا الذي دكدك القوي تزلزل رضوى اومات اديب
 اديب وما ادرى الورى بقدره هو بديع زمانه وشعبان دفره قضى الادب بانه نخبه وأسأل
 السكون على مشرق ذكائه غربه أجل فقد ذهبت الحكمة والوقار وشحبت الدراية والاختبار
 وتفككت اوصال اللطائف وانهمرت دوارف المعارف فياراحلاً عنا وقد سبل على القلوب بالاسى
 وضيق على النفوس رجب الزمان حتى لا تجد الصباح امثل من المساء باي لسان نوحي حقوق
 رثاك وكيف يجمل التصبر على طول فواك

الصبر ليس على فراقك يحسن ونثل هذا الخطب تبكي الاعين
 بامن تحركت النفوس تأسفاً لفراقه هيبات بعدك تسكن
 فكن تمكن منك سلطان الردى فنفسنا فيها الاسى متمكن
 باعين جودي بالبكا وتكلي يداع ان المدامع السن
 هل ثم عين لم تجد يدوعها ففا عليك ومفلة لا تحزن
 أو ثم قلب لم يزقه الاسى أو هل هنالك قوة لاتوهن
 ناله ما الدنيا بدار يبتغي فيها الثقل وبطيب فيها المسكن
 كلا ولا للتدبر عهد يرتجى منه الوثوق وايس منه بامن

ف

والارض يورثها الاله عباده وهو مسمى نفسه او محسن
 كأس المات على البرية شربه حتم ومنه ليس ينجو ممكن
 كيف النجاة من المات هذه جند المنية بالاستنة نطعن
 ام كيف بطمع في الصفاء فتى له بالطين والماء الممين تكون
 والمز مرمى الموت فهو اذا نجى منه النهار في غد لا يمكن
 لا ينفع الاسف النفوس ولا الاسى الكف اولى والتصبر احسن
 وقد وردت الينا المراتي الكثيرة في تأيين الفقيد رحمه الله وغفر له في دنياه واخراه فبحسن
 ندرجها عند سnoch النرص واولها رسالة لحضرة البارع عزيز افندي الزند من منوف نفتضب
 منها شيئاً من نثرها الصادع ولنظما الرائع ومطلعها :
 ردد النوح صباحاً ومساءً وتجلد لتباريح الاسى
 وابك بكاء الخساء وارسل زفرة البأسا والتعساء واذرف الدمع واخضع لهذا القبيح فقد
 اغتالت المنية اديب الدهر وسحبان هذا العصر
 الى ان قال متوجهاً اهاً اهاً عليك وواحسرتاه كيف تركت ايها الاديب اخوانا لك يصلون
 نار فجمعتك بعد ان برّج بهم اسي فرقتك ان الصحائف لتبكيك وان الافلام لترثيك ولتندبك
 العلوم والمعارف والطائف والعارف ان الله وانا اليه راجعون

وقال حضرة الفاضل عزتو حسن بك حسني صاحب مجلة الانسان
 اعوني اليوم جدد لي نخبي وتم نبك على ذاك الحبيب
 أعوني كيف لا تجري شؤون على شأن قضى نهب القلوب
 اعوني دمت خبرني لما اذا تبدلت المسرة بالخطوب
 امن حدث الى حدث تولى اديب العصر ذو الخلق الاريب
 ام الشمس المنيرة قد توارت ولم يك ثم من وقت المغيب
 ام الفصن الرطيب ذوى وكانت حداثته رياحين اللبيب
 اسنت نعم اسنت على صديقي بكيت نعم بكيت على اديب
 فقل الزهر غاب البدر فابكي وقل للارض حزني فطبي
 وعز اليوم ابتكار المعاني فقد فجمت بمنطوق خطيب
 وشوه وجنة الاوراق حزناً لتبدي وجه مذلول كئيب
 وناد اقول والتحرير جمعاً لتندب فقد قوال كتب
 وسل عنه القلوب علام شفت على اثر السرائر والحبوب

وكيف يموت من احب الليالي وكيف بهاب ذو الرأي المصيب
 فني قد كان الاوطان عبداً له من شأنها اوفى نصيب
 فني افنى الشباب نهى وفكراً وادرك حلم ذي الرأس الخصب
 به ازدهت البراعة واستنارت براعة روضها الزاهي الخصب
 فبالهني على خل وفيه عليه خان دهري بالكروب
 وبالحل على ثارٍ وحيدٍ بعيد الوصل في فصل قريب
 بكيت فقامت الاداب ارخ اقمت وفدا على مئوكة اديب

سنة ١٣٠١



خطب ومحاورات ادبية

لمع من كلامه في محاوره جرت في جمعية
زهرة الآداب بيروت على نابوليون
الاول هل كان خيره اكثر من
شره وكان في المحاوره سالباً

قال

لقد سبق لساني الخاطر وخطري الفكر في
الرضى بهاته المباحثة . تذكرني بالرجل الذي
ما رأيت فيه كبيراً غير ذنبه ولا عظماً غير
استبداده ولا مبرزاً غير شره وقسوته فتقوى بها
علة على حرف الضعيف وتضعف صحة على طرف
القوة فانه يمنع على اي قلب لم يصف من
دم الرحمة ويتعذر على اي نفس لم تخل من
روح الانسانية ويستحيل على اي تكلم يصفد
من معنى الرشاد ان يذكر ما اجترم الظلام
وهو ارتكب المفسد وما افتأت العادي ثم لا يتاله
عذاب التأثر ولا يسه الم الانفعال

واي اجترام اعظم ما سابسط واي ارتكاب
انقطع ما ساروي واي افتئات اضر ما سايين
في اعمال الافة المحاصدة للارواح والبلية النازلة
بالابدان والصاعقة المنفضة على عموم الانسان
وصفت نابوليون الاول وهذا الوصف لا يصل
الى معناه وسيمته وابن من الاسم مساه

ولست في موقف الخطيب لامثل سيئات
هذا الرجل ومنكرات اعماله انذاراً للناس من
التهالك على امثاله من التهلكان واغراء لهم
بتجانبه اليوم الباعث على تأييد الظالمين واجتناب
سبق الحكم الداعي لتوبة الطامعين وإطراح

الغرة الحاملة على رفع اقدارهم السافلة ونبد الفتنة
المحادبة لاجلال نفوسهم البائلة

ولست في مقام المؤرخ لاجئ بتفصيل
اعماله ومحصل اقواله خصوصاً بعد انتهاء الملك
اليو فاعرضها في مجلس الحق فيصدر حكم
الانسانية عليه ان يهبط من جنة التعظيم الى
جسيم الخزي والتهجير

وانما انا مناظر في موضوعه التزمت ان
انفي عنه ما لم يكن فيه البتة من الخير وثابت
له ما كان راسخاً فيه من الشر وما التزمت الا
بيان البين وتحصيل الحاصل . بل لا ارى
للقول في الوجه الاول مجالاً . فقد كان
ممتنعاً على فطرة هذا الرجل ان يصدر منه شيء
من الخير بالارادة والاختيار فان نتج من افعاله
شيء مفيد فوجه النفع غير مقصود فيه وانما حصل
عنه كما ينفع القاتل ورثة المقتول والهادم عطل
الفعلة والكاسر معمل الزجاج لا يقصدون النفع
فيما يعملون وانما ينشأ ذلك عن طبيعة تلك
الاعمال وقد يكون في بعض الشر خير من
بعض الوجه

واما وجه شرية هذا الرجل فهو ظاهر في
اعماله واضح في اقواله نطقت بواقف المؤرخين
الصادقين ورسمته على صفحات القلوب دموع
النساء والاطفال ودماء خمسة مليونات من
الرجال فلم يخفوا بهرج انتصاراته في ساحات
القتال . ولاني ناظر فيه من ثلاثة وجوه الاول
حالته الادارية والثاني حالته السياسية والثالث
حالته الذاتية الخصوصية مبيناً ما الحق بالناس
عموماً وبالبلاد التي وليها خصوصاً من جسيم
الاضرار في كل حالة من تلك الحالات معينة

ويعبد اهل الذكاء والنضل والنباهة بل ربما كره شهرة الجريمة ان لم تكن صادرة عنه . اه فان قيل كان شاتوبريان على فضله وثبوت صدقه من اعداء نابوليون ولا عبرة بشهادة العدو اوردنا لتأيد كلامه قول مدام (دي رموزا) فهي عالمة باحوال نابوليون واقفة على حركاته وسكنانه وقد كانت من نساء قصره المقربات وتوفيت عام ١٨٢١ قالت لم ار اسفل والام من نفس هذا الرجل فانها خالية من اثار الكرم والشرف ولم اره البتة مستحسناً شيئاً حسناً بل كان يخفي اندهاسه بحجاب الاستخفاف ولا يعتقد الصفو في احد من الناس حتى انه كان يقول ان الذي يميز بعض الناس عن بعض انما هو الدقة في اخلاق الكذب وما انقل من لفظه قوله : ان مترنيخ (الوزير الالمانى المشهور) يقرب ان يكون رجلاً سياسياً فانه ملج الكذب

وقالت هاته الخاتون ايضاً . كانت خدمة هذا الرجل من اعسر الامور فقد كان يعامله خدامه بالعنف ولا يرهم سوى الغلظة حتى انه قال وهو على حالة من الحالات التي يغلب فيها اليقين على اللبس فينتطق اللسان بما في النفس لا شك ان الرجل السعيد من اخفاء مني في طرف احدى الولايات ولا ريب ان العالم يتنفسون الصعداء يوم اموت . اه .

قال احد الشارحين لهذه الكلمات : ما اكتفى العالم بتنفس الصعداء يوم مات ذلك الظلام ولكنه بكى فرحاً واشتكى تذكاراً ثم ضد الجروح ورم الخراب وما كان ذلك مما يميم في عدة ايام ولا في عدة اعوام . ه .

في الاخيرة ما كان عليه من فساد الخلق وسفالة الفطرة وخسة النفس ليعلم انه لا يعقل صدور شيء من الخير المقصود عن تجمعت فيه تلك النقصان

لا نرتجح الاصلاح من فاسد

فالشهد لا يجنى من الحنظل

« ثم ابنت شربة نابوليون في الحاليتين »
« الاوليين بذكر استبداده وغدره بالجمهورية »
« التي كان من رؤسائها وتحامله على اعدائه »
« من ذويه وبله مع الهوى في حروبه التي »
« انتزفت اموال الفرنسيين ودماءهم عبثاً »
« وهدرها وسعبه في استئصال جرائم الحرية »
« التي تظاهروا من قبل بنصرتها خداعاً وايدت »
« ذلك بالامثلة الواقعة والادلة القاطعة من »
« التاريخ ثم قلت »

وقد كنت في غنى عن بيان تينك الحاليتين بما اذكر من الحالة الثالثة الدالة على لوهم طبع الرجل وبعد نفسه عن النفع والخير فابصدر الخبير العظيم الا عن الطبع القويم وكل من خلا عن الفضائل فهو دنيء سافل . قال (شاتوبريان) في وصف نابوليون الاول ما معناه . ولد بونابرت ليفسد في الارض فهو يحمل الشر بين يديه كما تحمل المرضع طفلها بفرح وافتتار ويكره سعادة الناس كراهة الارمد للنور فقد قال ذات يوم ولا يزال في فرنسا اناس سعداء من بعض ذوي البيوتات المقيمين بالضواحي والارباض فهؤلاء يعيشون من دخلهم لم يكون بين ثلاثين الفاً واربعين الفاً فرنكاً ولا يعرفونني ولكني سالم بهم لا محال . وكان من ينفر كل مزية لغيره ومن كل شهرة لسلواه

ويتنزف منافعهم لمطامعهم ويضحي بهم غير راحم
على مذابح ذاتيته سالكا لمقصده مسلك الكذب
والشدة والخداع . اهـ .

والله

الحرية

خطبة القاها شفاها في جمعية زهرة الآداب
(الحرية)

موضوعي الخاصة التي مدحت بها لم تمدح
بذلك فضيلة وذمت بها لم تدم بذلك رذيلة والتي
هي عند بعض الناس هناء وعند بعضهم شقاء
وفي عين فريق راحة وفي عين فريق عناء
ولدى قوم حياة ولدى قوم فناء . والتي مرت
عليها الايام وكثرت الاعوام في صحة هذا الموجود
الانساني منذ شق عنه حجاب الخفاء وما برحت
موضع اختلاف بين الباحثين والمعرفين .
موضوعي الحرية

وانا على يقين من اني لا اجد في هذه الوجوه
الزاهرة انكاشاً ولا احدث في هذه النفوس
الطاهرة انقباضاً من ذكر هاته الخاصة التي فدتها
رجال الانسانية من اسار الجهل والعبودية
بدم كريم لا يباع ولا يشرى

فلم يبق الا ان اعد النفس واهي المخاطر
واخضع من جناح الخشوع وانردى لباس الرهبة
والخشوع لا دخل مقدس هذا الموضوع

فالحرية ثالث موحد الذات متلائم
الصفات يكون بمظهر الوجود فيقال له الحرية
الطبيعية وبمظهر الاجتماع فيعرف بالحرية المدنية
وبمظهر العلائق الجامعة فيسمى بالحرية السياسية
وقد حدها (مُتَيْن) بقوله هي المقدرة على
فعل كل ما يتعلق بذاتي . وبمثل ذلك حدها

وقالت مدام دي ستايل وكانت من
شاهير نسائهم . كان نابليون الاول يعد
الانسان الحي بمنزلة الجاد ولم يكن يجب ولم
يكن يكره بل كان لا يرى بذاته غير ذاته ولا
يعد سائر الناس غير ارقام اعداد وكانت قوة
ارادته قائمة بمقصداثرته وكأنما هو شطرنجي بارع
بحسب الارض رقعة والناس بيادقها فلا الشفة
ولا الذمة ولا الشرف ولا التعلق بشيء ما
يحوله عن الوجهة المقصودة فهو بالنظر الى
مطمعه كالعادل بالنظر الى الفضيلة . اهـ .

وختام المقال فيه ما اورده الموسوي دي
ميري من تقرير له على خواطر الخاتون دي
رموزا في جريدة الفلسفة الوضعية قال : لقد
ترينا الطبيعة في احوال الخلقة البدنية عجائب
من ذوي العاهات كالصم والبكم والبلد والثلالم
وفي احوال الطبائع الخلقة غرائب من ذوي
العاهات النفسية من مثل (ترويمان) و(ابادي)
و(المركيز دي ساد) و(لسانير) - اشرار
معروفون فيهم - وغيرهم من انواع المجانين
الذين خلقوا عن كل ما يجعل الانسان اليقا
او كان ذلك فيهم شديد الضعف . ولا ريب
انه لو كان اكثر الناس على هذا الخلق لكان
الاجتماع الانساني محالاً فانه من لوازمه ان
يكون في كل واحد من الناس شيء من عواطف
الانسانية والعدل المعبر عنها بحسب الغير

ولقد كان بونا بارت خالياً عن ذلك رأياً
كما يشهد ملازمه والمتقربون اليه والذين
استطاعوا منك سجون الكذب عن حقيقة
احواله . فحمد هذا الرجل انه لا يجب غير ذاته
وهزدي بسائر الناس فيستخدمهم لمقاصده

الحكيم سليك من قبل . وعرف (منسكين)
 الحرية المدنية بان لا يجبر المرء على ما لا
 توجبه القوانين وعرف السياسة بان يفعل كل
 ما تهيئه القوانين ومرجع هذين الحدين الى
 وهم واحد وهو الذمول عن ماهية القوانين
 فان الظاهر من قول هذا الحكيم الفرنسي ان
 الحرية موجودة في واشنطن وجودها في طهران
 حاصلة في لندرة حصولها في بكين وايس الامر
 كذلك بل الحرية الحقيقية غريبة في كل مكان
 لسوء حظ الانسان

وقد اتفق الكثير من الناقدين على تعريف
 الحرية بكونها مقدرة المرء على فعل ما لا يضر
 بغيره من الناس وهو عين الحد المنصوص
 عليه في القانون الروماني وفيه نقص من وجهين
 الاول ان حد الاضرار منوط بالاحكام الموضوعة
 على ما بها من الخلل والثاني ان قيد الاضرار
 بالغير يخرج عنه الاضرار بالذات وهو مخالف
 لمنقضى التاموس التلعيي الحقيقي بالاتباع

اما حدود المداجين وتعريف المناقذين
 للحرية فلا محل لابرادها ولا موضع لانتقادها
 في مثل هذا المقام فغاية القول فيها ان اهل
 السلطة الاستبدادية حيث كانوا ومن حيث
 كانوا يفترون على الحرية كذباً في تعريفها
 بالطاعة العمياء والتسليم المطلق لمقال زيد
 مروياً عن حكاية عمرو مسنداً الى رواية بكر
 مؤيداً بمنام خالد فهي بموجب هذا الحد فناء
 الذهن وموت القوة الحاكمة وخروج الانسان
 عن مقام الانسان

الا ان اخلاف المعرفين وخطأ كثير من
 الناقدين واباطيل ذوي الاغراض الذاتية ومفاسد

الهيئة الاجتماعية كل ذلك لم يمنع من ظهور نور
 الحرية من خلال الفاف الاقوال فهي فيما ترشد
 اليه البداة خاصة طبيعية وجدت ليني بها
 الانسان قواه البدنية والعقلية متدرجاً في مراتب
 كمالات الوجود ثم كان من سوء بخته ان مظاهر
 السلطة انت على ضدها من كل وجه وفي كل
 زمان حتى كأنما اول ما سعت فيه الجمعية
 البشرية ألا يكون الانسان انساناً . فقد ألقت
 هاته الجمعية بالحرية الطبيعية في كل مكان .
 او ما نرى كل اناس يرومون ان يكون الولد
 على شاكلة ابائهم فالصبي يخنق رجل الطفلة
 بالنعل الحديد لتشب على خلق جدتها والاوربوي
 يضعف بسار الطفل لتكون بينه اقوى والشرقي
 يخنق الطفل بحملته في المفاة والفاط . ثم ان
 البلهوان يعود صغيره المجل على احدى القائمتين
 ويلين اعصابه بقوة والكل يعارضون قواه
 الطبيعية ليشبه سائر القوم . فهذه العادات الفاضية
 على الموجود الانساني بان لا يكون كما وجد
 ولكن كما يريد الناس ان يكون ذاهبة بهريرة
 الطبيعية رأساً فلقد رأينا الاقوام يربون
 الولد كما يضربون الدراهم فهم يرومون ان
 تكون جميع القطع متائلة متشاكلة ولا يقبلون
 منها ما كان مختلف النفس عن الجملة وكذلك
 الانسان الذي يخالف سائر قومه في الخلق
 والخلق يفقد فيهم نصف قيمته لا اقل . ومن
 ذلك بنشأ فينا خفة الاعجاب وبلة الاستغراب
 وجنون الدهشة من رؤية كل شيء غريب
 الا الرذيلة فانها حيثما تكن تصادف اهلاً وذلك
 لان هيئة الاجتماع التي تقتل حريتنا باحكام
 التربية لا تعني بنضائل النفوس عنايتها بالصورة

المخارجية

واما الحرية المعنوية فقد كان المأمم الهيئة الاجتماعية بها اشد وانكى فانه لا يكاد الطفل يخرج الى عالم الوجود حتى يغرس في ماء الكنج او يرسم بها لا يعلم ثم يوجه فكره الى من يجهل من المعبودات التي لا حقيقة لها ولا اله الا الله . ثم تأخذ الوالدة او الظفر في تعليمه الفاظاً لا يفقه لها معنى وتخيلات لا يدرك لها سرّاً ثم يلقي بايدي المربين من اللامات والموبذانات فيتولون ذهنه الطاهر البسيط ويعركونه كالشمع ابرسوا عليه طوابع تعليمهم ثم يبعثونه عنوة لا على الخير ولكن على ما بظنونه خيراً ويمتونه لامن الشر ولكن ما يحسبونه شراً ملقين به بين الرهبة ما لا يعلم والرغبة فيما لا يتوهم حتى ترسخ في ذهنه آراؤهم وتستحكم في نفسه صيغتهم فيعيش من القاط الى الكفن كما ارادوه لا كما اوجده الله قال (جان جاك روسو) ان عنف الامهات في شد ولدهم باللفائف والاقطة يضعف منهم الاعصاب فمن على ذلك ملومات . وابن هذا العنف ما يرتكب الذين يشدون العنق بلقائف الاوهام حتى تضعف بل تنلف اعصاب الازهان والافهام نعم ومن اجل هذا رسمت عدوة الحكماء في قلوب المتسلطين الاقوياء وما يفضون الفلاسفة انفسهم ولا يبالون بسقراط ولا غيللاوس ولا دسقرط واثالم من حيث كانوا وانما يخافون منهم الجراءة على الرجوع الى العقل واتخاذ الفهم الطبيعي دليلاً في سبيل الانسانية وهذا لا سواء ما كانوا يحاولون قتله بالسيف والحبل والذمار

ثم ان تعليم الانسان يتم استعباده وقتل

الحرية فيه فان سادته لا يسعون في توسيع نهائته ولكنهم يشربونه نهياً جديداً حتى صار التهذيب عبارة عن افساد الذهن وتضليل القو الحاكمة . فالاستاذ لا يعرض تعليمه ليؤخذ اختياراً ولكنه يوجهه ليحمل اضطراراً . وبذلك تأيدت الاغلاط واستحكمت الاوهام واستمرت الجهالة على مرور الاعوام . ثم نعرز التعليم بالقانون ثم تأيد بالعادة فاثبتت الجهلة قضايا مسلمة لا ترد فكان الناس الى ما قبيل هذا العهد يشنون القهقري ويهبطون من معالي فصاحة المخترعين الى سفاساف اقوال المستظهرين ومن محاسن اقوال الابداع والنصورات الى مساوي الاوهام والتخريفات وهلم جراً . وكيف لا وقد كان التعليم امتيازاً لفرق من الناس معلومين لا يلقون منه في الابواب الا ما لا يفرجها عن دائرة الملاثم لاغراضهم والموافق لما يظهرون فكانوا يقتلون اوقات المتعلمين بما تقوى به المحافظة ولا تستفيد منه القوة الحاكمة شيئاً ويضعون لهم على نوع ما ذلك العلم الذي يتلقون فكما خالف وضعهم وخرج عن رأيهم عدوه من اثار الثورة وتجليات الخطاء وان كان صواباً تشهد بذلك معاملتهم للذكاء وحرار الافكار وتنطق به السجون والنطوع في كل زمان ومكان

وما كان ذلك ليفيد اهل السطوة نفعا فيما يحاولون من تقييد النفوس ولكنه يزيد اهل الحرية استمساكاً بها حتى يبلغوا حد التعصب فيه . فالتشديد من جانب الدين يضعف الايمان والعنف من جهة السلطة يهاب العصيان والغلظة من الطرفين لا تزيد على اقتياد الفكر

فقد نسخت آيات العدالة احكام الامتياز الفاضح
 القاضي لبعض الناس بالراحة كل الراحة وعلى
 بعضهم بالعناء كل العناء . وبطلت احكام
 التبعة مراسيم الاستبداد الرافعة لبعض الناس
 الى مقام الالهية والهابطة بسائرهم الى منزلة
 العجالات . فلا يؤخذ اليوم الوف من الناس
 لمخالفتهم رأي واحد ممن يساكون ولا يجبن
 الافراد ويقتلون صبراً بلا محاكمة ولا قانون
 الا عند الذين لا تزال شمس الحقائق محجوبة
 عنهم بغيوم الاوهام فهم لا يبصرون . وليس
 الامر كذلك في القوانين السياسية فهي عند
 الاكثرين استبدادية اصلاً و فرعاً تختبئ فيها
 الحرية بالوان الحكومات وتضعف بشبهات
 الامراء ونعوه او تشوه بثورات الشعوب .
 فنقتضى اهية الحكومة ان لا حرية الا فيما بنيت
 احكامها عليه وموجب شهرة الحاكم ان الحرية
 قائمة بما نالت نفسه اليه وغلبة الشعب في ثورته
 محسنة لذلك الفساد من وجهيه

ولقد رأينا دعاة الحرية يحاولون الوصول
 الى غايتهم الموهومة واهل الاستبداد من ورائهم
 يزابلون اعدام جرثومتها الطبيعية وما يفلح
 الفريقان فيما يعالجان . ربما اخطأ اولئك
 من حيث يتوهمون الصواب وضعف هؤلاء من
 حيث يلتبسون القوة . فقد بالغ جان جاك روسو
 في مقارنة الاستبداد وتأيد حرية الافراد ولكنه
 قيد هذه الحرية بارادة الجمع فوق فيما حاذر
 من الودية . وظن غيره من الباحثين ان الوطني
 يبادل ما يفقد من حريته الذاتية بما يحصل له من
 الامن بالاحكام المدنية وهي نزعة مستنكفة تنحصر بها
 القوة في الحكم فيملك ما يريد اخذه من الحرية

لما يمكن الوصول اليه بدلالة العقل ان كان
 خيراً او رده عما يمكن النجاة منه بقوة الرشاد
 ان كان شراً . ولكن احكام الهيئة الاجتماعية
 مباينة لمبدأ المصولة فهي تنقض (بالمغايرة) او
 (المنفعة) او (الجنابة) او (الجريمة) في كل
 ما يخالفها والغرامة والسجن او السيف من وراء
 تلك الاحكام لتأبدها على رغم المخالفين .
 فحرية المرء واقعة تحت احكام استبداد مستمر

ولا يؤخذ من هذا القول انا نروم
 الاطلاق المحض في الحرية بمعنى اخراجها عن
 كل حد وتعريف وقانون فذلك فيما نعتقد
 يردها الى العنيدية بحكم ان الطرفين يتلافيان
 وانما المراد اظهار آثار القوانين الموضوعة والعادات
 المألوفة في حرية الانسان . فالقانون الحق
 لا ينقص من الحرية ولا يزيل الاستقلال
 ولكنه يقيم لها حدوداً تنهيها الضعف والاضمحلال
 وشرط الحقيقة في القانون ان يكون موضوعة
 المحرص على حقوق الكل والحفظ لحق الفرد
 ما لم يس تلك الحقوق فالحكم يكون قانونياً لا
 من حيث انه يذهب بحرية فرد من القوم
 ولكن من وجه انه يحفظ حرية الكل . فلا
 ينبغي للقوانين ان تمس غير الذين المأ بحقوق
 غيرهم من الناس . ولا يسوغ ان تؤثر في شان
 الوطني الا بمقدار ما يصيب من حق الجميع
 فهي من هذا القبيل معدلة للحرية لا تاسخه ولا
 مبدلة

ولاشك ان هذا الضرب من القوانين
 قد عدل واصبح في اكثر البقاع حتى كاد يبلغ
 في بعض الاقطار حد النكال وحتى صار في
 المأمول وصوله الى ذلك الحد في سائر الامصار

على ان الامتياز منافٍ للفقه الحاكمة ايضاً
بما فيه من اخراج بعض الناس عن دائرة الحكم
الكلي وتخويلهم من ذلك حقاً غير طبيعي يكون
حكماً على الحكم فهو عدو الحرية والحكومة معاً
يظاهر المستبدين على الشعوب وهؤلاء على
المستبدين ثم لا يتجد باحد الفريقين في حال
ولكن ليست المساواة مبدأ الحرية وإنما
هي نتيجة الطبيعة فان لم توجد فلا تكون
تلك حقيقة بل اذا ظهرت الحرية بظهورها الحق
بين الذين تولاهم الامتياز خالوا انها بدعة منكدة
وما هي في شيء من ذلك ولكن بدعة الامتياز
اخفت عنهم الحق وهم لا يشعرون

فما تقدم يعلم ان الحرية السياسية بعيدة
المنال عسيرة الكمال بل يكاد يمتنع تكاملها في
فريق من الناس بما تؤثر فيها عوامل العادات
والقوانين والاخلاق والاحوال الاجتماعية وإنما
تحصل منها ضروب متنوعة تشبه ان تكون
ضروباً من الامتياز ثم تكثر وتمتد حتى يحصل
منها لكل واحد من القوم نصيب فتعبر انواع
الامتياز كأنهم جميعاً نبلاء ولو حصلت لهم الحرية
الحقيقية لكانوا جميعاً متساوين

اقول هذا ولست اجعل ان الشرط او
القليل او التمي لا يفيد شيئاً فقد مرّت الوف
الاعوام على جماهير الانام والحرية عند اكثرهم
مجهولة المكان فما بعدك من الكمال ايها
الانسان .

(التعصب والتساؤل)

(وهي خطبة القاها في جمعية زهرة الآداب)

لقد جرى لفظ التعصب على السنة اهل

الانشاء العربي بمعنى الغلو في الدين والرأي الى

وما يروم اعطاءه من الامن فيفضي به الامر
الى ترك الحرية بلا ضمانة والوطني بلا استقلال .
ولا يصح بالنظر الى الحق ان يخرج الوطني عن
ان يكون حراً . فانه لا يعد الهيئة بوثيقة
الاجتماع الا باعانة مائليه وحفظ الوطن الذي
نبت احكامه فيه فهو في جمعية ضمانة متساوية
في الجائين فاذا ساعد فيها الكل لم يخسر من
استقلاله شيئاً الا عوض منه ولم يحصل له من
الكسب شيء الا كان مضموناً

وكا ان الاحكام يريدون تقييد الحرية بما
يتصورن من الاحكام كذلك حاول بعض
الناس اعدام الحكم والحكومة بما يتفيلون من
الادهام . فالسلطة والحرية متماثلتان في الحدة
يفضي بهما الخلاف الى الغضب وتؤدي فيها
الصعوبة الى العداوة . ومن اجل ذلك رأينا
ذوي الامر ميالين الى الاستبداد والشعوب الى
الاطلاق . ومن اجله كان ارباب المخططات الذين
هم مظاهر السلطة بغضاً عند سائر القوم ومن
اجله كانت الرعية بمنزلة الاعداء عند المستبدين
ومن المقرر المنفق عليه بين القدة الاحرار
ان الحرية والمساواة متلازمان فلا حرية مع
الامتياز ولكن هنالك درجات عبودية من
الامير الى احقر الرعية تتصل دنياها بالرق
ولا تصل عليها الى الحرية . ولا خفاء في
ذلك فحد الامتياز ان يعمل احد الناس ما لا
يجوز لسائرهم وان يحظر على الجميع ما يجوز
لبعض الافراد بحيث لا ينفع الممتاز بمنزلة ما
لم يس حرية سائر القوم ولا ينال هؤلاء حرمتهم
الا بانعدام تلك المزية فالامتياز والحرية
متخالفان

يرى من المتساهلين . وعجب وحق له العجب من بني نوعه كيف يداخلهم التعصب فيما يعتقدون وما يرون وقد عجزت افهامهم عن ادراك الكثير من اسرار هذا الوجود وقام لهم في كل حركة وكل سكون من افكارهم دليل على امتناع الكائن على الانسان وكان لهم في تعصب الاولين عبرة لو كانوا يعتبرون . ألم يروا كيف تعاقبت المذاهب وتوالى الآراء وتناحرت قضايا العلوم الانسانية معدودة في صورتها من الحقائق وفيما يلي تلك العصور من الاوهام . ولا اذكر العقائد الدينية متسلسلة من بوذا الى زروشت الى كنفوشيوس الى سائر دعاة الدين كراهة ان يتوهم في قصدها بالذات بل حسي الإشارة الى تعاقب الوهم والحقيقة والخطأ والصواب في قضايا العلم عبرة للمتعصبين . ألم يكن القول بسكون هاته الارض قضية مسلمة وبدوران الشمس من حولها حقيقة معلومة وبانقسام البسيطة سبعة اقاليم عالمًا يقينًا أو لم يكن طب ابقراط لهايًا وفلسفة ارسطوطاليس كشفاً وتعبيراً ابن سيرين حقاً فإذا نقول رمم الذين تعصبوا لهاته الاوهام على من كان في ريب منها فالزموه الصمت والخسف وعاملوه بالشدّة والعنف حرصاً على ما يتوهمون من الحق والحق بريء منهم لو يعلمون

ولقد رجعت الى المحفوظ من اخبار الامم حتى بلغت الحد الذي يدخل التاريخ منه في ظلمات الريب والحنفاء فما مرّ بي جبل من الناس ولا حفرة من الزمان الا رأيت من انار التعصب في الدين والرأي ما يتقبض له الصدر استنكاراً ونشور منه النفس استنكاراً ثم عدت الى

حد التهامل على من خالنها بشيء فيها بدت وما يرى واجريت ها هنا لنظ التهامل بمعنى الاعتدال في المذهب والمعتقد على ضد ذلك الغلو متابعة المافرنج في لفظهم المعبر عن هذا القصد (تويرانس) . ولا اجعل ان مذهب الحرفين - لفظ التعصب ولفظ التسادل غير وافين بالمراد منها اصطلاحاً وان في ابلأ الاول معنى الغلو في الدين والرأي توسماً عظيماً وفي اشراق الثاني ضد ذلك المعنى خروجاً عن الحد اللغوي ولكن للاصطلاح حكماً نافذاً يسوق الالفاظ الى المعنى الغريب فتنقاد فاذا مرّت عليها الايام وصفانها - الاستسنة والاقلام جاءت منطبقة على بلا ايهام ولا ايهام

وحد التعصب عند اهل المحكمة العصرية غلو المرء في اعتقاد الصحة بما يراه واغراقه في استنكار ما يكون على ضد ذلك الرأي حتى يجملة الاغراق والغلو على اقتياد الناس لرايه بقوة ومنعهم من اظهار ما يعتقدون ذهاباً مع الهوى في ادعاء الكمال لنفسه وثبات النص لما لا يفي من سائر الخلق

وحد التساهل عندهم رضى المرء برأيه اعتقاد الصحة فيه واحترامه لرأي الغير كأنما ما كان رجوعاً الى معاملة الناس بما يريد ان يعاملوه فهو على اثباته الصواب لما يراه لا يقطع بلزوم الخطاء في رأي سواء وعلى رغبته في تطرق رأيه للاذهان لا يمنع الناس من اظهار ما يعتقدون

فمن تبين هذين الحدين بصيراً سليم العقل طلبق الذهن من اسار الوهم حار لا شك في كثرة من يراه من اهل التعصب على قلة من

النظرة الانسانية لاستكشاف العواطف الطبيعية
فرأيت فيها من السذاجة والسلامة ما ينطبق
على حكم التساهل من كل الوجه فعلمت ان
التعصب على قدم وجوده حادث طاري على
الانسان تولد عن مفسد الرئاسة في الجماعات
وتأصل بالعادة والتقليد حتى صار في النفوس
من الملكات بظهر ذلك لمن تدبر قدم التعصب
في جنب خروجه عن الطباع وبعلمه من تأمل
احوال الرئاسة في صدور هيئات الاجتماع

والجلي اوحزت واجملت والامر محتاج الى
الابضاح والتفصيل فاقول : قد اجتمعت اراء
المتفكرين على ان الرئاسة قد حصلت بداءة
بدء المتعولين او الاقوياء وفي الحالين لم يأمن
الروساء على سطوتهم ان تزول بفقد الثروة
او انحطاط القوة فالتمس النجاة منهم تأييدها
بما لا تؤثر فيه النوازل ولا يضعفه كرور الايام
فوضعوا للجماعات احكاماً كل رئيس وما توه
فيه اصلية او ما رأى ميل قومه اليه فرضي
كل اناس مشربهم وقالوا هذا هو الحق الذي
لا ريب فيه وقال غيرهم من الاقوام بل الحق
ما نحن عليه فانم في ضلال مبين فوقعت بينهم
الاحن وشبت اعتناهم على العداوات حتى قويت
رابط الاوهام فنقطعت صلات الارحام فصار
من الفضيلة ان يقتل الانسان اخاه ان خالفه
فيما يراه . وامتلات رؤس الخلق عناداً فملأوا
الارض فساداً فعدت المظالم عدلاً وصيحت
المذامج جهاداً

ولا احاول استيعاب المناسد والنوائب التي
نشأت عن التعصب في الدين والرأي فذلك
تاريخ الحروب والفتن والغارات والمهاجرات من

صدر الاجتماع الانساني الى المائة السالفة في
بلاد الغرب والى هذه الايام في الشرق . بل
انغرب على انتشار العلوم فيه وحصول الحرية
لاكثر ساكنيه لم يخل الى الان عن انار ذلك
الداء العياف . نعم لا نرى فيه الا افراداً
وجماعات من الناس يذوقون الوان العذاب
ثم يقتلون صبراً شهيداً ما يعبدون كما وقع لاهل
النصرانية في دولة الرومان ولا نجد الوفاً
من السكان المستأمنين يخرجون من ارضهم
بالقوة او يهدر دماؤهم لاستمساكهم بما كان
يعبد اباؤهم كما جرى لليهود في اسبانيا ولا ينصر
ديوان عقاب ونقمة يحكم بالشهير والحد والعذيب
والموت على من اتهم بالشك في رواية بعض
المجاذيب عن بعض النساء عن بعض الاطفال
كما كان ديوان التفتيش في كثير من ممالك
الافرنج . ولا نلني مئات الوف من نبياء المخلق
الامناء الصادقين يبيون في منازلهم ويؤخذون
بالمسيح ثقيلاً لمجرد انهم يفهمون من أي
الكتاب خلاف ما يفهم غيرهم من الناس كما
حل بالبرونستنت عام ١٥٧٢ في بلاد الفرنسيين
ولا ايضاً جماعات من الخلق لا يستطيعون
الطلق بما يعتقدون ولا الظهور بما يعبدون ولا
افراداً من الجماعة يعاقبون بالسجن او التباعد
لانهم ياكلون الباب حيوانهم في زوايا اكواخهم
يوم ياكل سادنهم الوان الاسماك الشبيهة وبشربون
معتقة الخهور في غرف القصور . نعم لا نرى
كل ذلك في الغرب الان ولا تكاد نبصره في
الكثير من اقطاره . أخوداً بما اوضح من رأيه
وما اشاع من مذهبه وان خالف رأي الاكثرين
ولكن هذا التساهل في الهيئات ارسخ منه في

الكرام فيما لا يس جانب النفع الادبي ولا يتصل
بطرف الفائدة المحسية حتى ان معارف علمائنا
في هذه الحقبة لتشاكل بالحرف معارف آبائهم
من ثلاثمائة عام وتحط بالضعف عما كانت عليه
معارفهم من الف عام وما الظن بنا ومثلي متكلمًا
بهذا الموضوع في مثل هاته الجمعية الزاهرة يخاف
معاذ الله ان لا يجد لديكم استحسنًا . لا جرم
انا اسعد خاني الله في اسعد بلاد الله فالحمد
لله ثم الحمد لله

وقد سبق القول في حد التساهل انه
رضى المرء برأيه اعتقاد الصحة فيه مع احترامه
لرأي سواه . وهذا وان كان من الواجبات
الدينية والقضايا المسلمة عند ذوي العرفان الا
انه لسوء الحظ كغيره من سائر الواجبات ترشد
الحكمة اليه ولكن تغلب الشهوة عليه حتى لا
يكاد يوجد في الانسان الا عند العجز عن مجاوزة
حده لمجاوزة ضده فهو كالحرية يشتاها الانسان
مرووسًا وينكرها رئيسًا وكالزهادة يقبلها سقيمًا
وينبذها معافي سليمًا فلا يثبت على تغير الاحوال
الا عند ذوي النور الكريمة والطباع القوية
وما هم بكثير . فلكم رأيًا من فئة مستضعفين
يطلبون التساهل ويدعون اليه بكل لسان
ويثبتون له الوجوب من كل الوجه فلما ان
قامت دولتهم وقويت شوكتهم وصار اليهم الامر
والقوة كانوا من الغلاة المتعصبين . وهذه
تواريخ العقائد الدينية والمذاهب الفلسفية
والطرائق السياسية فيما تعاقب عليها من القوة
والضعف والقبول والرفض شاهدة بصحة ما
اقول لا يقف النظر على صفحة منها الا رأى
التساهل في ضعفه متعصبًا يوم قوته والمتلاين

الافراد الا الذين تطهروا من ادران التقليد
وسلموا من علل الاوهام وغالبوا المنكبات
الحاصلة عن العادات وترفعوا الى مقام السذاجة
الاعلى وقليل ما هم . والا فما هذا الذي نراه
من التعامل على بقايا آل اسرائيل في بلاد
الروس والامان وما ذلك الذي مر بنا من
مظاهر الاحن بين انكانوليك وغيرهم في تلك
البلاد وماذا الذي نسمع به الان من الخلاف
والشفاق بين الشيع المتباينة في فرنسا وإيطاليا
وبليجيكا وغيرها من اعرق البلاد في التساهل
والحرية . ألا اقص عليكم اخواني شيئًا ما تبين
من محاكمة المتهمين بالفتنة التي جرت منذ نحو
شهرين في بلد (منسولين) بوطن النمسا
تبين من تلك المحاكمة ان اصحاب المعدن في
ذلك البلد (والبلد عبارة عن المعدن والعاملين
فيه) كانوا اذا رأوا من احد الفعلة فتورًا
في العبادة او ضعفًا في العقيدة التي يعتقدون
ضربوا عليه الغرامة اجرة يوم وبومين وما
فوق واذا ظهر عليه انحلال العقيدة طردوه من
المعمل رأسًا اي حكموا عليه بالفاقة وعلى عياله
بالمجوع واذا مات ذلك المخل العقيدة فشيعه
صاحب له من رفقاء اتباعه الى القبر عاقبوا
المشيع بمثل ذلك العقاب وهم في البلد الذي
افتدى اهله بدمائهم حرية السعي وحرية الرأي
وحرية القول فما الظن بغيرهم من اهل سائر
الاقطار وما الظن بنا نحن الذين كان من نعم
الله علينا ان وجدت بلادنا المقدسة مهبطًا
للوحي ومقامًا للعقائد الدينية من عهد موسى
صلوات الله عليه الى هذه الايام . بل ما الظن
بنا ونحن احرص الناس على تعاليم السلف

في حال خسفه متشدداً في دولته . ولذلك لم يرضَ الحكماء من التساهل بان يكون صادراً من اللسان مراعاةً لاحكام الضرورة او من عاطفة القلب ميلاً الى المعاملة بالاحسان بل اوجبوا فيه الاعتقاد بتحمسه على الانسان علماً منهم بانه يكون في الحالة الاولى متعلق الوجود ببقاء تلك الضرورة والضرورات قابلة الزوال وفي الحالة الثانية متوقف البقاء على وجود تلك العاطفة والعواطف لا تستقر على حال ومثل هذا الواجب الادبي الحق لا ينبغي ان يناط بهاته الاسباب الواهية وتلك العرى القريبة الانهلال وانما اللازم فيه تقييد بمبدأ متين من الحق وتأبيد بعماد ممكن من اليقين بحيث يعلم المتساهل مع مخالفته فيما يظهرون من ارائهم وما يعلنون من مذاهبهم انه لا يفعل ذلك رهبة منهم ان كانوا اقوياء ولا شفقة عليهم ان كانوا ضعفاء ولكن قياماً بواجب من العدل والحق

قال احد كتاب الفرنسيين في هذا الموضوع ما معناه : رجب التساهل على الانسان من ثلاث جهات من جهة نفسه ومن جهة ابنائه جنسه ومن جهة الحقيقة والحقيقة هي الله فاما من جهة الناس فلائنه من واجباتنا الادبية التماس العلم والحكمة في امي وعاء خرجا واصلاح ما عسينا ان نكون عليه من الخطاء وكيف يحصل لنا ذلك ان سدنا افواه الناطقين ظلماً واستبداداً عليهم ولم نسمع ما يقولون لننظر في اقوالهم فنتم اراءنا بأرائهم . قال وكتوره يكون كل انسان كتاباً يكتب الله سطورَه ويقول العاجز

وكذا البحث زناد قاذح للحق نوره كيف لا وفي اقوال احقر الناس وآراء اصغر الخلق عبق وفائدة وعلم جديد للمثأملين واما وجوب التساهل على الانسان من جهة حق الناس عليه فلا ان العدل الموجب للتكافؤ يلزمه بقبول ما يريد ان يقبله الناس منه سواء . ولما كان اول واجباته الادبية الناس الحق والصواب وثانيها ابضاح ذلك الحق بالاقوال والاعمال كان من الظلم القبيح ان يمنع غيره من ابداء من يظنه ذلك الغير صحيحاً ومن العسف المنكر ان يشوش عليه ما يلتمس من الحق بالاغصاب او الارهاب الماشرين من التفكير

واما وجوب التساهل من الجهة الثالثة جهة الحقيقة الخاصة فقد اثبتة العقل ولم تنفوه نصوص الاديان بل ابدته في مواضع لا تعد قال ترتليانوس الكلامي ليس من البر ولا التقوى ان تسلب حرية الناس في امور الدين فان الله سبحانه وتعالى منزه عن ان يريد ان يعبد اضطراراً . وقال بوسنيانوس القديس : اشد ما يخالف الدين نكراً ان يحمل الناس عليه قهراً . وفي : لكم دينكم ولي ديني . وفي : لا تبادلوهم الا بالتي هي الاحسن بلاغ المتصرين . فالذين يلتمسون الزلفى الى الله بالوعيد والتهويل والذين لا يريدون ان يعبد الا كما يريدون والذين يحاولون رسم ارائهم في القلوب والجباه بالحديد والنار كل هؤلاء يفضبون الله ويكفرون بالحق ولا يشعرون . فان الحقيقة ليست باجنية ولا بعدوة لتلقى على كاهل المرء الزاماً وانما نحن ضيوفها بالطبع فهي تقبل علينا

فلا يترك بعضهم بعضاً عناداً ولا يملأون
الأرض فساداً . سبائك عما يقول الجاهلون
وتنزيهك عما يزعم المتعصبون أنك اعظم من
أن تغضب وأعز من من ترضى وأكرم من أن
تنتقم وأعدل من أن تغفو وأكبر من أن تسر
وأجل من أن تساء تملث لديك الذوات
وتساوت عندك الأشياء وأنت في الكلّ والكل
سواء وقنا العثرة مع المتعصبين واحشرونا في زمرة
المتساهلين . آمين . ٥٠ .

(اليونان والرومان)

(وهي خطبة ألقاها في جمعية زهرة الآداب)

أو عدل تاريخ اليونان والرومان بتاريخ
سائر الأمم في جميع الأزمنة لتكون أوسع منها
مجالاً وأوفر مادة وأكثر انتشاراً ولا بدع في
ذلك فإن هاتين الامتين معدودتان بمنزلة
الأصل الأول أو الوسيلة المعروفة في وصول
التمدن والعلوم إلى الغرب حتى أن العلم بلسانيتهما
القديمين كان من لوازم العالمية في جميع البلاد
الأوروبية ولا يزال كذلك في الكثير منها
إلى الآن . ومن أجل هذا أقبلت على جمع
شيء من تاريخهما بقصد المقابلة بين ما نشأ عن
كل منهما من الآثار النافعة والموازنة بينهما في
الفضل والمقام المدني لا أقصد بذلك غرضاً
في النفس ولا أخرج فيه عن قسطاس التاريخ
على أن المقام ضئيل فيما تعلمون وما هي التجربة
مبتدئة يعرضها لآخواته ويسترها عن غيرهم
من الناقدين

ولا بد قبل الشروع في تاريخ الامتين
من الإشارة إلى جغرافية المملكتين لما بين التاريخ
والجغرافية من التلازم في كثير من الأحوال

ونقف لدينا لتطلبها عن رضى راغبين
وقال شيشرون خطيب الرومان : إنما
تكون عبيد القانون لتصبح بالقانون أحراراً .
وفي الحديث المأثور كن للفقير عبداً فعبداً
الحق حر . وقول ذلك الخطيب الروماني
ينطبق ، فلوياً على ما نحن بصدده فيقال فيه .
يجب أن تكون أحراراً لتخدم الحق كما يجب
والحق هو الله

وهذا دعاء المتساهلين نجعله المقال ختاماً .
يا بدع الصفات اله جميع الموجودات ما عرفتك
حق معرفتك ولا اعتدنا بضائك لحكمتك الهمننا
في أمورنا رشداً وإسلك بنا سبيل الهدى
لنتعاون على احتمال النوائب الكثيرة في هاته
الحياة القصيرة ونعلم أن الخلاف الذي بين
وقاء أجسامنا الضعيفة وبين أقاتنا القاهرة وبين
عادتنا السقيمة وبين أحكامنا الناقصة وبين
أحوالنا المتباينة فيما نراه على استوائها لديك أن
جميع هاته المميزات بين هاته الذرات لا تكون
من أسباب الآحن والعدوات ، فتستوي
عبادتك برطانة من لسان قدم مهجور وبغيرها
من لسان جديد مشهور ولا يميز بين من يوقد
الشع نهاراً لدعائك ومن يكتفي فيه بضياء
سمائك وبين من يلبس لذلك الذهب والحجر
ومن يستقبل سائك بإطار الفقير ويكون الذين
ملكتم إيمانهم قطعاً مدورة من بعض المعادن
متمتعين بلاتيه بما يسمونه نعيماً والذين استولوا
على نفقة حقيرة من بقعة صغيرة منتفعين بلا كبر
بما يحسبونه ملكاً مقيماً ويكون سائر الناس
راضين بالموجود غير حاسدين على المفقود
ويذكر أبناء الإنسان أنهم في الإنسانية اخوان

الشمال بلاد الدولة العثمانية في أوروبا ومن الشرق والشمال الشرقي الجزائر المعروفة بالارخيل ومن الجنوب البحر المتوسط ومن الغرب بحر اليونان وطولها ٢٥٠ كيلو متراً وعرضها مئتان

أما مملكة الرومان أو إيطاليا القديمة فقد كانت منذ القرن الرابع قبل الميلاد مقسومة ثلاثة اقسام غالية أوغوية السلية في الشمال وإيطاليا خاصة في الوسط واليونان الكبرى في الجنوب فكان بحر الشمال سكارا ولاتين وإريس وغر بالبحر المعروف بالداخلي جنوباً سيرانوس وفرنتو وشرقاً بحر الأدرياتيك ثم قسمت في زمن الجمهورية سبع ولايات وفي زمن الإمبراطورية إحدى عشق. ثم غير ادرينوس هذا التقسيم فجعل المملكة ولايتين اثنتين ولما مات قسطنطين وقسمت المملكة من بعده اطلق على ولايتين من سلطنة الغرب اسم إيطاليا ولم يكن كل ما فيها من البلاد منها وبعد اضمحلال سلطنة الغرب قسمت إيطاليا بين يوستيانوس الثاني إمبراطور الشرق والبربريين. هذا حد إيطاليا القديمة أي نفس بلاد الرومان أما الاقطار التي آلت اليهم بالنجح والاستعمار فما لا يكاد يدخل الحصر لتشعب وكثرت وتعاقب انواع التقسيم فيه

ولنعد الى اليونان المذكور شيء من تاريخهم فنقول سي اليونان أولاً انسيين أي اهل تربة واحدة وهم في الاصل قبائل وبطون من البلاسيين ولا يعرف اصلهم في ما وراء ذلك ولكن الأكثرين على انهم جالية من اسية الصغرى. وقد كانوا قبل عام ٢٠٠٠ قبل

فمملكة اليونان لم يحددها القدماء تحديداً شافياً جلياً وإنما قسموها ثلاثة اقسام البلوبونزة جنوباً واليونان خاصة في الوسط وتسالية شمالاً ثم اضافوا اليها ايليرية الجنوبية ومكدونية وثرانة والجزائر اليونانية. هذا حد ما بلغ اليه تقسيمها الاصل على انه كان لدولها املاك كثيرة في سائر اقسام الارض ففتحت من الامصار وما اكتشف رجلها من الاقطار وما استعمرت نزالاتها من الديار. وقد اختلف تقسيمها عن ذلك غريب موت بلويس وفي خلال حرب تروادة وحرب البلوبونزة الى ان دخلت في ولاية الرومان عام ١٤٦ للميلاد فصارت يانة أو قنصلية رومانية. سميت خائية ثم صارت في زمن اغستوس ولاية سناتية اي لاحقة بمجلس السنات. ولما قسمت السلطنة الرومانية في زمن قسطنطين دخلت مملكة اليونان في سلطنة الشرق وما برح اسمها مع ذلك اخائية ثم ابرت مع مكدونية في النصف الثاني من القرن الرابع مملكة برأسها الى ان استولى الصليبيون على القسطنطينية فجعلوها امارات متعددة اغير واحد من روساء جند البندقية وجنوى ولما فتح العثمانيون القسطنطينية استولوا على معظم تلك البلاد ثم لم امتلاكها جملة فجعلوها ولايات اربعاً ولاية تسالونيكية وولاية يانينة وولاية ليونادية وولاية المورة أو ثريبوليزة فبقيت على هذا الحال بلا تغيير يذكر الى ان كانت سنة ١٨٢١ فنشط اليونان لمطلب الاستقلال فتدخلى لهم ذلك بمساعدة بعض الدول العظام فصارت بلادهم مملكة مستقلة تمتد من الغرب الى الشرق من جون ارنا الى جون فولو ويحدها من

فبعثوا ببلابحيم الى سواحل آسية الصغرى وإيطالية
والغواة وهسبانية وسارت ركبهم بأشعار
هوميروس العجيبة التي ترفع الذهن بقوة التصور
الى ما فوق رتبة الانسان فانسع فيهم نطاق
الادب وجد بهم الحرص على العلوم والعقائد
حتى صار لكل بلد من اقطارهم معبود مخصوص
بذلك البلد ووضع لهم ليكرغوس الهواين في
اسبرنة عام ٨٩٨ وقامت الجمهوريات في مدنها
لاقامة امور العدل فألني الملك في اثينا عام
١١٢٢ وفي اركوس عام ٨٢٠ وفي اليدة عام
٧٨٠ وفي قرنتية سنة ٧٤٧ وفي ارقادية ومسينة
عام ٦٦٨ ولم يبق محفوظاً الا في اسبرنة . ثم
ادخلت الى اثينا شريعة دراكونوس عام ٦٢٤
وشريعة سولون سنة ٥٩٠ وقعت الحروب
المادية عام ٤٩٠ فبلغ ابطال اليونان فيها مقاماً
تخفف لثقل رؤوس الابطال وفي خلال
ذلك نفع فيهم العلماء وظهر منهم الحكماء الذين
فتح عليهم بما كان مغلقاً على سائر الناس فأخرجوا
الاذهار من ظلمات الجهالة ومهدوا سبل الخروج
من دياجر الضلالة فاشتهر اشيل ومفليس
وأوريبديس بفن التراجيدية البديع وظهر
ارستوفانوس بفن الكرميدية الهني ونفع
هيروديتوس وتوقيديدس في صناعة التاريخ
وبدت آثار الحكمة والفلسفة من تاليس وذيفريطس
الذين ينسب اليهم الطبون اليونان فيثاغورس
وبرميدس وهرقليدس وإنكساغورس فانشئت
على يد مدارس الحكمة الخالدة الآثار وأبدع
افقراط في الطب وهو واضع اصوله وأول كاتب
فيه بلغ من العلم به الى حد ان عد علمه وحياً
وبقي من بعده ستمائة عام لم يزد واحد عليه

المسيح في حالة البداوة والخشونة ولم يذكر التاريخ
لهم من مدينة قبل سيسيون التي اختارها اجباله
في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ثم انهم اقوام
من مهسر وقبيلية باسباب الحضارة والمدنية
فاختلط ابناكوس وأمة فوروني منهم مدينة
اركوس وشرع اسبرنون في بناء مدينة اسبرنة
عام ١٨٨ ولم تتم على عهده وإنما كمل بناؤها
على يد ليليكس عام ١٧٤٢ وبعد ذلك ظهر
الهيلانيون الذين يطلق اسمهم على امة اليونان
الى هذه الايام فاستولى رجل منهم يقال له
سيرويس على اثينا سنة ١٦٤٢ وآخر يقال له
دكاون على تسالونيكية عام ١٦٣٥ وحكم كوموس
في ثيبة عام ١٥٨٠ ودانوس في اركوس عام
١٥٧٢ ومينرس في كريت عام ١٥٠٠ وهذه
العصور معروفة فيهم بايام الابطال لما حصل
فيها لبلاد اليونان من المجد والسؤدد والفلاح
في الزراعة والصناعات وفيها ادخلت بتلك البلاد
مذاهب المصريين والفنيقيين وسنت لاهلها
القوانين والشرائع وظهرت فيهم سطوة الهراقل
فاستولوا على البلوبونيزه فاتاها الهيلانيون
الذين كانوا اصحاب ثسالية واقاموا بها في ولاء
الهراقل الى ان امتلكوها على يد اولاد بلويس
عام ١٢٧ ثم كانت حروب تروادة التي بالغ
شعراؤه في وصفها وذكر شجاعة المقاتلين فيها
حتى امتزج في تاريخها الصدق بالخرافات
وانتهت عام ١١١٠ ثم حصل الوفاق بين
الهراقل والهيلانيين فاستولوا ثانية على البلوبونيزه
وأخرجوا سكانها بقوة وكان ذلك ابتداء عصر
اليونان المعروف بالوسط وهو الذي وقفت
فيه حركة نجاهم المدني الى ان عاودتهم الغيرة

حرقاً الى ان ظهر جالينوس فاخذ ما كتبه
ابقراط ونذبه وزد فيه . وظهر سقراط
وافلاطون وارسطو ليس حكماء الارض غير
معارضين واشهر فيداس مصلح الهندسة العظيم
وبرقليس الخطيب البليغ الذي ولي الامر في
اثنين ثلاثين عاماً وغيرهم كثير من العلماء
والحكام والفضلاء الذين ابقوا لبلاد اليونان
مجداً ثابتاً على مرور الزمان

ثم اختلفت امور اليونان الداخلية بما نالهم
من النشوة بالنصر في الحروب الخارجية
فوقعت حرب البلوبونيزه ودامت فيهم سبعاً
وعشرين سنة ثم اجات عن حصول الامتياز
لاسبرنة على سائر البلاد اليونانية ثم وقع الاتفاق
بين تلك البلاد على ضد لقدمانية وعظم شأن
اثنين باعمال كولون واقفراط ولكن اتتا السيداس
واثق الفرس ميثاقاً دينياً عائباً عام ٢٨٧ فكان
ذلك سبباً في قيام اليونان على اسبرنة . ثم
جرت الحرب المعروفة بال مقدسة على ضد
الفوقيين الذين احرقوا هيكل ذلك عام ٢٥٥
فكانت وسيلة لتدخل فيليب صاحب مكدونية
في امور اليونان فانتهازها فرصة لادخالهم في
طاغوت فقامت دمستيت اشد المقاومة وذاه
اليونان عن انفسهم ما استطاعوا ثم دانوا له بعد
يوم شيروني عام ٢٢٨ واستمرت فيهم الحروب
الاهلية بعد ذلك حتى وهنت قواهم وعظم
اخرال احوالهم وضعفت مستعمراتهم من قلة
المدد فباغتهم الرومان على ذلك الحال من الوهن
واستولوا على البيرية عام ٢٢٩ ثم نازلوا مكدونية
عام ١٦٨ وامتلكوها عام ١٤٧ وصارت بلاد
اليونان ولاية رومانية عام ١٤٦ ومذ حيث لم

بقى لتاريخ اليونان شأن يذكر لما انه دخل في
تاريخ الرومان ثم لما شطرت السلطنة الرومانية
في القرن الرابع للميلاد ادخلت بلاد اليونان
في ساطة الشرق واخذت هاته السلطنة في
النلاشي من توالي هجمات البرابرة من الوسقوط
والوندال والاستروكوت والبلغار وغيرهم ثم
زحفت العرب اليها في القرن التاسع وتلاهم
البلغار في العاشر فلم يفوزوا منها بطائل ثم نازلها
فادكسكار بالنورمنديين عام ١٠٨ ثم قامت
بها الدولة اللاتينية فجعلتها عدة اقسام لامراء
من الصليبية بتولونها في حماية صاحب القسطنطينية
الى ان تم الفتح الكبير للسلطان محمد الثاني
عام ١٤٥٢ فاستولى الفائد عمر باشا على اثنين
عام ١٤٥٦ ودافع اسكندر بك المشهور عن
استقلال ابيرة الى ان مات فوقعت بيد العثمانيين
عام ١٤٦٧ ثم دانت لهم المورة سنة ١٤٦٠ وبقي
اليونان في ولاية الدولة العثمانية قرنين الا
قليلاً وفي ولاية الاجنبي من قبلها خمسة عشر
قرناً صابرين ذاكرون مجدهم السابق مترقبين
الفرص لاعادة الاستقلال حتى آن الوقت
فنشطوا من العفال وشغلوا عصا الطاعة واعانهم
بعض الدول الاوروبوية فتم لهم الاستقلال
وصار لهم مملكة معروفة بهم عام ١٨٣٠
اما سلطنة الرومان فخلاصة تاريخها ان
ايطاليا كانت معروفة منذ القديم باسم سائرنية
ثم حل بها قوم من الاركاديين تحت اواء
(انوتروس) قبل حرب تروادة باربعائة سنة
فسميت (انونرية) ثم استولت عليها قبيلة غير
تلك من الاركاديين تحت قيادة (افندر)
الذي خرج من البلوبونيزه مطروداً . وكان

الى الفتوح واستولت على سردينية وغوانة اي
بلاد الغوليين التي هي الان بلاد الفرنسيين
وعلى قرطجة وكانت بينها وبين انيبال قائد
قرطجة الكبير حرب ليست كالحروب اوشكت
ان تكسر شوكتها وتبيد سطوتها وتجعلها على
شفا الاضمحلال ولكن ساعدتها التقادير فنجت
من ذلك القائد وغابت عنه فبلغت معارفها
الحربية وقتئذ نهاية الكمال . ثم اخذت هذه
الترية في الضعف بعد سنة ١٢٥ وضعف معها
سائر معارف الرومان وشبت بينهم الفتن
الداخلية فادت الى تغيير الحكم فصار ملكيا
ووسد بارادة مجلس الشيوخ الى اكناف فدعي
اغسطس ومعناه الامير والبراطور ومعناه القائد
الاعظم فابتدأ اغسطس ملكه باعادة الراحة
والامن فتم له ذلك واجتنب الحرب الا فيما
افضاه تأمين حدود الملك الى ان مات سنة
كاملًا محفوظًا متولاء خلفائه من بعده الى ان
مات تيودوروس عام ٢٦٥ بعد الميلاد فقسم
تطرين امبراطورية الشرق وامبراطورية الغرب
فاما امبراطورية الغرب فكانت منقسمة خمسة
اقسام بريطانيا وغالية واسبانية وإيطالية وأفريقية
ثم قسمت هذه الاقسام اقسامًا واندمجت عليها
قبائل البرابرة من كل صوب فتلاشت بعد
وجودها بمائة عام واما امبراطورية الشرق
فتاريخها يتبدى بموت تيودوس وينتهي باستيلاء
العثمانيين على القسطنطينية عام ١٤٥٢ وفيه
خمس فصول الاول من سنة ٢٩٥ الى سنة
٥٦٦ وفيه اخذت ارمينية وسقطت امبراطورية
الغرب واثناني من سنة ٥٦٥ الى سنة ٧١٧
وفيها توالى عليها النواصب والمصائب فتمكن

سكانها الاول من البلاغيين والابوريجهين
والميرينين ثم اتاها الهيلانيون من اليونان وجاء
بعدهم اقوام من الغاليين فكانت لهم مستقرًا
مكنًا الى ان اتاها بلوفر في القرن السادس
قبل الميلاد فضعت شوكتهم وبالت سطوتهم
الى الهبوط . وكانت رومية عامرة منذ اختطها
قوم اني عام ٧٥٢ قبل الميلاد فلما ضعف امر
الغاليين عدا اهلها عليهم فداسوا دولتها خاضعين
ثم سار اهل رومية على الملك تركين الملقب
بالكبير عام ٥٠٩ ق م فغلبوا واقاموا لانفسهم
حكمًا جمهورية فكانت هذه الثورة سببًا في
تأخير ظهور آثارهم مائة وستين عامًا حتى انهم
جدوا بعد ذلك في سبيل المجد حتى بلغوا منه
غاية لا تدرك . وكان في تلك البلاد على
ذلك العهد ثلاث قوى عظيمة الشأن قوة
الغاليين في الشمال وقوة لسميتيين في الجنوب
وقوة الرومان او اهل رومية فمت هذه القوة
الاخيرة بعد ستمسكهم جمهوريتها وانظام جنديتها
فاقامت الحرب على ساقها من سنة ٢٩٥ الى
سنة ٢٥٠ ومن سنة ٢٤٢ الى سنة ٢٦٧ قبل
الميلاد تخضع لها السميثيون واستولت على بلاد
الوسط والجنوب من ايطالية ثم انصرفت الى
محاربة الغاليين على ارضهم المسماة بغالية السيسلية
فصبروا لها من سنة ٢٢١ الى سنة ٢٧٢ ثم
وهنت قواهم فاستولى الرومان على بلادهم الا
نواحي قليلة منها وصارت جمهوريتهم اعظم قوة
في ذلك الاقليم بل اعظم قوة في الارض على
الاطلاق بما حصل فيها من حب الشرف وحب
الوطن وحفظ النظام العسكري فدخلها الطمع
في غور ما ملكت من البلاد فانصرفت قوتها

الامر على رؤساء الدين في المدينة فكانوا
اعواناً للعثمانيين على الامبراطور ثم فتح الترك
بلاد البلغار وقاتلوا الصرب وتم فتح القسطنطينية
على يد السلطان محمد الثاني وهي الى الان
عاصمة دولتهم واسمها اسلامبول او الاستانة او
دار السعادة

المقابلة

ليس بالامر اليسير محاولة المقابلة بين
هاتين الامتين العظمتين فقد امتلأت باخبارها
صحف التاريخ وحارت في آثارها افهام الناقدين
واختلفت احوالها وعاداتها كما اختلفت آثارها
والمنافع الناشئة عنها حتى كادت الموازنة بينهما
تتبع لولا ان يكون الغرض منها محدوداً
قاصراً على ما نشأ عن كل من الامتين من
النفع الانساني فاذا تبين هذا وعلمنا ان اليونان
خرجوا من الحالة العجيبة الى حالة العرفان
والتمدن من عام ١٩٠٠ ق م وان الرومان لم
يخرجوا الى هذه الحالة الا بعد ذلك بالف
وبائتي عام قلنا

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا

بكاهها وان الفضل للمقدم

وعلمنا ان اولئك جدوا باكتشاف البلاد
المجهولة واستعمار الاماكن المهجورة وتوسيع نطاق
الاسفار في البحار ونشر آثار التمدن بين
المتوحشين وفي جملتهم اصحاب دولة الرومان
وان هؤلاء لم يزيدوا على اقامة الحروب
واضرار الفتن وفتح البلاد واذلال الشعوب طمعاً
ورغبة في الملك قلنا

من اصلح الامر هو السيد

لا يستوي المصلح والمصلح

اللمبرديون من ايطاليا واستقر البلغار والصرب
في جنوب الطونة واستولت العرب على سورية
ومصر وافريقية وقبرص . والثالث من سنة
٧١٧ الى سنة ٨٦٧ وفيه ظهرت دولة ابزوريان
نفقدت ما بقي للسلطنة من الملك في ايطاليا
وادخل اليها اكرام الصور على يد سبعة من
امراء تلك الدولة وتم انقسام الكيستين الشرقية
والغربية عام ٨٥٨ فكانت رومية مركز هذه
والقسطنطينية مركز تلك كما هو اليوم واخذت
جزيرة كريد وصقلية وغيرها ووقعت الحروب
البلغارية التي اضرت بسلطنة الشرق كثيراً
والقسم الرابع من سنة ٨٦٧ الى سنة ١٠٥٦
وفيه ظهرت عليها علام السقوط اذ هاجمها
البلغار والروس والبشناق على انها استعادت
بلاد البلغار والصرب وقبرص مرتين . والخامس
من سنة ١٠٥٦ الى سنة ١٢٦٠ وفيه استولى
السلجقة على ثلثي اسية الصغرى ومر الصليبيون
بها وكانوا من الساعين في تدميرها ووقعت
حرب النورمنديين فاستولوا على صقلية ثم مات
كمنيتوس الاخير فازدادت المملكة ضعفاً فاستغل
عنها الصرب والبلغار وعادة الصليبية الرابعة
من القدس الى القسطنطينية فامتلكتها فصارت
عاصمة مملكة لاتينية ثم نازها الامبراطور ميخائيل
باليلوغوس فاستردها لنفسه وبذل الجهود في
اعادة المجد لهذا الملك وتلاه ولداه من بعده
واكن تعذر عليهم الامراذ تأيد استقلال
البلغار والصرب والبشناق واستولى الترك على
سائر بلاد المملكة فاخذ امبراطور القسطنطينية
في استنجد ملوك الغرب واعداهم بالعدول
عن المذهب الشرقي فلم يجدهم وعظم هذا

وحيلة القول ان اليونان والرومان من
بعدهم امنان تجارنا في مضار المجد والسودد
وتبارنا في مجال العز والنجاح وكانت كل منها
مظهراً للفنون البهية والعلوم السمية والتمدن
الانساني حتى امتلأت صحف التواريخ باخبارها
وتزيت بقاع الارض المعروفة بآثارها وما
برحت علماءها اساندة العالم وحكايتها ادلاء
الانسانية اعواماً تليها اعوام وهم في المنزلة الاولى
من الفضل الى هذه الايام غير ان الامة الاولى
كانت الى غابات الفضل اسبق وفي نسب
المدنية والمعارف اعرق فالقول الحق انها
بالتقدم احق والله اعلم



رسائل وشذور

نص كتاب

بعث به على لسان جمعية مصر الفتاة الى
الامير عبد القادر الجزائري

عام ١٨٧٩

كتابنا ايد الله الامير الاعز ونحن عصابة
تذكر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويأمر
بالمعروف وينه عن المنكر
رأينا ما ألم بهك الاقطار من الاضرار
ناشئة عن تخالف القلوب وتنافر الافكار حتى
صار الود مداجاة والحب عدوانا فقلنا يا قوم
لا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا
وكونوا عباد الله اخواناً ورأينا بوادر البلاء
وطلائع الشقاء فحننا المصاب الاعظم ينقلب به
الحجر الى الضير والمغنم الى المغموم ويزول بهاء
الامة ثم تغضب الارض التي سقاها السلف

وان اولئك هم الذين ضربت بحكمهم
وعلوهم امثال المتقدمين والمتأخرين وبقيت
آثار علمائهم على كرور الايام والاعصار فائدة
للمتبرزين وهم اهل الفلسفة غير معارضين
ومنشئو الطب غير متارعين ومخترعو فن
الروايات غير مسابقين وموجدو صناعة التاريخ
غير مسبوقين ومنهم رجال الاهوال وعظما
الابطال واكابر الخطباء واعظم الحكماء وفحول
الشعراء وهم الذين رفعوا في الارض الوبة
التمدن ونكسوا فيه اعلام الجهل وان هؤلاء
وان ظهر فيهم الخطباء والعظما وكثر منهم الامراء
والشعراء وبلغوا من التمدن غاية قاصية ووصلوا
من العلوم مكانة عالية الا انهم في معظم
ذلك مقلدون وفي كثير منه لاهواء النفوس
تابعون قلنا

بين المثلد والمقلد نسبة

تجكي التي بين التكمل والكمل

نعم ان الرومان قد نشروا انوار العرفان
في كثير من جهات الارض وهذبوا الفنون
والصناعات والشعر والخطابة احسن تهذيب
وان منهم فرجيل المداني لمويروس وشيشرون
المضارع لدمستين وغيرها ممن تضمن بمثلهم
الايام وليكنهم مع ذلك لاحقون لليونان غير
سابقين في شيء من تلك المحاسن فالفضل الاكبر
لاساندتهم على كل حال

اما اساليب الحرب واحكام العسكرية
المعدودة من بدائع الحرب فلم يكن اليونان
من قبلهم ذاهلين عنها على تقدير ان تكون
من المنافع الانسانية كيف وفي اليونان امثال
القائد ابامينداس الكبير

الواجب من التقصير ولا ادركت منه غير التزور
اليسير على انني القيت بباب مولاي القلب رهن
اخلاص وولاء وقليل نحت سائنا قلوب
الاصفياء

ولقد بشرني الرسول بكتاب من السيد
السند يجبر الخاطر ويقر الناظر ويشرح الصدر
فيصغ عن هفوات الدهر فاعنت باسباب
الاماني والآمال ورجوت لسوء الحال حسن
المآل ثم رددت النفس عن هاوية اليأس
فالحمد لله ما خلت الارض من الفضل والحمد
لله ما عفت في مصر آثار العدل وبين الله
ان غاية الامل رضى السيد عن عبده ونهاية
الرجاء حسن ظنه بحافظ عهده فان رضى
فليغضب الانام وان احسن الظن فما على
الدنيا ملام

وعلمت من كتاب رسولي اسباب الابعاد
وما تخلل الامر من دسيسة وفساد فما عجبت
لتصديق التهمة كما اني لم اندم على صدق
الخدمة او ليس ان السيد اعزه الله بذكر
ذلك مني ولا ينسأ وكفى بهذا جزاء وشكورا
وكفى به قبلا موفورا ولا ازيد وان كان
الجمال فسيما والحق ظاهرا صريحا فالنتائج
معمودة بمقدماتها والامور مرهونة باوقاتها ولسوف
ينكشف الغطاء ويبرح الخفاء ويعلم الشك
من اليقين ويغلب امر الحق ولو بعد حين
والله ولي الصادق الامين

هذا وقد بعثت الى مصر من بيع اثاث
المنزل بما يتيسر واتاني ان السيد حفظ الله
معاليه قد رسم بتأخير ذلك الى اجل غير
معلوم ولكن الحاجة ملزمة والضرورة مبرمة

الكرام بالدم فنهضنا نروم حفظ الباقيات
الصالحات بوسائل السلم والسلام وذكرنا
خيركم المدافع عن عذيرته ما لم يأت
ورأينا فقيرنا يتعثر باذيال ناقته وعظيما
لا يأمن على راحته او على ما في راحته ومثل
ذلك سائر اخوان الوطن الذي ولدنا فيه او
نزلنا بساحته فتزعت انفسنا الى اعانتهم ومن
كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته

ورأينا انوار فضل الامير على طور نجلي
الحكمة توقظ الراقد وتنبه الغافل من هاته الامة
فتكشف عنها كل ملمة فعلنا ان لا بد من
التماس مساعدته في هذه المهمة فرفعنا اليه المصيفة
التي هي لسان حالنا لتتوب لديه عن لسان مقالنا
أمل الحصول على القبول شأن الامير في معاملة
من انه ورجاء ورود الجواب بما يراه في امر
هذه الخدمة وله في تشريفنا بذلك رأيه العالي
مسددا وامره الكريم مؤيدا ان شاء الله

نص كتاب

بعثت به الى المغفور له سلطان باشا بعد النبي من
مصر وكان قد ارسل اليه رسولا فآكرم
مثنوا وواحدة وعدا جميلا

سيدي وعمادي وسندي وعنادي

كتابي اطال الله بقاء سيدي الاوحد وانا اذرف
دمع الامتنان والشكر على ما اظهر لرسولي من
الانطاف التي والشفقة علي والرغبة في كشف
ظلامي والميل الى اعادة كرامتي حتى لو بذلت
بقية الشباب في سبيل خدمته ووقفت سائر
العمر على شكر نعمته واوتيت مع ذلك عزيمة
الاقوياء ومنحت بلاغة الفصحاء لما سلت في

اضحي على عرفات عزيمك كل من
ضحي لنضلك مبدياً ومعيداً
التهنئة للاكفاء ولين بدني من البعداد
فغاية الخادم اخلاص الدعاء فحبذا العبد السعيد
سلامة السيد السند وحبذا النيشان ذو الشأن
مجده الذي لا يجد وآثره التي لا تعد وفضله
الذي لا بدانيه احد . واثن ابي الدهر اسعاف
العبد في نفسه وقد اسعفه في مولاه فالحمد لله
ثم الحمد لله
وكتب الى صديقه عزتولو عبد السلام بك المولي
بعد النبي من مصر وقد انقطعت عنه رسائله

عام ١٨٨٢

اولا دلالة القلب على صفاء الوفاء وهداية
النفس الى بقاء الاخاء لغالبية الشوق في
استمالة اخبارك منك ووقفت الفلم عن
شكوى هجرتك اليك مخافة املاكك بما انت غني
عنه وكراهة اعنائك بما انت زاهد فيه ولكني
عهدت بين جنيتك قلباً لا يجوز تغير الاحوال
ولا يبدله كرور الايام والاحوال فاننا مخاطبة
بما يملية الشوق علي رضيت ام غضبت وسكت
ام اجبت

اي قلب من نحب ونكرم ونجل ونعظم
لقد اتصلنا منك باسباب مودة واعناقنا فبك
باهدايب صداقة فهل انت ذاكر معاهدنا بذات
الوفاء ليالي هجرنا الرقاد اليك وقصرنا الوداد
عليك ورضيناك من الدنيا نصيبا واخترناك
من العالمين حبيباً كيف لا وقد لازمك الصفاء
وصافاك الوفاء فصفوت على كدورة الايام
ووقيت على خيانة الانام فان عدلت وما عدلت
فعلى الدنيا السلام اهـ

والمخادم على ذلك البيع باعشان الاول سد
الحاجة بما يحصل منه وان قل والثاني رفع اجرة
المتزل عن كامله المثقل ومع ذلك فالامر
للسيد في كل حال وما على المخادم سوى
الامتثال

ثم اني مشغول في هذه العطلة بتاريخ المسألة
المصرية على ما رآته العين ووعاه الذهن
وسمعه الاذن وحققه الخبر وايداه الاثر مبيناً
احوالها منفصلاً اجمالها كاشفاً اسرارها واصفاً
اثارها ذاكراً كل امرء بما استحق منصرفاً في
كل ذلك عما يخالف الحق ليعلم منه فضل
ذوي الشهامة واهل الكرامة كما يعلم نقص
ارباب السفالة واهل النذالة ممن غرهم الجهل
فطغوا ودعاهم الجبن فاطاعوا ثم اضاعوا البلاد
واي نفيس اضاعوا وساقدم لمولاي ما ابيض
من هذا الكتاب ليرى فيه رأيه الموافق للصواب
ان شاء الله حفظ الله السيد السند ورعاه
وادام مجده وعلاه وابني للمخادم عنايته ورضاه
سنة ١٨٨٢

وكتب اليو ايضاً بهشمه بعيد الاضحي

ونيشان ورد اليو من دولة الانكليز

ما العبد الا ان تكون سعيداً

فيعيد مجدك كل يوم عيداً

لبيت للنفس الكريمة داعياً

لا الوعد رام ولا استهال وعيداً

فجعلت بعد مني السعادة دانياً .

وجعلت قرب اذى الفساد بعيداً

حتى اذا صنت المقام من الاذى

ووقفت فيه الطائفتين شهوداً

وقد ام قومًا جوؤدا ام ترد اليه اشارة الفوز
ورودًا عنيدا فتسر وليا حنيا وتسو عدوًا
لدودا . اجل ترد فيشكر الخادم صدورًا كما
شكر ورودا ثم يحمد الله الى المولى الوزير

وكتب الى جمعية الخوازيق البيرونيات
المسماة بزهرة الاحسان جوابًا على
كتاب ذكر وشكر وتهنئة ورد

منه الي

سيداتي . حمل النسيم الي تهنئة زهرتك
الزهراء فكانت هي عين الهناء فمن لي بنفحة من
طيبها انشرها اليكن شكرًا ومن لي بلمعة من
حسنها اجلوها لديكن حمدا ولكن وسع النفس
دون الامنية ومقدرة البيان اقل ما في النية
وسيداتي موضع العفو وسيداتي زهرة الاحسان
فلتقبلن مشكورات غير ما مورات تحية خادم
لا يمنعه البعد من اداء الفرض والخدمة وما
كانت خدمته الا الدعاء وما كان فرضه الا
الشاء . اه .

وكتب توطئة رسالة في مدح احد
الصادقين من عمال
الدولة

اذا انا لم امدح على الخير اهله
ولم اذم الوغد اللئيم المذمما
ففيهم عرفت الخير والشر باسمي
وشق لي الله المسامح والفا
اجل فما تحرك بنان ولا جرى قلم ولا
نطى لسان احسن من الشاء الحق على نصراء
الحق فهو سبيل الوفاء ومنهم الاقتداء تجزى به
الانفس الطاهرة بما كسبت من الخير فيحسن

ولما الغيت جريدنا مصر والتجارة عام ١٨٧٩ وعد
بنوال الرخصة في انشاء جريدتين غيرها باسم
العصر الجديد والمحروسة ثم طال المطال
في ذلك فكتب الى سعادة علي باشا
مبارك ناظر الاشغال يومئذ
بتقاضاه وعد الحكومة

وهذا نص الكتاب

انجراً على فضل الوزير غير جاهل ان
وقته اثن من ان يضاع في مثل موضوعي الخفير
ولكن جرت عادة امثالي بقصد اولي الفضل
وما اولو الفضل في الدنيا بكثير فعساه ان
يكون لضعفي نصيراً فاقول نعم المولى ولعم
الدصير

ولقد صار العصر الجديد قديماً بما مر عليه
من مؤثرات الانتظار واصبحت المحروسة على
قدم اليأس تستجير بالاولياء والانصار وتلق
وهي في عالم التوة بين المخاوف والاختار اذا
ما الفكر حار واذا ما الزمان جار اتسى مصر
مزية البر بالجار ام لا يسمع بين براياها صدى
نداء المستجير

بل اعيد مصر ان تخفي بها الالبام على البررة
الصادقين وان لا يلبي موعودها تالياً آتنا بما
نعدنا انك من الصادقين اقول نذا وما كنت
معرضاً بسوء وما كنت من المعترضين ولكني
اسأل النجدة احساناً ولا سبيل على المحسنين
والله له ملك السموات والارض وهو على كل
شيء قدير

فلا ينس مولاي امر المجريفة موعدا نقد
اجنار الخادم في هذه العطلة عقبه كؤودا وعالج
الصبر جهده ثم عاد عنه مبهودا افيلوذ باليأس

وكتب مقدمة لرسالة انشأها في
رحلته الى اوربا عام ١٨٧٩
وكان في العزم طبعها
بعد ذلك

جرت عادة المؤلفين في كل عصر ومصر
انهم اذا فرغوا من تأليف الكتاب وتحريره
جعلوا في صدره مطلباً مؤخر الوضع يسمونه
بالمقدمة وهذه مقدمتي لهذا الكتاب الا انها
منسوجة على غير ذلك المنوال فقد انشأتها
قبل تسويد شيء منه ونزهتها عن كلغة السجع
وبرأتها من اعذار قد تكون افصح من الذنوب
فاما تقديمي لانشائها خلافاً لما جرت به
عادة المصنفين فلا في علمت من النفس انها لا
تكون بعد الفراغ اعلم منها من قبل ولا في
اكره دخول البيوت من غير ابوابها واما صيانتها
عن السجع فالباعث عابو قه الخاطر وغشاه
النفس من هذه الفقر التي مضى بها الاقدمون
ونلظ بها المولدون ولا تزال تكررهما الاقلام
الى هذه الايام ثم العلم يعجز عن الجيد الجديد
واما تبرئتها من الاعذار فلا انها لا تغني عن
المؤلف شيئاً فقد علمت من نفسي اني ما قرأت
اعذار مصنف بما شاء ما عساه ان يكون في
سفره من الخطاء الا قلت اما ان يكون هذا
الرجل معتقداً بنفسه الاجادة ويقول ذلك
تمدحاً فهو متكبر مغرور واما ان يكون مصدقاً
ما يقرى في جانب ضعف ثم الف واستهدف
فهو احمق مخمل الشعور
فهذا الكتاب قد انته في اعوام واصلحته
في اعصار وضمته كل ما علمت في بابيه وهو

اجتهادها وبدوم في الفضل ارتدادها ثم تكون
قدوة في الحسنات يسلك الناس ما تنتج سراطاً
مستقيماً فيحصل النفع كاملاً عيباً
ولقد تأثرت المهسين كشفاً واستعلاماً وما
آليت المجهدين عناية بشأنهم واهتماماً فلم ار
فمين رأيت احق بالشكر واولى بالثناء واخلى
بالحمد واجدر بالاطراء من مصلح في زمان
فساد ومسدد في مقام اختلال وقوم في حالة
اعوجاج ومن تدوم عنه اليوسفية بين اسباب
المفاسد وثبت نزاهة نفسه الاية بين انواع
المكائد تراوده الدنيا عن نفسه فيدراً شيطانها
وبقطع سيف العفاف اشطانها ومن تعرض
له الدنيا فيعرض عن بهارجها وينكب عن
مناهبها فانه لا فضل في العفة لمن يعف اضطراراً
واما الفاضل من استطاع الرغبة ثم عافها اختياراً
فكيف لا ينطق اللسان وكيف لا ينطلق
البيان بمدح من استكمل تلك الصفات واستجمع
هاتيك الحسنات فاستغوذ على البابنا حباً
وامتلكنا قالباً وقلباً الا وهو الخبير بشؤون
السياسة البصير بامور الرئاسة النبیه الذي عرف
صاحب الامر قدره فاعزه واعلاه وتبين فضله
فقربه وادناه فلان ايد الله فقد ولي هذا
الامر فاصلح وقام بالحكم فعدل وسار في مسالك
الحكمة فهدى حتى صار البلد به كمدينة الحكماء
متألف السكان على العلم والعدل والاخاء ثم
صان فيه النعمة ودرأ عنه النقمه واجتلب اليه
النافعات واجتنب فيه الشبهات وكان حكماً
عدلاً لا يلين حتى يطبع المسيء ولا يخشن حتى
يجزع البريء فتألفت القلوب على ولائه واجتمعت
الالسة على ثنائه والسنة الخلق اقلام الحق . ٥١٠

وكتب في زواج احد نبلاء اليونان

بالشخصنة الفرنسية المشهورة

ساره برنار

خل المعارف فالمعارف سودت

بيض الثنايا الغايات تغنيا

ودع العوالي فالعوالي وسدت

للسائدات على الفصول ثلثا

الراقصات الراقصات القانصا

ت قلوب ارباب الغرام تجنيا

او ما انباك سار الملاهي ورواة احاديث

الصبايات ان الميام التياهة المشخصة للابصار

بما تشخص في الملاعب تمثيلاً بهجة التياترو

الفرنسوي وزينة مشغصات الغرب من لا يزال

رأس وكتور هيكو الابيض بطاطي لبقلة كفها

كلما انشدت كلمة من شعره البديع الفتاة

المادمازيل عنواناً (ساره برنار)

من آل اسرائيل فتاة

قد جذبت اهل الهوى تيمها

قد انزل السلوى على قلبها

وانزل المن على فيها

اجل فقد انصل بها في هذه الايام فتى

من نبلاء اليونان وذوي الثروة الواسعة منهم

فانضم الى فوج تشخيصها بطوف معها البلاد

وينتاد لاحكامها ايام انقياد معجياً بفننها اكثر من

اعجابه بمسئها فان ساره (وما نريد بالهيف

سوءاً نخيلة نخيفة بلحمة من الحسن لا تكاد تلح)

ولكن اول الحب التام وغاية التزام

والحب اول ما يكون محانة

فاذا تحكم صار شغلاً شاغلاً

فصاحبنا ابتداء باستحسان الشخصنة فانتهى

خلاصة اخبار وزينة خواطر وحكاية احوال

ما رأيت وسمعت في بلاد الافرنج ففيه كلام

في المدر وما هو في الجغرافية وعن الامم وما

هو في التاريخ وعن الدول وما هو في السياسة

وعن الجماعات وما هو في الاقتصاد بل هو في

كل ذلك وليس في شيء من ذلك فان احسنت

فيه فالى الاحسان قصدت وان اسأت فذلك

غير ما اردت والسلام

وكتب الى احد امراء مصر

جعلت وشيلتي الى اعناب ولي النعمة

وباب السبد السند كتاباً رفعتة اثر الحادثة الى

حضرة المولى فلان ثم جاءني ان المولى المشار

اليه منحرف المزاج فبروت بنفسي على باب

السيد الامير احمد الله ابو مؤدياً واجب الثناء

عليه ثم استغفنه نعمة الجواب عما اذا كنت اصلح

لشيء من خدمة ولي النعمة في اوقات هذه

الغمة فقد رأيت السنة الكاذبين طائلة بما

يفصرهم الصادقين ولم اجد من مضاء في

سيوف من رأيت من المدافعين فهنري واجب

الخدمة لمز صمصامة الذود عن الحق فطرفت

باب المولى مستأذناً فيما دعاني الواجب اليه

فان رأى له محلاً ورأني له اهلاً فله في الامر

بذلك رأيه العالي والآن فحسبي منه انعطافة رضى

والثفانة اهتمام وكلمة تنبي بوصول عريضتي اليه

وان تفضل سيدي اعزه الله بذكر الخادم في

الحضرة العلية داعياً بتأييد الاريكة السنية كان

ذلك تمام الفضل وله الامن وعلي الشكر في

كل حال

دارت به الراح من كف الحبيب ولم
 نخل بعوده يزيل الغم بالنغم
 وهيا الراح اسباب الغرام لنا
 والجهر ان تأت الارواح بضطرم
 حتى اذا تم ما ابدته اعينها
 من الجوى منذرات فيو بالسقم
 روت لعاشتها معنى الهوى فنسى
 حديث قوم قد تم عهد حبيهم

وقال

باني افدي لي لحاظا وفا
 اوردني منه سلى كوثرا
 لا تلوموني اصحابي فن
 لام لا يدري ومن ذاق درى
 ياله ثغر لطيف قد اذا
 ق لسمع الصدع تريق الشفا ه
 قد صفا حتى نفى عني الاذى
 يا خليلي فبالله صفا ه
 يا مائة الخدر لي قلب اذا
 ما غراه القدر يحبه وفا ه
 ابد الايمان في الحب وسن
 سنة العشاق ما بين الورى
 وعيون قد ابت وصل الوسن
 فبى لا تعبه ان هجرا
 دور

باني افدي التي قالت سلولا
 هل رأى العشاق مثلي في الملا ل
 ان يكونوا رسل الحاظي سلولا
 فجدى الذي بهوى بلا ل
 سحرهم لحظاتي فابتلوا
 بهواها ياله سحرًا حلا ل

بعشق الذات والمنية واحدة ولكن الوسائل
 مخانات فابدى لها الغرام فسمعت فطلب الملازمة
 فما منعت فرام الاتصال فامتنعت الا ان
 يكون حايلا ولا سكا ولا خيلا فاجاب وداعيات
 الوجد فتقيه من عادات الصد
 يا قريب الصدود والاعراض

انا راض بما يو انت راض

مختارات اشعاره

قال لواقعة حال جرت عام ١٨٧٢

في حب باننا لا بانة العلم
 بديع نظمي اضحى اي منتظم
 فحل سلعا وسل عن حال عاشتها
 فتلك نار الغضا لاحت بذى سلم
 يا بارق الليل ان جزت الجزيرة قف
 فتم اول عهد الوجد والالم
 وبا نسما سرت من روضنا سحرًا
 نحملي وجد صب فاقد النسم
 وان مررت بغري الدبار على
 معاهد الحب والاشواق فانهدي
 فتم انفا من امواه مغنية
 عن كل ما في رباض الارض من نس
 هناك هلت براءات الغرام لنا
 وسنة هلت دموع العين كالدم
 وركب الحب في قلبي قوالبه
 قسرًا فهان دمي فيه وها ندمي
 حب اصاب شفاف القلب اسهمه
 فبات مغرى متى يعذل به هم
 لم انس انس نهاره بالرياض مضى
 مجانسًا لنعيم الصفو والنعيم

وجالي كل ذي قلب فتن

ولارباب النهى قد قرا

وسلوا في الحب شيئا وفني

برعيان الليل في القمرا

وقال

بروحني هيناء اذا ما تمايلت

نقول نسيم مرّ في دوحة العطر

اقول لما عيناك شغعا اصابنا

فولادي وهذا القد بالطعنة الوتر

فيابانة بانث فبان سرورنا

وبانت فبان البان في الحلل الخضر

نصبت شراك الحب واصطدنتني فلم

جزمت بان بيني فولادي على الكسر

وعهد الهوى وعدّ ووصل مؤمل

وعهدك وعدّ مظهر طائل العمر

وقال وفيه سلامة الاختراع

مدحك لا املا في النوال

وان كنت ممن ينيل الامل

ولكن رأيتك فذا بارض

ها كل فضل بها للهل

نقول ونفعل ما قلته

وما كل من قال قولاً فعل

وشمت القريض كثير الكذاب

ونجم الحقيقة عنه أقل

فجئت بمدحك اصدق فيه

ارادة اصلاح هذا الخلل

وقال في رواية عن لسان ذي فتوة

كلمت ائمة الرجال بصارم

نقوى به الدعوى وان لم ينطق

راع المقاتل هزه ومضاه

حتى تمنى انه لم يخلف

وقال في مثل ذلك

ضياء الشجاع ظلام الوغي

بسمير الراح ويض الظبي

وبرق الحسام غداة الصدام

لغيت الحمام نعيم الغنى

ومجد الشجاع الذي لا براغ

يوم القراع اختطاف اللوا

اذا قدر الله موت الفتى

فما من مردّ لذاك القضا

وانا اقوم نعدّ الحياة

مع الذل دون البلى والننا

نبيد الجموع ونشفي الربوع

ونجري دموع العيون دما

فان لم نبارز فمن للزال

وان لم نتاجز فمن للوغي

وقال يرثي فقيد الادب والاجتهاد

سليم افندي الخوري احد صاحبي

انار الادهار عام ١٨٢٥

جار دهري قدمي منه جار

واصطباري ما ان يباري اباري

اي ندب وجيها فيه فرض

فجعتنا به يد الاقدار

عهدنا في دياره يا انس الان

س وتشدو على الغصون القاري

ونرى الان وحشة الحزن فيها

بنواح الحمام في الاسمار

يا هلالا في القبر ما كان قبر

قبل ذا من منازل الاقمار

لم تغيب عن بهائم الناس لكن
 غيبتك العليا عن الابصار
 فبكنت العيون وفي عيون
 فانضات عن واسعات المجاري
 بل بكنت الطروس نظاً ونشراً
 فهي للناكلات فيك تجاري
 وراثك التاريج فينا فابقي
 في القلوب الآثار للادمار
 نحن نبكيك والمعارف تركه
 لك على اثرنا مدى الاعصار
 طاب فيك الشفاء نشرًا ففاحت
 نفحات من ذكرك المعطار
 وتولى لسان حالك عنا
 ذكر قول ينفد للتذكار
 ان آثارنا تدل علينا
 فانظروا بعدنا الى الآثار
 فهو سفر انشأته بعد طول الا
 بحث والجهد فيه والاستفار
 وقضى الموت ان قضيت ولم ت
 جزء الموت حاكم ذوافقدار
 يا صديقي سقت ثراك الغواذي
 او عيوني فانهم جوار
 بنت عنا فما خلا قلب خل
 في حمانا من حرقة وار
 كلنا مذ دهاء خطبك باك
 نائح طول اليأس والنهار
 وبك الآل والرفاق استنوا في
 الحزن جوداً بمدمع مدرار
 لبسول بعدك السواد ولاحت
 مجداده حديفة الاخبار

ولئن اكثروا البكاء وناحوا
 دهرهم لم يلبهم ذو اخنيسار
 فعلى مثل من اضاعوه يكي
 لا على درهم ولا دينار
 وقال تاريجاً له
 يا بني المخوري على كل الوري
 حكم هذا الموت جارٍ فاصبروا
 بوجر الصابر في المحنة ان
 ارخوه او يفوز بظفر (١٨٢٥)
 قصنت ربح الوباء من دوحكم
 غصناً فيه المعالي ترهق
 فتلونا فيه بالتاريج ان
 قصفت الغصن هو الاصف (١٨٢٥)
 وقال في جواب كتاب ورد اليه
 من عبدالله افندي كحيل
 نزيل دمشق عام

١٨٢٣

حمل الريح سلاماً واملأ الارض غراماً
 واجعل الاشواق كأساً واشرب الدمع مداً
 واصحب الذكر نديماً ان تكن ترعى الذماما
 وخذ الفجيم سبراً وابع العين المناما
 هجر الحب فصار النوم والانس حراماً
 ملني مذبت فيه مستهاناً مستهاناً
 ايها الظبي الى ما البعد عني وعلى ما
 قد نسيت العهد والود غادرت الوثاماً
 ان تكن تؤثر بعدي يا اخا الحسن ساماً
 فانا يا مالكي عهد على العهد افاناً
 زادني البعد على ما في وجداً وهياماً
 كلما هب نسيم اسكب الدمع سجاماً
 اسهر الليل كئيباً وارى الناس نياماً

وهجرت الشعر لما اه تضم العمر اهتضاما
وعجيب شأن طفل رام في المهد الفطاما
فاعف عني ونقبل يا اخا الود السلاما
رفع الله بك العلام في اعلالك مقاما
وارانا منك بدرًا في سما الجدد تمامًا

وقال على لسان بعض الاصدقاء في

زفاف الخوفا خليل والخوفا

عبدالله ابو شقره

أرياض أنس فتحت ازهارها

وشدت على اغصانها اطيارها

حياء الربيع بنوره ارجاءها

فوقدت من نوره انوارها

وغدا يطارحها الهوى مستترا

فبدت بالسنة الهول اسرارها

ام جنة ولدانها قد غافلت

رضوانها غلسًا وجاء فرارها

فسعت الينا حورها في اثرهم

اذ عز من بعد البعاد قرارها

ودا ضياء وجودها في دارنا

ليلاً كما كانت نضي ديارها

ام نحن في افق وهذي النجم

قد ضل في جنح الدجى غرارها

هنتم فلقد اصبحت حقيقة

هذي السماء وانتم افكارها

دمر يا خليل مهتًا بعفوفته

من للربيع بما يضم ازهارها

واهناء بايملي اعبد الله ما

وافاك من سحب الدعاء مدرارها

وانا راض بما تقضي فلا تخش الملاما

قد سلبت البدر والغصن محيا وقواما

وتخذت الراح والبرق رضاًا وابتساما

وجعلت الفرق والة ع صباًا وظلاما

فلذا مهدي ونغوي بمعانيك الاناما

ايها العاذل لا تستمطر الغيم الجهاها

لم وفند ولاء الدنيا ملأًا وانهاها

لا ارى عند عدولاً فليذب من فيو لاما

سائق الاظعان بطوي الابد جدًا والتزاما

كروا بلغ مهارة الحى عن ميت سلاما

واختصر في شرح حالي والتم الارض احشاما

يا لقومي ان وجدني اتلف الجسم وداما

نزعت نفسي الى حى بو الطبي اقاما

من مجيري من غرام ارفع الجسم ستاما

في سبيل الله نفس فقدت آما وعاما

ترتجي في الحب خلا لا يرى فيو اضطراما

ذاك عبد الله من قد تحذ الود وساما

لسن قد بات للفضل مقامًا وقواما

جاءني منه كتاب شامة الطرف فهاما

اخجل الدر ابتداء وازدرى المسك ختامًا

يا كثر الفضل قد ذللت للشعر الكلاما

فرأينا لك شعرا علم السبع الحماما

كان لي منه سمر ومدام وندامى

بأي ات فقد اصيبت في القوم اماما

يا صديقي واللبالي تلبس الرأس الثغاما

كيف ترجو النظم من زود العشق سلاما

وتناسى عهد ظمي سلب الرشد الاناما

سدل الستر فقالوا التحف البدر الغاما

فغدا يسم حتى فتق البرق الظلاما

قد مضى عهد غرام كان في القلب ضراما

وقال

قد نك نفسي تثبت في مفاطعتي
 ان التثبت منجاة من الخطي
 ولا تدعني وليل الرب اسهره
 مقلب القلب بين اليأس والامل
 او كن كما شئت في الحالين ممتدحا
 فالشمس رآد الضمى كالشمس في الحمل
 وقال مادحا فقيده مصر المغفور له محمد سلطان
 باشا رئيس مجلس النواب المصري وذاكرا هجوم
 ضباط الجند على منزله في خلال الفتنة
 العربية وبعض هذه النصيحة نظم
 قبيل السجن والنفي وبعضها
 في سجن المناظرة
 بالاسكندرية في ١٦
 ايلول سنة ٨٢
 هو الوجد حتى لا تنجب النواظر
 وحتى تغيب الروح والجسم حاضر
 وما الوجد الا النار قد شبهها الهوى
 فما اطفأها الدامعات المواتر
 فلا حل جسا لم تذهب صباة
 ولا ذاقه من لم يمت وهو صابر
 ولا در در الوصل فيو لطالب
 يخالف منه باطن الامر ظاهر
 ساحل ضم الوجد حتى يجود لي
 بخيل وحتى يانس الحب نافر
 ولي ولي من لو بدا نور وجهه
 اعاد عدولي في الهوى وهو عاذر
 ملك جمال عز نصرًا بحسنه
 له حاجب يحدي لاه وناظر

فيا نفره اني حنك لحاظه
 وانت برود وللحناظ فواتر
 وياقده عوذ بعدلك حسنة
 الست تراه وهو في الناس جائر
 خليلي والايام لم يبق صرفها
 خليلًا بياسي او صديقًا بوازر
 اما في سبيل الله عون على الهوى
 ولا في سبيل الحب للقلب ناصر
 أم الدهر آلى ان يضم كريمة
 فدارت على اذل الوفاء الدوائر
 وكيف وسيلان الوفاء محمد
 مؤيد امر الحق بالله ظاهر
 هام اذا لاذ الضعيف بياي
 تحامته في الحادثات الدوائر
 ولو رame الثبت القوي بنظرة
 لرد اليو طرفه وهو حاسر
 غام اذا اعطى حمام اذا سطا
 فتنة يباح العرف والعرض وافر
 له همة من دونها السيف ماضيا
 مضارعه في الدهر ناور وافر
 ورأي هدى اهل السرى بضيا
 كما ارشدت ركب السفين المناور
 وما شئت من فضل نظيم وسودد
 عظيم عليه من نقاء شعائر
 وجد مباري مجده فيو خاسر
 ومجد مجاري جده فيو خاسر
 وعزم مداني نصنة عنه خائر
 وحزم معاني وصفه منه حائر
 اقام على تلك المحاسن حجة
 من الفعل اعيا ردها من يكابر

فمئل عنه نولاً رأوا نور رأيه
فضاءت به ابصارهم والبصائر
وسل عنه اهل البغي اذ رد كيدهم
وقد غرهم فيما بغوه التكائر
ولم يألهم نصيحاً ولكن اظلم
ادلاء في ليل الغرور عوائر
فآبوا بخسران وبآوا بحسرة
وكسر قلوب ما له الدهر جابر
ويا يوم وافوا لاجين كانوا
قد انحل نطق الجبر والجبر زاجر
عليهم من اليأس الممين علائم
تعلم خوف الهول من لا يحاذر
وجوه عاتبا صفة الغيظ مثلما
تفتح عن اهل القبور المقابر
فالتوه طوداً لا يبالي بعاصف
وليثاً هصوراً لم ترعه المخاطر
وقرماً باسرار السريرة ظاهراً
وحرراً باضار الضير بجاهر
ومستهلكاً في الله لا يرهب الردى
اذا رهفته في النزال العساكر
فعادوا سكارى لا يخمر سوى التي
ادارت عليهم في الديار المهاجر
ولولاه ما هلت بدمع عيونهم
سوى ما اعدت يوم تأتي البشائر
الى هنا ما نظم قبل السجن
وما يليه منظوم فيه
امولاي هذا نظم حرّ وتلوه
كلام سجين اوثقت المآثر
انوه بنكر وشو للعرف مرتج
وجازوه بالخذلان وهو مناصر

وما وجدوا ذنباً له غير انهم
اضاعوا له عهد الوفاء وما دروا
أبعد ذو فضل ويدني منافق
ويستجن وافد حين يطلق غادر
ويكرم جاسوس عن الصدق حائد
ويظلم هام على الحق سائر
ويرفع نائم عن الزيب كاشف
ويخفص كاتم على العيب ساتر
بذا قضت الايام ما بين اهلها
معائب قوم عند قوم مفاخر
على انني والشيب تأباه همتي
لراض بعقي ما وفيت وصابر
فان لم تفدي للوفاء اوائل
عقدت رجائي ان تفيد الاواخر
وما ارتجى فيه من الناس نائلاً
ولكنني للبر والعرف ذاكر
فيا من تولاني فملت بفريه
اماني عنها جهد غيري قاصر
مقام اخي فضل وشهرة كامل
وصيتاً له نشر من الطيب عاطر
وصحبة سادات كرام بثلهم
اذا كثر الاعداء بت اكاثر
ساشكو زمانني شاكرًا ما حوتني
فها انا طول الدهر شاك وشاكر
وما صغرت نفسي لامر يريها
ولا انا ما ناهيا متصاغر
كفاني من الدنيا وجودك سالماً
وحسي من الايام انك ظافر

وما زلت عبداً ولا خنت ودّاً
ولا سميت صدّاً وعهدي مؤيد

وقال قدّاً

جور دهري لا ييالي بتلافي ووبالي
بات جسي منه بالي وهو بالاولجال جال
قد جار لي دهري فحرت في امري
وما من الدهر مجبر

بالدهر من اذاه طاب للجسم بلاه
كيف اتجو من بلاه وهو بالفصال صال
يا خالق الكون كن في البلا عوني
فانت لي خير نصير

وقال

الان انت كما ترضى العلي رجل
يلقي الصروف بفلسر ما يو وجل
قد نلت نصراً على نصر وخيرها
نصر غريبك فيه الاعين البيل

وقال

في سا الانس لدينا قمر الاصلاح لاح
وبما اهدى الينا طائر الافصاح لاح
قد نأى شر العناء واذا الاتراح راح
فسكرنا بالهناء انما الافراح راح

وقال عاقداً بتشطير بيت المعتني

نالت مزيد الهناء انفسنا

من بعد ما كاد يقطع الامل

ندمت يا بدر يا غامة يا

عالي الذرى يا هام يا بطل

يا سهم يا سهم يا مهند يا

ليث الشرى يا حمام يا رجل

وكتب اليه بيته بعيد الاضي بعد انقضاء
الفترة المصرية عام ١٢٩٩ وقد جاء
في مطلع رسالة تقدم انبائها

ما العبد الا ان تكون سعيدا

فبعيد مجدك كل يوم عيداً
لبيت للنفس الكريمة داعياً

لا الود رام ولا استهال وعيداً
فجعلت بعد منى السعادة دائياً

وجعلت قرب اذى الفساد بعيداً
حتى اذا اصبحت المقام من الاذى

ووقفت فيه الطائفين شهوداً
اضحي على عرفات عزمك كل من

ضى لفضلك مبدياً ومعيداً
وقال في جمعية زهر الاحسان عام ١٨٨٠

ما كان للمسكين من تأساء

في الفقر كالا احسان من حسناء
تجلو سواد زمانه منها يد

بيضاء تشكر من يد بيضاء

وقال

الى مّ الدلال وفي مّ الملل

فحلي المطال وعودي عن الصدد
لقد كفرت ادمعي الهاطلات

ذنوباً جناها حسام المهند

وان كان ذنبي عظيماً فهذا

حساب الذنوب بدمعي مسدد

هجرت المنام لفرط الغرام

وسامرت في الليل بدراً وفرقد

فؤادي عشيق وفيه خنوق

ودمعي طليق وقلبي مفيد

وقال

وهو مفاد ابيات نفوس اندروماك زوجة هكتور
لأرميون زوجة بيررس مستشفعة عندهما في
ابنها وهي من رواية اندروماك المعربة
بقوله عن اصلها الفرنسي لراسين

مهلاً فاني سيفي حماك ومالي
من ذلة كي تقطعي امالي
غادرت بعلي في القتال ومالي
والدمر لي كاس المذلة مالي
لله من ذل العزيز الغالي
قد صنت امك يوم رايوها بشر
ومنتها من ان يدانها بشر
فاحي فتي الف الكآبة والكدر

حبران ما بين السلامة والخطر
من سقى اضنى خيال خيال
ابكي على ولدي ودعي جار
كالغيث لكن ليس بطفئ ناري
سلموا بما طلبوا يسر قراري
لا تسلموه فان حفظ الجار
فرض على اهل المقام العالي

وقال

انتكر حي والمدامع تبدي
وينشره سقي وصبري يطوبه
اتينك ولا مال ملء خواطري
وقلبي صافي والزمان مصافيه
وراني بانواع الوفاء الهوى وما
فهمت بواديه فهمت بواديه
فبات الجوى نحو الجوانح جانحاً
فحل بنادي القلب وهو بناديه

وما زال قلبي واقفاً في شقائق

متى انت تشفيه وحتى م تشفيه

وقال

مذ تردّي الافق ثوباً من رقيق الغيم لاذ
وكسا الروض قباءاً لؤلؤاً من رذاذ
قلت المحب وقلبي من اذى الحب جذاذ
خافك البدر لهذا بذبول السحب لاذ
وقال في السنين بالاسكندرية عام ١٢

لئن حبست بلا ذنب ولا حرج
فلي براع بغير العرف ما انطلقا
ولي فواد امين قد صفا و وفا
ولي لسان بغير الحق ما انطقا
ما للمؤذن لم يسجن بارضكم
ان كان يسجن فيها كل من صدقا

وقال

وارخص دمعي المضعف اذا شكا
ودمعي لنفسي في النوازل غال
علوت بدم السافلين كما بدا
بظهر طعن الناقصين كمال

وقال

من حاجيك مقاتلٌ وحيبٌ
ومن اللواحق مسقمٌ وطبيبٌ
غازاتي وغزوني فاي فائتي
وله الصباية بالعذاب تطوب
وجوارحي ان لاح حسنك السن
تبدي الغرام وكلهن قلوب
ولهن من جفنيك سهم قاتل
ولهن من نصب الهيام نصيب
لم انس انساك يوم عقد عهدنا
والوجد داع والوفاء مجيب

والطرف والشوق في ماء وفي لهب
والياس والانس مقبول ومردود
لا التني طرباً لو راح ينشدني
لحن الزبور على الاونارد اوود
كيف السرور اقلب انسه ابداً
بالغم والهم معقول ومعقود

وقال في مليحة دعيت الى المخاصرة
في احد المراقص

وهيفاء تعدو الى الحرب رقصاً
على نغم العود ثم الكمنيه
بقية كرمح ولحظه كسهم
وجفن كسيف ونهد طنبجه
وقال

فقاً بمهجة صبه اضناه هجر وصد
ثلاثة نيسه شوق ووجد وبعد
ثلاثة هيسه نوح وذكر وسهد
يهوى وما لهواه ولا لمن يهوى ند
فقد الغصن فيه طير المحاسن تشد
وجبه البدر منه نور الملاحة بيد
وشاهد الحسن فيه ربي لمن ذاق شه
ابدى لنا الروض منه قد وثغر وخذ
واين في الروض منها غصن اقاج وورد

وقال

ايها السامي الى اعلى العلا
ملك انت عظيم ام ملك
عزمت الماضي تولى الناس ام
سلب الالباب منهم ام ملك
لحاك المجد واني وافياً
والعلا دون الملا قد ام لك

اقسمت ان لا نفسي جمع الهوى
وطرحت قلبي حين كاد بدوب
يا من على قلبي نوات لا نوت
صبري على هذا الصدود عجيب
لا تعدلي عنا وفينا فاعدلي
فالعهد في عهد الوفاء قريب

وقال

في مشكلة سياسية وقعت بايطاليا
من جراء خلاف جرى بين

بعض السياسيين في
احد المراقص
فيارب حتى في المراقص عندهم
مشاكل فيها اللانام شرور
يدورون بالغيد الحسان رواقصاً

على نغم والدائرات تدور
وقال مخبساً

غرامي غريبي والهوى باعث الجوى
وقلبي بنار الوجد فيه قد اكتوى
على انني والقلب تثلغه النوى

كنت الهوى حتى اضر بي الهوى
وباحت دموعي بالغرام وما يحث

وقال

باقلب صبراً فان الصبر محمود
وان عدمت المني فالاجر موجود

قد بت احسد من ذاق الكرى وانا
في ظاهر الحال عند الناس محسود

رشدني وقلبي ما قد منيت به
دون الاماني مفنود ومفنود

والصدر والنهر في ضيق وفي سعة
والضر والصبر موجود ومفنود

جئت ارجوك سلاماً ورضى
لا تخيب ظن من قد املك

وقال

احن لذكر الدار والنصد اهلاً
فاشتاقهم والحب شوق وتذكاً
اقول اذا لاح العدول مورياً
عليك سلام الله ايها الدار

وقال

يا رسول الحبيب اهلاً وسهلاً
ورسول الكريم عندي كريم
كرر الذكر فهو ما مر يجلو
واعد ما حلت فهو نسيم
يا رسول الرضى افى المحي مولا

ك على الانس والهناء مقيم
ام شجاء من الجوى ما شجاني
فهو منه في كل واد يهيم

وقال على اسنان ناكلة قد الموشحة
« يا غزالي كيف عني ابدوك »

مزقوا قلبي ولا تنفوا علي
واندبوني وانذبوا قلبي بني
ملت صبري بعده والجسم حي
ساعدوني بالتوي بالدموع

يا لخطب من اذاه في القلوب
نار حزن زادها الدمع شبوب
ما كفى في مثله شق الجبوب
اسناً يا قوم بل شقوا الصلوع
وقال في مثل ذلك

ابكي على فقد الحبيب فرجعوا
ان البكاء لغيره لمضيع

مات الحبيب فاي قلب لم يذب
اسناً واية مقلة لا تدمع
مات الحبيب وقد تحجب بالثرى

ومن النسيم عليه كنا نجزع
فعصى الفواد به التجلد آيساً

والدمع فيه لمن بكاه طبع
والبدر تحجبه الغيوم كأنها
ثوب الحداد فلا تراه يسطع

والشمس بخبرنا السحاب بانها
ماتت عليه اسى فليست تطلع

أحمامة الوادي لقد اسعدت من
قلبي الكئيب فرجعي وارجع

نوحى عليه فانه غصن على
ما ليس يعدله الحمامة تسجع

ولأنت يا قلبي لمصرعه احترق
حزناً وأوهطت عليك الادمع

وتقطعي يا مهجتي لمصايه
قد خاة من فيه لا يتقطع

وتجمعوا يا قوم ما شاء الاسى
فالخطب فيه يعذر المنفع

وذروا الجبوب فما نشق لفقده
فالثل من نيكى نشق الاضلع

وقال لواقعة حال

دردحة شوها لا تسمع في
بقائها عدلاً ولا ملاما

هذا وفي الدارفتى ذونعمة
فكيف لو كانت من الايام

وقال في معاهدة عقدت على

منع بيع الرقيق

ابرموا العهد ايما ابرام

ودعوه بهمهم للسوام
 ومن الذنب افرغوا العذر درعاً
 ليردوا بها سهام الملام
 حيث قالوا ان لم يكن من يطيع الا
 امر طوع النعال للاقدام
 فانبثونا من للحجاب وللبا
 بونقل الصحاف وقت الطعام
 ولبسط الفراش والكيس والحب
 وما بعده وجسوا المدام
 كل هذا من قبلنا حرص الغر
 من عليه في سالف الايام
 فهو ما منه للخصيصة فكانت
 غايه الرغبت اول الاعدام
 عادة شس ما جنته علينا
 من هبوط بعد ارتفاع المقام
 رسمت في القلوب منا وسالت
 في مجاري الدماء قبل الفطام
 فاذا ما سمعنا نذكر الرغب
 عنها فالفعل غير الكلام
 ذا يقيني ايديته لك عنوا
 فاتي ساذجاً كهذا النظام
 لم ازينه بالجناس ولكن
 زائنه الصديق وهو جل مراي
 فاعتقد ما اقوله عن يقين
 انما القول ما تقول حزام
 وقال في وداع نواب مصر عام ٨٢
 ودعهم وبنفسي من ما شرهم
 آثار حمده اقامت بعد ما رحلوا
 اكلام ان هم عن ناظري انفصلوا
 فذكرهم ابداً بالفكر متصل

وجلوه موثق الاحكام
 نقشوه باحرف لامعات
 في سطور تحكي عقود نظام
 وتلوا منه للبشارة حكماً :
 لا يباع الانام كالانعام
 انما الناس في الوجود سواهم
 من بني يافت وسام وجام
 كلم من اب وحيد دعوه
 باسم أدما او آدم او أدام
 وحدوه كما رأيت بيانا
 للمساواة بين كل الانام
 او هم في اعتقاد من سوف يجزو
 ن بنار الحجيم ذات الضرام
 حيوان قد ركبته المبولي
 كتيلاً من مفاصل وعظام
 وتداعى الى التوالد يبغي
 لذّة او شفا من الآلام
 فتأدى الى التكاثر ما
 قدفنته مجامع الارحام
 وهو قول ادنى الى الفهم لكن
 عين هذا الدينو اوضح ذام
 ودليلي قول الكلامي ان الا
 مدين ما كان فائق الافهام
 حكمة فافت العقول سوا
 فدعوها لاهل علم الكلام
 ولنعد للرقيق في السوق فالنوع
 اس بين الاحجام والاقدام
 حظروا بنجر الرقيق عليه
 وهو حظري يعاد في كل عام
 امروه ان لا يبيع جهاراً

وهو للابيضاح بالامر يشي
رُفجد بالحل وانعم بالساح

وقال

لعينيك ما اخفى الحب وما ابدى
من الحب ان الحب صيره عبدا
وما هو الا ناظر غير عائد
وما الحب الا نظرة تبعث الوجد
فلا عرفته مهجة تنكر الاسى
ولا علمته مقلة تجهل السهدا
اطارحه الحب المقيم باضلع
فيجذبني هذلا ويدفعني جدا
فدا حسنه من ليس يعشق حسنه
وان رمت مالا استطيع له وجدا
ولو قلت يفديه المحبون خفت ان
يصد فلا يبقى له من يد يفدى

وقال

لو رآى الاهيف سقي لسي
ووفى بعد اجتناب وجنا
سائرا بعرب صدغ اسعا
قلب صب ان رآه وجنا

دور

بابي افديته بدرا بسا
وجهه الزاهر بالاشراق راق
ومليحا مذ رآني بسا
عن لآل حسنها العشاق شاق
ساء اهل الحسن قدرا وساء
وعلى حالي بالاشفاق فاق
اذ ووفى بعد جناء ورعى
عهد نصب دمه قد وكفا

لم منازل حب في القلوب ثم
بها مقيمون ان ساروا وان نزلوا
فجدا هم من قوم امائل في
امثالهم بالمعالي يضرب المثل
وحذا القول ما قالوه عن رشد
وحذا الفعل في الإصلاح ما فعلوا
ضنوا باوطانهم وهي التي بذلوا
في حبها النفس نعم الجود والجل
وقال حلا للغز في مصباح
والغازا في بان
ياهللا بسا الاصلاح لاح
ماله في قوله ان لاح لاح
وهاما هه نيل العلا
لغزك الباهر بالمصباح باح
قد اجبنا فاتجبنا ما اسم شي
عليه طائر الافضاح صاح
راق لي اللغز في حين انشئ
ومع قد اثر الاصلاح ماح
وهو فعل صح فيه معينا
ن قل لاح وان شئت فراح
قلبه شيمته بالدر اذ
حل في وادي غقيق وسط راح
ونراه دون قلب ان بدا
دمة الاسود للشرب مباح
ثله وهو الثلاثي غدا
للحاجي سميكا ياذا الصلاح
واقلب الباقي فجد من حقه
منك اكرام مساء وصباح
ومع المحدثون ثلث من علي
و حقوق البر فانظر فيه صاح

وإذا سامر نخباً ورعى
لم يفلح حسبي دمي وكفى
دور

مذهبي في الحب هجر ووصال
ولكل في هواه مذهب
اعشني المعجب ما صال وصال
وإذا مال فإلي مذهب
وهو في القلب على المحالين صال
نار وجد باصطباري تذهب
ويروى غرامى امرأ
فائقاً وصف معان وصفها
فهو روجي صد عني أم رعى
وجفاني أم وفي لي وصفها
وقال عام ٧٢

الناصر من أعين سدن بالكسر
فهن أثرن العشق من حيث لا أدري
عيون وفي الله القلوب سهامها
فكم نذت في القلب من داخل الصدر
عيون هي السوداء أن جن عاشق
أو البيض هزتها قدود من السمر
حمت في الهيا الثغر وهي فواتر
وكم قد شفى من غلة بارد الثغر
فله من ثغري بدا في عقيقه
عقود إذا اقللت قلت من الدر
بطارحني منه التيسم لؤلؤاً
فألقه من دمي وأجلوه من شعري
وما الشعر في حكم الفياس نتيجة
لاهل الهوى الأ مقدمة الفكر
بحاول فكري نظمه عنو خاطري
وتدفعه عنه معارضة الدهر

ويأبى إلا التغزل عنة
فإن رحت اشكو لم الاق سوى الشكر
ويبدو عليه حيث ينشد كلفة
إذا خمن الشكوى من الضن والعسر
وكنتم متى أفصده يسهل فصرت أن
أشأ نظمه لاقيت أعسر من يسري
ولولاك لم ينفذ إلى الانس نافر
ولا شيد بالآيات ما هد بالكفر
ولولاك لم يسبق إلى الشعر خاطري
على جربها الأقلام مع انلي العشر
ولم تنشق في نظمي من سليقتي
معان حكيم العقد في عنق البكر
وبارب يوم همت فيه تفكراً
فرحت طروباً بالتفكير والذكر
جنحت إلى روض كأن غصونه
قدود لها ميل السكارى بلا سكر
وكان هدو الصبح يحكي متباً
خلا قلبه من لوعة الصد والهجر
فرت بنا شكوى الجوى في نسيه
فرحنا نبك العذر في عشقه العذري
وخلنا الدجى والصبح يفتق جنبه
فواد عدو يظهر الود عن مكر
فكان جمال الكون في جنب قبحه
وفاء مداح قد تبطن بالغدر
ولاح لنا الانسان جيشاً مقاتلاً
تلاطم كالأمواج في لب البحر
نعفنا الغواني في المغاني عرائساً
تجلىن كالآفار في حل خضر
ولذا بذيل اليأس من كل لذة
سوى العلم أن اللذة الصرف للغر

وقال على لسان بعضهم برسم امير افرنجي
 قدم بيرت عام ١٨٧٤
 ضاعت بك الدنيا واشرق نورها
 ويدت لك العليا وانت اميرها
 فتلايلات زهر الكواكب وانجلى
 بطارف الانجاب منك بدورها
 وزهت رياض الانس في احبائنا
 فترمت فوق الغصون طيورها
 فالوقت صاف والكؤوس يدبرها
 من راحتيه ووجنتيه مدبرها
 قمر على غصن يطوف بانتم
 تخني الشمس اذا تبدى نورها
 فاليك منا انفساً مسرورة
 ناجاك منها بالثناء ضميرها
 علمت بانك في المعالي مفرد
 لك سرها دون الملا وسريرها
 ورأتك بيروت الهبة واندا
 فتسبمت لك بالسرور تغورها
 ولو السحاب اخبرت بك اقبلت
 واناك منها بالثناء مطيرها
 يا ابن الاولى كرمي وعز نظيرهم
 بآثر في الناس عز نظيرها
 حملتك اخنوخ البغار وربما
 عرفتك فاهتزت لديك بجورها
 وسربت في اقطارنا متعللاً
 وكذاك تفعل في السماء بدورها
 فانيت ارضاً معظم التاريخ من
 اخبارها قدماً وانت خيرها
 تلقاك صيدون القديم بهاوها
 وبراك من صور العظيمة سورها

فيا من اعدا مستعبداً بوداده
 اخلاء صدق من رفيق ومن حر
 تكلفني هذا القريض وليس بي
 من الوجد ما يدعو الفريجة للشعر
 ولكني لما ذكرتك هاجني
 اليه اشقياتي واشي نحوه فكري
 فدونك بكراً ان تبنت لراهب
 جرى خلفها جري المظهمة الضمر
 ترتيبها هذي السطور عن الحل
 وقد سكنت هذي الطروس عن الخدر
 وقال

انا ما بين مطرب وندم
 ومدام صاف وناي وعود
 وسرور واف فوافي جمانا
 وعن الصد يا مليمة عودي
 وقال

هجرت وما ذني لديك لتجرا
 فاعفت معروفاً ولا جئت منكرا
 جرحت فيادي بالصدود وهادي
 بخذك مسفوكاً فلا تك منكرا
 وبت وما للقلب من راحة ولا
 لعيني ان جن الدجى فيه من كرى
 وشاهد وجدي سقم جسي ومدمي
 فان رمت تحقيق الشهادة منك ر
 تبرأت من ذني وهجرك قد برى
 عظامي وعذالي يقولون من برى
 وجرت بقدم عادل كلما اثني
 اقول للوامي نبارك من برا
 فما ضر لو كلمت قلباً مكلماً
 وانت ترى فيه لذاتك منبرا

وقال

قد قضى من كان ما بين العباد
خير قاضٍ برشادٍ وسداد
لبس الفضل له ثوب الحداد
وغن الناس نراه معرضاً

خطبة في الناس تاريخ أليم
فعليه رحمة الله الكريم (سنة ١٢٩١)
سارعنا ناحياً نحو النعم
ولنا اقتدً فوق الغضا

ابن من كان امام المعرفة
ان يكن انصفه من وصفه
قل لمن عرفه ان عرفه
هوذا الجوهر اضحى عرضاً

بل هو الجوهر لكن المات
حاكم فينا بتغير الصفات
هكذا الانسان قد يسي نبات
فوق قبرٍ حله فيا مضى

فذر الدنيا اذا رمت الهنا
فارتضاء المرء في الدنيا غنى
كلما نحسبه فيها لنا
سوف نبقية على غير رضى

دأبنا جمع ثراء وحطام
واكتساب من حلالٍ وحرام
نبدأ الامر ولا ندرى الختام
ليتنا نبدأ امرًا مرتضى

والشيخ لنبات الذي ما هالة

فيما علمت من العصور كرورها
وتريك يروت السرور بثغرها
وبريك الهج ما رأيت سرورها
وترى القوافي الباسيات قوادماً
هذا التصيد الى علاك سفيرها

وقال

يقول حرّ الكلام متخلّ
وقد رآه عليه محتعاً
ومثل ذا قاله لعاله في الا

عنقود لما ألفاه مرتفعاً
فليهد ما شاء في جهالته
المحرّ اذن لا نسمع الفتنة
وليبق كالداء في المريض الى
ان يذهب الله عنهما الوجعاً

وقال

رآني اصوغ الكلام عقوداً
فقال سرقت وما كان صادق
فقلت خمولك صانك فاهناً
فليس بظنّ بانك سارق

وقال

طلبت هذا الذي القيت من أدب
بلا دابل على جسرٍ من التعب
فان اصبت فما لي من يقاسمي

صفوي ولا كدري ان كنت لم أصب

وقال راثياً بعضهم

جرّد الموت حساماً ماضياً
كان بالظلم علينا قاضياً
حاضرًا مستقبلًا او ماضياً

ما احتيال الناس في هذا الفضا

وقال وارسلها الى سليم افندي شحاده

سدل الظبي حين لحت لثامه

فبدا البدر ظللته الغمامه

وتثنى كالغصن فوق كتيب

تفتدي ميل فنه كل قامه

لست اشكو صدوده او جفاه

يا عدولاً يقول عني سلامه

بأبي افنديه ظيماً غريباً

منه أرضى كلامه او سلامه

مت وجداً في حيو ما احتياي

ما لاهل الغرام منه سلامه

مر حلوا لاشيء املح منه

رافعاً من جماله اعلامه

ورأني اسوم تحت القوافي

فلحاني فقلت خل الملامه

ان ود السلام عهد فالي

لا افيه حقوقه والتزامه

ظن قوم ان القريض دهان

عند من سامه لما منه رامه

كذبهم ظنونهم فهو عندي

آية الصدق في كتاب الشهامه

وأبي الله ان اداهن فيه

لست ممن يبع كلاً كلامه

قلت ان السلام سالم خلقي

وسم الفضل ذاته بعلامه

شبه في الحلم وهو في العلم شيخ

مال من رتبة الكمال وسامه

ايها اليلع النجيب وبامن

رد في وده الوفاء الندامه

ان اثارك التي قد رأينا

ما رأينا عيون اهل الامامه

لو تبدت لابن الاثير لنادي

كم تركنا لمن غدونا امامه

او رأها الوردى وهو امام

قال ذا العيسوي ابدى كرامه

اقبل العام بالسرور فلا زل

مت بخير مستقبلاً انعامه

وحباتك الاله عمراً مديداً

شهره بالهناء نفضي وعامه

ما تثنى غصن وازهر روض

نقط المزن ورده وبشامه

واديب اسير ودك نادى

كل عام واتم في سلامه

وقال

اضوى الغرام فؤاداً غاب عاذره

واتلف الشوق جسماً عز ناصره

الحب مصداق قول العارفين به

السقم اوله والموت آخره

وقال

اصبر وما للصبر عندي وسائل

وكم ودمع العين هام وسائل

امال الهوى عني الحبيب فلاني

وقلي لحفظ الود راج وسائل

اسائل عنه كلما لاح بارق

فمن لي بان الفاء عني وسائل

وقال

تداهني الاهوال من كل جانب

فمن متفدي من داهات النوائب

وقد كان حكم الله المرء انه
يرى سعيه والله اعلى واعلم

وقال

هجم الضياء على الظلام بمسك
من فجره فغدا يجد رجلا
واشابه خوقا لذاك نجومه
هجرته طالبة سواء خيلا

وقال

يا نعمة ما حيت اذكركا
ومنة للزمان اشكرها
جاء فلم يبق للوفاء سوى
بقية للوفاء اذخرها
ومذ وفي استحكمت على نسق
دوائر الانس وهو محورها
وقال وهي ما كتب في البحر عند العودة
من باريس الى بيروت عام ٨٠
اثر الداء

غبنا وكانت اليك اوبتنا
يا وطننا لم يغيب عن الفكر
ما برحت نفسنا على ولم
تغالب الشوق فيك بالصبر
بهدما اذ تكاد تمهد
حتى بدت منه علة الصدر
فاحملتنا اليك جارية
كأنها بالذي بنا تدري
يكاد ماء العباب يغرقها
وقلبها مقلنا على جبر
وتنبري كالسحاب نحسبها
تسري اليها الربى ولا تسري

الى كم الان في نكبة بعد نكبة
وحتى متى يادهر انت محاربي

وقال

اذا رمت وردا عن ظلي ينضب النهر
وان رمت نورا في الدجى يكسف البدر
وان راق لي في الصيف حر هجير
ارى السيب تنلقه فينهر القطر
سعبت وان السعي فرض على النقي
وليس عليه ان يساعده الدهر
وقال مضنا
ايا اهل ودي قد نكتم عهدنا
فكيف جرى هذا وانتم انتم
احاول سلوان الغرام وحكم
تولى فؤادي وهو فيه محكم
وان كان خصي في المحبة حاكي
لمن اشتكيه او لمن انظلم

وقال من مقالة وطنية بعد نشر

ينتهي : يا اثارات الاوطان
وها من احسن ما نظم
في معناها

هو الذأرحى يحجب الشمس عثير
نساوى به العين الصعيحة والرمدا
فلا وقفت افدالنا عن طلايه
اذا لم نغم اشلاؤكم دونها سدا

وقال

نصحتك لا ترحم من الناس ظالما
فمن برحم الظلام لا شك بظلم
وما العدل الا في ثواب لمحسن
يرى وعقاب للذي راح يجرم

كالارض تجري ونحن نبصرها ساكنة كالغول في مصر
(وفي هذا البيت اشار الى ارتباطك الاحوال في
مصر اذ ذاك لا الى غول المصريين من حيث
هي فقد كان رحمه الله من اشد خلق الله كلفاً بهم)

وقال

اصبر وقد ذاب الفؤاد من الوجد
ونوم وعين الصب وقف على السهد
وكيف اصطباري والغرام محاري
سيف المجوى والشوق في الفجر والصد
فيا زمن اللذات هل انت عائد

ويا مالكي هل انت باق على العهد
أحبابنا لم يبق لي هجركم سوى
حشاشة قلب من هواكم على وقد
ألفت سقامي بعدكم فاذا نأى

اسفت وقد عوّضت بالغى من رشدي
فهل عندكم اني على العهد ثابت
وهل عندكم من غصة الشوق ما عندي

وذا شرح حالي في الصباة بعدكم
فبالله قولوا كيف حالكم بعدي

فعمت لما شاء الزمان بذكركم
ويا ليت هذا الذكر يغني من الوجد

وشحدث سيف الصبر والوجد قاتلي
فاصبحت شحاذاً واقبلت استجدي

وهت بكم في القرب والبعد وحدثكم
على اني ما همت في حبكم وجدي

وفي الحب ذو شأن وفيه مقلد
وشتان ما بين الثعالب والاسد

وله رحمه الله من المواليات قوله
في طرفه يا قومي تكمن الاجال

وان دنا او تثنى اورنا او جال

حلت باهل الهوى من فتكو اوجال
يا ظلي واصل فقد اضنى الهوى جسدي

وارحم واعجل فخير البر في الاعمال

وقال

ما نلت في حبه من وصله او طار
واست اعدل عنه ان عدا او طار

لاقيت من جفنه لما رنا اخطار
فجال من طرفه بالايض الماضي

وصال من قده بالاسر الخطار

وقال

ظي من الترك جافاني بلا ترك
ذو ناظر ناظر الصمصام بالفتك

وقامة جرحت قلبي بلا شك
ووجنة وردها قد عم فيها الخال

بدت فدان لها في الحب اهل الخال
واشغلت بالهوى مفتونه والخال

فكيف أستر فيها بالمجوى هتكي
وقال

حلوا لي مرّي مستملح الاعطاف
فقلت لما اتثنى يا مفرد الاطاف

زهر فبول مقام الراح قلبي طاف
فصد واستلّ لي من لحظه خنجر

والشي بالشي في امثالنا يذكر
فقلت يا قده الطعان يا اسر

أعد ضعيف المجوى من طرفه السيف
وقال لواقعة حال

قلت اسفني قال هاك الماء في العين
فقلت واصل فقال العين بالعين

فقلت والحب عندي راجع العين
مالى وروحي ايا روحي فدا عينك

قال ذي خمرٍ فان رمت وردًا
 ذاك خدي فائق ماء ورد
 وقال في سفر مليحة لغبوها بام العيون
 فطمت عيوننا من غير صبر
 فسال الدمع منها كالعيون
 بكك كالطفل سارت عنه ام
 فما افساك يا ام العيون
 موشع
 غرد البلبل في روض الحما
 فوق بان تحت خج الغلس
 عندما اقبل معسول اللها
 يثنى في رياض السندس
 دور

بابي طبيباً علينا شققا معرباً عن ميسم كالشفق
 والى نحوي فلما رمتا لم يدع للصب غير الرق
 ذا جين كلال اشرفا فهدى بالنوراهل المشرق
 ولحاظه كنبال حيثما رشفت كانت نذير العس
 وخذود بعد سقياها الدما
 غرست بالورد ابهى مغرس
 دور

قم بنا يا صاحبي نحو الغدير
 نغم اللذة من قلب القدر
 لذة تهزم اشجان الضمير
 فاطرح من لام فيها وقدر
 ولنا ساق اذا قام يدبر
 كأسه ابدت لنا قوس قزح
 اغيد لاح كبدر بسما
 ضاء فانشق قواد المندس
 قلت لما عن لال بسما
 هوذا الثغر الشهي اللعس

خذ ما تروم فنأدى هات من عينك
 فقلت بحبيك ربي قال من عينك
 فقلت خذ واعط وصلاً قال من عيني
 وقال من بحر السلسلة
 في خدك خال بسبي التيم والخال
 والخصر بسيل بين نيك والخال
 يا عاذل ذر عنك الملامة والخال
 عوذته وفل الله اكبر من خال
 كم حبة قلب مغرم قد سرقا
 قدمته ظا وما لتغرك ورد
 بل مت جوى وما لحسك نذ
 من طرفك نرجس وخذك ورد
 ولذلك يفوح ان بدوت الند
 فانطق ليقال بدر تم نطقا
 وقال مداعباً احد الاصدقاء وقد التى
 وفيه نصيب المثل السائر
 جرى الماء ماء الحسن في روض وجهه
 ليس في نصير الورد في صفحة الحد
 فقال مع الورد العذار نصيبه
 كذلك يسقى الشوك في حجة الورد
 وقال
 قلت للماء وهو في ثغري
 منك ارجو الله يا ماء وردي
 قال ان كنت ذا ضنى هاك خدي
 يا معني فائق ماء ورد
 ومثله
 قلت للثغر قد ظئت اشتياقاً
 فاشف قلبي فنك يا ماء وردي

دور

وعلى طرف البها لما استوى
رمت الاسياف ابطال المقل
يا خليلي كل من لام غوى
في هوى الاهيف من افنى الخيل
لانسئل عن شرح حالي في الهوى
في الهوى عن شرح حالي لانسئل
نصيب الحسن لديه علما
حولة العشاق مثل المحرض
فارتدى بالعجب لما علما
انه سلطان تلك الانفس
ولة قطعة من موشحة مفقودة
رسول وجدي وانت قصدي
ان رحمت تشدق في الحى ليلا
بلغ سلاما لمن سلا من
روى الهوى عن مجنون ليلي
ولة قطعة من قصبة
نزع المشوق لمربع الفيحاء
وصبا لروضة حسنة الغناء
ونثل الرمم النفور مغارلا
بالانس فيه غزاة الاحياء
هيفاء قد عذر العذول عيها
لما بدت كالبدور في الظلماء
جلبت لنا بدقائق الاعطاف تح
مت رقائيق الاوصاف تحت قباء
كالورد بين شقائق النعمان تح
مت سراقق النعمان تحت لواء
بيضاء اما خدها فمضرج
بلحاظ اهل العشق والرقباء

رقت لنا فتأثرت في خدها
وعلته منهم حنة استحياء
وبجدها في الحالتين نضارة
تحكي شعاع الشمس فوق الماء
وقال وقد اقترحت بعضهن عليه
ان يصنها وصديقة لها مرتجلا
واذا الفريض اردت وصفكما به
لم يدرك ابكما بحسن تفضل
ما فيكما غيب يشين وانه
كل باعيت عاشقيه اجمل
وقال واصفا امواج البحر من ابيات كثيرة
تدحرجت الامواج تدرى كأنها
جيوش سعت للفنك والفائد الريح
تصادم ابطال الصخور وتنشئ
دمدمة تشكو العنا وتصح
تلوح اذا هاج الرغاة دروعها
لها خندق يرض تحاذرها الروح
وقال مخبسا
هو الغرام وفيه الصبر قد فرضا
فكن له غرضا ان رمت غرضا
وقل لمن سامني فيما مضى وقضى
للعاشقين باحكام الغرام رضى
فلا تكن يافتي بالعدل معترضا
ان مسني كل يوم في الهوى مضى
ونالني حرق من دونه الرضى
أقل وليس لقلبي منهم عوض
روحي الفداء لاحبابي وان تقضوا
عهد الحب الذي للعهد ما نقضا
يا من يلوم بهم قد قلت الخيل
الغصن مثلهم من شأنه الميل

حما حماه فلو ارسلت من شفني
مع النسيم كتاب الشوق لا يصل
وبي من الوجد داء لا دواء له
فليس ينفعني كتب ولا رسل
وقال مؤرخاً لحكاية حال
لما تجدد عهد ودك بيننا
من بعد ما في الليل طلقت السنة
اصبحت في نار يخه بك ناشداً
عهد المحبة ثم في رأس السنة
سنة ١٨٧٥

وقال يرثي صديقه الفقيد الفاضل
منويل فيليبيدس
على القلب ماء العين ينهل ساجه
وما برحت نار المصاب تلازمه
تعزبه احوال الزمان فيلتي
جيوشاً من الاهوال منه تصادمه
يرى ان في الدنيا زحاما فيرتجي
مكائاً يو لا يلتقي من يزاحمه
يرى حيواناً يأكل الثبت رابضاً
عليه ومنه الثبت صارت مطاعمه
وياني نباتاً نامياً متغذياً
بجثة حيوان مضى وهو لاقبه
وذاك هو الدور العجيب نظامه
وجوداً وحفظاً جل من هو ناظمه
فما حزن الانسان الا بمجاذب
من الطبع قد لا يستطيع بقاومه
وما هو الا الفة مدينة
وحب اجتماع كيف مال يلازمه
وما اجتمع الانسان الا ليقتني
جموعاً من الوحش النفور تهاجمه

فان تكن جاهلاً للحب يا رجل
قف واسمع سيرة الصب الذي قتلوا
فراح في حبهم لم يبالغ الغرض
روى له الناس عنهم بعض ما سمعوا
فراح يسأل لقيامهم فما منعوا
حتى اذا زاد في افكاره الطمع
رأى فحسب فرام الوصل فامتنعوا
فسام صبراً فاعيا نبيله ففضى
وقال مشطراً
قوم حفظت لهم عهدي فما حفظوا
ودّي ودينار حي عنهم صرفوا
لنجرت وعدي لهم لكنهم نكثوا
عهدي وما انصفوني مثلاً انتصفوا
آسئهم نفروا اوفينهم عذروا
سألهم اسروا ادنينهم صرفوا
استهم حذروا اوردتهم صدروا
قلت اعطفوا هجروا رمت اللفا انصرفوا
وقال من قصيدة
صادت فؤادي بلحظ ناله الكلال
غزاله في سواها يحرم الغزل
رنت غزلاً وماست بانه وبدت
شمساً بنور سناها تبهير المقل
يا قاطع اليد بطويها على عجل
الى حماه لقصد دونه الاجل
حاذر فني الحي من ارامو نفر
نحوي المنية منهم اعيت نجل
وتم ابطال حسن من قيلتهم
تخشى الاسود فتاهم قبل يفصل
كالبدران سفروا والفصن ان خطرنا
والظبي ان نفروا والليث ان حملنا

فكان عيالاً ثم صار قبائلاً
برد وحوشاً في الفلاة تقاومه
وزاد اثلاً صار فيه كواحد
فنه لسه خير ومنه مائه
وعاش على حبّ الاخاء مرجياً
دواماً لما لا يرتجى قط دأبه
وهي طويلة فقدت الا هذه الايات

وقال

هو العلم حتى يدرك المرء غامضاً
ولا يخشى فيما يقول معارضا
وما الشعر الا شاغل عن نواله
فهذا قريض بات العلم قارضا
نسود قرطاساً بوصف وصيفة
ونعلق ذاحسن ونعشق عارضا
وقد صرفت افكارنا نحو صرفنا
وفي الخوبات الوقت والذهن غائضا
فذا ناصب منا بخالف رافعا
وذا جازم منا يغابر خافضا
سفاسف اقوال تقادم عهدها
ولم تبد مستورا ولم تبيل غامضا
ملأنا بها الارواق وهي فوارغ
من النفع الا بارق مرر واهضا
كما قبض الدينار في النوم حالم
واصبح لم يلق الذي كان قابضا
وقال ناظراً هذه الاغلوطة السفسطائية
تركب الجسم سطوح وهي من
تألف المخطوط من غير شطط
والخط منها ركبته نقط
فالسطح اخطاط وهذي من نقط

وعندنا النقطة لا شكل لها
وهية لا تدخل التعيين قط
كذلك الوهي يدي مثله
فالخط والسطح على هذا النمط
وهكذا جسمونا اضافة
موجودة في عالم الوهم فقط
وقال طيب الله ثراه

لزم الصدود فابن الوعود
وابن عهود الليالي الأول
وعند اليمن لعقد اليمن
يحفظ الوداد ورفض البذل
حشت واخلفت هذا وذاك
وملت وطبع الغصون الميل
واخلفت قلبي اسيفاً عسيفاً
قوي العناء ضعيف الامل
فان مت فيك فليست اقول
خذوا قودي من اسير الكلال
فحسب القليل من العاشقين
بسم الغرام رضا من قتل

وقال

بخطابنا الزمان بلا لسان
ولا كذب لدي ولا مرأه
يقول اذا الم بكم بلائي
فلا يبقى الوداد ولا الاخاء
وما الدنيا سوى اضغاث حلم
فان جادت وان بخلت سواء
دفعنا عنها بالياس حتى
نساوي البوس عندي والهناء

وقال بعنوان

رثاء ورجاء

وهي قصيدة طويلة نظمتها بعد حوادث عام ٨٢ في وصف تلك الحوادث ثم رفعها الى دولابو شريف باشا معرضاً فيها. يذكر بعض احوال خصوصية وقد اثبتناها في الجزء الخامس من تاريخ مصر للمصريين حاذفين فيه ما لا يلائم منها مقام التاريخ

عج لي على تلك الطلول وناد

اني تحمل اهل هذا النادي

هل صادم شرك الرذي فأبادهم

صرف انساخ على ثوب وعاد

ام غادروا الاوطار في اوطانهم

مذ حاذروا غدر الزمان العادي

وسل الرسوم وان غفت عنهم وما

فعلوا قيل رحيلهم بفوقادي

خلقت في حيم ميتاً فهل

احياه ام حياه اهل ودادي

ام حموه رديف صبري والمني

وتجلد في وتعلي ورقاديه

ام غادروه رفيق وجدي والضني

ونلهي وتذلي وسهادي

يا وارد الاسكندرية طامعاً

بمنافع الاصدار والابرار

أفصورها خفيت عن الانظار ام

آثار لنصر في القفار بواد

ام تدمر قد دمرت وعمورة

ما عبرت ام دار ذي الاوتاد

هذه عروس الشرق ماتت فاكتسى

حزناً عليها الغرب ثوب حداد

بالامس كانت والبياض دثارها

واليوم صارت أرساً بسواد

كانت ملاذ الخائفين فأصبحت

والخوف منها مبعث القصاد

كانت موارد للظاء وقد غدت

ما أن بها من مورد للصادي

كانت مراعي نعمة فغدت وما

فيها سوى البأساء للمرناد

كانت وكان الدهر يسعد أهلها

فاصابها بالاهل والاسعاد

كانت وكما لا ينم حسودنا

صارت وصرنا راحة الحساد

كانت وما تخشى بوادر ضدها

فغدت ترجي رحمة الاضداد

قامت على اقوى العماد تزين ما

تحت التي رفعت بغير عماد

فأبادها جهل خفي ما بدا

مثل له من حاضر اوباد

جهل الذي رام الاماني وهي في

قم الجبال وكان دون الوادي

وعدا وما افي الثعالب عمره

يبغي انتقام عرائن الاساد

وسعى الى الشورى ولكن خالها

لما تمهك بزقع استبداد

وعلى المساواة ابني هدم الهنا

لما تساوى حزبه بفساد

وقد ادعى في عسفه حرية

يا من رأى حرية استعباد

والى الاخاء دعا قتال بفعله

من قومو ما لم يناله العادي

شقيت بزلته الجموع وظالما
 أشقت جموعاً زلة الافراد
 وتلاه في سبل الغواية معشر
 زلوا وضلوا حيث ضل الهادي
 غرسوا الجنابة في الجنون فاجنوا
 ما جنوه غير شوك قتاد
 وسعوا فساداً في البلاد كأنهم
 والحادثات أتوا على ميعاد
 خلعوا الشعار المستعار من الحيا
 فتفصلوا عاراً الى الآباد
 وتخللوا أن الطريق خلت لهم
 فسعوا فكان العدل بالمرصاد
 فاتاهم رعد المدافع مبرقاً
 فنبوا عن الابراق والارعاد
 وسطوا على المستأمنين خيانة
 لم تشف منهم غلة الاحقاد
 ورموا بنارهم الديار وبددوا
 ما استجمعت من طارف وتلاد
 نكرو عرفنا منه ان لبغضهم
 بز اللصوص وبزة الاجناد
 ونقيصة يسعى بها ابناءهم
 لمقابر الآباء والاجداد
 أسفاً على تلك النصور فانها
 كانت منى الوراد والرواد
 أسفاً على من قاده استئانة
 للفاتكين ولم يجد من فاد
 أسفاً على قوم أتاها فجأة
 صوت المنادي بالبلاء بنادي
 فسارعوا طلب النجاة من الردى
 بنفوسهم والاهل والاولاد

يا هولاء من ساعة مرت بما
 زهقت به الارواح م الاجساد
 كم حامل خرجت بها مصولة
 فوق الكواهل او على الاعواد
 ومصونة نفساً نقول لصحبها
 يا ليتني قد مت قبل ولادي
 لظنت باثار الولاد وما درت
 جسداً تضحى قبله يحساد
 ومباأء يدميه لمس حرير
 طفل قريب العهد بالميلاد
 ومعمّر لم يبق في الدنيا له
 غير السكينة من منى ومراد
 ومريض قوم غاب عنه طيبة
 وجناه أنس الاهل والعواد
 خرجوا وهم لا يهتدون سبيلهم
 والنائبات روائح وعود
 ودموعهم والنار في احشائهم
 حلت محل مزادهم والزاد
 فكأنهم ابل بدوي نالها
 ألم السغوب وحاد عنها الحادي
 تعلقو وتمبط جانحات لا ترى
 من بلغت في انجده ووهاد
 او انهم قصدوا الصبح فجاءهم
 في فجأة منهم طريد طراد
 شهد الوبال ولم يجد من منجده
 فأغذ في الاتهام والانجاد
 فتفرقوا والهول مل قلوبهم
 يقتادهم زمراً بغير قياد
 او أنهم اهل القبور تيقظوا
 سحراً تنفخ الصور بعد رقاد

أما وقد وليّ الشريف أمورها
 فلها بحول الله خير معاد
 مولى له في النفع رغبة طامع
 وعن المضرة عنقه الزهاد
 وهو الذي يجنبنا ليوم كريمة
 وسداد تغري من طريق سداد
 وإذا بدا في ليل خطب رأيه
 أزرى بنور الكوكب الوقاد
 يا حائر المجد الرفيع وجامع ال
 فضل الصديق وواحد الآحاد
 يا جالب النعم العظام ودافع ال
 نقم الجسام ومؤيل النصاد
 حاشاك أن تبقى على اغلوطة
 يسعى اليك بزورها حسادي
 فلانت من دون البرية مؤيلي
 ولأنت من دون الأنام عنادي
 ما خلت اذك قاطمي بسعاية
 للكاذبين ضعيفة الاسناد
 حتى رأيتك معرضاً متغاضباً
 عني وانت ذخيري وعمادي
 أفدحت للساعين في زنادهم
 فاستأسدوا ورجوا خبوء زنادي
 فاذا رأوني في جنبك أصلدوا
 وامنت فيه خجلة الاصلاد
 بيضت بالنعاء ايامي وما
 حالت فاصيغ عرفها بسواد
 وبلوتني قرأيت مني صادقاً
 ما شاب ورد صلاحه بفساد
 وحميتني والبنائبات مله
 ونصرت ضعفي والزمان معاد

نشرها عراة واجنيت فيومهم
 يوم المعاد أتى بلا معاد
 والنار موقدة سرت من خلفهم
 فكأنها حيات بطن الوادي
 والجند شردم قتال عدوهم
 فرقا فلم يجادلوا لجلاد
 ونضوا على اهل السيل بوتراً
 في الحرب ما نصبت من الاغاد
 قد حذرت شفراتها لمتنها
 كانت على الاعداء غير حداد
 وارب عاد منهم في رعدة
 ما أن ألم بضائد الرعاد
 سكنت فرائصه على نهب الحمى
 من قبل نسكن رعدة الصياد
 ومرأس حث الجواد وخلفه
 ما حياه النهب حمل جواد
 عدم الرباط فشدته بجواده
 واتى معسكره بغير نجاد
 فهم اللصوص وإن هم قد اوهوا
 أن ليس ما ارتكبه غير جهاد
 وبلادهم قد نالها من عارهم
 ما لم يحن في عهدنا ببلاد
 عيبت فلولا السابقون ومجدهم
 وبقاء من ولدوا من الامجاد
 ونؤيد ملك امير عادل
 أرني بمفرده على الاعداد
 وعصاة كانت فلاند فضلم
 أبهى من الاطواق في الاجياد
 لم تلق في مصر ومصر عزيزة
 من قائل هذه البلاد بلادي

مختارات اقواله من جريدة مصر

التي انشأها في المحررة عام ١٨٧٧

ثم نقلت ادارتها الى الاسكندرية

كتب رحمه الله أثناء الحرب التي شبت

نارها بين العثمانيين والروس فقال بعنوان

الملك والرعية

الملك اما استبدادي او شوروي والشورى

اما جمهورية او ملكية وهذه مراتب الملك منذ

كان القانون ووجب حفظه وخرج عن هذه المراتب

الحكومة الفوضى ان صحت تسمية الفوضى بحكومة

وما كل ملك بلاغ لكل قطر وما كل

قطر بصالح لكل ملك فالجمهورية لا تصلح

للصين كما لا تصلح الملكية الاستبدادية لانكلتة

فان تلك هي حكومة الشعب بالشعب لا يحسن

ان تكون في قوم تولاها الجهل وهذه هي حكومة

الشعب بواحد منه لا يصلح ان تكون في قوم بلغوا

من التقدم والمعرفة غاية نبيلة وان كانت فلا

تلبك ان تنقلب شر منقلب كما جرى للحكومة

لوبيس السادس عشر وشارل العاشر ونابوليون

الثالث في فرنسا فان حكومات هؤلاء الملوك

وان سميت بالشوروية ظاهراً فقد كانت

استبدادية باطناً وذلك مادعا الى نقضها وثل عروشها

ومعلوم ان مصلحة الملك متعلقة بمصلحة

الملكية فلا بد للملك الحريص على مصلحة نفسه

ان يحرص على مصلحة بلاده لان عمراتها يقضي

برفعة شأنه وتوطيد ملكه والعكس بالعكس

وعمران البلاد ينشأ عن حسن قانونها والعدل

في انفاذه وهذا وذاك متعلقان بالحكومة فهي

التي اذا أرادت عمران بلادها جعلت لها قانوناً

وظهرت فيك بكل مدح صادق

صرفه وما جري كمين رماد

لا تقبل الحسنات سخياً فتي

وسواي بأكلهم أكل جراد

وقد اعتذرت وما وراء تنصلي

في القلب غير امانتي ووداد

فاذا صفوت فذاك غاية مقصدي

واذا رضيت فذاك كل مرادي

يا صبح كل مؤمل يا نوح كل (م)

نوسل يا مورد الامداد

اولاك ما احببت لي ضارباً

في الشعر بالاسباب والافراد

وصناً لما يجرب الدهوع افله

ويقل فيه تفتت الاكباد

فلقد هجرت الشعر لما ان رمي

ضعف السابقة سوقه بكساد

واستامه من ليس يفرق بين ما

ينفي وما يبقى على الانشاد

لكن رأيتك بانصيري جامعاً

نقد البصير ودقة النقاد

فنظمتهم نظم الفرائد مثلاً

نظمت ادبك فلائد الافراد

ورأيت حسادي عليك قد افترقا

في جاني ما لم يكن من عادي

زعموا بان سربرقي قد كدرت

فلن يصافي بالجميل نصادي

فبعثت صافي الشعر يثبت صفوها

ولو استطعت جعلت فيه فؤادي

صمم

في مخاطبة مولانا السلطان الاعظم للعساكر المرافضة التي عرضت عليه حيث قال (لقد ملأ قلبي سروراً ما رأيت من اهتمامكم وانتظامكم وارجو ان يكون لكم مثل ذلك بعد الحرب حيث اجراء الاصلاح) واصرح من هذا ما حكاه مكاتب (الدالي تلغراف) حظي بمقابلة مولانا حفظه الله فلاحظه بكلام شف عن حسن النية ودل على نبالة القصد وقد رأينا ان نعرب كلام هذا المكاتب مشرفين هذه المقالة بتعريب ذلك النطق اثره قال المكاتب ما مفاده

تمكنت من اجتناب خ لوط الروس الى صرفيا ومنها قصدت الاستانة فبلغتها واستأذنت في الدخول على السلطان الاعظم فاذن لي فرفعت اليه ما عاينته من شجاعة العساكر العثمانية ورئيسهم في بليغنا فسر بذلك وانسني كثيراً ولاطمني بالمحادثة ثلاث ساعات متواليات فاذهلني رأيت من الدعة في سلطان امة عظيمة منتصرة وادهشني قوله كلما ادى الكلام الى ذكر الانتصار ما النصر الا من عند الله وما توفيقي الا بالله وقد خلا كلامه بجملة عن كل ما يشف عن الكبرياء او ما يدل على الحقد واني ناقل منه ما يأتي . قال مولانا . جاءني اللورد ساسبوري قبل الحرب بلائحة تتضمن صنوف الاهوال التي تتعرض لها الدولة العثمانية برفضها قرار المؤتمر فاجبتك الملك يا عزيزي لم تجمل الله مقاماً في لائحتك ولم تفتكر في انتقامه للعثمانيين على حين بؤسهم واقد كان لساني حينئذ يترجم عن قلبي فاني كنت على يقين من حسن ظني بالله وتوكلي عليه

وقد جاءت الحوادث بما اثبت لي الاصابة

بلائها واقامت على انفاذه قوتاً لا تأخذهم في الحق لومة لائم ومن الحكومات من تراعي ذلك فتجربه ابتاراً لمصلحة بلادها وحرصاً عليها ومنها من تمتنع عنه فتسكره عليه ومثال هذه حكومة انكلترة وفرنسا واسبانيا ومثال تلك حكومة الدولة العلية والحكومة الخديوية فانها ايدها الله قد جعلنا حكومتها : وروية ولا حامل لها على ذلك الا الرغبة في عمران البلاد واحياء العباد شأن الحكومة الحكيمة من قبلها ومن بعدها وليس الشورى في الحكومة او الحكومة بالشورى بدعة جديدة فان شواهد النقل مؤيدة بدلائل العقل تثبت قدمها فمن ذلك التواريخ على علائها وقوانين الامم على اختلاف عاداتهم ومشاريعهم وكتب الشرائع واقتوال الشارعين العظام وفي (وشاوروهم بالامر) نعم الدليل

ولقد عرف الناس الان شرور الاستبداد وترفعت نفوسهم بالعلم عن الرضى به وصار الامر شورى عند جميع الدول المتقدمة الا الروسية وذلك ان صحت تسمية الدولة المستبدة مطلقاً بدولة متقدمة

ولم يكف الروسية بقاؤها مستبدة على حين تتحول سائر الدول الى الشورى حتى كانت سبباً في توقيف غيرها عن ذلك القصد النيل فانها قد منعت الدولة العثمانية حيناً عن انجاز ما شرعت فيه من اصلاح داخلتها وتنظيم شوراها بهذه الحرب العنيفة التي دعا اليها الغرور على ان الدولة العثمانية لم تكن لينعها من ذلك مانع فانها لم تهمل ذلك الشأن مع اهتمامها بالدفاع عن وطنها ولم تغفل عنه ساعة مع انها كما في نازلها المهمة وحسبنا على ذلك دليلاً ما رأينا

على اتي مع التوكل على الله كثير العناية بامري
شديد الاهتمام به ولا اغفل عنه ساعة
وازل ما في نيتي اجراؤه بعد ابرام الصلح
تنظيم المالية لوفاء الدين واصلاح حال الزراعة
وغيرها من اسباب العمران وغاية ما ارجوه ان
ارى حكومة الدولة العثمانية حكيمة شورية والله
اسأل ان يوهاني لصنع الخير في قومي ويجمع
على محبتي قلوبهم ويعينني على ان اقيم في بلادي
بعد هذه الحرب الظلمية حكومة جيدة تضمن لها
مستقبلاً حسناً

فكيف لا تجتمع قلوب الرعية على ولائه
ولا ينتظرون تحت لوائه وهو بعدم بما لم تقدم
به الاماني من جعل حكومتهم شوروية حكيمة
لا تأخذ بالوجوه وتصرف عنايتها الى اصلاح
شأنهم باستخراج المعادن من ارضهم المهملة وصيانة
اراضهم الصالحة للازدراع من افساد المعتدين
وجلب الصناعات ونشر العلوم وكيف لا تحب
سلطانها امة كالعثمانيين رأت في الكثير من
سلطينها المتقدمين كبراً وانفراداً حين ترى فيو
من الدعة ولين الجانب ما ادش الاوربيين
فضلاً عن الشرقيين ودعاهم الى الثناء عليه

فهذه الصفات مضمومة الى ما تقدم ذكره
من حسن النية ونائلة القصد ايدت ثقة الامة
بسلطانها وجددت قديم همتها وسابق فتوتها
واحييت في قلوبها حب الوطن بعد موته فبادرت
الى بذل النفوس وكل نفيس لتدراً عنه من
رامه بشرّ ولقد وهم من حسب هذه الغيرة محض
تعصب للدين فان العثمانيين جميعاً على اختلاف
مذاهبهم ومراتبهم قد جادوا بالارواح والاموال
للدفاع عن وطنهم ولو صح بما قيل من انهم فعلوا

ذلك تعصباً للدين وحده لما قام به غير فئة
منهم فان قيل ان الجائدين بالارواح مكرهون
على ذلك بالفرقة العسكرية والجائدين بالاموال
مكرهون عليه بالفرض المنحوم قلنا فابن المتطوعة
الذين تسارعوا الى الانتظام تحت اللواء العثماني
قادمين من جهات شتى وأبن الاعلانات المرسله
من كل ناحية ليستعان بها على تنقذات الحرب
بل ابن جمعية الصليب الاحمر في ضمن الملل
الاحمر التي انشئت في ازبهر لجمع المتطوعة
والاعانات فجمع فيها من اولئك عدد غفير ومن
هذه شي كثير بل ابن متطوعة الارمن والروم
وغيرهم من العثمانيين أكان تطوعهم في الجندية
العثمانية تعصباً للدين ام اكرهوا عليه لعمرى انهم
لم يكرهوا وما كانوا بمتعصبين وانما هي غيرة وطنية
تجددت فيهم بما رأوه من حسن مقاصد حكومتهم
على اننا لا ننكر ما حاجته هذه الحرب من عواصف
التعصب في افكار بعض الناس ولا سيما الجاهلين
غير ان جاهلنا قد تعود الانقياد للعاقل بخلاف
جاهل بعض الاجيال فانه مع جهله شديد
النسك برأيه ولذلك لا يتعذر على العاقلين
منا ان يزيلوا آثار التعصب من افكار الجاهلين
فتكون جميعاً امة واحدة لا تتعصب الا لوطنها
ولا تطلب الا صيانتة وتنقش على صفحات قلوبها
(فلنحي الامة) (فليحي الوطن)

وكتب رحمه الله في الحرب
وجرحاها واعانتهم فقال
الحرب

عرف الانسان مضار الحرب ولم يتبينها فهل
تلك طبيعة وجدت في كيانه الحيواني ام عادة

الحرب أول ما تكون فتية
 تسعى بزيتها لكل جهول
 حتى اذا حيت وشب شرارها
 عادت عجوزاً غير ذات حليل
 شبطاء جزت رأسها وتنكرت
 مكروهة للثم والتفيل
 جرحي الحرب

في معترك اومضت فيه بروق المرهفات
 ولعلعت رعود المدافع فتلقها غيوث الكرات
 وسكرت السيوف بنهر من الدم فعربدت في
 الرؤوس وعقد العنبر لملك الموت سر دق مطبئة
 باننا والحبل ساغبة نقبل ثقالاً وتعود خفافاً
 وكأنتها وقد اعياما الفارس حماً قد غضبت على
 الانسان فداست هامة انتقاماً وقد استमित
 الشمس من خشونة الانسان فاحتجبت بحجاب
 الضباب وتلملت الارض من اعماله فزلزلت
 زلازلها وكادت تخرج اثقالها فارتعد الرعيد
 وثبت الصنديد ونادى منادي الحرب من فر
 من الموت في الموت وقع ومن كان ينوي اهله
 فلا رجوع . طريق على الارض جريح ذوكبد
 حرى يستجير باحدى يديه وفوق السكبد الاخرى
 يذكر خاليلة او خاليلة المة مراقها مع أمل الرجوع
 لنا الظن به وقد اخفى نور ذلك الامل والدة
 تألمت به جنيئاً وارضعت طفلاً وربته يافعاً وسهرت
 عليه حائماً والدائسا في كآبته وسلاه في
 حزنه وتوجع له في مصابه ثم تعجل له الدنيا برخرها
 وزيتها فيرى مرير عذابها حلوا وكدر مشاربها
 صفواً فهذا هو الانسان المجرى سلاح الانسان
 المطلوبة مساعدته من الانسان

تمكنت فيه بالاستمرار فصارت ملكة بتعذر
 التخلص منها وهي مسألة تؤدي الى النظر في
 هل طبع على الخير او الشر او كان من عجائبه
 ان اجتمع فيه التقيضان
 يجني على نفسه الحرب وهي بلية حتى اذا
 بلغت منه مبلغها بادر الى تخفيف مضارها فنه
 الداء والدواء والسلم والدرياق وهو بالجملة ابو
 العجب أما تراه قد فتح في القرن التاسع عشر
 سوق حرب راجت فيها النفوس ولم يكن سببها
 السباق ولا البسوس وإنما هي ثمرة الهوى ونتيجة
 الغرور فلما انشبت فيه اظفارها واضرمت في
 حماه نارها طلب الماء لاطفاء اللهب فهو الهادم
 والبالى والزارع والجاني
 يميل على ابن نوعه مقاتلاً ثم يدعو الى
 اعاقته فهو يميل الداء ويطلب الدواء ويخرج
 بالبين ويضمد باليسار او ما تراه في جنوبي
 البلقان وفي اسيا الصغرى مضرماً نيران البلاء
 وفي سائر الارض طالبا اخمادها
 فلو رأيته وهو في ساحة القتال يطلب
 قرناً بصاولة وخصماً بطاولة وفارساً ينازله وبطلاً
 يقاومه لانكرته وهو في ديار السلم يتألم ذا مروءة
 يساعد من جرحه وينهض من طرحه فهو في
 الجهة ينادي الانسانية الانسانية وما ادراك ما
 هيه صفة تقوم بمن ضعف فيه الميل الحيواني
 فقوي الميل الانساني وهو الترفع عن الحاجات
 الحيوانية الى المطالب العقلية وتجريد النفس عن
 دئ شهواتها لرفعها الى سامي غاياتها وفي جهة
 ينادي الحرب الحرب وما ادراك ما الحرب هي
 باعث الهول والكرب اولها شكوى وارسطها
 نجوى واخرها بلوى او هي كما قيل فيها

اعانة الجرحى

من يسير ما تنفق على الملاذ في المطاعم والمشارب ومن قليل ما تصرفه في اقتناء الملابس الفاخرة جد على ابن جنسك الساقط في ساحة البلاء حيث ينكر الاخ اخاه والابن اباه... المعطر ارادته المخاخر اخوانه المنجيب بلباسه الجائر على ناسه الراكب العربية يفودها زوج من الخيل العناق الساكن القصر المشيد اللابس الحرير الآكل الفالوذج الشارب انواع الراح ومن قليل ما تنفقين على باطل الزينة وزائل التحسين وترر ما تبذلين في اقتناء الحلى والحلل ايها المخاخرة بزيئها المنافسة في حللها جودي لجرج مجارب عنك وبمسي حماك وابسطي يدك البيضاء بالعطية البيضاء واحسني وانت حسناء فخير الحسن ما كان مع الاحسان وخير الاحسان ما كان في اعانة الانسان

وله في

الامة والوطن

الامة الجبل من كل حي ومن الرجل قومه وفي عرف اهل السياسة الجماعة المتجنسة جنساً واحداً الخاضعة لقانون واحد وليس المراد بوحدة الجنس التوفيق بين الانساب لتعذر ذلك في كثير منها ولما طرأ على انساب الناس ولا سيما الحضرة من المناسد الكثيرة ناشئة عن تخالط الاقوام مختلفة انسابهم وتوالي الحروب والغارات ونوطن بعض الفاتحين فتوحهم وتزوجهم في اهلها الى غير ذلك ما جهلت به الانساب وخفيت به الاحساب الا ما حفظ بمناعة اهل

عن ان يدانهم فاتح غريب وهو قليل لا يقاس عليه وإنما المراد بوحدة الجنس اتفاق الجماعة على الاعتزاء الى جنس واحد يتوالدون فيه ويتسمون به كالجنس الاميركاني لسكان الولايات المتحدة الاميركية سواء كانوا انكليزاً او فرنسيين او اسبانيين او اميركانيين اصلاً والعثماني لسكان البلاد العثمانية في اوربا واسيا سواء كانوا تركاً او عرباً او تترأ اصلاً والاوستري لسكان سلطنة اوستريا سواء كانوا الملماً او صفالية او ايطاليين اصلاً وهلم جرا

وقد زعم بعض الناس ان من لوازم وحدة الامة وحدة لغتها وهو وهم لانه اما ان يراد بذلك الاستدلال باللغة على الجنس اولاً فان كان الاول فهو فاسد لانه قد يلد الانسان بين قوم ويثبت فيهم فيتكلم بلغتهم وهو بعيد عنهم نسباً ولان ما ذكرنا من تخالط الاقوام واغتراب الناطقين قد احدث في لغات كثير من جماعات الناس فساداً بحيث صارت مزيجاً يعجز ابرع الكياريين عن تحليله كما في لغة اهل مالطة مثلاً فامتنع بذلك الاستدلال باللغة على الجنس وان كان الثاني فهو من قبيل ايجاب ما ليس بواجب ولو اقتصر اهل هذا الرأي على استحسان وحدة اللغة في الامة لاحسنوا

فقد ثبت بما ذكر ان الامة هي الجماعة من الناس تنسب جنساً واحداً اي تنسب بسمة واحدة على اختلاف اصولها ولغاتها وتعارف باسم تنسب اليه وتدافع عنه

اما الوطن فهو المسكن يقيم به الانسان وفي عرفهم البلاد يتوطنها سواد الامة الاعظم ويتوالدون فيها ولا يشترط فيه مساحة معاومة

المتكلم على غير قياس وفي عرفهم إثارة الانسان نفسه بما يراه خيراً سواء جنى بذلك على غيره خيراً أم شراً وليس في حب الوطن أو الامة شيء من ذلك كما نرى

أما وجه كونها فضيلة أي درجة رفيعة في الفضل فهو لانها بقضيان على صاحبها بخدمة الارض التي يغتذي بخيراتها والانسانية التي جعلته في جماعة من نوعه يعينونه على استئصال حاجاته ويدفعون عنه اذى سائر الانواع ولعلك لا ترضى بهذا تعليلاً فنقول ان خدمة الانسانية والارض لا ينبغي ان تنحصر في جماعة من الانسان او في جهة من الارض وإنما يجب ان تكون عامة فيها والجواب انه لما رأى الانسان من نفسه عجزاً عن القيام بجميع حاجاته الطبيعية ودفع اذى سائر الحيوان تألف جماعة تفرقت فيها تلك الحاجات فصارت ازارعاً وهذا اصداً وذاك طاحناً وذاك عاجناً والاخر خابزاً وهلم جراً وكل منهم في شأنه ساع فلما كبرت هذه الجماعة عن ان يسعها قسم واحد من الارض تفرقت فيها فصارت جماعات متصلة بعضها عن بعض حساً مع تواصلها بالتنوع واقبلت كل جماعة منها على الاشتغال في الارض التي اختارها مقاماً استحصلاً لحاجاتها واخذ كل من اهلها في الاشتغال بما ارتضاه لنفسه من الصناعات ليعين بصنوعه رفيقه مستعيناً بما يصنعه ذلك الرفيق ولو حاول الانسان الاشتغال في جميع الارضين بجميع المهن والمشاغل لفني عمره ولم يأت بفائدة تامة بخلاف ما اذا اقتصر على الاشتغال بمهنة في جماعته اذ تيسر له اسباب الاعانة والاستعانة فتحصل الفائدة التامة في

بدرجات معينة او اقليم واحد بتقوم معروفة وإنما تعريفه ما ذكر من نوطن معظم الامة به وقد يضاف الى الوطن بلاد لم تكن منه وهي اما ان تكون فتوحاً ضمت اليه عنوة واما ان تنضم اليه برضا اهلها فان كان الاول فاما ان يكون ضمها قديم العهد وتكون معاملة حكومة الوطن لها معاملتها لسائر اهلها فنثبت الملكية واما ان لا تكون هذه ولا ذاك فلا تثبت وان كان فلا مشاحة في صحة الانضمام

وقد اختلف في سبب حب الوطن ف قيل ان السبب فيه الالفة فان الانسان اذا ألف شيئاً احبه واجيب بأنه قد يخرج الانسان من وطنه صغيراً فنبت في آخر ولا ينسى مع ذلك حب وطنه وقيل ان حب السكان يورث حب المكان كما قيل

وما حب الديار بهج وجدي

ولكن حب من سكن الديارا واجيب بانه قد يتقبل الانسان عن وطنه معظم اهلها واصدقائه ولا ينفك موثقاً وطه بالحب وعندنا ان بقاء الاضافة في قولي وطني هي السبب في حبي لوطني كما ان بقاء النسبة في قولنا فرنسوي هي السبب في حب الفرنسي قولنا فرنسوي . فله من يامين بقاء نسبة وبقاء اضافة يدعون الى فضيلتين حب الامة وحب الوطن

واقائل انك قد جعلت مصدر حب الوطن والامة الانانية (حب الذات) وهي نقیصة فكيف صح في قياسك مدور الفضيلة عن نقيضها وجوابه ان الفضيلة هي الدرجة الرفيعة في الفضل والفضل ضد النقص اما الانانية فهي نسبة لضمير

الجماعة وينتهي ذلك الى حصولها في النوع لما بين
الجماعات من علاقات الانسانية وهذا وجه
التفضيلة في حب الامة وحب الوطن فليبرهن
اسمها على صفحات كل قلب وليلهجن بذكرها
لسان كل انسان فانما المرء باعصر به القلب واللسان

وله في

حركة الافكار

ارى خلل الرماد وميض نار

وبوشك ان يكون لها ضرام

بل هي شعلة اصلاح كانت في كيون الدهر
في عالم الضياء والنور فساقته يد الحكمة بمعدات
المحركة الى عالم الظهور وسرت في اوربا من
جانب الغرب الاقصى وكمنت في ما وراء المانش
اياماً واعواماً متنقلة من صورة الى صورة ومن
كيفية الى كيفية حتى اعدت لها طريق البروز
فظهر ضرامها بعد الخفاء وانبعثت منها جرائم
الضياء فغيرت هيئة الارض وحانة الناس وطهرت
ذلك الجانب من الارجاس : تلك ثورة الفرنسيين :
برزت الى عالم الفعل عام ١٧٩٦ وصدت
قوة الاستبداد فزلزلتها ودفعته سطاوة التقليد
فضعفتها ورفعت عن العيون نقابها وعن
النفوس حجابها فانست من جانبيها نور الحرية
وخلعت جلايب الرق والعبودية واجتمعت
على ولائها وتألبت تحت لوائها لتدفع عنها من
رام اطام نورها وانساد امورها فتصدى لها اعوان
الرق وانصار العبودية وما آلا في قتالها جهداً
فلقيهم وهي ترى الموت في الحرية حياة والحياة
في الرق موتاً فلم يبلغوا منها قصداً ورسمت في عالم
الوجود قدماً وكثر الملا من حرها وادهشت

الدنيا بشدة حولها ثم مرت عليها الشهور والاحوال
واقبلت الامور والاحوال ورأى العدو منها
غفلة قدم واغتم من الزمان فرصة فهم وغلب
امره وتأيد واستقام ملكه وتوطد الى ان ساقته
يد القدرة الى النور في ما جر اليه واليه البلاء
الاليم فتسنى لها ان تدفع عنها شره ورب شر
يحي بالخير العظيم ثم عادت الى سابق عجزها والعود
احمد فانفتحت في بلادها : نعي فرنسا : كنوز
الثروة وتوفرت اسباب القوة والسطوة وصفت
سوارد السعادة والهناء وانتفتت اسباب المتاعب
والشفاء وهي الان على ما نرى من العز والمناحة
والتقدم في الزراعة والتجارة والصناعة ثم سررت
تلك الشعلة من الجانب الغربي الى الشمالي وهي
فيه كامنة تحت رماد الاستعداد وأنا

نرى خلل الرماد وميض نار

وبوشك ان يكون له ضرام

فان التهلست في الروسية والسوسيا لست
في المانيا طائفتان قد استغفل امرها وعظم
شأنها وحسبك ان فتاة من التهلست يقال لها
« ساسواتش » قد تجاسرت وهي في ارض السلطة
تحت سماء السطوة ان ترمي الى الشرطة بالرصاص
عمداً وانه قام لها بين قومها نصراء ومحامون
وشفعاء ومدافعون وان فتى من الطائفة الثانية
يسى « لمان » قد تجراء وهو في ارض القوة
تحت سماء العظمة ان يرمي الملك الفاتح الكبير
بالرصاص ثلاثاً وان هاته الطائفة قد اصابته
من النور والسطوة والتقدم والقوة ما اوقع في
قلب الدولة هيبته وحملها على الامر باستئصال
شائتها وتعطيل جرائمها واعانت الداعين
اليها والقائمين بامرها ولا لوم عليها في ذلك

فان تلك الشعلة قد سرت نارها وارتفع منارها وصار لها من الخاصة نصراء وفي الدولة ظهراء غير انها لن تستطيع اخماد تلك النار وان منعنها من السير حينما ما فان الاسباب اذا اعدتها الحركة اللانهاية ونسنت لها المسببات القابلة حصل الوجود وجوباً

ثم ذكرت تلك الشعلة وطبها القديم فحنت اليه ولا غرو ان بمن الغريب الى وطنه « نعي الشرق » مفرجرائم الحركات الدينية والسياسية التي غيرت هيئة الارض واحوال الانسان فسرت اليه تنبه غافلة وتفتنه جاهلة وظهرت في بلاد « اهورا مازدا » بين ابناء « زرودشت » تحت سماء الثقاليد « نريد بلاد الفرس » فان مذهب البايين نسبة الى السيد علي محمد الملقب « باب المهدي » قد ظهر في تلك البلاد من مدة تقرب من ثلاثين سنة وعانى بقلوب الناس فتمذهب به جمع كثير منهم واناروا الفتنة على الحكومة وبرزوا من الجسارة والاقدام ما لم يسمع بمثله وبعد مقتل امامهم رمى بعضهم الشاه بالارصاص ولم يصب وقد كان من اعمالهم الاخيرة ان جماعة منهم تشبهوا بالجند وقصدوا الشاه وهو سائر الى مدفن شاه زاده عبد العظيم للزيارة ثالث افريل (نيسان) سنة ٧٨ وقالوا له انا من جندك وقد طال علينا زمن الخدمة ونروم الانصراف الى منازلنا فوعدهم ان ينظر في امرهم بعد الرجوع الى القصر ثم انهم هجموا على عربته ورموه بالحجارة الكيية وجرحوا جماعة من رجال حرسه وكان على مقربة من مكان الحادثة طائفة من الجند فطير الشاه اليهم الخبر فاجاءوا مسرعين وقبضوا على جماعة من اهل الفتنة

وعلم الشاه انهم من البايين . هذا ملخص تلك الحادثة وستورد تفصيلها في غير هذا المقام مع بيان حال تلك الطائفة ومذهبها وكيفية سيره وتقديمه واقسام امامته بين يحيي صبح ازل واخيه البهاء المقيم الان بعكاك منفياً مستهددين جميع ذلك من بحر معارف استاذنا الكبير الفيلسوف الشهير درة تاج الحكماء والماسة عقد العلماء الفضلاء السيد جمال الدين الافغاني نزيل المحروسة

وما افضنا في الكلام على آثار تلك الحركات الفكرية التي سرث من اوربا من جانب غربها الاقصى الا لاننا نحسب الحركة التي ظهرت اخيراً في الاستانة حلقة من سلسلتها وهي الحركة التي ظهر اثرها الاول في عزل محمود نديم باشا اثر فتنة البلغار وخلع السلطان عبد العزيز وتنصيب السلطان مراد وقد كثر عدد الداعين اليها في الاستانة واجتهدت الدولة في خفض منارها واهاد نارها بابعاد زعمائها ونفي رؤسائها مع كثرة الشواغل وتواتر التوازل وقد جاءنا بالتلغراف وارداً من الاستانة بتاريخ ٢١ ما يوسنة ٧٨ ان جماعة من العامة قد هجموا على سراي جراغان مقر حضرة السلطان السابق فناول رجال الحرس صدهم واعياهم ذلك فاطلقوا عليهم الرصاص وقتلوا منهم نفراً وجرحوا طائفة فاجسنا من ذلك الخبر شراً وخفنا ان يكون نتيجة ما سبق من المقدمات في عهد ساكن الجنة عبد العزيز ثم جاءنا في غد ذلك اليوم ببيان ازال ذلك الخوف وابعد الایحاس وهو ان الذين هجموا على السراي كانوا من المهاجرين فترددنا بين تصديق الاول والثاني ورجحنا جانب الثاني

مكانة يحسد ها الفاسر عنها ومنزلة يفتن الطامع فيها
وارسم عليها بحروف من الضياء منتخب الشكر ومتقى
الثناء لمن اكتسب منهم جمالاً وإصابة احساناً
وكانوا لكسرهما جبراً (فضاءت وجوه وسيئت
وجوه) ومن جزموا بظهور فضلها وقطعوا بوجود
وصلها (ولا يعرف الفضل الا ذووه)

غير ان تكامل الشيء لا يكون دفعة فان
الطفرة اي الانتقال بغير قطع مسافة محال واسباب
الاعمال لا تتوفر الا تدريجاً وانا لا نهمل ان
من فروضنا ما لم نقضه ومن واجباتنا ما لم نأت
على بعضه ولا ننكر والصدق منجاة ان بضاعتنا
من العلم مزجاة ولكن غاية الفضل جهد المقل
ومنتهى القصور نقص القادر على التمام ومن كان
فاعله الارادة وقابله حسن النية حصل فعله كاملاً
ان امكن الكمال وتم له صلاح الحال وحسن
المال اما الارادة فلم تتجاوز بنا جانب المجهود
ولم تخرجنا عن السبيل القصد وهو استكمال
اسباب التقدم لمانه الصيغة والاهتمام بشأنها
اصلاحاً وتحسيناً واما حسن النية فقد اوجب
علينا شرب التعامل على كدورته ولبسه على
خشوته والتزام امور لا تخرج عن حد الفائدة
ولا تتجاوز خط الاعتدال

فمنها حسن الاختيار في النفل وهو من اهم
واجبات الجرائد ومنه تقديم الاهم على المهم وانتقاء
الاخبار الموجبة لاهياء الهم والتعاون والتوازر
على استغلال العزة ودفع المعرة وانتخاب الاقوال
المؤيدة للنفائى النافضة للاوهام الداعية الى
الاتلاف المبعدة عن الشقاق والاختلاف رجاء
تقوية الروابط الانسانية بين اهل هاته اللغة على
اختلاف مشاربهم وتنوع مذاهبهم مع العلم بان

بدليل ما جاء بعده من ان جماعة من اولئك
المهاجرين قد ساروا الى الباب العالي يطلبون
الاعانة وحملنا فنتهم على الحاجة والناقة . ثم
ما لبثنا ان جاءنا بالتلغراف ما افسد الظن
واعاد الایحاس من ان علي سعاوي افندي احد
زعما تركية الجديدة كان في مقدمة الهاجرين
على السراي وان رجال الحرس قد قتلوه فايقنا
ان هذه الفتنة هي من آثار تلك الحركة المتعلقة
بسلسلة الحركات الفكرية التي ستغير لا محال عاجلاً
او آجلاً هيئة الكرة الارضية ونظام الجمعية
الانسانية

وله في الكلام على سنة « مصر » الاولى

سنة مصر

تنطلق الايام تباعاً وتسهر الاعوام قطاراً
ونحن بين وداع ولقاء وكدر وصفاء وهذه جريدتنا
بين عامها الاول تودعه وهي نقول (باراحلاً
عني رحلت مكرما) وعامها الثاني تلفاء وهي تنشد
(يا نازلاً عندي نزلت معظماً) وفي صفحتها ما
رسم الاول « العدل لا يكون للحقيقة ضداً »
وما نقش الثاني « الفكر لا يكون للرغبة عبداً »
وقد كان لها في عامها الاول حركة سير
بينة لغاية معينة أدت بها حق الخدمة وفرضها
وقضت الواجبات او بعضها فانتقلت الى ثغر
الاسكندرية تنشد بها ضالة الرجاء وتتبع سحابة
النجاح فشبت على صغر وانجالت باهى من الحلى
وانج من الحبر وعارضها اول العين من المعاذير
ما دفعته عنها المقادير وسلكت من القصد منهجا
لا تخاف فيه من لام ومن هجا فاقبل عليها من كان
معرضاً وصدقت ما كان معترضاً فبلغت من النجاح

ماء المشرق لا تضغو لمن يسير هذه السيرة وإن
ارضه لا تنبت خيراً لمن تكون له هذه السيرة
ولكن للأفكار حركة مستمرة تقطع بها غفبات
الاهام لتدرك غايتها وهي الحقيقة والنفوس آمال
منوطة بالاستقبال

ومنها تهذيب العبارة وتقريب الإشارة ما أمكن
الجهد وتفتح الكلام وتقرير المعنى في الأفهام
وطراح ما يخفى من اللفظ عن مضاجع الرقة
وما كان منه غريباً تنفر منه الخواطر وتشتت
النفوس فانه لا عذر لمن يقول عفتل وفي اللغة
كتب وقدموس وفيها قديم والشهر المنصرم
وفيها الماضي والسابق والغابر والمنسلخ والمنقسم
وكثير غيرها وذلك مع تجنبنا مبتذل الكلام
وسوقيه وأطراحنا فاسد التركيب وعاميه فانه
دائم اذا سرى في عامة الناس امات اللغة واغلق
على الطلبة ما في كتب العلم ولا اريد بها القارئ
علماً انها كنوز لا توصف نفاسة ولا تعد كثرة
على اننا لا ننكر ان لحركة العصر حكماً
قاطعاً ولا اصطلاح اهله قضاء نافذاً وإن كانتنا
في هذا الزمان لا يستطيع ان يتلو السامعين
من المولدين والمفكرين فان علمهم كان زائداً
عن حاجات عصرهم اما هو فحاجات عصره تزيد
عن علمه وذلك فضلاً عن الترجمة ونشعب
مذاهبها فانها الغاية التي يتبارى اليها كتاب
هذا العصر ويتسابقون ولكن قليلاً ما يدركون
ومنه السعي الى جهة الحرية مع ثقل سلاسل
العادات وقبود القوانين والاحلاق بأهذاب
الصدق والنسب باذبال الاعتدال والشفقة عن
الغرض الموجب للاعتراف والميل الياعن على
الارجاسع التثبت في القول المنقول والتدبر

للرأي المعقول كراهة ان تنفل من الروايات
ما هو مجروح ومن الاراء ما هو مرجوح ملتزمين
في جميع ذلك ان لا تتكلم بما لا نعلم ولا ناري
في ما علمنا مجتنبين ما كان من الالفاظ موجباً
لنفور النفوس وانكسار الخواطر وجملة الامران
لم نأل المجريدة خدمة والمشتريين امانه والاعتدال
انقياداً والصدق طاعة فان لم يكن في جميع
ذلك قضاء للواجب وإداء للنفس فلا اقل
من امتزاجه بحسن النية وسلامة الطوية وإن لم
يكن فيه فائدة كاملة ومنزلة ظاهرة فان اول
النيث الفطر وما لا يستطيع كله لا يحقر جله
على اننا لولا الحذر من الغرور لما رضينا للجريدة
بما نرضاه لنا من القصور فانها قد بلغت وهي
في سن الطفولية مقام الكحول وصار لها من
الراغبين في مدة اشهر ما لم يجتمع لغيرها في مدة
اعوام فتوي بهم عضدها واشتد عزمها ولم تنس
الس اقبالهم عليها وانعطافهم اليها فهي تشكرهم
بما تحسن وتثني عليهم بما تعلم وابن ذلك من
الولاء والواجب الثناء وتذكر لوكلائها فضلاً
ممتوناً وتشكر لم سعيها محدوداً

اما نحن فغاية ما نبديه من شكرهم الاعتراف
بالقصور عنه فانهم

ما روضة وشع الوشي بردتها

يوماً باحسن من آثار سعيهم

وهنهي ما نجليه من وصفهم الاقرار بالعجز فيه فانهم
ما العود ان فاح نشرًا او شدا طرباً

يوماً باطيب من تفرع وصفهم

وقصاري ما تلوهم من ثنائهم انهم

ما الدوح تفرعه بالزهر متمسك

نظماً باطيب من تفرع ذكرهم

ومسئولنا ان يجاوزوا عما يرونها لنا من
خطاء ادى اليه الوهم او قصر عنه النهم وان
يقابلوا بالعنوا ما يرون من السهو وبديموما
عودونا من الفضل والمساعدة والتجدة والموازية
لننهض من الخدمة بما يزلنا اليهم فان لنا في
قضاء واجباتها رغبة تدفع الرهبة من تحطئة
العائين وانا على حد ما قال (روسو) ننطق
عن غيرة وان فاتنا العلم او على حد ما نقول
نستخدم اللسان للقلب ولا نعكس . والله ولي
التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق

وكتب بعنوان

اماني وطنية

اذا ذهبت الفتن قوماً فاما ان تكون قد اخذتهم
على غرة وفجأتهم على حين غفلة عن الاستعداد
لمقاومة الحوادث فلم يتمكنوا من دفعها ولم يقووا
على ردعها حتى بلغت منهم مبلغاً واما ان تكون
قد اخذتهم على يقظة واستعداد لما يتوقع من
الملمات فصادموها ما استطاعوا ولكنها علت
عليهم فاودت بقوتهم وذهبت باستعدادهم
فهانان حالان نساويتا غاية واختلفا مبداء
اما الحالة الاولى فالمتنون بها فريقان فريق
يستولي عليه الهم والغم ما حل به ويقوم وفريق
يشارك الفريق الاول في هم وغم من وجه
وبفرد عنه بما يعتربه من الفرح بتزول تلك
الحوادث علماً منه بان الحوادث من شأنها
انها اذا دهمت غافلاً نهته او نائماً ايقظته او
آمناً اخافته او مطمئناً اقلقت او ساكناً حركته
او خلياً شغلته فهي الباعث على الخير كله والداعي
الى سبيل الاستقامة بالحكمة والموعظة وذلك

انها اذا نزلت يقوم اعوزهم الى حوائج شتى والحاجة
من شأنها ان نفود المحتاج طبعاً الى الحصول
على ما مست اليه كما نرى في اصل الفطرة
وكيف قيد كل نوع الى الناس ما فطر محتاجاً
اليه في قوامه وكما له النوعي وهذا الفريق وان
امتااز عن الاول بها تقدم من عروض فرحه
في عرض الآمه ولكن قد يعرض له ما يزيده
كدراً وحزناً بما يراه براة خاطره من نوازل
الاستقبال وموانع الاصلاح فان الانسان وان
نهته الحوادث وكشفت له الحجاب عن اسباب
نزولها ودعته الحاجة بعد ذلك الى لم شعته
ورفع ثوبه الا انه قد يفقد الاستعداد ويحرم
الاسباب والوسائل فلا يستطيع الى الاصلاح
سيلاً ولا سيما اذا خيف من اضمحلال العصية
والوقوع في العبودية كما جرى على كثير من
الامم التي اخذت في احدي تينك المجالين
فصارت اثرًا بعد عين

وعلى هذا فنقول ان الامة العثمانية ممن
اخذ على غرة واغليل على غفلة اذ نبذ بعض
اوليائها الشرائع والقوانين ظهرياً بل اتخذوها
لعبة لالعب وآلة عامل وصنعة مقام فما يمكن
تاويله منها اولوه وما لا يمكن تاويله نبذوه
وانتهكوا فيه حرمة الحق حتى ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يفقهون
الحق ولا يسمعون الصدق ولا يبصرون الخير
ولا يخافون الشر . حتى اذا قبض الله لنا من
يهدينا سواء السبيل خذلوه ونفوه وعوضونا منه
مضلاً يتزلف اليهم بالتلميق والتفاني فخاشرت
قلوبنا الامراض وبلغت منا الامم فالتسبا
الدواء بعد الاحساس بالداء وعالجنا انفسنا

في الحكمة بصيرين باساليب السياسة يقومون بين الرفق والعدل فلا يرهقون ضعيفاً ولا يطمعون قوياً ويستوي لديهم الناس في الحقوق فيقربون اصحاب المزية ويخذلون ذوي النفوس الدنية لا يخشون الحق في الناس اولئك هم الذين تمنينا بهم النفوس ونمثلهم لنا مرآة الاماني فنجيا على امل بعثهم فينا وان يكونوا من انفسنا حريصين علينا رحماء بنا يجددون من آثارتنا ما اندرس لا اجانب يسرهم ما يسوئنا حرصاً على ضعفنا وطعماً في حقوقنا حتى ترسخ قدمهم في اوطاننا وتنفذ كلمتهم فينا فيكونوا علينا اضر منا على انفسنا ولكن ابن منا هولاء وقد اصبحنا اليهم فقراء فالعثمانيون والحالة هذه بين امرين احلاهما امر من المر اما الصبر على مضاضة الفهر وغضاضة الضعف حتى يفيض لهم الله من يقوم بامرهم ويقيم اودهم واما الالتجاء الى اجانب يسلمون اليهم زمامهم ليدبروا امورهم ويدبروا مصالحهم ويقولوا فيفعلوا ويأمروا فيمثلوا وباحذا الاول على مرارته فان الثاني متوقف على وجود رجال اشرب في قلوبهم حب الانسانية فكل الناس عندهم سواسية لا يفرق بين شرقي وغربي ولا يوثرون قريباً على غريب بل اذا ولوا امر قوم من اي جنس ومشرب كأن حسبوا انفسهم من ذلك الجنس ومشربهم ذلك المشرب وعملوا بصدق نية وحسن طية على جلب المنافع اودر المضاير ولكن ابن الرجال الذين اذا الجأت الضرورة اليهم فتولوا الامور راعوا الانسانية فيها وسلكوا بالناس منهجاً قوياً وسراطاً مستقيماً واذا لا سبيل الى الامر الاول فان الصبر على الضعف زمناً ينهياً فيه من يرجي من

بالاجتهاد في جلب المصالح ودفع المفاسد فلم يقوَ على ذلك لضعف النفوس وقلة الاستعداد فعمدنا الى التقليد شأن المعترف بعجزه وقصوره ولكن لم نتخذ فيه الطريق القصد بل اعتسفنا وضللنا السبيل ونحن نحسب لجهلنا انا على صراط مستقيم تترقى في درجات الكمال الى اعلى عليين ولم نشعر بهبوطنا الى اسفل سافلين الا بعد الوصول الى غيابة الهاوية فكان مثلنا كمثل معنوه التي بنسوة من عل فلم يشعر بالمر السقوط الا بعد ان صادم ارضاً رضت عظامه رضاً فتشخص لنا الداء وعلمنا انا جئنا على انفسنا بما كان من سوء سيرتنا وفساد سيرتنا وتفرق كلمتنا وتمزق عصبيتنا واستبداد خاصتنا ناشئاً عن الطمع والشهه وضعف نفوس عامتنا صادراً عن الجهل والغفلة وان بقائنا على هذه الحال لا يجدي نفعاً فضلاً عن كونه يبدى الى الفناء والاضمحلال فهذا شرح حال تلك الامة الراهنة التي انقبضت بها النفوس وانكسرت الخواطر وقد انبسطت لنا اسبابها وعللها وذقنا نتائجها وعواقبها فتعين علينا مداركها بالوسائل الحاسمة لاسبابها القاطعة لعلاقتها ولكن بقي ان ننظر ما هي هذه الوسائل وهل يمكن الوصول اليها والحصول عليها قبل تمكن الغصة وفوات الفرصة فنقول لا هادي اهدى من الاحياج وارشد من الافتقار فالظمان يدعو ظمأه الى التماس الماء والمرضى يبعثه الالم على طلب الدواء وحالتنا هي التي تهدينا الى الوسيلة التي ينبغي ان نعتصم بها وما هي الا الطيب النية والحكيم النزبه يداوي علل نفوسنا ويعالج مرض قلوبنا ويصلح منا ما فسد ويرقح ما كسد نريد رجالاً على قدم صدق

واستقلّوا ونصبوا المحجّاب على النعمة ورفعوا ستور
الصيانة عن الحرمه ولو فطن من يغرم هذا
المجد الحلي والنخر السراي لما جنى عليهم اولئك
المردّة لبذلوا ذكركم نبذ النواة وطرحوه طرح
الغداة وعظمى من لا يخطر على بياهم خطرة ولا
يرؤون بفكرهم مرة من الذين اطاعوا في الارض
امر العفة والعدل والاستقامة والنضل

فمن لنا بذي همة عالية ونفس ذكية ينصب
قسطاس العدل في محكمة الانسانية ليعلم الناس
على اختلاف مراتبهم وتنوع مشاربهم ان من
اصلت سيفه واعلن شره وقاد الرجال وسلك
بهم مسالك الاهوال لحطام ينتهزه او ثأريدركه
او وقت يقوده فجعل رؤوسهم صوامع نصلي عليها
رهبان الغربان واجسامهم مطاعم للعقبان لا يقاس
بمن اصلى من امر قومه ما نسد وروج من
احوالهم ما كسد ورضي من الاجر حصول الخير
ومن المغنم اندفاع الشر وان الاسكندر بمجده
اللامع وصيته الشائع لا يقاس بسنسانوس الاكار
الروماني الذي انتخب قنصلاً للجمهورية رومه
عام ٤٦٠ قبل الميلاد فنفض باعباء الخدمة
وحى اطراف الدولة والامة ولما اتى من ذلك
على ما في الرغبة والنية عاد الى مهنته يطلب
منها رزقه ثم امت بقومه الاخطار فانتخبوه
لحكومتهم رئيساً وذلك عام ٤٥٨ قبل الميلاد
فدفع الاذية عنهم ورد الراحة اليهم ورجع الى
شأنه الاول ستة عشر يوماً من رئاسته وفي عام
٤٢٨ انتخب مرّة ثالثة لرئاسة الجمهورية وعمره
بومئذ ثمانون عاماً فنفض باعبائها واصلى ظلها
وجدد بها نظام الامن والراحة ثم استقال منها
لواحد وعشرين يوماً من عهده بها ومع ظهور فضله

الامة لمداواة دائها ربما قضى عليها قبل ظهوره
فيها فلا بد لها من الاخذ بالامر اثنائي طوعاً او كرهاً
ومن نكد الدنيا على الحرّ ان يرى

عدوّاً له ما من صداقته بدّ
ولكن بعض الشراهمون من بعض على انه
لا شرّ لو شئنا وكان في اولئك القوم غيرة
انسانية وحمية وطنية ولم قلوب تشعر بالآلام
النفس وارواح تدرك معنى الكمال ونفوس
تؤثر النار على العار وترى المنية امون من الدنية
فان لم مندوجة عما اكرهوا عليه اذ لم يعد مول
رجالاً وان كان قليلاً عديدهم كفواً للم شعنتهم
وسد خللهم واهلاً للقيام بمصالحهم لو اطلق لهم
التصرف قولاً وفعلًا

وكتب رحمه الله في ولي النعم اميرنا الحالي
خديو مصر المعظم وكان ولي عهد الخديوية اذ
ذاك فقال بعنوان

توفيق مصر

لابناء الزمان فيه خلة مألوفة وخصلة
معروفة يستخفهم الطرب للشيشة يرونها ويستفهم
العجب للطنطنة يسمعونها يعظمون الشرّ ان
فاز صاحبه ويمكرون الخير ان اخفق طالبه
ينعتون بالرجل العظيم والنهم الكبير من دمر
البلاد واهلك العباد فيرتفع لديهم قدر الاسكندر
وقيصر ونبلا وجنكيز ونيور وغيرهم من الصواعق
التي نهضت الابدان وانقضت على هام بني
الانسان وما هم الا اعوان الشرّ واعداء الخير
نزلول بالانسانية فجعلوا ابناءها بين شريد باد
وموج تكلان وحاربهم حتى ملوا ونازلهم حتى
ذلوا بل قاتلهم حتى قتلوا فاستبدلوا بامورهم

وامير

رأيت جميع الناس دون محله

فايقنت ان الدهر للناس ناقد

وقد علم قراء صحفنا ان ليس من شأننا

الاطراء استجداء ولا الوقيعه افتراء واننا ننظر

الى الفعل لا الى فاعله وإلى القول لا الى قائله

فانه ليس وراء الصدق رفعة وليس بعد الكذب

ضعة والحق ملك لا ينكسر لوانه وان قل اولياؤه

فان لم يشرب هذا الماء على صفائه ولم يلبس

هذا الثوب على بهائه فربّ نفيس رعي به من

حائق وربّ حسناء طالتي

وهذه صفحة ثناء تزهت عن الملقى يقال

ان تلاها اصاب وصدق ذكرنا بها محمدا امير

ان ذكر الشرف كان بذروته او الفضل تمسك

بعروته وما القصد الا خدمة الحقيقة ورفع منارها

وان تظهر للعيون محاسن آثارها فتكون باعثة

على الثناء داعية الى الدعاء وقد جاء في الاثر

الكريم من نشر معروفا نقد شكره ومن ستره

فقد كفره

اذا انا لم اشكر على الفضل اهله

ولم اذم الوغد اللئيم المذمما

فقيم عرفت الخير والشر باسمه

وشق لي الله المسامع والفما

مضم

وقال عام ٧٨ من كلام سياسي في احد فصوله

الافتتاحية :

تصدق بالمرء النوائب وتحف به المخاوف

والمصائب فينسدل على فكره حجاب الوهم وتغرب

عن سمائه شمس العزم وبأفل نجم النهم ويلتمس

سيلا الى النجاة ما هو فيه فلا يجد فيسلك

وزينه في ما اجرى لم يقبل عنه مكافأة ولا اجرا

فما جدر مثل هذا الرجل بالثناء والاكرام

وما اولاه بالاطراء والاعظام بل ما اظهر الشبه

بينه وبين ولي العهد توفيق مصر اعزه الله في

ظل الجنب الوالدي الخديوي حفظ الله وجوده

وصان علاه وذلك في ما حصل له من المزية

والشأن المتيف بتغليه عن التالد من المال

والطريف اقتداء بمحضرة ولي النعم وتمهيدا لاقتداء

الانجال اهل الشتم والآل ذوي الهم وتفرد

بعدم قبول العوض واستبدال الجوهر بالعرض

وهي مزية انبأت بعلو همته ودلت على طهارة

فطرته وتناهت فلا نرى لها جزاء غير الاخلاص

في شكره والاغراق في حمده ولا يخفى ما يترتب

على هذه المحمدا من الآثار التي يجل موقعها

ويرتفع موضعها فانها توجب انشراح الصدور

بصفاء الحال واستبشار النفوس بحسن المال

والاعمال وقف على سبيل الآمال وبعبارة

ثانية ان للانسان في سيره المعنوي حيتين احدهما

متعلقة بالحال والاخرى منوطة بالاستقبال فمن

فقداه جميعا فاولئك هم الاشقياء الذين لا يعرفون

طعم الهناء بل هم الموتي في عالم الاحياء ومن

حظي بالاولى دون الثانية فاولئك هم الاحياء

في اليومين السعداء في الحالين

فليحي اهل مصر بما آتاهم الله من فضله

العظيم وليسعدوا بما آفاه عليهم من ظلال جوده

العظيم وليشكروه في العشي والابكار ويحمدوه

اناء الليل واطراف النهار وكيف لا يحمدونه

وقد خهم بليك

ذكر الانام لنا فكان قصيدة

وهو البديع النرد من اياتها

بنيات الطريق وذلك ما كان عليه اهل السياسة قبل ائتمارهم في برلين فانهم لما اشتدت عليهم الازمة وخافوا تعاطم الشفخة وتلاحم مادة الفتنة وتضافر اسباب البلاء رضوا بالمؤتمر منجاة من تلك الممالك مع العلم بما يكون فيه من تضارب الاراء وتعاكس الاهواء وتألفوا على دخل ومداجاة فطارت الخواطر اليهم على اجنحة الآمال راجية ان يرسم في لوح خيالهم صورة المرحوب ومثال المطلوب فتحملهم القوة الباعثة على دفع الاول وجانب الثاني باقامة الامور وتنظيم الاحوال فكانت كاسائر غرر القصر والرائد اعجبت خضرة الدمن فان اعمال المؤتمرين ماثلت ظلمات في بحر لحي واجلت عن مصاب مشدد وبلاء ممتد في نتائج لم يرض بها الغالب ولا المغلوب ولا الطالب ولا المطلوب ولا يدفع ذلك ما بيديه اندراسي ويعيده بكونسفلد وغيرها من الخطب الضافية الذبول المضروبة مثلاً في سلطة الفكر على الفكر فان الفعل يبطل ما يقولون والامر الواقع يدفع ما يدعون

وهذه الروسية قد كشفت نقاب الكتم وازالت حجاب الوهم فظهر من خلال اعمالها انها وافقت على قسم البلغار كارهة وان لها من وراء ذلك مقاصد خفية اذ اوعزت الى مأمورها في الروم الي ان يضع لها قانوناً مائلاً لقانون امارة البلغار لتحصل بينها الوحدة الادارية الموجبة للانضمام وبشت الدعاة في ارجائها يذكرون لاهلها عناية الروسية بهم ويجمعون قلوبهم على ولائها وافترت بينهم عساكرها ونقلت في الاحتجاج لذلك بين دعوى الخوف عليهم والرغبة في صيانتهم وابرار عهدة الصلح النهائية او اثبات ما لم تنسخه عهدة

برلين من احكام عهدة سان ستيفانو وما القصد الا ان يرسخ قدمها ويستفحل امرها في تلك البلاد وان تغرس فيها من الثقة بها والاعتماد عليها ما تجني ثماره بعد حين

وهذه اوستريا تكلفت الحلول ببوسنه وهرسك فاهلكت في ذلك مالا كثيراً واهرقت دمًا غزيراً فضاقت ذات يدها وفسدت عليها قلوب رعيها وانكر النواب سياستها فصارت بين خلاف داخلي تخاف سوء مغيبه وفتح خارجي لا نقوى على القيام بنفقتة وسيدوانا ما نجعل من احوال سياستها بعد ان تعرض على دار ندوتها وهذه انكثرة يوم وزيرها انها بلغت الامنية وصارت في مأمن لا تخاف به دركاً ولا تخشى اذ حلت بقبرص ونشرت لواء سطوتها على الخليجين وآسيا الصغرى ومصر فأمّنت سبل الهند وحفظت مصالح امنها ولكن الحوادث الاخيرة قد كشفت عن احوالها الغطاء وازالت الخفاء فابدى بها الصريح عن الرغبة وظهر من قول نفس وزيرها انها لا تأمن على هندها الا بعد تسوية تخومها وبديهي ان ذلك يفضي بها الى حرب تجندم نارها وترتج لها جبال حملايا بل ربما ادت الى فتنة صماء تومض فيها بروق المرففات وتلعلع رعود المدافع فتنهز غيوث الكرات وتكون بها واسط آسيا معركة يعقد من عنبرها لملك الموت سرادقات وقد انبأنا التلغراف وارداً من لندرة ان وزراءها قد اتفقوا على اصدار الاوامر الى عساكرهم بالحملة على افغانستان لانقضاء مهلة الانذار قبل ورود جواب الامير بالاعتذار

وهذه الدولة العثمانية قد آكرهت على ما

وانقضت الحرب لم يجدوه شيئاً فعادوا راضين
من الغنيمة بالآباب بل حصل لهم استقلال
نحسبة مدرجة للاستعباد وما ذلك الا لانه سيكون
وسيلة لتدخل الروسية في امورهم قصد ان
يظلم جناحا نسرهما رحمة بهم انهم من اهل
جلدتها ولا يتقم الناس على من يصل الرحم
ويقدم العشرة . . واما الرومانيون فقد عذبوا
نفوساً وفقدوا نفيساً ولفوا في امرهم نسباً فهو
هذه النوائب بالاستقلال وصبروا عليها صبر
العاجز على المكروه واظهروا الرضا بالموجود
الا انهم لم يستطيعوا اخفاء الاسف على المفقود
واما البلغار فقد ساء لهم انفصال جانب منهم عن
امارتهم الجديدة فاطالوا النجوى وصرحوا بالشكوى
وجملة الامر ان المؤتمر قد ذر على الجرح ملخاً
ثم لم يحكم الضاد فتواترت من بعده التوازل
وتوالى المشاكل وزادت المخاوف وصار السلم
على شفا خطر مبين وهي ظنون قصارى ما تنمى
فسادها فقد كفى ما اهريق من الدم هدراً وما
بذل من المال عبثاً ولا ريب ان الصلح اصلى
والسلم اسلم

ولله ما كتب عام ٧٨ في شأن الافرنج بمصر
اذ قال .

اماني

من رأنا نذكر الافرنج تارة باللوم وطوراً
بالتظلم ونطلق اللسان في بيان سوء معاملتهم لنا
وانهم في بلادهم خراف ترعى الرفق وتألف
العدل وتنفي ظلال الحرية والمساواة وفي بلادنا
اسود نقض لحم الحيوان وتأوي الى غاب القسوة

نكره ونظامت لحكم الزمان فتنفص ظل مجدها
وافل نجم سعدتها واصبحت بين الروسية وانكثرة
كالسنيته بين عاصمتين فلجأت الى الثانية رجاء
ان نشد ازرها وتؤيد امرها فكانت كالمستجير
من الرمضاء بالنار اذ استرلت انكثرة على احسن
جزائرها وقبضت على زمام الادارة في بلادها
الاسيوية والقت الوحشة بينها وبين دولة
اسلامية مهمة وجعلتها بين داخلية ممزقة بالفتن
 وخارجية مشوهة بالعداوات والاحن حتى اذا
اضغنت عزمها ونزفت مادة ثروتها اوعزت اليها
ان احتظي الراحة في البلاد وانذى ما اروم
من الاصلاح واياك الامهال فهو مفسدة الاعمال
فصح فيها قول القائل
الفاء في اليم مكتوفاً وقال له

اياك اياك ان تبطل بالماء

واما اليونان والصرب والرومانيون والبلغار
 وغيرهم من الطوائف التي تعلق لبيب
 الفتنة باطرافهم فقد كان مثلهم في المؤتمر كمثل
 من كره ما لديه ورام عنه عوضاً فسمع به ثم لم
 يصب العوض ففاته الاول ولم يدرك الثاني
 فندم ولات حين ندامة فاما اليونان فقد اطعمهم
 المؤتمر في امانتهم ولم يهد لهم سبيل نوالها ولم
 يجعلهم على بينة من الامر فهم كالمفاجأ بالشر
 يطلب الى النجاة منه الف سبيل ولا يسلك
 منها سبيلاً فتارة يجندون العساكر ومرة يثيرون
 الفتن وطوراً يعزلون الوزراء وآونة يستغيثون
 بالدول وقليل ما يهتدون واما الصرب فقد
 غرهم الامل في حسن نيات الدول فتهوروا
 في الحرب رجاء اصابة المغنم ورأوا وهم في مفازة
 الاوهام سراب الوعود فظنوا ماء حتى اذا اتوه

والجفاء والزهو والامتياز بحسب اننا من ينكرون فضلهم ويخسونهم شياءهم ولا والله لسنا من ذلك في شيء فاننا نعتزف لهم بالمزية والنضل ولا نجد سبهم في مجال العلوم والفنون واجتهادهم الجدير بان يقتدى به وان قدومهم بلادنا عاد علينا بالفائدة المعنوية عارضة في خلال اعمالهم المبنية على آمالهم وذلك يقضي بالشكر لم وان كنا على يقين من انهم لم يجلبوا لنا الفائدة القاسية لمصلحتنا بل نوسلوا بها الى ادراك الغايات الدينية و المقاصد السياسية وكيف لا نشكر لهم وقد كما منغسين في الضلالة تائبين في مفاوز الجهالة حتى صارت مدارسنا دارة لا دارس بها ولا دارة وارض افكارنا بالحما لا تنبت شيئاً فلما ان وردوا علينا واقاموا بيننا اظهروا صار فينا جماعة كثيرة يحسنون ما لم يحسنه نزر من السلف ونفرت سيقوا الى الغايات وبلغوا من المعرفة مبلغاً لم تحم عليهم افكار آباءهم وانشئت عندنا صحف الاخبار فاستنارت بها الافكار واقامت الملاعب النباتية الموجبة لتنظيم الاحوال الاجتماعية وتليت في مدارسنا الدروس بعد العشاء والدروس غير ان ذلك لا يمنعنا من امتياز الافرنج عنا في الحقوق المدنية والسياسية ولا يردعنا عن التماس المساواة التي يسكنون انبها ويحرصون عليها فان قيل انهم حقيقون بالامتياز لنفضهم علينا بما علمونا وفي الكلام المأثور من علمني حرفاً كنت له عبداً قلنا انهم لم يبادثونا بالاحسان ولكن ادلوا الامانة ووفوا الدين وهم به معترفون ثم طلبوا مكافأة على ذلك امتيازاً في الحقوق وعفواً عن الواجبات فاذعن لهم اولياء امرنا رهبة من مقاومتهم ورغبة في

مولانا فلما استنارت بصائرنا وانفض الختم عن قلوبنا رأينا ان لا تكافؤ بين الحاليين ولا تعادل بين الجارين فرفعنا اصواتنا المنخفضة الى مقامات الرؤساء نطالب مالنا المنهوب وحقنا المسلوب

وقد آن والله للامة ان تطلب والدولة ان تحجب بل آن للاوروبيين ان ينكشفوا عن الطمع في الاثرة ويعدلوا عن الحرص على الامتياز فقد ابطلت الحجة التي اثبتوا بها لانفسهم ذلك الحق وما كانت حجتهم الا الاحكام مسلمة الى من يخافون منه الخيانة ولا يعتقدون فيه الامانة والادارة منوطة بمن لا يرويه اهلاً لانزال الامور منازلها وترتيبها في مراتبها وقد ابطل الوجه الاول بما كان من تشكيل مجالس الحفانية من اعضاء لا ينكر الافرنج استقامتهم ولا يتجددون اهلينهم فان منهم الاوروبي الهجت والوطني الذي ارسل الى بلادهم فثبت في مدارسها وري على عاداتهم ثم عاد اليها وهو افرنجي المعرفة شرقي الاخلاق فلم يبق لهم الا الاحتجاج على الادارة وقولهم ان نسبة القضاء للحكم الاجرائي كسبة القوة للفعل فان لم يكن بينهما تقارب وتناسب بقي الامر في عالم القوة زمناً يحور رونقه ويذهب به تدني قصبرنا على ذلك مكرهين غير مشكورين ولا مأجورين وظللت اعناقنا لهم خاضعين ثم حصل ما كانوا يطلبون وتم التناسب بين القضاء والاجراء اذ تشكلت النظارة او الوزارة من اجانب ووطنيين يتفوقون بهم جميعاً ويعتقدون فيهم العدل والاستقامة وعلو الهمة والشهامة فتوجه الحق على حجتهم فدمغها فاذا هي زاهقة ولكم في ما نرى يستكبرون عن

المجسم ومات موت الكريم

ولقد حان لهذه البلاد ان تنعش من عثرها
ونقلت من رقتها بعد ان ضربت عليها الذلة
ونظامن اهلها للرق صاغرين ماثات بل
الوفا من السنين حتى ضربت الامثال بطاعتهم
العياء للامراء والروساء وكيف لا وهم الذين
احتملوا ظلم الفراعنة وقسوة الرعاة وعسف
اليونان وجور الحاكم بامر الذي لعب بهم لعبه
بالكرة والصولجان فكانت بينهم اليوم عما امرهم
به امس ونصرف بامورهم الروحية والبدنية فتارة
يلبسهم الالبس ومرة يرسم بالاسود وحيناً يمسحهم
على الشيع وآونة يأمرهم بالسنة وفي جميع ذلك
لا يسأل عما يفعل ثم صبروا بعد ذلك على
عنى المماليك وجندهم وناهيك به صبراً لا تحمله
الجمال بل لا تقلة الجبال ولا نحمدهم على ذلك
فغاية المفرط في سلمه كفاية المفرط في حربه
وانا لنجلهم عن ان يكونوا قد النوا الذل
فرضوا به او خافوا ان يكون الاكداء مع الكد
والحيلة مع الطلب فقالوا ان رزقنا سوف يأتينا
نسعى له فيجهدنا ثم نسكن فيأتي ولا بعيننا مع
انه لا يجوز في الوهم ولا يصح في القياس ان
نجني الثمرة بغير غرس ونهمل المال بغير طلب
وقد

بصرت بالحالة العليا فلم ارها

تنال الا على جسر من التعب
بل ليس في الامر عناء او تعب فاننا لا نلتمس
العزى الذي لا يملك او الغاية التي لا تدرك
ولكن قصارى مرامنا ان نحصل لنا المساواة
فيكون علينا ما على الاجانب ولنا ما لهم سنة
الانسانية في بنيتها والحرية في ذواتها

معادلة من كانوا يفضلون ومساواة من كانوا يمتنون
ولا تريب عليهم في ذلك لما فيه من المصلحة
لهم ولكن يؤخذ عليهم بكون استحصال النفع
بضره الناس مكروهاً بالاجماع

ولا ريب ان امتياز بعض الناس عن بعض
في وطن واحد يلحق بذلك الوطن الضرر
العظيم حساً ومعنى ووجه الضرر الاول ان
معاملة سفلة الافرنج بما لا يعامل به وجو
الوطنيين من الاكرام لغیر علة والعنوة عن الذنب
الموضح قد بعثتهم على التمرد فاعسفوا وافسدوا
ما شاؤوا بحيث لم يمس علينا يوم ولم نسمع فيه
بان فلاناً الايطالي او المالمطي ضرب وطنياً
بمخبر فعمل المخرج الى المستشفى والجراح الى دار
فصله فاودع فيها غرفة رقيقة ياكل بها عيشه
رغداً هنيئاً ثم لم يلبث فيها ان اطلق فازداد بما
اكل شرهاً ونهما وعاد الى مثل حاله السابقة
فكانت الثانية شرّاً من الاولى فاذا تكرر صدور
ذلك عنه قذف به الى اطراف بلاده فسار اليها
ثم عاد مبدلاً اسمه مغيراً شارته ورسمه كأن
يكون بلجياً ثم يخونها او يخنار لها شكلاً هندسياً
لم يكن لها ولا يخفى ما ترتب وما يترتب على
ذلك من الاضرار بهذه الاقطار

واما وجه الضرر المعنوي فهو ان انحطاط
منزلة الوطنيين وانخفاض جناح ذلم بالنسبة الى
الاجانب يولد فيهم الحسد والكسل ويشرب
قلوبهم التهميش والخوف فلا يجهلون الرغائب في
طلب الرغائب بل ربما كان الرجل منهم ذامراً
تبعته على على التماس الرفعة والمجد ثم لا يجد من
يشد ازره فيبقى خافض الذكر خامل المنزلة ولو
رأى من الدهر انصافاً لركب العظيم وطلب

منتخبات جريدة مصر الفتاة

المنشأة في الاسكندرية عام ١٨٧٩

ليس لاديبنا في هذه الجريدة اقوال جذيرة
بالاثار فانه لم يكن محررها المطلق او

صاحبها المسئول فافهمنا آثاره انما هو

معرب النصول التي كانت تنشر في

النفس الفرنسي منها فلم يؤثر عنها

لذلك المبالغة التاريخية الآتية

معربة بقلمه عن الاصل

الفرنسي وهي

الامة المصرية بازاء التاريخ

لا يستطيع الواقف على التاريخ الا ان يتعجب

من سكون الشعب المصري في خلال القرون

والاجيال التي نالت فيها على الامم والممالك

ادوار عمارة شادت لما قصور المجد في رياض

التمدن وادوار دثار ذهبت بتلك الآثار

كأن لم يكن بين المحجون الى الصفا

انيس ولم يسم بمكة سامر

وما بينها الانسان يسير الهوبنا الى الغاية

المفروضة له متقلبا بين البداوة والحضارة والشدّة

والرخاء فقد كانت هذه البلاد في خلال تلك

التقلبات نظير صنم ممنون واقفة صامته ساكنة

في وسط الامم السائرة الى الفجاح في سبيل التقدم

فاعلة هذا السكوت وما سبب هذا السكون

(١)

فلنجث فان الجث من حنوق كل انسان

فاكر وهو شعار هذه الجريدة فاذا انضمت

اسباب الداء سهل تحصيل الدواء

انه بعد الاعصار التي يقصر التاريخ عن

بيان احوالها والتي تقتصر اخبارها في الروايات

الخرافية والابحاث الاكتشافية قد كان بزوغ

انوار العلم في بلاد مصر اولاً وكان الناس الى

ذلك العهد في حالة الخشونة لاصناعة لم ولا

علم ولا ادب فان الآثار القديمة الهائلة التي

اكتشفها الباحثون في اواسط بحر الروم لا

تدل الا على ما كان للانسان وقتئذ من

الغلظة والفسوة واما الصنائع والعلوم والآداب

فمنشأها في هذه البلاد تنطق بـ اخبارها وثبتة

آثارها واذا انتقلنا من الادلة المادية الحسية

الى دائرة الافكار المجردة الفلسفية رأينا ان

الطريق التي سلكتها الامة المصرية في ذلك

العصر القدم ليست باقصر ولا اسهل من غيرها فان

الكنهة المصريين كانوا وقتئذ يعتقدون بوجود

الله وخلود النفس وان الهم الذي كانوا يسمونه

بيرومي غير منظور مستقل غير متجسد غير متغير

غير متناه ازلي ابدى وهو كالاله الحق اله

اليهود والنصارى والمسلمين وكانوا يقولون بالنفس

الخالدة بدليل ان افلاطون اخذ عنهم حكمة

التي تناقلها الناس عنه وصارت على نوع ما

انجيل التمدن الفلسفي في النصرانية ويضيق بنا

المقام عن جمع سائر الادلة الحسية والمعنوية على

قدم التمدن المصري وعن ذكر جميع الفوائد

التي اخذها اليونان عنهم والقوها الى العرب

فالقها هولاء الى اوربا على اننا في غنى عن

جميع ذلك بما نقرر في التواريخ وثبت في

التقاليد من ان منشأ التمدن انما هو مصر

وانها مصدر الاشتغال بالصنائع والعلوم

ولا يتيسر تحديد ذلك الزمن لان الآثار الخالدة

المنشرة في بلاد مصر والتي علمنا شمبوليون ان

والحروب يوم مجد ولا يوم سعادة فما هي
الاسباب المعنوية او الحسية التي وقفت حركة
هذه البلاد تلك المدة المديدة الزائدة على الالف
اعوامها هل جنت موارد ثروتها ام نضب ماء
نيلها ام تغيرت عقول سكانها .. وهي مسائل
لا يوضح لنا التاريخ عنها بل غاية ما نعلمه الامر
الواقع وهو وقوف حركة التقدم

وافد اخذ اليونان اصول التقدم المصري
وادركوا في الصنائع غاية التقدم كما ندل على
ذلك آثارهم المجدبة وبقاياهم المجليلة وبلغوا
في العلوم منتهى النجاح فنشأ فيهم ارسطو وبقرات
وارخميدس وبناغوروس ونالوا في الشعر
والانشاء اعلى مقام قنع فيهم هوميروس
وافلاطون واصابوا من الحكمة احسن نصيب
فظهر فيهم سقراط وامثاله

ثم قام الرومان من بعدهم فوضعوا القوانين
ونشروا التمدن في افاصي الارض وما برحت
الاجيال تتعاقب والايام تتوالى في اعصر الظلمات
المساء بالاعصر المتوسطة حتى استرشد الناس
بالاطلاع على علوم اليونان والعرب واستيقظت
اهمهم فاكشفت اميركا ثم جاء عصر الانتعاش
وبعد تفاعل المسائل الفلسفية بقرنين شبت
الثورة الفرنسية التي دفعت التمدن الى الحالة
الحاضرة

وفي كل هذه الازمان لم تتغير حالة مصر
بل تأخرت وتقهقرت متقلبة بين ايدي الفاتحين
ومطامع الطامعين وكيف لانستغرب مع علمنا
بأن بلاد مصر هي مهد العلم ومصدر التمدن
وانها فيما سبق نالت الحظ الاوفر من النجاح
المادي والعقلي وان الباقي من آثارها لا يزال

نقرا المكتوب عليها بسهولة وإن كانت باللغة
من العمر ٦٠٠٠ سنة الا انها حديثة بالنظر
الى الخمس وسبعين الف سنة التي تكونت فيها
الذلتا كما يستفاد من اخبارهم القديمة على اننا
نستغني عن ادلة الاخبار الجغرافية ونكتفي بالنظر
الى عظمة الاهرام وجمال هيكل لنصر لتبين
ان هذه الاعمال هي نتيجة تمدن عظيم لا نتيجة
طاعة ناقصة وما بدلنا على تقدم مصر العجيب
في الاعصر القديمة صناعة البناء وتفننهم في ذلك
فانه لما كان وقوع النور على السطوح الصقيلة
المتساوية يجعل في منظرها تعبيراً جعل المهندسون
المصريون سطوح المسلات محدبة وجعلوا
احديديها موازياً لذلك التعبير الذي تنوه
العين بسبب النور وهذا دليل واضح على ان
العلوم والصنائع كانت وقتئذ متقدمة جداً بين
المصريين

(٣)

فتبين من ذلك ان العقل لم يتم اولاً ولم
يسع ليولد الافكار العظيمة ويجمع المعارف
المكتسبة ويحفظها وينقلها الى الخلف وفيهم معنى
الجمال ويسير في طريق الكمال الا في هذه البلاد
ولكن في هذه البلاد ايضاً قد انطفأ
فجاء نور ذلك العقل المولد الذي بلغ فيما
سلف اعلى درجات الكمال ثم تواردت عليها
الامم المختلفة والشعوب المتنوعة فانها الرعاة
ثم الحشيشة ثم فارس ثم العرب ثم الاتراك فمنهم
من اكتسب منها التمدن ومنهم من كان من
المفسدين اما المصريون الحقيقيون فلم ينهضوا
بعد ذلك السقوط فان بلادهم لم تثر في جميع
تلك القرون التي تخللتها تلك الحوادث

مختارات مصر القاهرة

التي انشأها في باريس عام ١٨٨٠

على ما سبقت الإشارة اليه في مقدمة هذه
المنتخبات ثبت في هذا القسم ما خلا
من آثار الحدة ونزق الشباب
في فصول هذه الجريدة ومقالاتها
مختارين من شذورها ما
اعتلى باهداب البلاغة
وانصل باطراف
البراءة في
البراعة
وهي

أوروبا والشرق

قضي على الشرق ان يهبط بعد الارتفاع
ويذل بعد الامتناع ويكون هدفاً لسهام المطامع
والمطالب تعبت به ايدي الاجانب من كل
جانب فتمهم من يغير عليه بحجة الغيرة على الانسانية
ومنهم من يتداخل فيه بدعوى اقامة المدنية
ولم نرَ منهم من صدق في دعواه بل كلهم تابع
في ذلك قصده وهواه

فقد استولت انكلتة على الهند والافغان
وجنوبي افريقيا وقبرص وتداخلت في تركية
اوربا ومصر وسورية ومراكش وزنجبار والبرمان
بحجة الانسانية ودعوى المدنية ولم تؤيد في
جميع تلك البلاد غير الخشونة والاستبداد
استبقاه لاهلها على حال يسهل معها اخذ اوطانهم
واستخدام ابدانهم بما فطرت عليه من الاثرة

الى الان موضوع تعجب اهل هذا العصر مع ما
هم عليه من سعة الافكار والتفنن في الاعمال
العظيمة والمفيدة

ولكن اذا علمنا ان الامة المصرية قد
فقدت حريتها منذ اعوام واعصار وان حكامها
كانوا سادتها وانها كانت عرضة لغاياتهم وغرضاً
لاهلئهم مع فقد اسباب الادارة ووسائل المعارة
سهل علينا ادراك سبب تأخيرها وفقد قوتها
الادبية وبقيتها ساكنة كل هذا الزمان الطويل
فيا ايها الحرية يا مصدر كل امر جليل في
الارض لقد علمنا انه لانجاح بدونك ولا سعادة
مع البعد عنك فان الامة الحرة تكون كفرس
غير مقيد بسير رافعاً راسه ويتنشق مل صدره
الهواء النفسي ويسرح في المرعى النضير واما
الشعب المستعبد فهو كفرس يدور حول
الرحي مغضض العينين يسير السنة بنمائها ولا
ينثقل من مكانه

ويا ايها الامة المصرية انهضي من عثرة
الغفلة وانظري الى الذين نالوا السعادة فانك
أهل لاعظم المواهب ولاسيا بعد ان تولاك
اميرك الجديد الذي اتخذ الحرية شعاراً ورفع
للعدل مناراً فلا ريب انه يهد لك طرق
الاصلاح ويسلك بك مسالك النجاح

لما لا للانتفاع بخدمة منهم فهي كالجزار لا يطعم
الضائن الا ليدبجه سميناً ثم يجعل من جلده
سوطاً يسوق به الانعام . على مثل ذلك
طبعت حكومة الانكليز وعلى مثله نراها في الهند
فقد جعلت امراءها غلماناً واتخذت نبياءها عبداناً
واستخدمت عامتها فيلة وبعراً

اما سائر الدول فانها اقل من تلك
الدولة شراً واكثر منها رفقا وبراً تعامل
الخاضعين لها بالتي هي احسن حتى يكادوا
يحمدون وقادتها ويشكرون ولايتها لولا العلم
بان الاستقلال حياة الامم فاذا فقدته فقد صار
وجودها المعنوي في جانب العدم

التردد

اذا كنت ذا رأي فكن فيه مقدماً
فان فساد الرأي ان تردداً
ووال الزمان اذا والاك وخذ منه ما
اعطاك فهو ملول بآلف الصد وبخيل لا يأنف
الرد وانتهر فرص الحوادث فالعمر وان طال
اقصر من ان يسع المطال

واعبر بالذين يقتلون الايام بين الاحجام
والاقدام ويؤجلون للغد ما امكن بالامس الى
ان يمتنع الامكان بما يحول دونه من مصاعب
الزمان كيف تلاشت احوالهم وساء ما لهم فصاروا
الى الضعف بعد القوة والهرم بعد الفتوة
والخمول بعد النباهة والخنس بعد الوجاهة
حتى عاد مجدهم صغاراً ومسح فضلهم عاراً

وانظر الى الذين ينيطون الاقوال باطراف
الاعمال ويستلبون الاوقات من مخالفات الآفات
ويتهززون الفرص كيف سحبت ويدخلون

تعملها على كراهية الفضل الا لئيبها وبغض
السعادة الا لذويها بل بما تقرر في اذهان
اهلها من ان الخارج عن جزائرها الثلاث منخط
عن درجة الانسانية لم يوجد الا لخدمة الذين
التمهم الطبيعة لخشونة طباعهم على صنور منقطعة
عن الياسة محرومة من الطيبات محجوبة الشمس
والنجوم مستمرة الضباب والغيوم

وفتحت الروسية القرم وداغستان وارمينية
وسجستان وخيوى وخوقند وتركستان وسمرقند
واغارت على الدولة العثمانية فانتزعت منها معظم
بلادها الاسبوية وفصلت عنها الصرب والمالكيين
والجبل الاسود والبلغار وجعلت الروم ابلي
شركاً لفتنة تثيرها وارب تناله ثم الفت على
جميع ذلك حجاب حسن النية وموهته بالغيرة
الدينية واتقيام بامر الضعيف ورفع منار المدنية
ولو صدقت في شيء مما تدعيه لرأينا بوادر
هذه المآثر في بلادها ولما رأينا ولي عهد دولتها
يطلب من ابيه الاصلاح واهل تدوتها يسألونه
فتح ابواب النجاح وقادة الجند يدعون للحكومة
الشوروية وعامة الرعية يرمون رفع لواء
الحرية واهل الثورة يخرجون عن الطاعة ويشقون
عصا الجماعة وجلالة القيصر غير مبال بجميع
ذلك حتى قيل انه الى التنازل عن الملك اقرب
منه الى الرضا برأي ولي العهد بل جاء بالتلغراف
انه قد استشاط غيظاً من تجرؤ ابنه على الناس
الشورى فامر به ان يسجن ولولا ان شفعت فيه
والدنة لكان في جملة اهل الحبوس

على ان الروسية وان كانت مطلقة الاحكام
الا انها ادنى الى الرحمة والعدل والرفق والفضل
من دولة الانكليزا التي لا تنبني على حياة الخاضعين

بعد هذا الوجود ام اي وجود ترجون مع هذا
الفناء

لاجرم ان مثلكم في الصبر على هذا النكر
كمثل بجيل ينقضي العمر في الناس المال ثم
يحسبه عن نفسه وعن العيال راضياً بأسواء حال
ومن ينقضي الساعات في جمع ماله

مخافة فقير قالذي فعل الفقر
تقولون لا نرضى بهذا الخسف ولا نقوى
على احتمال الذل فقد صارت اجزنا عاملاً ونيبها
خاملاً وعالمنا سائلاً فلم يبق قينا غير الاجير
والنايع والشحاذ والزارع والجندي منخفض
الجانب والشرطي منقطع الراتب

بل زارعنا الذي يدفن مع الحبة قوة يمينه
ويسقي الغرس بماء جبينه نزيل في دارايه
وغريب في ارض ذويه يحصد ما زرع ولكن
اسواه ويحني ما غرس ولا يذوق جناه

وجملة الامر ان الشدة قد بلغت في امرنا
حد الحدة فصار ومن دون خوف بعد الامن
والسقم بعد البرء والياس بعد الرجاء والفقر
بعد الغنى حتى لو استزدنا الدهر بلاء لما وجد الى
ذلك من سبيل وحتى عذب الموت بانفواها
والموت خير من مقام الدليل

تقولون هذا وانتم في مراتع الاهال ومرايع
الآمال تحرصون على الفناة حرص الجبل على
درهه وتضنون بالاقدام ضمن الجبان بدنه
وهل ينفع الخطي غير مثقف

وتظهر الا بالصقال الجواهر
وكيف ينال المجد والجسم وادع

وكيف يجاز الحمد والعزم فانر
بل ما اجدر القائلين من غير فعل بان

ابواب السعي متى فمحت هل زلت بهم الاقدام
ام ندموا على الاقدام ام أسفل كما يأسف
المهلون ام خسفوا كما خسف المترددون

او ما نراهم في ذروة المجد وربوة النعمة
وعنوة الحرية لا يبلغ شأهم الساعون ولا يمسم
الثناء ولا ينالهم الظالمون بسوء فهم القادرون
اذا رغبوا ولم يدركون اذا طلبوا والعالمون اذا
اذا نطقوا والسابقون اذا لحقوا تبسم الحياة
لشيوخهم كما ينسم الموت لغيتاننا وبروق الوجود
لغقراهم كما يروق الغنى لاغبائنا حتى كأن
الزمان عاهدهم على الراحة وعاهدهم باستمرار
الهناء كما واثقنا على الجهد واستقرار البلاء
فبننا نعاني صنوف العناء

ولسنا نرى في الانام معينة

ودارت علينا رخي نكبة

نظلل الحجارة فيها طحينا

فيا قوم : لقد مرت بكم الايام باسباب
النعمة والنفقة والراحة والتعب والياس والرجاء
فلم تستوفوا الرغائب ولم تجنبوا النوائب ولكن
وقفتم بين الجزع والكسل والامل والملل ففر
المرغوب وفر المرهوب فلم تحبوا خيبة الساعي
لتعذروا ولم تصيبوا اصابة المثبت لتذكروا ولم
تدركوا الارب اتفاقاً لتذكروا

وتلك حالكم شاهدة بما اقول فقد بليتكم
بما يذيب الشحم ويقرض اللحم وينقي العظم
وانتم صابرون ومنيتكم بما وفر النعم وغير النعم
واهلك النعم وانتم صامتون ورزقتم بما جلب
المصائب وهلك المحباب وبرز الكعاب وانتم
خاشعون فما الذي تخافون . . بل اي عناء لم
تعانوه واي بلاء لم تناسوه واي فناء تحذرون

باباً للمعاورة ومطلباً للمذاكرة ووجهاً للبيان
فلما نحن في موضوع كيف انقلب صح فيه القياس
او ما ترين كيف اختلفت الجرائد في
اوجه المسائل بين السلب والايجاب والنفي
والاثبات وهي جميعاً فيما براه كل فريق وما
يوهم كل دليل على حق فيما نقول وعلى هدى
فيما ترى ..

فان كان رأيها الحرب فلا ابسر من ايجابها
بيان اسبابها اوليس ان الدول مدججة بالسلاح
قائمة على قدم الكفاح اعدت العساكر وجمعت
الدخائر ومرتبة الجند على حب القتال فظفروا
لدم الابطال وقدموا لحلم الرجال حتى لو امرهم
القائد بالسير تعلماً وتعبيداً ثم اشتغل عن امرهم
بالوقوف لاستمروا على سيرهم حتى يبلغوا اقرب
العواصم الى بلادهم وبلاقوا ابعد الناس عن
ودادهم . او ما شكت الخزائن من اقبال
النفقات واحتاجت المزارع الى ايدي الجند وطال
على الناس توقع المكروه وانتشيت الفتنة في
جميع الممالك ما بيني منها على الشورى وما بقي
على الاستبداد فالعديمة في بلاد الروس والاجتماعية
في ديار الالمان والاباحية في قطر الفرنسيين
والناشدون للفضالة في مملكة الايطاليين
واحزاب ارلنده في جزائر الانكليز والكارلية
في اسبانيا وهلم جرا . افلا يدل ذلك
على وشك وقوع الحرب شفاء لطامع الرؤساء
وتوسلاً لاطلاق الجند واحاداً لفتن العامة .
وان كان ما تراه العلم فهو الظاهر للعيان
الغني عن الترهان اوليس ان ملك الايطاليين
ومملكة الانكليز وقائد الالمان ووزير النمساويين
وسائر زعماء الدول يصرون على المنابر بين

بفعلوا من غير مقال . أجل واسوف تفعلون
وكأنني بكم عصاة من اهل الهمة والاصابة
ترفعون الاصوات في طلب الحق المسلوب
وتندون الاكف لالتماس المال المنهوب وتجعلون
الابدان للوطن سوراً يرد عنه العدو مذعوراً
واتم الكلمة المنفذة والقوة المتجمعة هي
افوى من العدد الكثير
الا انكم تترددون

ياخذكم فيما ترومون عدل الخائفين
فتنسبون ماضي الزمان على رجاء آتية
فيؤمكم ابداً مستهلك في غده والقد فيما يلبو
فيما حليف الصبر ويانضو العناء نداء مشارك
في بلواك وسامع لتجواك دع التردد ان اردت
النجاح والنجاة وأقدم قرب حياة تكون في طلب
الموت ورب موت يجي من طلب الحياة
ولا تبع عاجلاً منها بأجل ما
نرجو فذلك امر شائن الطول
ولا يصدك عن امر مهمت به
من العواذل لا قال ولا قيل
فخير يومك يوم انت فيه اذا
هزئت والناس محمود ومعدول

واله نحت عنوان

خواطر سياسية

اي مصر: لا بد من الكلام في السياسة
وان كانت حقيقتها وراء حجاب الغيب فهي دندنة
تنتفع لها الاسماع وتشتت تألفها الطباع فاقترحي

المكابرون الذين يقاومون الحق بسيف الباطل
وبئس ما كانوا يفعلون

ثم اسرّح طرف المقلّة في روضة تلك
الطلعة واجعل نلّوا استهلالي في رقعة إهلالي
غزلاً ارق من الصبا واحن من عود الصبا
في فدي لا يحاكيه الغصن وطرف لا يماثله النرجس
وخذ لا يعادله الورد وثغر لا يقارنه البرق
وفرّق لا يباريه الصبح وفرع لا يباريه الليل
من صورة من تعشقه النفس ولا يدركها المحس
فهي مفردة بصفاتها لا تشبه الا بذاتها بموت في
حبها العشاق غيرة عليها ثم لا يمنعونها عن المشتاق
اليها فهي المورد يراه الظمان والمأمن يجده الخائف
والسبيل يلقاه النائه بل مقصد الساعي يناله
بعد اليأس وكلمة العنوّ يسعها من كان على
الطع بل هي فوق ما يصف الواصفون وينعت
العارفون بل هي: الحرية: وكفى بذلك وصفاً
لقوم يعقلون

ثم اشنع ذلك بجزر ما ايدها بعد ما ضعفت
وجدد ربوع مجدها بعد ان غفت اريد الثورة
التي وضعت احكامها ورفعت مقامها ونشرت
على الناس اعلامها .

ولقد بدئت هذه الثورة في بلاد الفرنسيين
عام تسعة وثمانين بعد السبعائة والالف من
التاريخ الميلادي على عهد لويس السادس عشر
اذ اخذت امور المالية بما كان الرؤساء
ينفقونه من غير حساب على حين كانت خواطر
الناس متجهة من رقدة الغفلة بما سعى من
نداء الخطباء واقوال النباه وتقارير العلماء
فكان ذلك الاخلال كاشفاً عن احوال
الظالمين ما بقي عليها من سجون الخداع والتمويه

الاملاء مجرّهم على السلم ونفرتهم من الحرب
وان الامم قد رأت مساوي القتال فانكرته
ومحاسن السلم فاثرت فاذا رأت من رجال
الدولة ميلاً الى الحرب تصدّت لمعارضهم فكان
الصواب ما نقول فانما نحن في زمن لا قوة
فيه الا بالامة ولا حكم الا لما اما الثمن في
الممالك والمنافسات في بلاد الشرقيين فإني
الا سحابة صيف عن قليل تفسح

صدق السليبيون وما كذب الحريريون

فالامر بيد الامم - في البلاد التي تبنت
بها الحقوق وتعينت الواجبات - والامم كارهة
للحرب راغبة في السلم ولكن للامم زعماء يأخذون
بالملاينة ان لم تنفع الخاشنة ولا يعارضون سبيل
الاراء غير انهم يفتادونه من جانبيه فيتبع فان
رام هؤلاء الزعماء حرباً فلا يعجزهم طلابها ولا
تمنع عليهم ابوابها ولكن اكثر الناس من ذكر
الحرب حتى قلّ خوفنا من قرب وقوعها فانما
اقرب ما نكون الى القول وايعد ما نراها عن
الفعل ولا يرد علينا بان السنة الخلفى اقلام
الحق فلكل عصر حكمة ولكل مجال مقال

الحرية

ابداً مقالاً بالثناء على جرائم الضياء التي بعثتها
يد العزّة من افق الحكمة فانفتق بها ستر
الظلام عن ذات جمال كالها الحسن بتاج
الكمال فجرت على هام الاوهام مطارف ثوب
نسيجه يد الصبح بغزل شعاع الشمس فانبهرت
بها مقل الظلام وراها نبهاء الناس نوراً على
نور فرفعوا لها بينهم مناراً واوقدوا من حولها ناراً
تهدي قوماً وتحرّق اخرين وما يحترق بها الا

ان الملك عارضهم في ذلك واقفل عنهم باب المجلس فاجتمعوا في ملعب المدينة واقسموا ميثاقاً غموساً: انهم لا يفترون قبل ان يضعوا لبلادهم دستوراً: ولذلك سمي مجلسهم بالجمعية الدستورية واني لاسميه مبعث الحرية فانه قد احياها بعد وشك الفناء

وله من فصل

في العدمية

زعم البعض ان العدمية قد استجملوا للمورقات وانفردوا بالمنكرات فمن مذهبهم المثبت لفساد مشربهم انهم لا يؤمنون بالله . . نعوذ بالله من هذا الكفر المين . ولكننا لانحسب العدمية شيعة دينية فان كان اولياؤها على المحمود فلا يكون ذلك من لوازم مشربهم وانما هو فيهم كالنفور من خدمة الدين في احزاب الجمهورية . .

ومن ذلك المذهب انهم يقولون بالاشتراك في العرض والاموال وهي بدعة جديدة لم يسبقهم اليها احد من الناس . .

عفواً ان العدمية لا يحسبون العرض مشاعاً بل العرض لا يحتمل الشيع فهو النفس او النسب او الشأن ولا نعلم له من معني يصح فيه الاشتراك فان كان الزاعم يكتفي به عن النساء على وجه جديد من المجاز فالقول منقوض عليه من وجهين الاول ان العدمية لا يميزون الاشتراك في الزوجات والثاني ان هذه البدعة غير جديدة بين الناس فالمرمون في اميركا يشتركون في نساءهم والكومون في فرنسا يوجهون تقاسم الاموال

فهاجت به بجمار الافكار وخاف اهل الدولة الغرق فرأوا ان يجتمعوا مجلس الولايات للنظر في امور بيت المال وكان ذلك المجلس ضعيف الكلمة مغلوب الامر الا فيما يلائم الروساء لكثرة عددهم وغلبة رأيهم فيه فقد كان الثالث الاول منه للشرفاء اي الذين تقربوا من الملوك فيما سلف او اغتالوا بعض الناس واغصبوا شيئاً من الارض فامنازوا بذلك عن سائر القوم والثالث الثاني لاهل الكهنوت اي لروساء الدين الذين خالفوا احكامهم بما تداخلوا فيه من امور الدنيا حتى انشأوا مملكة في وسط المملكة والثالث الباقي لسائر الامة اي لاهل التجارة والصناعة والزراعة من تقوم الدولة باموالهم ويتأبد الملك بابدانهم ويهر القطر بما يشتغلون فكانت لذلك غالبية الاراء في جانب اعوان الدولة من النبلاء والروساء فدار بين الناس قول يتناقلونه همساً لا نرضى بالمجلس الا ان تحصل فيه المساواة بالعدد بين وكلاء الامة والروساء فانصل ذلك القول برجال الدولة فخافوا عاقبة المخالفة شأن الخائن المريب فامروا ان يكون الانتخاب على ما تروم الامة فانتخب من النبلاء مائتان وسبعون ومن اهل الكهنوت ٢٩١ ومن الرعية ٥٨٧ واحشد جميع هؤلاء الوكلاء في مدينة فرسايل خامس شهر ايار (مايو) من العام السابق الذكر وفي اليوم الثاني وقع بينهم الخلاف على الحدود والحقوق اذ رام وكلاء الامة المساواة واهل النبلاء والروساء الا حفظ ما كان لهم من الامتياز ثم انفصل هؤلاء عن الجميع فتألف اولئك وقالوا لا حاجة لنا بهؤلاء الاغرار انا جماعة كافية بقوة الحق الا

ولذلك فانا نترك النظر فيها لشعراء الالمان
واللاتين والصقالبة ونورد من خبر المسائل
الواقعية لمعاً بمجملته هذا المقام فنقول
ما توجهت خواطر الانكليز الى واسطاسيا
ولا نهورت حكومتهم في قتال الافغان لاختضاع
قوم صلاب القلوب كبار النفوس يرون العز
في خلال الصفوف والمجد بقتال الالوف والجنة
تحت ظلال السيوف ولكن رأيت سطوة الروسية
منتشرة فيما وراء تخومها الهندية نسري في تلك
البلاد الفخياء سري النار في الخلفاء فرامت ان
تجعلها اقساماً يتولاها المايزرون للانكليز
المنافرون الروس فتكون عقبات وحصوناً في
طريق الروسية

وما حرصت دولة الانكليز على الكلمة الغالبة
والسطوة النافذة في البلاد العثمانية والايالة
المصرية الا لصيانة بحر الاستانة وخليج السويس
فشأنها في السلطنة التركية ان تهدم بقايا الاطلال
وتشيد على آثارها حصوناً انكليزية الاساس
بريطانية القواعد تركية الصبغة تقيم عليها من
الحما والمرابطين من ثقتهم ونعول عليهم
ودأبها في الامارة الخديوية ان تنصم عروة
الاستقلال وتطفئ نور الوطنية وتجعل الامر
مطلقاً بيد من يكون اطوع من نعلها واتبع من
ظلمها بمعنى ان تجعل ولايات الدولة وفي جملتها
مصر اقساماً سياسية مائة للانكليز مائة
لروس . ولهذا كان هم الروسية في المسألة
الاولى ان تعارض سعي الانكليز فيما يحاولون
من التقسيم او تجعله ملائماً لمصلحتهم مؤيداً لسلطوتها
وشأنها في المسألة الثانية ان تجمع تحت لواها
ما انفصل وما سينفصل عن الدولة العثمانية

اما العدمية فهي الطرف المقابل للاستبداد
في الهيئة السياسية . قاله وكتور هيكو ولعله
اعرف بالحقيقة من ذهبوا ذلك المذهب
ومشربها مقاومة الشر بمثله فالعنف بالشد
والعسف بالغيلة والشنق بالطعن والنفي الى
سيريا بالحبس بين جدران النصور
ومقصدها اعتناك المستبد وتنبية الخواطر
وتحصيل الحقوق ورفع لواء الحرية وكسر
شوكة الاستعباد . ونعم القصد اولا ان وسيلته
آخذة بشئ ما يبعث عليه

وقال في فصل سياسي

من تأمل احوال الممالك تأمل بصير
يفراً ما بين اضعاف السطور ولا تشغله الظواهر
عن حقائق الامور علم ان منافسات الدول
ومحاورات اهل السياسة ومناقشات صحف
الاخبار وتجهيز العساكر وحصول التحالفات
ووقوع التحالفات كل ذلك يدور على اربع
مسائل مهمات - الاولى في واسطاسيا وموضوعها
عند الانكليز : حفظ الهند من طوارق حدود
الهند : والثانية في السلطنة العثمانية والايالة
المصرية وموضوعها عندهم : حفظ الهند من
عوارض طريق الهند : والثالثة بين الالمان
والفرنسيين وموضوعها : الالزاس واللورين :
والرابعة بين اوستريا واطاليا وموضوعها :
التيبول وغيره من البلاد الايطالية الباقية
في ملكية النموسيين : - . وفوق هذه الامور
مسألة الجنسية الكبرى الا انها لا تزال في
عالم الخيال مع المدينة الفاصلة التي يتصورها الحكماء

ودولة الايتاليين كما يشف عن ذلك مسير
ولي العهد الالماني الى رومية لتأيد روابط
الوداد توجساً من تقرب دولتها الى الفرنسيين
وكما يدل عليه ما نشره الصحف المهمة من
سعي الوزارة الفرنسية في تمكين علائق الود
بينها وبين الدولة الايتالية

فاذا تقرّر ما بسطناه من احوال هاته
المسائل علمنا ان لا بد من حسمها على اي وجه
كان فلم يبق الا ان نبين كيفية ذلك الحسم
وهل نراه عما قريب ام يكون بعيد الوقوع
مستعدين ما نبديه من اراء ذوي النقد مستدلين
عليه من طبيعة تلك المسائل ومن احوال
الدول في هذه الالام

فمسألة الحدود الهندية تبعث الروسية
ودولة الانكليز على التوغل المستمر في اواسط
آسيا بحيث يفضي بهما الامر الى التماس والتلاحم
فيقدح الزندان نار القتال . ومسألة الخليجين
توجب استمرار المناقشة الدولية والمناظرة السياسية
في سلطنة الترك واiale مصر حتى يتمكن الضعيف
من تينك الحكومتين فيتمثل منها الاعضاء على
صورة تستلزم النصل والتجزئة فتقع نسور المطامع
وغربان الاهواء على تلك الاشلاء قطعاً بالمناسر
وتتريقاً بالمخالب فتقوم بينهما ثائرة الخلاف
والحاشدة فترفع الامر الى مجلس المدفع الاكبر
فتنضي كراته بينهما ويكون الحق ما نقول . واما
مسألة الانزاس ومسألة التيرول فان لها في
خواطر الفرنسيين والايثاليانيين مكان العبادة
من قلوب اهل الدين نظيرها اقلامهم ولا
يسترها كلامهم ولا تخلو منها احلامهم فان
ضعفت هذه العبادة بما يعظم اهل الاعتدال

من بلاد الصقالبة لتكون بذلك موازنة لدولة
الانكليز غالبية على امرها في تلك الجهات .
غير انها لا تأمن في ذلك معارضة الدولة
النسوية لما تعلم من اتجاه سياستها الى الشرق
يأساً من السلطنة الغربية فهي بين الاحجام
والافدام والرغبة والرغبة يحوم نسرها على ذلك
التصد ولا يستطيع الوقوع عليه
كطوف الغربية وسط الحياض

تخاف الردى وتريد الجفارا
وهذا الذي اوضحناه من احوال هاتين
المسألتين انما هو الوجه الشرقي من السياسة
العمومية واما الوجه الغربي فهو في مسألة
الانزاس بين الالمان والفرنسيين ومسألة
التيرول بين الايثاليانيين والفرنسيين فاما
المسألة الانزاسية فان اختلاف مظاهرها بعد
الحرب لا يدل على ضعف آثارها في خواطر
الفرنسيين فانهم على اتفاق في وجوب ادراك
النار وكشف العار واسترجاع الانزاس واللورين
من يد الالمان وانما يختلفون على الوقت الملائم
لحل هاته المسألة فهي من هذا الوجه كالبركان
تختلف مظاهر النار فيه بين السكون والاضطراب
والوميض والانهب والنار في جوفه مستمرة
الضرام .

واما مسألة التيرول فهي عند الايثاليين
كمسألة الانزاس عند الفرنسيين لا ينتظرون
لحلها الا القوة الكافية والفرصة الملائمة فالامتان
على اتفاق في التصد مع اختلاف الموضوع فلا
بدع ان يكون حصول المحالفة بين الالمان
اعداء الامة الاولى والفرنسيين اعداء الثانية
موجباً للتقرب والتظاهر بين جمهورية الفرنسيين

وهو الجهل حتى تضع الاخطار وتنفى
الافذار وتبطل الهمم وتزول القيم ويعنو العلم
ويدرس الفهم ويستعلي الخامل ويستولي الجاهل
وتنفذ الارؤس وتنقبض الانفس وحتى ترى
بكل ارض في شرقنا اماً

نرى بعيداً كأنها غنم
يستغش الخبز حين يلهم

وكاد يبرى بظفره القلم
قف بالربوع الدارسة المعاهد العافية
الآثار وأنشد هناك عزماً اضاعه الاهال ومجداً
اخفاء المخبول الأبقية آثار في المعالم كفايا
الوشم في المعاصم وابك العزوبية والفضل
وذوبه حتى يثبت الآس على القبور وحتى تسمع
اصواتهم من وراء حجب العصور بل دع النشد
والبكاء في هاته الخطوب الفادحة فلا نفع للتكلى
بنوح النائحة واقصد بنا مراع النعمة ومصانع
الرحمة نسأل فيها الاعانة والاحسان
لاسد عضها كلب الجوع وارام وقعت في
حبائل الفاقة واطفال يتلون دموع المراضع
يحسونه البائس فقد الف الغرب الاحسان وتعود
اعانة الانسان

وانل على كرامو ما جاءنا من خبر المجاعة في
حلب وما بين النهرين فقد بلغت الحاجة من
اهل الشهباء ان النساء هتكن السنور وخرجن
من وراء الخدور وطفن بالقلعة صائحات معولات
مولولات ياتسن القوت لرجال اضواهم الجوع
فازروم البيوت فخرج الوالي اليهن بوعود لا تغني
عن الجائع ولا تدفع آلامه فرجعن عنه آيسات
وطفن بالاسواق يبعثن الرجال على التفتة قنوطاً
من زوال المحنة فانقض هولاء على الافران

واحباء السلم فان الجرائد انظر في احزابهم
تضن تمشج الحقد في صدورهم وتحريك الدم في
عروقهم

واما حالة الدول فهي السلم في ساحة
الترال او الحرب من غير قتال فانها تزيد
عدد العساكر ونفقات الزخائر ولا تألو الجند
تجهيزاً وغرباً والحدود تمكناً وتحصيناً فقد
زادت الروسية مقادير عسكرها مع اختلال
ماليتها بما انفقته في الحرب الاخيرة وما برحت
اوستريا تطلب القرض بعد القرض لنفقات
الجندية ولا تزال ايطاليا تنشي الدواع العظيمة
والمدافع الجسيمة اما فرنسا فقد بلغت نفقات
عسكرها تسعمائة مليون من الفرنك ولم تكن
من قبل سوى خمسمائة مليون واما المانيا فقد
صارت بما استكثرت من الجند والات القتال
كمدينة احاط العدو بأسوارها واقام على حصارها
فهل يصح في قياس العاقل بل في وهم
الجاهل استمرار هذه الحال وهل نصبر اوربا
على دوام الحرب من غير قتال وانقباض الوف
الوف من الايدي عن الاعمال وهي مسألة
لا تحل الجواب

فاذا لاحت البداة في الامر فان السؤال

عنه جواب

وله في مجاعة حلب عام ١٨٨٠ بعنوان

بعض البلاء ينتهي الى بعض

هو الظلم حتى تطر السماء بلاء فتنبت
الارض عناء فلا تجد تلى سطحها الا جسوماً
ضاوية في ديار خاوية وقلوباً تحترق في بلاد
تحت رق

معارفنا الافكار

فما لتلك البلاد التي وسعت الوف الالوف
تضيق عن المئين وكيف صارت قوة اهلها
ضعفًا وسخ مجدهم ذلةً وخسفاً

هل انقلب الارض ام غضبت عليها السماء
ام فسدت القلوب ام عميت الابصار ام هذ
سنة الزمان في ابنائهم

كلاً . ولا عتب على الزمان فهو النهار
نضى شمسهِ والليل يطلع بدره والربيع يزين
الارض بازهاره والشتاء يروي المزارع بامطاره
ولكن هي البصائر غشياً وهم الكمال في العادات
ودعوى العصمة في التقليد فاحتجبت عنها حركة
الخواطر في بلاد الغرب فسار الناس ونحن
واقفون وحركتهم عوامل الغيرة وضائرتنا مبنية
على السكون

فمن لنا بذي غيرة يهتك سجوف الاوهام
عن البصائر ويجلو خفاقي الامور للابصار
فترى نفعا في اعتقاد الكمال وخطأنا في ادعاء
العصمة فننبد ما جناه علينا السلف من اسباب
التيه والصلف وتقرب للنعمة بوسائل الاجتهاد
فان قصر العمر عن الوصول الى غاية النعمة
ودرجة الهناء فلا اقل من ان يموت الشرقي
عن سعي يشكر واثر يذكر

فمن عاش في ذلٍ فذلك ميتٌ

ومن مات عن فضلٍ فذلك خالدٌ

ومن لم يميت بالسيف مات بغيره

تنوعت الاسباب والموت واحدٌ

فذلكم

قائد الغنلة الأمل والهوى قائد الزلل
قتل الجهل اهله ونجا كل من عقل

يلتهمون الحيز لا ينتهبونه

اما ديار بكر وماردين وسائر ما بين
النهرين من المدن القديمة الشأن فلم تقف بها
الشدق عند هذا الحد بل اتصل الموات باطرافها
على مثل ما سمعناه منذ عابدين من اخبار
الجماعة في بعض الهند واهيركا حتى اُكلت
اطراف الغصون واصول الاشجار

فعمى ان يكون لصوتنا الضعيف صدى
تردده الضعيف الوضاء في هاته العاصمة الزاهرة
فيقبل اهلها على مساعدة المصابين ولا يضع
الله اجر المحسنين

« وقد ترجم هذا الفصل عايند ليثبت في بعض »
« جرائد باريس على رجاء ان تفتح الاكتاب »
« للاعانة على ما تعودته في مثل هذه الحال »

وله ايضاً

تأمل

بلادنا احسن البقاع تربة وهواء واصفاها
سماء وماء واوسعها مرتعاً وفناء . كانت فيما
سلف نقل الملايين من ذوي النعمة والرفاهية
يستخرجون منها ما يجتاجون اليه ويفضل عنهم
ما يجرون به وذلك مع توالي الحروب
وتواتر الغارات واستمرار المنافسة بين الامراء
والدول

ونحن ذوو ابدان شهدت بقوتها حوادث
الايام واهل صبر دل عليه ثباتنا في المتاعب
وارباب اقدام اقرّ به الاعداء وحلفاء قناعة
اثبتنا الجور والفقر . كنا اهل السطوة غير
معارضين وارباب الثروة غير منافسين تزين
بضائعنا الامصار ونعمر صنائعنا الاقطار ونثير

فعلی م الوقوف فی ساحة العجز والکسل

وله مطلب مطوّل فی

الشرق

قال .

تمهید

قد التزمت لهذا المطلب اسلوب التقرير وعدلت فيه عن منهج الخطابة الشعرية لاعتمادی بان الاسلوب الخطابي وان كان اسرع تأثيراً في القلوب واحسن وقعاً في الاذهان الا انه قد يميل بالکاتب الى جانب التخيل الوهي في مکان التقرير العلمي فيرتفع بيانّه عن المدارك التي سبقت اليها الملکات الصناعية الحسية فلم تبقى بها من محل الملکة الخيال المسماة شعراً فينبوت الغرض المقصود من البيان والبلاغة وهو تقرير المعاني في الافهام من اقرب وجوه الکلام وجعلته اقساماً متناسبة وفصولاً متوالية ارسل فيها الکلام ارسال مقرر مبین ولا اتکلفه تکلف منقّ مزین فان احکام التقرير منافية لهذا التمويه الذي يسمونه بديعاً وانما يؤخذ به عند رسم التخيلات عسى ان يكون مغنياً عن محاسن الحقيقة بل ربما جاء التخيل في غنى عنه بما يزينه من المعاني فكان وقوعه فيه كالصبغة في الوجنة الحمراء والخضاب في اللثة السوداء يبعثان علي الظنون ولا يزيدان الوجه حسناً

القسم الاول

فصل

ما هو الشرق

ليس من شأنی البحث اللغوي لاعرف

الشرق بكونه المشرق ولا البحث الفلكي لا قول هو الجهة التي نخالها مطلعاً للشمس وانما انظر في هذا المطلب الى التاريخ السياسي في البلاد المسماة شرقاً فشأني في تعريفه ان ايين حدها الطبيعي والجغرافي وكيف عمها اسم الشرق مع اختلاف مواقعها وتباين جهاتها وتباعد اقاليمها فاقول

لم ار في شيء ما قرأت من كتب السلف الکرام ما يشعر بورود هذا اللفظ في كلام العرب بمعناه المعروف في هذه الايام وانما اطلقوه بعد الاسلام - بصيغة ظرف المكان - على جانب من فتوحهم تمييزاً له عن بلاد البربر والاندلس التي دعيت مغرباً . الا ان سكان الجناح الغربي من اوربا قد اطلقوه على البلاد الواقعة في جهة الشرق بالنظر اليهم وهم الصين واليابان والمغول والهند والعربية ويران وفينيقية وغيرها من اقطار اسيا بل اتصل ببعض البلاد الاوربية كالروم والبلغار والصرب ثم توسع فيه من نعالهم منهم باللغات الشرقية ومن بحث في الاثار القديمة فعم جزائر المحيط وافريقية ولكنهم لم يتفقوا فيه على حد معين او تعريف معلوم . قال لاروس اللغوي الفرنسي في مطلب الشرق من قاموسه الکبير ما معناه : لم ار من كلمة اضيق سيلاً واسع غاية واضعف تحديداً من هذا الذي يسمونه شرقاً . اه . وقال اصحاب الانسكلوبيديا اي جامعة العلوم في هذا المطلب ما مفاده : قد اختلفت مذاهب الکتاب في تعريف الشرق وتنوعت فيه اقوالهم بين التخصيص والتعميم حتى تعذر تعيين حده وتعسر تحديده معناه فمن موارد هذا اللفظ في اقوالهم

يصرفون عنايتهم الى استخدامه واستعباده ومحو
استقلاله وفتح بلاده فاذا اختلفوا فعلى تقسيم
الغنمية بين الفاتحين لا على وجوب الغارة
(المدنية) على النوم (الموحيثين) فان
كره الشرقي ان يكون مصداً لما يزعمون
ومقرباً لما يلتمسون تعينت عليه المدافعة عن
استقلاله تحت لواء الاتحاد ولا يكون الاستقلال
جديراً بالصيانة الا ان يكون مثبته بالحرية
ولا حرية الا بالحق المعين والواجب المبين
ولا حد للمحقق والواجبات الا بالعلم ولا علم
الا بالحقائق ولا حقيقة الا في البحث المطلق
ولا اطلاق للمقيد بسلاسل الاوهام . فان
نعذر الاتحاد العمومي بين الشرقيين فلا اقل
من حصوله بين الشاعرين بقرب الخطر من
بقايا دولة الشرق العظيمة المعروفة بدولة
العرب وما ادراك ما دولة العرب

(تنبيه)

لم نعثر فيما لدينا من اعداد جريدة
« مصر القاهرة » على ائمة هذا المطلب فاضطررنا
على اسف منّا الى افعال بابو على خلقه من
البقية ولو لم يكن فيما نشرنا منه فائدة تؤثر
لما رضينا به غير بالغ حد التمام

على وجه التخصيص انهم يسبون دولة الرومان
بالسطنطينية دولة الشرق - كما كانوا يسبون
دولة الامان بدولة الغرب - ويكون عن
مذهب الروم في تلك العاصمة بكنيسة الشرق -
كما يسبون بيعة رومية كنيسة الغرب - ويعبرون
عن ادركا بالهند الغربية كما يصفون الهند
بالشرقية - . ومن موارد على وجه التعميم
انهم يطلقون على افريقية وبلاد الاوقيانوس
وغيرها ما ليس بشرق بالنسبة اليهم . اه

وجملة الامر ان تعريف هذا اللفظ عرفي
لا ينطبق على حكم علمي او حد جغرافي والمشهور
فيه انه يطلق على بلاد اسيا من دون القسم
الروسي وعلى بلاد الروم من اوربا والقطر
المصري من افريقية . وربما اناط به الغربيون
معنى الخشونة جرماً على سنن القدماء من
الرومانيين في حساب كل من خرج مسكة
عن حدود متاعنهم بربرياً بل هم في ذلك
اشد كبراً وازدراء بالناس من ابطال روميه فان
هؤلاء لم يزيدوا على ان وصفوا الاجني بالبربرية
اما اولئك فيحسبون لفظ الشرق متضمناً معناها
مع اعتقاد كثير من علمائهم بان اصولهم ولغاتهم
ومذاهبهم وعالومهم انما هي مستمدة من الشرق
على ان الاوربيين وان اختلفت آراؤهم
في تعريف الشرق وتحديدته فقد اتفقوا على
الاعتقاد بانخطاط الشرقيين عنهم في رتبة الوجود
وتألقوا على السعي في اذلال شأنهم وخفض
مكانهم كما يدل على ذلك ما نسمع من اقوال
خطابهم وما نقرأ من تصانيف علمائهم وما
نشهد من اعمال زعمائهم فهم والحالة هذه عصبة
على الشرقي من اي عهد وعلى اي مشرب كأن

وله مقالة في

انتخاب النواب بانكلترة

عام ١٨٨٢

لا تلمه فالانسان مظنة الخطاء وموضوع
النسيان لا عصمة له في المحصور من اعماله
والمشهور من اموره فما الظن به متولياً من
امور الناس ما لا تحصى دقائمه ولا تدرك
حقائمه

ولكن وجه اللوم على الراضين بالاستبداد
ذهولاً عن مزايا الحكم الشوروي فقد رأيت
الخطأ في هذا الحكم مشفوعاً بالاصلاح متصلاً
بطرف الاصابة يقع من الوزير او الامير عن
سهو او فساد رأي فيصلحه الحكم العمومي بما
يتضح له من اوجه السداد ورأيت في الحكم
الاستبدادي راسخاً مستحكماً كالتضاء المرسل
فان الأمر المستبد يقضي بما يشاء مستأثراً
برأيه معرضاً عن النصحاء بصره على الخطاء
ذهولاً عن الصواب او بظهوره وجه الحق
فتأخذه فيه عزّة النفس فيقول نزول الارض
والسما وكلامي لا يزول ..

اوليس ان خطأ ملوك الوزير بكونسفاد
قد انصل بطرف الاصلاح اذ رُفِعَ للحكمة
الرأي العمومي فدفعته بحكم الانتخاب ليوسد
الأمر الى من يسلك طريق الاصابة فلو كان
ذلك - وهو كائن لا محالة - في اية
البلاد المسندة الأحكام لما استطاعت الامة محو
خطاء الرئيس الأبدم الرجال بهراق على رجاء
الصلاح وبكاد الأ ..

بلى فقد ظهر للانكلترة نيه اسرائيلهم في

مفاوز السياسة فكروها عبادة عجل العناء
واهتدوا بنور الحكمة والرشاد فقاموا بامر اهل
الحرية في انتخاب النواب فكان ذلك بمنزلة
الحكم الفاطم بضلال رأي بكونسفاد وفساد
سياسته

وقد بشرتنا روائد الانكليز وجرائد
الفرنسيس بمحصول الغلب لحزب الحرية في
مجال الانتخاب اذ كان مبلغ المنتخبين عند
كتابة هذه السطور نحواً من اربعائة ثلثام
من الاحرار او يزيدون عن ذلك . وفادتنا
تلك الجرائد والرسائل ان الباقيات من لوائح
الانتخاب ستزيد الاكثرية نواباً وتؤيد حزب
الحرية على صورة تفوق الرجاء لكون التكثير
منها لاهل اربلنده المعروفين بالنفرة عن رجال
المحافظة بما وجدوا فيهم من العنف والغلظة
فبننا على يقين من انقلاب الوزارة الانكليزية
غير ان سرورنا بهذا الانقلاب لا يتجاوز
حد الامل لتعلقه بامنية نرجو الحصول عليها
ولا نضمن الوصول اليها فانا لانكره وزارة
بكونسفاد لشيء في النفس من رجالها وانما
حملنا على ذلك فساد اعمالها ولا نتمنى الوزارة
لفلادستون او لهرتتون او لدربي او غيرهم
من زعماء حزب الحرية الا على رجاء عدولهم
عن سنن الوزارة السالفة فيما يتعلق بالسياسة
الشرقية

وكتب رحمه الله بعنوان

خاطر ملاحظ

اذا هبت عواصف الفتنة فذرت رناد

من طلائع جيوش الغزو يجمعون الثروة بما
يجرون وما يستخرجون من كدور الارض وما
يخترعون من الصناعة وما يجلبون من الخترعات
وما يتولون من الامور والادارات

فأي مكان وأي شأن يكون للشرقيين
في عالم الوجود وهم على ما نشهد من وهن
العزم وشدة الشهوة وضعف الهمة وقوة النهمة
واهال القادر وطع المهمل يتسابقون الى اللبس
ويصرفون الزمان بين دخان يقتلون به الوقت
وشراب يمتنون به الافكار وطعام يهلكون به
الابدان

وهي مسألة نرفعها الى نهاء الشرق الناس
الجواب فانها - فيما نظن - احق بالبحث
والنظر من مكان ظرف وظرف مكان واجدر
بالاهتمام من جناس قلب وقلب جناس واولى
بالعناية من ديوان تقريظ وتقريظ ديوان
واحرى بالاجتهاد من تعجيل لفظة ومن لفظة
عجلان

وكتب في المسألة الارلندية قال

قد ارتنا دولة الانكليز من عجائب
التناقض ما ينبذ به المنطق مشدوداً بالقياس
وما يحمل به المطبوع على موضوع الانعكاس
فانها تجمع الصدقات للبايسين ولا نبالي بمجوع
الارلنديين ونستعبد الاحرار في كل قطر
وتلتمس الغاء الرق في الاسنانة ومصر كما قيل
فيها « بالتجارة » شعراً

تحرر العبدان من رقهم
وتسرق الحر بالدرهم

المداخلة عن جبر صفائف الدول وصار
الشرق من اطراف الروم المجر الاحمر
محشراً للعساكر يتنازلون فيه ويتجاولون على
ارض يملكونها وغنيمة بصيودها وسطوة
بؤيدونها وقوم يستعبدون

واذا انقضت صفالفة الشمال على بقايا
الاناضول واندفعت المائ الوسط على
فضالات البلقان ووقعت حيتان برتانيا على
سواحل مصر وجزائر بحر الروم وترامت
نسور الفرنسيين على فينيقية وبلاد السوربيين
وتداعى ابناء الرومان الي تونس الغرب وما
يلبها ورجعت عساكر الاسبانيين الى الغرب
الاقصى

فاذا يحل بالشرقيين وكيف يتفون البلاء
وهم على ما نرى من ضعف القلوب وقوة
الخلاف وتفرق الكلمة واختلال الاحوال
ضلت نفوسهم وانقطعت اسبابهم واحتجبت عنهم
سبل النجاح فهم في غفلة الساذج وخدر
السكران وكسل الموم لا ينتفعون بما يعلمون
ولا يسألون عما يحفلون

بل اذا جادت سماء الحكمة بماء السلم
فاهدت ذلك الجمر وعاد الشرق من جهاته
الاربعة مجنباً للتجار والصناع من جالية
الغرب يفخرون فيه ويتسابقون الى بقعة
يزرعونها وثروة يجمعونها وسلطة يوظفونها
ورجال يستخدمون

واذا انتشرت جالية الالمان في شبه جزيرة
البلقان تحيي الموات وتنقل الصناعات وانبت
تجار الانكليز والفرنسيين والابطاليين وسائر
الامم الغربية في بلاد الشرق يتصلون بهم تقدمهم

زعاء بلاده المعروفين بالحمية والغيرة الوطنية
هاجر الى أميركا ليستحث الارلنديين المقيمين
بتلك البلاد على مساعدة اخوتهم بما يتقدم
من جور الانكليز .

وله من مقال سياسي

في سفير الصين بطرسبرج
كن كيف شاء نكد الطالع طيباً في
سويسرة او قسيساً في باريس او شحاذاً في
ايطاليا او فلاحاً في مصر فذلك خير لك
من ان تكون سفيراً لابن السماء سلطان الصين
- خصوصاً في بطرسبرج -

فقد اوجي الى الجرائد من اخبار السلطنة
الساوية ان (هناك تنك . بالضم او بالكسر
او هما جميعاً على لغة الانكليز) عاد من سفارته
في الروسية مسروراً بما تم على يده من الوفاق
راجياً ان يرى نور وجه السلطان وينال
من انعامه ما يتبعه به على الناس فرأى ولكن
وجه الشرطي على باب المدينة ونال ولكن
قيد السجن

ثم امر ابن السماء بعقد ديوانه الكبير الحكم
على هناك تنك فقال احد الوزراء يعلق من
رجله بشجرة عالية ويجعل في عنقه من الحجارة
ما يزن ثقل المال الذي عاهد الروس عليه
وقال غيره بل نجعل في محبس ابراً على قدر
ذلك المال عددًا وندغدغه عليها حتى يموت
وقال اخر بل نربط بيده الحجارة ونجعل في
الطريق الابرونربطة من جلده برجل مهر
جوح ثم رفعت هذه الاراء للنظام السلطاني
ليختار منها ما يوافق رأيه الكريم

أطعم الأيتام سمناً جفى

ليتك لم تجن ولم تطعم
وقد رأينا في احدى الصحف الباريسية
رسماً يدل على حقيقة ما قدمناه فقد مثلت فيه
ارلنده بصورة كهمل بالي الثياب رث المجلباب
جعد الالهاب قد اضعفته الجوع والحملة الضعف
حتى شفا جلده عن الادمة وادمته عن العظم
وجيء بانكلترة على صورة بطين ملاً جوفه
شحماً وافهمه مدماً فاشبه نحي سن او زق
خمر ورأى بين يديه ذلك الصعلوك فتاه
عليه تيه الملوك . فقال له الارلندي رحماك
بالورد رحماك فقد اشرفنا من الجوع على
الهلاك فاجابه لا بأس لا بأس فان الذاهين
يفرغون في دائرة المرحمة مكاناً للمقيمين . . .

وجاء بالتلغراف من لندره ان الفاقة قد
انشبت مخالبها في اهل الجانب الغربي من
ارلنده فمات فيه كثير من الناس جوعاً -
ذلك بما عمهم من عدل دولة الانكليز يتمتع
لورداتها وامراؤها ورجال دولتها بالملايين
ويموت سائر الرعية جوعاً . . يموتون غير
مأسوف عليهم فقد ملكهم الوهم حتى منعهم من
دفع الموت ولو بالموت

وكتب من مدينة نيويورك ان بارنل
النائب الارلندي قد خطب في (يوفالو) بما
معناه : ان ارلنده جدبرة بان تنال الاستقلال
وان من واجبات اهلها ان يبذلوا دمهم في
المدافعة عن بلادهم ثم قال انه لا يعلم ان كان
بالامكان حصول التراضي بالصورة السامية
ولكنه يرى ان لا بد من طرد كبار اللوردات
على اي الاحوال . وهذا النائب الارلندي من

ذلك معارض ولا يدرك شأؤهم فيه
بنشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكتشفون
الفواض ويستخرجون اسرار العلوم منتشرين
في اقطار الارض واصلين بياض النهار بسواد
الليل سعيًا في تعليم الجهلاء وتهذيب المنوحشين
وتدبير الاقطار وجمع آثار المعارف
فمن تدبر مزاياهم الظاهرة وآثارهم الباهرة
لم يخالك من استنكار ما تعلمهم به الدول
من العنف والغلبة فقد نفتهم اسبانيا غير مرة
وابعدتهم المانيا واقصتهم فرنسا على عهد ملوكها
المعروفين بالتعصب في المذهب الكاثوليكي
وحظرت عليهم الروسية دخول بلادها وجافتهم
الدولة العثمانية في صدر هذه المائة ولم يسلموا
من مناوأة البابا في بعض الاوقات على كونه
رئيس مذهبهم

غير ان اعداءهم ينجحون على مقاومتهم بما
تذكر بعضه على سبيل الحكاية متبرعين من
تبعته وغير قاطعين بضحته فمن ذلك ان هاته
الفرقة تشبه ان تكون جيشًا منظمًا بما ينذر
رجالها من الطاعة العمياء اريثسم المسى قائدًا
بحيث تجنبهم قواهم المتفرقة في وحدته الرئاسية
فهو في كلهم وكلهم فيه
وان لهذا العسكر قصدًا لا ينجحون عنه
ولا يتوجهون لغيره وهو تأييد السطوة الكهنوتية
عمومًا والجزويتية خصوصًا وتقييد الخواطر
بآرائهم بحيث يكون مشربهم بحجة الافكار
ورؤساؤهم ائمة الناس

وانهم لا يبالون في اي وعاء تخرج الواسطة
التي يتخذونها للبلوغ فذلك القصد بحيث يميزون
الكذب وينساحون في السرقة ويجالون القتل

اما هنك تلك فلا يزال في السجن مجردًا
من رقبته ووطينه معلق الحياة بما سينطق به
السلطان
واكن قتل السفير شتمًا معكوسًا او دغدغة
على الابر او نالًا بارجل الخيل لا ينقض العهدة
التي ابرمها ولا يمنع الروسية من مطالبة الصين
بالخبرة الملايين

وقد تبين ذلك لدولة ابن السماء فرامت
مداركة الشرق قبل وقوعه فوجهت فريقًا من
الجند الى التخوم الروسية اربابًا وانذارًا
اجل ان السلطنة التي دخل الفرنسيون
عاصمتها ببضعة عشر الف مقاتل تروم ارباب
التوزاق بذوائب جندها وتدويع بلاد الروس
باخفافهم الصفراء

وكتب في

اهل الكهنوت

في فرنسا

قضي الامر وجفّ العلم . فقد صدر الامر
من رئاسة الجمهورية الفرنسية بفض رهبانية
الجزويت وبم حظر التعليم على سائر الرهبان
الا من كان مرخصًا له في ذلك او من التمس
الرخصة ونالها في خلال ثلاثة اشهر وما ادراك
مارهبانية الجزويت طائفة من اهل الكهنوت
على مذهب الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية الوف
او يزيدون ومنهم نحو الف وتسعمائة راهب
في البلاد الفرنسية

وهو اهل العلم والسياسة والذكاء والاجتهاد
والهمة والنفضل والنبات والبأس لا يعارضهم في

خطرات النسب تخرج خذ:

وليس الحرير يدي بنانه

فاذا تبين ذلك علمنا ان لا بد

للجزويت من الهجرة الى غير هذه البلاد .

وعندنا ان الاقطار الشرقية عمومًا والولاية

السورية خصوصًا لا تحرم من وفودهم عليها

اقوال متفرقة

لم نجئ هذه الاقوال مثبتة في الجرائد التي

تولى ادبينا تحريرها وانثت فيها نثات براءه

البلغ فهي بعض فصول ومقالات متفرقة عثرنا

عليها بين آثاره مخطوطة بينانه ومنها ما كتبه

في آخر ايامه الزاهرة كترجمة السيد جمال

الدين الافغاني التي اثرتها عنه في المقدمة

الاولى من تاريخ مصر للمصريين اعتقادًا

على كون التقيد من اعرف الناس

باحوال ذاك الرجل الحكيم وقد

اثبتناها في هذا القسم معدودة

لدينا في ترتيب هذه

المتخبات من اقواله

المتفرقة وكتاباته

المنشورة التي لم

تجمع في حياته

ولم تطبع

قال

في جمال الدين الافغاني

هو الحكيم الخطيب البالغ المحجة النبيه المتوقد

الذكاء الجري الذي لا يعرف الخوف النسب

ويفسدون بين الوالد وولده والاخ واخيه

والزوجة وحليها وبالجمله انهم لا يعبأون

بشيء من المنكرات على شرط ان يكن توجهه

غايته لما يلائم ذلك النصد

وذلك بعض ما يدعيه اعداء الجزويت

وما اعدائهم بقليل فان فرقة البرونسنت وهي

الوف الوف وجماعة الماسون واهل حرية

الضمير اي الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء

لو تمثل لم الجزويتي في الماء لما وردوه وان

كانوا ظلماء

وانا لتبرأ من موافقتهم على جميع ذلك او

على بعضه ولا تبعه علينا في الحكاية فانما نحن

نقلة وليس على الناقل من سبيل

وكيف كان الامر فقد صدر حكم الجمهورية

بنفس جمعية الجزويت وتعطيل مدارسهم وهو

بمنزلة النفي لامتناع ان يقيموا بهاته البلاد افرادًا

متفرقين مع فناء وجودهم الذاتي في الوجود

الاجتماعي على ما تقدم بيانه الا ان تؤيدهم

القوة القضائية فيما عزموا عليه من اقامة الحجّة

او ان يقوم ارباب العقيدة بنصرتهم ناشرين

لواء الثورة كما تنذر به جرائدهم

غير ان نفوذ امر الدولة ادنى الى الامكان

من ذينك الوجهين فان الوزراء لم يصدروا

ذلك الحكم جزافيًا وانما بنوه على الاحكام السالفة

والقوانين السابقة وغير ذلك من الاسانيد

التي لا بد للقضاة من تأييدها اما ثورة اهل

العقيدة فلعلها لا تتجاوز حد الوعيد اذ الغالب

على هؤلاء في البلاد الفرنسية انهم من اهل

النعمه وابناء القصور من كل من

له في مجلسه فالتمس من الدولة ابعاده فارسلته الى المحجاز فاقام فيه مضطراً وكان قد عرف بالاستانة رياض باشا احد وزراء مصر وانصل منه باسباب مودة فقصد وادي النيل عام ١٨٧١ فاجرت له الحكومة الخديوية رزقاً كافياً على ان يكون من المدرسين فجرت بينه وبين بعض علماء الازهر مناظرة افضت الى المناظرة فانقطع الى منزله وصار له فيه حلقة تدريس يحضرها كثير من الطلبة بل من المدرسين ثم صارت حلقة ملتقى للنهلاء من رجال الحكومة والوجهاء فكان يكشف بعضهم بآرائه الحرة ويسلك بسائرهم طريق النجاة من الخرافة والجهل على انه بقي مجهول الشأن عند العامة حتى ظهرت آثاره وآثار مردييه في جريدة مصر فظهرت شأنه وصارت تنشر له بعض المقالات نارة باسمه ومرة تحت حجاب اسم مصنوع مثل «مظهر بن وضاح» فطار هيبته وعظم نفوذه

وكان السيد جمال الدين كثير التطلع الى السياسة شديد الميل الى الحرية قوي الرغبة في انقاذ المصريين من الذل فلما عظم التدخل الاجنبي في مصر واخذت امورها المالية علم ان لا بد من تغيير احوالها فرام انتهاز تلك الفرصة لجمع الكلمة على مبداء الحرية فدخل الماسونية ونقدم فيها حتى صار من الرؤساء ثم انشاء محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي ودعا مردييه من العلماء والوجهاء اليه فصار اعضاؤه نحواً من ثلاثمائة عدواً وعظم اقبال الناس عليه حتى ان توفيق باشا ولي العهد حينئذ طلب الدخول فيه وكان صاحب الترجمة شديد المكراهة لدولة الانكليز جهراً بذلك غير مرة ونشر في

السيد جمال الدين الحسيني الافغاني ولد بكابل في بيت شرف وعلم وعمره الان نحو ٤٥ عاماً وطلب العلم بالفارسية والعربية على ما جرت به عادة الامراء والعلماء في بلاده فتبحر في المنقول والمعقول وغلبت عليه مذاهب قدماء الحكماء فدخل في ذلك بداءة بد «شيء» من التصوف فانقطع حيناً بمنزله يطلب الخلوة لكشف الطريقة وادراك الحقيقة حتى صار له في القوم كثير من الاتباع والمريدين كل ذلك وهو دون العشرين سنناً ثم خرج من خلوته مستقراً على حكم العقل واصول الفلسفة القياسية - ومات عامئذ امير الافغان عن ولدين وهما شير علي خان ومحمد اعظم خان فاقتتلا على الولاية فانصرف جمال الدين للثاني فقرية وجعله من روساء جنده فشهد الحروب وحضر الوقائع فازداد جرأة واستغفافاً بالموت واقام على ذلك تسعة اعوام لا يرى الراحة ولا يستقر بمكان حتى دارت الدائرة على محمد اعظم خان فانصرف الاولياء عنه الا جمال الدين ونفر غيره من الامناء فسار بهم الى الهند فلم يلبثوا ان اوجست حكومة الانكليز خيفة من صاحب الترجمة فعاد الى افغانستان ثم هاجر الى المحجاز على قصد المجاورة فلم يلائمه ثم الهوا فقصد الاستانة واقام بها مجهول المكان حتى اهتدى اليه بعض اكابر الوزراء فعرف قدره وفضله فجعله من اعضاء مجلس المعارف العالي ثم اقترح احد الامراء عليه ان يخطب في دار الفنون فاجاب وكانت خطبته في الصناعات فانكر مشائخ العلم اشياء منها وانصل الامر بشيخ الاسلام وكان متغيراً على صاحب الترجمة لواقعة حال جرت

وجريدة مصر فصولاً ناطقة به خصوصاً بعد
 اعتداء الانكليز على ابناء ابيه فهاجوا عليهم
 وترجمتها جرائد لوندرة واهتموا بها كثيراً حتى
 ان المستر غلادستون تولى بنفسه امر الجدل
 في موضوعها فلما عظم شأن محفل داخل الخوف
 منه فنصل انكلتة فوثي به الى الحكومة وبث
 الرقباء في المحفل فسعلوا فيه فساداً وفي خلال
 ذلك بلغت احوال مصر نهاية الارتباك والاخلال
 فظهر للسيد جمال الدين ان الخديو اسمعيل
 مخلوع لا محال فكشف الغطاء عن مقاصده
 السياسية واخذ يسعى في انفاذ اغراضه فلقب
 الموسيو تريكو فحصل جنرال فرنسا ومكانب
 التيمس وكلهما بلسان حزب كبير فها ل امره
 بعض امراء المصريين فقويت بذلك حجة وشانه
 ونفذت سعاية اعدائه فامر الخديو الجديد
 بنفيه واسط شهر رمضان سنة ١٢٩٦ الموافق
 لشهر ستمبر سنة ١٨٧٩ فأخذ غاساً وقبض على
 من كان في حلقته وارسل هو وخادمه الامين
 « ابو تراب » مخفورين الى السويس ومنها الى
 ابو شهر « فرضة في العجم » وهو الان يجدر
 اباد مرفوع المكان عالي المقام وبقيت كتبه
 واوراقه في مصر وقيل ان روجرس بك اخذها
 ثم اعيدت لصاحبها
 قال اديب . عرفت صاحب الترجمة بمصر
 وكنت من مرديه وخاصة محبيه طول مدة الإقامة
 بالخرقة والاسكندرية فكلامي في ترجمة حالة
 عن علم واختبار على اني ملتزم فيه جانب
 الصدق بزي من الهوى بعرف هذا كل من
 عرف السيد جمال الدين والله على ما أقول
 وكيل

والعهد بهذا الحكيم انه اسر اللون ربعة
 مملى قوي البنية جذاب النظر نافذ المخط خفيف
 العارضين مسترسل الشعر بحبة وسراويلات
 سوداء تنطبق على الكاحلين وعمامة صغيرة
 بيضاء على زي علماء الاستانة وانه غريب عفيف
 النفس قانت كثير القيام لا ينال الا الغلس الى
 الضحى ولا يأكل غير مرة واحدة في اليوم
 على انه يكثر من شرب الشاي والتدخين وهو
 قوي المعارضة ميال الى المعارضة طويل المحبة واسع
 المحفوظ نبيه يكاد يكشف حجب الضمائر ويهتك
 استار السرائر ولكنه على فضله لا يسلم من حدة
 المزاج ومن عجائب ذكائه انه تعلم اللغة الفرنسية
 او بعضها حتى صار يقدر على الترجمة منها ويحفظ
 من مفرداتها شيئاً كثيراً في اقل من ثلاثة شهور
 بلا استاذ الا من علمه حروف هجائها يومين
 ومن غرائب فضله انه كان يتبع حركة المعارف
 الاوربية والمكتشفات العصرية ويلم بها وضع
 اهل العلم وما اخترعوه جديداً حتى كأنه قرأ
 العلوم في بعض مدارس اوربا العالية . ومن
 مدهشات احواله الدالة على ثبات جأشه وعفة
 نفسه انه قبض عليه لما لا تعلم من الشرفكان
 سائراً الى الخطر سير الشجاع الى الظفر وانه
 انزل الى البحر في السويس منفياً خالي الجيب
 فاته فيما يقال السيد النقادي فنصل ابرار
 بذلك الثغر ومعه نفر من تجار العجم وقدموا
 له مقداراً من المال على سبيل الهدية او القرض
 الحسن فردّه وقال لهم احفظوا المال فانتم اليه
 احوج ان الليث لا بعدم فريسة حيثما ذهب

الدرس (٢)

النثر والسجع

النثر هو الكلام المطلق المرسل عنو
الفرجة بلا كلفة ولا صنعة الا ما يكون من
وضع الكلام في مواضع وإيثار ما بألفه السجع
والطبع منه فهو من هذا الوجه مقدم على سائر
انواع الكلام بل هو الاصل في الانشاء وما
سواه فرع منه فانه طبيعي أصيل وما دونه
صناعي حادث والاصل في الطبيعة لا محالة .
بدل على ذلك ان هذا الكلام المقفى الذي
يسمونه سجعاً لا يكاد يوجد في غير اللسان العربي
فلو كان طبيعياً لوجب ان يكون في جميع
اللغات او في المعدودة منها اصولاً لا اقل

اما السجع فهو الكلام المقفى على حد
الارجوزة من الشعر الا انه غير موزون
ولقد سي بذلك استعارة من قولم سجع الحمام
اذا هدر وسجعت الناقة اذا مدت حنيتها على
جهة واحدة . وهو وان حسن في بعض الاماكن
كصدور الخطب ومقاطع الكلام بما فيه من
تناسب الالفاظ وتماثل الفواصل التي يحسن
وقعها في الاسماع الا انه في الجملة دون المرسل
البلغ بهجة وصفاء وموافقة لمقتضى الحال لتفيد
الكاتب فيه بلفظ لا بد منه او من اخيه فلا
ينبغي استعماله في بيان الحقائق العلمية ولا في
ايضاح الاصول الادبية ولا في غير ذلك من
مواضع النقد والسرد الا اذا جاء عفواً غير
مقصود بالذات

الدرس (٢)

لابن خلدون فيما نحن بصدده كلام جديد

وله مطلب في

صناعة الكتابة

قال

حد الكتابة واقسامها

الدرس (١)

الكتابة صناعة موضوعها التعبير عن
الخواطر برسوم معلومة . وفي اللغة الجمع وهي
مصدر قولم كتب يكتب كتابة وكتاباً ومنه
قيل للجماعة الخيل كتيبة . ووجه المناسبة بين
المعنيين ان الكاتب يكتب اي يجمع الحروف
والالفاظ لتأدية ما يمر بباليه من المعاني وما
يشعر به من الانفعالات

وقد جعلها المتقدمون اقساماً شتى بقدر
مواضيعها والخطط الدائرة عليها في ايامهم فقالوا
كتابة المحاسبة وكتابة المال وكتابة الانشاء
وهلم جرا وجعلوا تحت كل من هذه الاقسام
فروعاً كثيرة يتبعها الذهن في حدودها على انهم
توسعوا في معنى الانشاء حتى اطلقه الكثير على
مجملة تلك الاقسام فقالوا صناعة الانشاء وهم
يريدون الكتابة على الاطلاق

والانشاء في اللغة مصدر قولم انشأ الشيء
يشئ اذا ابتداء واختره فلعل السبب في
اطلاق لفظه على الكتابة ان اختراع المعاني
هو الشرط الاول في اتيان هذه الصناعة كما
سيجيء في بابي وهو اي الانشاء عند كتاب
لغتنا الشريفة نوعان مختلفان وهما النثر والسجع ولكل
منها اصول معلومة وقواعد محدودة وصفات
مميزات تذكر في مواضعها تفصيلاً

بالنظر والتأمل والاعتبار وهو قوله . السجع هو انكلام الذي يؤتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة والمرسل هو الذي يطلق الكلام فيه اطلاقاً ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها وقد استعمل المتأخرون اساليب الشعر وموازيت في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقدم السبب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يترق الا في الوزن . واستعمل المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في الخطابات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وغلطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوا وخصوصاً اهل المشرق وصارت الخطابات السلطانية لهذا العهد عند الكتاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال المخاطب والمخاطب . وهذا الفن المنشور المفتي ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه الخطابات السلطانية عنه اذا ساليب الشعر تنافها للودعة وغلط الجحد بالهزل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام التقفية ايضاً من اللودعة والتزيين وجلال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب يتنافى ذلك ويباين والمحمود في الخطابات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام . وارساله من غير تجميع

الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالاً من غير تكلف له اما اجراءها على هذا النحو الذي هو من اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الا استيلاء العجبة على السننهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فهجروا عن الكلام المرسل واولعوا بهذا السجع يلفقون به ما نفهم من تطبيق الكلام على المقصود ويجبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والاقاب حتى انهم يحلون الاعراب والتصريف في الكلمات اذا دخلت لم في تجنيس او مطابقة لا يجتمعان مع صحتها ١٠ هـ .

الدرس (٤)

هذه نماذج من الكلام المرسل والسجع نوردها تذكراً وبياناً . فمن اطائب ذاك قول ابن خلدون . ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا ملك امرها عليهم او صارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل . والاعتقار انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالقلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغايين لكل متغلب طعمة لكل آكل ١٠ هـ . وجل كلام ابن خلدون ولا سيما في مقدمة

فصار ما يكتب منه رطانة يفهمها بعض الجاهلاء
 ونغض عن الراغبين في العلم
 قال ابن الاصبغ لا تجعل كلامك كله
 مبنياً على السجع فتظهر عليه الكلفة ويتبين فيه
 اثر المشقة وتكلف لاجل السجع ارتكاب المعنى
 الساقط واللفظ النازل وربما استدعيت كلمة
 المنقطع رغبة في السجع فجاءت نافرة من اخواتها
 قلقة في مكانها بل اصرف كل النظر الى تجويد
 الالفاظ وصحة المعاني واجهد في تفويم المباني
 فان جاء الكلام مسجوراً عنوا من غير قصد
 وتشابهت مقاطعه من غير كسب كان وان
 عز ذلك فتركه وان اختلفت اصباغه وتباينت
 في التقنية مقاطعه فقد كان المتقدمون لا يحنفون
 بسجع جملة ولا يتقصده الا ما انت به الفصاحة
 في اثناء الكلام وانق من غير قصد ولا اكتساب
 وانما كانت كلماتهم متوازنة والفاظهم متساوية
 ومعانيهم لاصفة وعباراتهم رائقة وفصولهم متقابلة
 وجل كلامهم متماثلة . ١٠ .

صفات الكتاب وما يحتاج اليه

الدرس (٥)

قد اشترط بعض المتقدمين في الكتاب
 شروطاً كثيرة منها ما يلزم في كل انسان على
 الاطلاق وفي كل ذي خدمة عمومية بالجملة
 ومنها ما يختص بالكتاب ولكن على ذلك
 العهد فالضرب الاول خارج عن موضوعنا
 لدخوله في علم الاخلاق والثاني من مطالب
 التاريخ اما شرطنا على الكتاب فهو من جهة الادب
 الاجتهاد والثبات والاستقامة ورعاية الحقوق

تاريخه على هذا النحو من السلاسة ومناعة
 التركيب . ومن يبلغ الكلام المرسل قول علي
 ابن الرماني في وصف البلاغة (البلاغة ما حط
 التكلف عنه وبني على التبيين وكانت الفائدة
 اغلب عليه من القافية وجمع سهولة المخرج مع
 قرب المتناول وعذوبة اللفظ مع رشاقة المعنى)
 ومن مستكمل البلاغة قول الفرزدق لحسين
 بن علي رضي الله عنهما وقد سأله عن الناس
 في السراق عند المسير اليه فقال القلوب معك
 والسيوف عليك والتصرف في السماء

ومن جيد السجع مقامات الامام الحريري
 ورسائل بديع الزمان والهنداني وقطع كثيرة
 المقاضي الفاضل وجملة غير يسيرة لكتاب مصر
 من بعدهم الى انقراض الدولة الفاطمية

ولم يدخل هذا السجع كلام اقدماء في الجاهلية
 وصدر الاسلام الا ما كان منه عنو القرينة
 فواصل غير مفادة او ما يعزى الى الكهان
 والمشعوذين ما يراد به الايهام والابهام فلما
 استولت العجمة على الاسن وضعت قوة
 الاختراع في الاذهان سرى داءه في المكتابة
 الى هذا العهد فعدل الكتاب عن الكلام
 الفعل واللفظ الساذج والاسلوب الطبيعي الى
 هذه الاصباغ الملتفة البالية يتناقضونها خلقاً عن
 سلفه ويطلبون بها الكلام بلا طائل سترًا
 لفصورهم في ابتداء المعاني وايضاح وقائع الحال
 من طريق البلاغة والابحار حتى صارت من
 العادات وحصلت بين المكتبات فدخلت في
 المراسلات الاخوانية والمساكنيات عن الملوك
 والامراء في عظام الامور وسقط من ورائها
 الكلام المرسل الى غاية السفالة والركاكة

وحفظ الواجبات ومؤدى قول الحكيم الفرنسي
الموجه ان كل اناسي

ذاتك احفظ وتنفه واعتدل

واحى للناس ليحيى الناس لك

ومن جهة الكتابة بالذات ان يعلم اصول
اللغة ليعصم لسانه عن الخطاء ما امكنت العصمة
لا انسان ويحفظ قطعة كافية من العلوم والاداب
خصوصاً ما يتعلق نواً بمحطة الكتابة ليكون
على بينة من الامر فيها بقول اما الكتابة العالية
البالغة حد العالمية فلا تنف عند حد ولا
يحصرها شرط فانها هي العلم الذي يعرف اوله
ولا يعرف اخره . وليست في شيء ما نحن
بصدده وإنما شأننا بيان صناعة الكتابة وما
يشترط فيها من حيث ادخال المعاني في الافهام
من اقرب واصح وجوه الكلام وهذا اوان
الشروع في ذلك بعون الله

الدرس (٦)

الكتابة كما تقدم في التعريف صناعة يراد
بها التعبير عن الخواطر والمحسوسات بوضع
صحيح واسلوب صريح فهي ذات ثلاثة اركان :
الخاطر المراد ايضاحه وهو الانشاء والوضع
الذي يدويه ذلك الايضاح وهو البيان
والكيفية التي يحصل بها ذلك الوضع وهي
الاسلوب

فالانشاء او الاختراع هو الخاطر الذي
يجده الكاتب ويقف فكره عليه فيجعله موضوع
كتابه فهو من هذا الوجه قوة من الفكر
باجياد الخاطر والموضوع والنفصاحة هي المحكاة
او التأثير او الاقتاع ولا بد في كل مكتوب

من احدى هذه الثلاث وقد يجتمعن به
والمحاكاة تحصل ببيان الواقعيات والتأثير
بالصور المؤثرة والاقتاع بالبراهين

والوضع هو تنسيق اقسام الموضوع فانه
لا يكفي ان يكون هناك خاطر بل لا بد من
ملاحظة النظام في كيفية ايضاحه فانه لا جلاء
بلا تنسيق ويفقد الغرض وعوضاً من الافادة
والاعجاب والتأثير والاقتاع يتعب القارئ
عبثاً وقبل الكتابة لا بد من وضع رسم ولن
روءوس اقلام فانه اذا لم يوضع الرسم يرتبك
الذكي ولا يعرف كيف يتدبى وكذلك يدخل
في تفاصيل مملّة ويضيع المسألة المهمة المقصودة
بالذات ويصير مظلماً كلما اجتهد في الايضاح
ومن امين له ان قارئه يصبرون الى ان يعود
ليتمدي سبيله وفي الكتابة القصيرة لا يستغنى
البنة عن هذا الرسم ولكن العادة تجعله مصدراً
في الذهن على الفور بحيث ان الكاتب يسلك
سبيله المعلوم بلا دليل وكيف كان ففي التنسيق
ثلاثة امور ضرورية وحدة الموضوع وتلاصق
الاجزاء واستقلالها التدريجي

والاسلوب هو العبارة التي توضح بها الفكر
وذلك يقال لكل انسان اسلوب وهي تتعلق
بانقاء اللفظ وكيفية سرده . قال فولتير : الاشياء
التي نقال تؤثر اقل من كيفية ادائها فان
جميع الناس يتقاربون في الافكار التي هي
بدرك كل انسان والفرق في كيفية التعبير
فانها تجعل الاشياء معتادة غريبة وتقوي الضعيفة
وتجسم البسيط وبلا حسن الاسلوب لا يمكن
ان يوجد كتاب جيد في اي موضوع
ويقول غيره : حسن الكتابة فيو حسن

الهند

وهي مثالة انشأها عام ١٨٧٥
(الهند تهذب العالم بلغتها وعاداتها)
(وشرائعها واساطيرها)

ان الشاخص من أوروبا الى الهند حاملاً
تذكار التمدن من بلاده يندمل من اول وهلة
ويخال انه يحمل الى هذا الشعب اننى معرفة
واطهر ادب فيتكلف ذكر كلمات تنبئ بما رآه
من تعصب وخشونة حيث لا يرى سوى بعض
عادات ومواسم لا يدرك كمها ومائيل اصنام
تروعه فيعود الى وطنه هاراً كئيبه وقد قل
من رغب من السياح البحث في شأن الهند وندرم
تنازل منهم الى النظر في ما فيه وانهم لم يروا
سوى الظاهر منها فهم لذلك لا يعلمون من بعده
شيئاً وزادوا على ذلك زعمهم انه ليس بها غير
ما علموا وايدوا ذلك ببرهان غير مستقيم مخافة
ان يحكم عليهم بالجهل قال جاكسون : ماذا ينفع
السنسكريت (لغة الهند المقدسة) واقتصر بهذا
الوهم فانشأ تاريخاً جديداً المشرق تناقله الناس
من بعده واستقبلته خزائن الكتب وهو اليوم
ينبوع الخلل الذي يؤلف ثلاثة الارباع مما
يعلم اهل أوروبا عن هذه البلاد ولا يزال ثمة
كنوز مخفية من فصاحة وتاريخ واداب وحكمة
على انه يكاد يكون مستحيلاً ادراك الغاية من
معرفة حال هذه البلاد بدون اتخاذها مقاماً
والتمكن من معرفة السنسكريت لغة البلاد القديمة
والنامول اللغة العلمية فانها الواسطة الوحيدة
لمعرفة حقيقة الحال ولا بد لي من ملامة بعض
المرشحين والكتاب على ثمة بوفرة علمهم حيث
كانوا لا يبحثون في معنى الاشعار والمقالات

التكر وحسن الشعور وحسن التعبير فيقتضي
الذكاء والدوق . والاسلوب يتضمن استعمال
القوى العقلية جميعاً ولا يبقى من الكتب الا
ما كتب جيداً فان الاختراعات والاكتشافات
لا يخلد بها الكتاب ما لم يكن حسن العبارة
مكتوباً بدوق ونبالة

والاسلوب وهو النفس هو الدال بالعقل
على صفة الكتاب حتى قيل انه مظهر الكتاب
لتعلمه بقوى العقل والنفس وحيث ان لكل
انسان صفات تميزه عن غيره فلذلك اختلفت
الاساليب والانفاس

(تنبيه من جامع المنتخبات)

يرى بالقارئ اللبيب فيا هوات فصول ومقالات
حال دون اتمام بعضها في حياة القيد مواع
واعذار كمقالة « التعليم الالزامي » التي كان
قد شرع في طبعتها سفرًا قائماً برأسه ودون
بعضها الآخر طرؤ اسباب من مرور الوقت
الطويل افقدتها البقية كفصل « الاخلاق »
وفصل « الهند » وخطبة « حاضر المخاطر » التي
وردت اليها بعد انفصال باب الخطب

الذي افتتحنا به هذه المجموعة فاضطررنا

الى اثباتها على خلوها من البقية

قصدها حفظها اثرًا من اثار

القيد قانعين بما وقع اليها

منها قطرات من بحر

آداب الزاخر ودررًا

ما نظمت يد

الحكمة في

عقد فضله

الباهر

الدينية الهندية على ما يقتضيه التعرّي فهم لذلك
يخطئون بقصد الاصابة ولا ينكر ان في تعلم
السنسكريت صعوبة وأنه يقتضي لادراك معانيها
واستجلاؤها من التوجيهات والاستطرادات
والتصورات الشعرية المعترضة في صدر تلك
الكتابة وزد على ذلك ان للسنسكريت
اصطلاحات ونصايف ليس ما يقابلها في اللغات
الحديثة ولا يدرك كنهها الا بالاستلحاح والتقريب
وذلك يقتضي الدرس الطويل الذي لا يتيسر
اجراؤه الا في تلك العادات والشرائع والتقاليد
وكل ما وصل اليه الاوربيون من معرفة حال
الهند ليس من العلم بشيء والوصول الى الغاية
من ذلك تقتضي استئناف الاستطلاع واعادته
من اوله فاذا تم ذلك نرى ان الهند ام الجسد
البشري ومهد تقاليدته وإله لا يكاد العمر يكفي
لتلاوة ما ابقته لنا الهند القديمة من كتب في
الآداب والشعر والفلسفة والمذهب والشئ من
العلوم والطب على ان ذلك سيتم بالصبر فان
جماعة من العلماء تألفوا في بنغال ابتغاء جمع
كتب الوبدا وترجمتها (الى ان قال تعريفاً)

سلام يا ارض الهند الازلية يا مهد الانسان
سلام ايها الامم التي لم يستطع كرور الدهور
وغارات الابام ان تغليك في حيز النسيان
سلام يا وطن الايمان والحب والشعر والعلم . لله
كم اتمنى ان يكون ماضيك مستقبلاً لقد عشت
في غور غاباتك العجيبة معالجاً ادراك اسرارك
فاوحى اليّ نسيم الليل وهو يزف عليها هذه
الكلمات الرمزية الثلاث . زيوس جيوفاً برها
فسألت البرهمن والكهان تحت المياكل والاثار
شرح ذلك فكان جوابهم الحيوة هي الفكر

والفكر هو معرفة الله انه كل شيء وفي كل
شيء واستنطقت طائفة العلماء فقالوا الحيوة هي
المعرفة والمعرفة هي استطلاع صفات الحال
الحسنى فقصدت حكماؤك قائلاً مالي اراكم
منتصبين هنا من ستة الاف سنة وما هو هذا
الكتاب الذي نلقون صحفة فتبسهول وقالوا
الحيوة هي نفع النفس والناس وحيوة المرئ حسنة
ونحن نتعلم ما يجعلنا ذوي نفع وحسنات من
هذا الكتاب كتاب ويدا وهو كلمة الحكمة
الازلية علة كل علة المنزل على ابائنا وسمعت
الشعراء ينشدون والحب والزهور والحسن
تحمل اليهم وحباً الميماً . رأيت الفقراء يبسون
في الالم على فراش من خرام وكأن الالم يروي
الله عن الله ثم صعدت الى ينابيع الكنج وهناك
الوف من الهنود يبحثون الشمس المنشرة على
ضفتي النهر المقدس وقد حمل اليّ النسيم هذه
الكلمات « الارز قد اخضرت وريقاته في المرج
والنارجيل اثقلته اثماره فلنشكر لمن وهب . على
اني مع صدق هذه الامانة وسمو تعليم علمائك
وحكماؤك وبرهمنيك وشعرائك قد رأيت بنيك
ايتها الامم المسكينة ضعفاء خاملين مغسبين
بالجهل مستسلمين بلا شكوى لما يساب دلك
وثرورتك وافكارك وحريتك فكم سمعت انيأ
محزناً في الليل في زوايا الغابات وصفات
الانهار والاجام فهل كان ذلك صوت ازمنة
غابرة ترجع النواح على التمدن المنقوض والعظمة
النقيدة ام هو انين جنودك السباهيين السسيبائين
وهم في المعترك مع نسايمهم واولادهم غداة الفتنة
يلومون انفسهم على ما تولاهم من الجزع ام هو
صوت الرضعاء يشتكون الجوع وقد سلمهم

حتى ان الدهر الذي محاذر بابل ونيوى
واثينا ورومية لم يستطع ان يحو ذكرها

حاضر الخطاير

وهي خطبة القاها عام ١٨٨١ في جمعية زهرة
آداب . - قال

كان في خلدي منذ وصلت الي نوبة
الخطابة انما ما بدأت في موقعي السالف من
بيان انتعالات الشرقي في بلاد الغرب ولكن
عرض لي من المفادير معاذير فصرفت بقية
العزيمة الى امر سكن البال فلم يبق دعة من
حاجة للاستعداد والى الخطاير فصار من
حاضره المتبادر . على انه ما صدف عنه اذهان
حكاه الانسان وحارت فيه الباب رضاء
الاداب وانحطت عنه خواطر اهل البوادر
منذ اثرت اقلام الكتاب في رياض البيان
وانطلقت السنة الخطباء في مجال المنال لا
احاول بلوغ ما لم يلحقوا ولنظ ما لم ينطقوا
او اصابة ما لم يرزقوا ولكي اظهر حيرتهم
واين اختلافهم ليعلم ان الحقيقة الادبية المطلقة
من وراء حجاب وان العلم بها نسي يكون
صحيحاً ولا يكون على كون الحقيقة حقيقة لا مجال
فقد رأيت لاهل هذا النطق على اختلاف
حكايات الاصوات كلمات يتفقون منها على
مادة التركيب مختلفين فيما يشربونها من المعاني
بحسب اختلاف الاوقات وتباين المشارب
وتغاير الاراء حتى يتنع ادراك حقيقتها على
الباحث في اقوالهم الا من تجردوا عن التقليد
وترفعوا عن الاقتداء بما ارتفعوا الى ذروة

الموت والدائم فله من قوم يسمون واليد
بالحديد نعلو رؤوسهم ويتكلمون بالزهو
والجماعة تبتلعهم ليموتوا بغتة كابطل الرومان
ويشترون بايديهم اجداث مجدم القدم
وانارهم واستقلالم فماذا عساه ان يكون سبب
هذا الانقلاب فهل هو فعل القرن
فقط وهل قدر على الشعوب ما قدر على الاحاد
من الفناء كيف هذا ولا ازال اسمع البرقي
والعالم والحكيم والشاعر يذكرون فضائل
الاجتماع وخلود النفس والايمان بالله وارى
الشعب شاكر الامن وهبة ارضاً كثيرة الخصب وسماه
كثير النور الا اني ادركت غاية ما يفهم فرأيت
ان الشعب قد عرض طهارة ايمانه للنصب الوخيم
وهرته واستقلاله للرق الاليم فاردت ان
اكشف الستر عن الماضي باحثاً في اصل هذا
الشعب الذى بسات بلا قوة في المواجهة
والمباغضة غير مائل الى الفضيلة ولا الى الرذيلة
كن بشخص نعمة دوره لدى اشباح وهكذا
استنطقت التقليد في الهياكل والاثار في الخرائب
وتصفحت كتب الويدا التي كتبت من الوف
من السنين قبل ان تخطط ثنية ذات المنة
باب وبابل العظمى فسمعت شكوى الاشعار
القديمة التي كانت تنشد نحت اقدام برها قبل
وجود رعاة مصر العليسا واليهودية فبرزت لي
الهند حيثند بسطوتها الاصلية فتأثرت تقدمها
مستثيراً بها الفته من الاضواء على العالم فرأيتها
وقد علمت ادابها وعاداتها وشرائعها ودينها
لمصر وفارس واليونان والرومان ثم شهدت
سنوطها حين اوهنت الشيوخوخة شعبها الذي ارسل
اشعة نوره الى العالم ووسم الامم بسمه لا تمنى

العقل الكلي والفتح المطلق وابن ما هنالك مثل هذا العاجز الضعيف بل ابن منه عنول العقلاء وعلوم العلماء

فالحق كلمة لا خلاف في الحياء ولا في القاف المضعف منها بين الناطقين بالضاد كما انه لا خلاف فيما نتركب منه في سائر اللغات انه ربما وقع الاتفاق في الصورة التي تحصل منها في الاذهان بين اهل الخطه الواحد من كل جماعة من الناس ولكنه ممتنع بين ذوي خطبتين متغايرتين او ما ترى الحق العمومي يدعيه كل احد من الناس على تباعد مقاصدهم فهو عند الامير قائم بمقدس نباليه وعند الغني بحرم ثروته وعند الرئيس بمظهر الهامه وعند الحكيم بمقاد حكمته وعند الفوي يحفظ ميزته وعند الضعيف الفغير التابع المعدم الخادم المأمور الناعل المجهود بانصراف الميزة اليه ان كان ملتهب الدماغ وبقاه جاده عليه ان كان خامل الذهن وحصول ما ينبغي له من وجه العدل ان كان من المعتدلين (والبقية مفقودة كافي التنبيه)

فصل في الاخلاق

الاخلاق مظاهر العواطف ونجليات السرائر واثار الطبيعة والتربية فهي مختلفة في الناس بحسب اختلاف العوامل المؤثرة في قلوبهم وعقولهم وابدانهم . وهذا بدهي لا حاجة فيه الى البيان

وقد تنوعت اراء الناقدين في تلك العوامل الموجبة لاختلاف الاخلاق وانحطاط بعضها الى دركات السفالة والرذيلة وارتفاع

البعض الاخر الى مقامات الشرف والنضيلة فرأى بعضهم الخلق الواحد منتشراً في الجماعة الكثيرة فحسبوا ذلك ناشئاً عن موقعها من الارض او عن الاحكام التجارية عليها فعدلوا شريعة النوم وهواء البلاد مصدراً للاخلاق . واستحكم هذا الرأي في اذهانهم حتى توهموا ان المقيم بهاته البقعة من الارض على خلق لا يحصل في المقيم بغيرها ما يخالفها هواء وان اخذ بهذا القانون على طبع لا يكون في الاخذ بسواه ما يغيره . وهو غلو واغراق فان المواقع وان صح تأثيرها في الانفس والابدان الا انها لا تغير الحقيقة الانسانية في الانسان واذا لم تتغير هذه الحقيقة فحسن الاخلاق ممكن في كل مكان . اما الاحكام فانها اشد تأثيراً في الطباع من سائر العوامل ولا سيما اذا استحكمت ومرت عليها الايام . واكثر ما اطفأت الاحكام القاسطة انوار فضائل كانت لولاها ساطعة تأخذ بالابصار واطالما اوقدت الاحكام العادلة مصابيح كمالات كانت لولاها مطفأة مجهولة المكان . ولكن الاحكام وان عظم تأثيرها في الاخلاق فهي كالرماد تستر الجمر ولا تطفئه والغبار يخفي النصل ولا يغير جوهره فكرم الخلق ممكن الوجود في كل هيكل انساني على الاطلاق

ودللتنا على الاول انه اما ان يراد بالموقع المكان من حيث الارتفاع او الانخفاض واما ان يراد به الهواء من حيث الحرارة والبرودة فان كان الاول فليس اهل الجبال جميعاً على خلق واحد وليس اهل السهول كذلك وانما فيهم الاخيار والاشرار والسفلاء والنضلاء وان

التعليم الالزامي

وهو سفر غير تام شرع الفقيه في طبعه وبيروت عام ١٨٨١ ردًا على مذهب الآباء اليسوعيين في التعليم الالزامي وكان اذ ذاك محرر جريدة التقدم للمرة الثانية فوقعت بينه وبين اهل صحيفة البشير مناظرة في هذا الموضوع افرد لها هذا السفر ثم جاء مصر على اثر انقلاب الوزارة في ذلك العام فصادره غير تام

قال

« لا تكون السجون فارغة الا اذا امتلأت »
« المدارس ولا تملأ المدارس الا »
« اذا حصل التعليم الزامياً »

تمهيد

من رام الحقيقة لم ينصرف عن وجهة الحق ولم ينحرف عن مسلك العدل ولم ينطق عن هواه ولم يل مع ضعف النفس . ان الحقيقة حقيقة لا يسها الا المطهرون من كل دنيسة ونحن نلتمس الحقيقة فيما نقول لا نشوبها بسنفة القول ولا نطلي بها على الناس محالاً وإنما نظهرها كما خلقت نوراً وناراً نضيء ابصاراً ونبهر ابصاراً

وموضوع بحثنا في هذا الجزء الزامية التعليم من الوجه الذي قررت عليه الاكثرية الغالبة في مجلس نواب الفرنسيين . رابع وعشرين شهر كانون الاول عام ١٨٨٠ باتفاق ٢٥١ رأياً يخالفها ١٥٢

كان الثاني وقيل البرودة مانعة من قبول العبودية قلت اما نرون صفاليه الشمال وان قبول الحرارة مانعة من طلب الحرية قلت اما معتم ببادية العرب ثم انرون ان الانكليزي السريع الحركة والاماني المتأني والصفلي المتغافل على خلق واحد وهم في مواقع متشابهة او نرون الفرنسي المشتغل والاسباني الكسول والابيطالي المنسكع على طبع واحد

ودلينا على الثاني ان انذين اوجدوا الاحكام العادلة كانوا من قبل تحت احكام الظلم كاهل الثورة الفرنسية الذين خرجوا من تحت احكام الملكية المطلقة الى رضع الحكومة المفيدة وان ذوي الاحكام الظالمة كانوا من قبل تحت احكام عادلة كاصحاب خيانة عام ٥٢ تحت رئاسة نابليون الثالث فانهم قتلوا الحرية وداسوا رجالها وارجعوا الفطر الى ما كان عليه من قبل ستين عاماً . فكما امكن وجود ذوي الاخلاق الكريمة كالشجاعة والتزاهة وحب الوطن في الذين كانوا تحت الاحكام الظالمة كذلك امكن وجود الطبيعة الرذيلة كالخيانة والغدر والاثرة في الذين كانوا تحت الاحكام العادلة

وكل هذا من باب الامكان فلا يتوهن انا نريد القطع بعدم تأثير المواقع والاحكام في الاخلاق وإنما غابتنا بيان ان هذا التأثير اقل ما يبالغون وان التربية قادرة على تعويض كثير ما يفقد الانسان بهذين العاملين (والبقية منقودة كما المعنا الى ذلك في التنبيه السابق)

وهو . ان يكون التعليم الابتدائي واجباً على الآباء لولدهم من الذكور والإناث من السادسة الى الثالثة عشرة من سنهم يلقي اليهم في المدارس الابتدائية او الانتصافية سواء كانت هاته المدارس مبرية عمومية او حرّة خصوصية وفي نفس بيوت الآباء يلقيه الوالد نفسه او من يختاره لذلك الشأن (البند الثالث من قانون التعليم الالزامي)

وان يكون هذا التعليم شاملاً للتهديب الادبي والمدني . والقراءة والكتابة . واللغة ومبادئ البيان الفرنسي والجغرافية خصوصاً جغرافية فرنسا . والتاريخ ولا سيما تاريخ فرنسا الى هذه الايام . وبعض الاصول الضرورية من علم القوانين وفن تدبير المنزل . ومبادئ العلوم الطبيعية والرياضية وكيفية استعمال هذه المبادئ في الزراعة وحفظ الصحة والمهن والاشغال اليدوية وإدارة الآلات في اهم الصناعات . واصول الرسم والخطيط والموسيقى . والتمرين البدني . والتمرين العسكري للذكور واشغال الابرّة للإناث (البند الاول من القانون المذكور)

فقد رأينا ذلك في جرائدهم فطاب لنا نشره فاذعناه مستحسنين راجين ان يكون الرئيس قدوة لسائر الناس في مآثرة التعليم الالزامي فكبر ذلك على صحيفة البشير لامر يعلمه الله - والراشخون في العلم باحوال صحيفة البشير - فشددت علينا التكبير وسوّأتنا وخطأتنا كثيراً ان التعليم من وجه الالزام ظلم وكثير فحش وجهالة لا يحق للهيئة الحاكمة ولا يجب على الامة ولا فائدة فيه لاحد من الناس بل

هو البلاء العيم يذهب بحرية الوالدين وينفسد الباب الاولاد وينقص من عدد العارفين ويزيد في عدد الجهلاء (العدد ٥٤٤ من البشير) فتعين علينا بيان حقبة الالزام في التعليم وايضاح مزيتة فاقبلنا على ذلك في الصحيفة نخلوه من اوضح اوجه البيان وثبتته بالدليل والبرهان من النص الصادق والرقم الذي يكاد ينطق بغير لسان فامتنع الرد على البشير من هذا الوجه فلاذت يمينان التحريف والتأويل وصرفت بحثنا العلمي الى وجهة العقيدة والدين حصراً لا ينجي عن البصير وعياً ما كنا له من قبل متوقعين ثم اتبعنا علينا بما ياباه الادب فالتوى الامر وانقلب الموضوع وصارت المناظرة منافرة والمجدال نزاعاً فرأينا ان نفرد لهذا المبحث الادبي جزءاً برأسه نبش به رأينا فيه مستوعبين آراء ذوي النقد ونقاوم اهل الاحصاء على سبيل التقرير العلمي مجردين كل ذلك من سفاسف المهازرة واعراض المناقشة ضناً بجوهر الحقيقة ان يكون عرضة للقول الهراء ومضغة في افواه الجهلاء وهذا اوان الشروع في البحث بحول الله

حقبة الزام التعليم

الوالد مأمور من قبل طبيعة الوجود بحفظ المولود . والانسان من حيث انه حيوان ذو وجود بدني حسي ومن حيث انه ناطق ذو وجود عقلي معنوي فمن دعاه من حيز القوة الى جانب الفعل فقد لزمه حفظه في المحالين فكما انه يجب على الوالد ان يطعم الولد

عام ١٧٩٢ وفي سويسره وبلجيكا واكثر الولايات
الاميركية واسوج ونروج وايطاليا والدولة
العلية وامارة باد وانكلترة واوستريا والبرتغال
والدنيترك واليونان وبافاريا وسكسونيا
ورومانيا واعيد تقريره اواخر العام السالف
في بلاد الفرنسيين وكان له حينها وجد آثار
تذكر وتشكر كما سنينة فيما يجيء

الأ ان اعداء الاصلاح لا ينظرون اليه
من وجه الحق والمنفعة العمومية ولكنهم يكرهون
النور من حيث يجيء ويخافون المدل والحق
من حيث كان ولذلك وجد للتعليم الانزامي
اعداء الداء يستنكرون منه ويستنفرون
القلوب عنه يزعمون انه مخالف للحق الطبيعي
ومغايير للحرية الشخصية يدعوى ان الوالد حر
في امر أولئك يتصرف فيه كيف شاء ان علمه
كان له الفضل والمنة وان ابقاءه في ليل الجهالة
فا عليه من سبيل وما يعلمون بل يعلمون
ويتجاهلون ان الحرية تنهي عند بداعة الحق
العمومي وانها عبارة عن حق القيام بالواجبات
ليس الا فكلا نعدى ذلك منها فهو عسيف
واستبداد فانه ليس من الحرية الشخصية سرقة
مال الجار واغتصاب ملك الضعيف وقض
ميثاق العاجز فمن فعل ذلك فقد اعتدى
وجار وخان وانتزأ

قال الموسيوجول سيمون في كتابه المسمى
بالمدرسة : الحرية تبنت في المدارس ونمت .
وبالمدارس تتأبد الحرية ونعم والحرية والمدنية
متلازمان متضامتان

وبين الوالد ومولوده ميثاق طبيعي عقد
يوم الزواج وسجل يوم التاج ان الوالد يحفظ

وبكسوه ويقيه شر العوارض الطبيعية الى ان
يشته منه الساعد ويستغني عن المساعد كذلك
يجب عليه ان يغذي عقله بالعالم والادب
ويصون لبة عن مفاسد الجهل الى ان تنمو
مداركه ويبلغ حد العرفان

فالعالم من حق الوالد والتعليم من واجبات الوالد
والحكومة هي الهيئة المخفارة لنصر الضعيف
وانصاف المظلوم وحماية العاجز وحفظ الحقوق
والدعوة الى الواجبات وهي مأمورة من قبل
وجودها الطبيعي بصيانة الوطن واعلاء شأنه
وتسديد امور الامة وتنظيم احوالها بتوفير اسباب
الراحة وتمهيد طرق السعادة وغير ذلك مما
لا يتم ولا يحصل الا بانتشار انوار العلم
واضمحلال ظلمات الجهل . فاذا وجد من
لا ينهض بما وجب عليه ومن يهمل الشأن
الذي لا تكون المدنية ولا تحصل الراحة الا
به فمن حق الحكومة ان تدعوه اليه ومن حقها
ان تجبره عليه

قال الحكميم فرنك الفيلسوف الفرنسي
المشهور في قاموسه الفلسفي ما معناه : ليست
واجبات الحكومة بمنصورة على حصر الشر في
مكانه وعقاب مرتكب الشر بل يجب على
الحكومة ان تسعى في سبيل الخير فتشفي المنافع
الوطنية وتعني بكل ما يوجب نماء قوة الانسان
وبضمن له السعادة وعلو الشأن وكل ما
يؤول الى اعلاء كلمة الانسانية .

فالزام الوالد بن تعليم ولده من حق الحكومة
وقد تبين ذلك للحكومات المستنيرة فسكنت
اليه وخرضت عليه فتقرر في بروسية عام ١٧٩٥
وفي فرنسا على عهد حكومة الموائنة Convention

الولد في وجوده الحسي والمعنوي فيطعمه ويكسوه
ويؤدبه بالعلم والمعارف وبقية من العوارض في
الحالين حتى يحصل له من القوة ما يغنيه عنه
وعن سائر الناس وإن الولد يطبع الولد صغيراً
ويجبه كبيراً ويعوله أن كان عاجزاً فقيراً فإذا
نقض أحدهما ذلك الميثاق على ضد حق الآخر
فقد ظلمه واعتدى عليه لم يأخذ بحقه منه ولم
يكن مستعملاً بحريته فيه
والحكومة منتدبة لمنع كل اعتداء وحفظ
كل حق

والصغير قاصر عاجز لا يستطيع المطالبة
بحقه فضلاً عن أن يناله بالقوة ناذاً هضم والد
حق وجوده الحسي أو المعنوي فلا بد له من
شفيع إليه ومعين ناصر عليه . والهيئة الحاكمة
التي هي خلاصة وجود الأمة ولبة كل ضعيف
ورعية كل قاصر فهي مأمورة من قبل تلك
الولاية وهاته الوصاية بالذود عن الصغير
وحفظ حقه من كل منترى عليه فكما أنها
تعاقب من يعذب الولد ومن يبيذه ومن يقتله
ومن يسقطه جنيماً كذلك يجب عليها عقاب
من يدفنه حياً بما يهمل من تعليمه المفروض
عليه ومن يقتل عقله بما يغفل من هديه سبيل
العرفان . بل قتل العقل اشنع وإفطع وأضر
بالهيئة الاجتماعية من قتل البدن ولأن يهلك
الرجل وله خير له من أن يميت عقله بالجهل
والخشونة فيكون من المفسدين في الارض

فالزام التعليم واجب على الحكومة

وبعد فقد وجد الولد في الهيئة المدنية
ليكون وطنياً في أمته وجندياً في وطنه يذود
عنها جميعاً ويفتديها بما يستطيع من كل حسي

ومعنوي ويحلب اليها النفع ويدراً عنها الضر
لاستحاده بها في الوجود المدني ولقيام الكل
بالواحد والواحد بالكل حيثما وجدت أمة
وحيثما كان وطن صحيح فينبغي من هذا الوجه
اعداد لمراتب الانسانية وإشرابه الفضائل المدنية
ليكون عضواً نافعاً في جسم الهيئة الاجتماعية
فلا يحى وجداته المدني فيحصل كاليد السلاء
كلاً على عائق أخوانه ولا يظهر بما يلحق بهم
الضرر أو العار فربما وزرت الأمة وزر واحد
منها وعبرت به مدى الأعصار فالحكومة الجامعة
للكلمة الوطنية المنتدبة لحفظ الهيئة المدنية مأمورة
بالإشراف على أفراد تلك الهيئة نصون لضعيفهم
حقه كما نصونه للقوي وتلزم عظيمهم بما يجب
عليه كما تلزم به الصغير فإن دعت الوالدين إلى
وفاء أولادهم حقهم من التعليم لم تكن إلا آخذة
بحق لها بل قائمة بما يجب عليها وما أحسن ما
قال في ذلك النائب الفرنسي الموسوي بول
برت وهو « متى وجد الأمر متعلقاً بمعاملة
الأحداث في زوايا المدارس بكلام يثبت في
أذهانهم اللينة صوراً وآراء فللهيئة الحاكمة
المنتدبة للجب المصالح ودره المفساد حق
التدخل فيه والزام ما تنصيه »

فصل

نظرنا فيما تقدم بيانه الى حقبة الزام التعليم
من الوجه الطبيعي والمدني على صورة عمومية
فبقي ان نحصر الكلام في دائرة المبحث من

بحيث لا يدبر اعمال الهيئة الا من كان قادراً على ادارة اعماله الذاتية ولا يتولى مصالح الناس الا من كان على علم بمصلحته الحقيقية فان الغي الجاهل لا يصلح ولا يجدر به ان يتولى امور الكل ومن أُعطي حق الانتخاب فكأنما ولي هذا الامر فلا يصح ان يكون جاهلاً . ان حق الانتخاب مع الجهل يجعل الامة فوضى ويعيدها الى الاستبداد ومع العلم يؤيد شأنها ويتم عليها نعمة الحرية فلا سلامة ولا كرامة لامة عمومية الانتخاب الا اذا دخل العلم آخر كوخ في آخر مزرعة من بلادها . اه .

وقال الفيلسوف الفرنسي الموسيو كورنين في مجلس نبلاء الفرنسيين في ٢١ اذار سنة ١٨٣٢ « ينبغي ان تكون الامة الراغبة في الحرية مستنيرة بالعلم والا لتوت عليها الاماني وانقلب اضراراً لا مكان ان تزيد حقوقها على معارفها فتسيء التصرف في احقاق تلك الحقوق . اه . فمن تأمل هذا الذي قد مناه تبين له وجه الحق في الزامية التعليم في بلاد الفرنسيين . وبعد فمن ذا الذي يبلغ منه عى القلب الى حد ان لا يرى ان تقدم الامم يكون على قدر انتشار المعارف العمومية فيها بعد اذ قام على ذلك من العقل والاخبار الف شاهد ودليل قال احد علماءهم « حسينا في بيان لزوم التعليم قول باكون الزاهب مثلاً « العلم هو القوة » وما اصح من مبداء ولا سيما من وجه الاقتصاد فان معرفة القوانين الطبيعية هي التي تجعل الشغل كثير الثمر فالانسان النظري على كونه اصح من المدني حساً واقل بدناً واصبر على المتاعب يحيا شقياً ويموت في الغالب من العوز

حيث هو فننظر في حقبة الزام الوالدين بتعليم اولادهم في امة من مثل الفرنسيين فان آثار الاحكام والقوانين المدنية تختلف بحسب اختلاف الاحوال والمعدات بحيث يكون اللازم منها في بعض الامكنة غير لازم في بعض والحاجي في بعضها كالياً في بعض بل ربما كان الحكم نافعا مصلحاً في بلد وضاراً مفسداً في غيره من سائر البلاد

فالامة الفرنسية امة انتخاب عمومي يشارك افرادها في الحكم الكلي فكل احد منهم ينتخب النواب وكل احد يصلح ان يكون نائباً الا الذين اضاعوا حقهم المدني بما كانوا محترمين والنواب هم الذين ينتخبون رئيس الدولة ومنهم تتألف الوزارة وبارادتهم يتعين مقدار الدخل والخرج وبحكمهم توضع الضرائب وتفرض الوظائف وهم هم اهل النهي والامر والنقض والابرار فالامة هي الحاكمة في بلاد الفرنسيين فان لم يكن كل فرد منها عارفاً بما يحق له وما يجب عليه لم يصلح ان يكون رقيباً ناظراً على الحق والواجب العمومي . قال احد ادباءهم في هذا الباب لا بد من حصول المساواة في المالك على ما ترى في الجمهوريات بحيث تكون في الروسية كما في شويسرة فيزداد بذلك عدد الذين يشاركون في احكام بلادهم بواسطة الانتخاب - ان لم يكن انتخاب نواب فاعضاء مجالس للادارة والجزاء والحقوق والبلدية وهلم جرا - وقد حصل الانتخاب عمومياً في كثير من البلاد وهو على قدم الحصول في سائرها وحيث انه لا يمكن رد هذه الحركة ولا وقفها فلا بد من جرها الى جانب الخير والعرفان

الضرائب ضعفي ما يؤخذ من الأوروبيين
الآن لأن فعلتنا أوسع من فعلتهم علماً وأكثر
معارف فهم لذلك أسرع منهم عملاً وأحسن
صنعاً وإقدر على اجتناء النفع من الآلات

وقال الموسيو فرستر السياسي الانكليزي
في عرض بيانه لمزية التعليم الانزاجي ووجوبه
في انكلترة ما تعريبه « نعلم ان العلم غير الفضيلة
وان التعليم وحده لا يوجد القوة الكافية لمقاومة
الشهوات الفاسدة ولكن اذا كانت المعرفة غير
الفضيلة فلا شك ان المجهل ضعف والضعف
في هذه الحياة الدنيا هو الشقاء والشقاء مود إلى
الرذيلة. ومن ذا الذي لا يرى في المدن والقرى
صغاراً يشبهون سالكين على الغالب مسالك
الجريمة وعلى الاغلب مسالك الشقاء لرداءة
تعليمهم او لعدم التعليم. فكيف نرى ذلك
ونصبر عليه » ١٠١٠

فصل ٣

تبيين بادلته من العقل حجة الزام التعليم
في الهيآت الاجتماعية عموماً وفي البلاد الفرنسية
خصوصاً فبقي ان نؤيد ذلك بشواهد من
النقل الصادق وبراهين من الرقم الناطق
افهاماً للمعالمطين وافهاماً

في عام ١٨٦٣ اقيم في لندره عاصمة انكلترة
معرض عمومي وأُفرد فيه مكان فسيح لمواد
المدارس وآثار المعارف وتقارير التعليم لمعرفة
نتائج في جميع الاقطار والفت للنظر في ذلك
لجنة من عظماء اهل الهند تحت رئاسة المركز

تغلب عليه القوى الطبيعية فتفتله بجهله اما
الانسان المدني فقد كشف كثيراً من اصرار
هاته القوى فاستخدمها فيما يحتاج اليه فملك عالم
المادة وعاش رغداً ناعم البال « وما برح
تأثير العلم في تمصيل الثروة على ثناء واتساع
يزداد يوماً فيوماً الى ان يقال هاته الامة اعم
معارف واقل جهلاً من غيرها فيعلم من ذلك
انها اغني واغنى. وكما ان المعارف لازمة لتحصيل
الثروة كذلك لا بد منها لحفظها وحسن استعمالها
من وجه ما ينبغي وانا لنرى الفاعل والمماهن
حيث ما كان لا يصيب من الاجرة ما يفي
بالضروري من حاجاته ونجبه مع ذلك ينفق
منها فيما لا يلزم وفيما يضر وما ذلك الا لان
عقله محدود بالحاضر من اموره فهو لا ينظر
في العواقب ولا يدرك منافع الادخار فتتو فيه
وتغلب عليه الشهوات المحسية فلا يجد على
الغالب من لذة الآ في غيبوبة السكر فان زاد
كسبه فما يزداد الا انعكافاً عليه. فمن رام ان
تكون زيادة الاجرة منجاة للفاعل والمماهن من
الحاجة وسوء الحال فلينفتح له باب العلم لتحصل
فيه قوة التبصر وملكة اللذة الفكرية فالمرء
لا ينتج ما يعمل كثيراً ولا بحسن استعمال ما
ينتج الا ان يكون متعلماً قال المؤرخ مركولاي
كان الايكوسي (ساكن ايكوسة) فقيراً جاهلاً
فما تقدم في القرن الثامن عشر على الانكليزي
في جميع الاعمال والمخطط الا لأن اهل الندوة
بادنبرج وضعوا لايكوسة قانون تعليم وطني
عمومي. ويقول اصحاب المعامل في الولايات
المتحدة الاميركية ما تقوى على مناظرة البلاد
الاوروبية بمصنوعاتها على كوننا نؤدي من

١٠ - عن لائحة اللجنة المذكورة في الصحيفة ١٠
من الجزء الثالث عشر

وفي عرض ذلك الممرض انتدب الموسين
مفراس كاتب السر في بعض السفارات للنظر
في احوال المكاتب وبيانها من وجه الواقع
فكان ما كتب في ذلك ما تعريبه

« لا بد لنا في هذا المسلك ان نعترف »
« وان ساعنا هذا الاعتراف ان فرنسا متأخرة »
« في المعارف عن المانيا واميركا وانتلثة وغيرها »
« وان نحتاج هاته الدول وان كان بعضه ناشئا »
« عن هم الافراد وعواطف الانفس الا ان »
« موجه الاول في البلاد الالمانية انما هو »
« القانون الذي يجعل التعليم اجباريا » . ١٠٠
عن اللائحة المذكورة في الصحيفة ٧٤٥ من
الجزء ١٣ ايضا

وفي سنة ١٨٧٢ اقيم معرض وينا العامي
فاجتمع فيه رجوه جمعيات الفعلة على اختلاف
الانساب والاطنان وقدموا لديوانه تقريرا
يقولون فيه ما ترجمته « لا كفاء ولا غناء في
كون المدارس مفتوحة الابواب لكل طالب
بل لا بد من ان يكون دخولها لازما واجبا على
الكل ثم ينبغي ان تكون عالمية محضا وقاية
لحرية العقائد »

ولما ولي الموسيو دوروي السابق الذكر
وزارة المعارف الفرنسية عام ١٨٦٢ صرف
اجتهاده في بيان احوالها ورفع الى الامبراطور
تقريراً اجماليا يقول فيه ان الالميين من
البالغين عمر الدراسة ينفون على ٦٠٠٠٠٠
عددا فكان هذا التقرير منافضا لما كان يطلبه
وكلاء الدولة من مشاهم على مجلس النواب

دي كافور فاجتمع اولئك القعدة في الثالث
عشر من شهر حزيران من العام المذكور
المذكورة فيما رآوه من تلك الآثار والتقارير
ثم اصدروا الحكم الآتي معربه

« لقد ظهر اليوم لجميع الالم المتقدمة انهم »
« اذا راموا وقاية المستقبل وتايد ونشر المبادئ »
« التي هي اساس الهيئة الجديدة وموضع افتخارهم »
« بها فلا بد لهم ان يعتدوا بتعليم الاحداث »
« بمنزلة مصلحة اجتماعية من الدرجة الاولى »

« وتبين لنا ان بروسية وغيرها من الممالك »
« الزلفرينية التي حصلت فيها التعليم واجبا »
« قانونيا وكذلك الممالك السكندناوية وجمهورية »
« سويسرة هي في المقام الاول بين البلاد »
« الاوربية بالنظر الى المعارف العمومية » . ١٠١

وفي عام ١٨٦٧ اقيم معرض عمومي آخر
في باريس على عهد الموسيو دوروي المؤرخ
المشهور في نظارة المعارف الفرنسية وكان
القسم العاشر منه معينا لآثار العلوم وتقارير
التعليم وله لجنة نقد وحكم مؤلفة من رؤساء
العلماء فكان ما ورد في تقرير تلك اللجنة ما
تعريبه

« اول ما يتوجه المخاطر اليه عند روءية »
« هاته الآثار وتصفح تقارير التعليم في هذا »
« القسم من المعرض انه ينبغي تعليم كل ساكن »
« بلد يدعي له المدنية مبادئ القراءة والكتابة »
« والحساب في مدارس النهار والليل وان »
« هاته المزية السنية قد حصلت على وجه »
« العموم في البلاد التي تقرر فيها الزام التعليم »
« اما في سائر البلاد الا النادر اندي لا يقاس »
« عليه فنتائج التعليم لا تعادل مقادير النفقات »

على فرنسا التعليم « اه. »

الآ ان المداحين المدهنين الذين كانوا يضربون من دون الحقائق حججاً مستورة ويموهون مشوّهات الاحوال نزلاً الى الامبراطورية ومخافة ان تبدو معائهم الامة فنقول بعداً لكم وسحقاً ان هؤلاء المتناقضين قد اعترضوا على تقرير دوروي وزوقوا الامر المزق بالباطيل وانكروا الزام التعليم من وجه مخالفته للحرية على كونهم اعداءه الالداء مستهزئين بالالمان من هذا الوجه ضاحكين منه كثيراً الى ان جازاً بهم الى عاصمة بلادهم فاتحين فابكوا الفرنسيين بكاءً غزيراً ونين حينئذ لم جميعاً صدق الوزير بسمارك حيث قال « ما بلغت بروسيه هذه المنزلة العلية الا بشيئين الزام الجندية والزام التعليم » اه. عن مقالة للموسيو اوجين رندو مفتش التعليم الابتدائي نشرت في جريدة كستيتوسيونل في شهر حزيران عام ١٨٧٠

وكان اهل ستراسبرج قد شرعوا قبيل تهوّر الامبراطورية في حرب الالمان يجمع الآراء على تقرير يطلبون فيه التعليم الانزامي فاجتمع لهم ٢٥٠٠٠٠ توقيع ثم كانت الحرب فانفصلوا عن الوطن الذي افتدوه بارواحهم فنشطت عصبة التعليم الباريسية لاكمال مشروعهم فتلقته الامة بالقبول والاقبال حتى اجتمع في ذلك التقرير ١٢٦٧٢٢٢ توقيعاً وعرض لدار الندوة فأعرضت عنه بما كان في رجالها من كراهية الحرية وخوف انوار العلوم ولكن علم الالباء ان لا بد بعد ذلك من حصول التعليم الزامياً في بلاد الفرنسيين فان صوت

والشيوخ على كونه دون الحقيقة بمراحل كما يتبين من التقرير المرفوع الى الامبراطور المنشور في صحيفة المونيتور الرسمية (وقتئذ) سادس شهر اذار عام ١٨٦٥ فقد ورد فيه ان مائتي الف ممن جاوزوا الحادية عشرة عراة عن كل معرفة وان ثمانمائة الف ممن هم بين الثامنة والحادية عشرة لا يأتون المدارس ولذلك قال الموسيو جول سيمون من خطبته في الهيئة المشتركة Corps législatif سادس عشر اذار عام ١٨٦٤ ان عدد الاميين من البالغين عمر الدراسة في البلاد الفرنسية ٢٠٠.٢٠٠.٢ لا ٦٠٠٠٠٠ كما ورد في تقرير دوروي

بل لانتسب كثرة عدد الجهلاء هي الموجب الفرد لالزام التعليم فلو لم يكن في الامة غير معشار المعشار من الجاهلين للزم الهيئة الحاكمة تعليمهم قال الموسيو برديو وزير المعارف الفرنسية الاسبق من خطبة فاه بها في مجلس نواب الفرنسيين في السادس عشر من شهر كانون الاول الماضي ما تعريته « لئن لم يكن في فرنسا غير عشرة الاف او الفين او الف من لا يأتون المدارس فن الواجب اقتيادهم اليها . وعندي ان الدول التي قضت بالزام التعليم لم تمس عقيدة الولد ولا حرية الوالد ولا ارى الذين يتقاعدون عن المدارس الا ثلاثة خاملات سائلاً وناسداً اسارقاً وفقيراً عاملاً فالفرقان الاولان ليس في الزامية تعليمها موضع الخلاف واما الفرق الثالث فيمكن في امره التوفيق بين الشغل والدرس كما نص عليه في تقرير لجنة الالزام . ولا ريب ان فرنسا على كل احد منا ديناره ودمه ورأيه وان لنا

الامة صوت الحق والامة اذا قدرت ان تقول
قدرت ان تفعل

مجانبة التعليم

ثبت للحكومة حق الزام التعليم من وجه
ان الهيئة الحاكمة المشرفة على امر الجمهور
متدبة لجلب المصلحة كما هي مأورة بدفع المنفعة
فكما انه يجب عليها ازالة الضرر وفي الاذى
ورد الشفاء وكف العدوان ومنع الظلم كذلك
من واجباتها تحصيل النفع وثبات السلامة
واعادة الهدوء وتأيد السلم ورفع منار العدل
والانسانية بالفضيلة التي لا تماثلها فضيلة والمزية
التي لا تعادلها مزية فضيلة المعرفة ومزية العلم
والعلم يجبي قلوب الميتين كما

تحيي البلاد اذا ما مسها المطر

والعلم يجلو العي عن قلب صاحبه

كما يجلي سواد الظلمة التمر

ولكن ليس في الوجود الطبيعي ولا المدني
من واجب الا بحق بمائلة وليس فيه من حق
الا بواجب يقابله فاذا وجب على الوالد للهيئة
المدنية تعليم ولده فقد حق له امكان ذلك
التعليم على قدر الكفاية واذا حق للهيئة الحاكمة
اجباره عليه فقد لزمها توفير اسبابه وتمهيد مهيئه
على قدر الامكان فان كان الوالد من الذين
اصابهم النظام المدني باخلاله او الذين الم
بهم من عوارض الوجود ما لا يستطيعون له
دفعاً فهو فقير معدم او ضعيف عاجز لا بقوى
على تعليم ولده بقدر ما يحتاج اليه وما توجبه
احوال الزمان عليه فالهيئة الحاكمة مأورة من
قبل حقبة الالزام بان تيسر له ما لا يستطيع

فتجعل التعليم بلا قبل . قال ساي الاقتصادي
الشهير ان مركز المحترف العامل يدني مقدار
دخله الى حد انه لا يكاد يفي بحاجته الا بشق
النفس فاذا استطاع تربية الولد وتعليمهم حرفته
فهو لاشك عاجز عن ان ينيلهم من العلم القدر
الذي يقتضيه حسن الحال في الهيئة المدنية فان
رامت هذه الهيئة التمتع بنفائض هذا القدر من
العلم في الشقة المحترقة العاملة وجب عليها ان
تدب فيهم على نفقتها بانشاء المدارس المجانية
(الاقتصاد الكتاب ٢ الفصل ٦)

فالمجانبة في التعليم واجب مترتب على
حقبة الالزام

الا ان لزوم المجانبة مستازم للعسر او
الضعف او العجز في جانب الوالد فاذا سقط
الملازم بطل اللازم قياساً بمعنى ان المجانبة غير
متعينة على الالزام الا لمن ثبت عجزه عن
التعليم فان كان قوياً عليه فقد لزمه لزوماً لا
ريب فيه كما تبين في ابواب الحقبة ولم تكن
المجانبة واجبة له على الهيئة الحاكمة

فالمجانبة المطلقة غير ملازمة لالزام التعليم
الا ان الكثير من علماء تدبير المنزل
وحلفاء الحرية والعدل ونصراء المساواة والاخاء
والذين لا يميزون بين ابناء الانسان الا بمزية
العقل وفضيلة النفس كل هؤلاء قد كرهوا
حصر مجانبة التعليم في اولاد الفقراء ولم يرضوا
بوجود الامتياز بهذه الحقيفة على مقاعد المدارس
علماء منهم بما ينشأ عن ذلك من الاحن
والعداوات وما يترتب عليه من فساد
النفوس وتنافر القلوب اذ ينقسم الصغار فرقاً
ودرجات متفاصلة متباعدة فاذا شبل كان

عند اخوة المدارس المسيحية

ولكننا نضرب عن المقابلة بين ما يفعلون وما يقولون والموازنة بين ما يعتقدون وما يوهمون فلسنا في مقام الحكم عليهم وليس من قوة الحججة وحسن الدليل ان يقال فعلت من قبل غير ما تقول الان فانت انت حجتنا عليك وانما الحججة الدامغة ان مجرد القول من علاقة مصدره ومن الحامل عليه فيرد بالنظر اليه من حيث هو هو رداً معتقلاً باهداب النزاهة آخذاً باطراف الوضوح فنحن لذلك نمرُّ على الانظار اعتراضاتهم على مجانية التعليم واحداً بعد واحد ثم نكشف عنها الحجاب ليتبين الخطأ من الصواب ان شاء الله

وقد انحصر اعتراضهم على المجانية في اربعة لأبر قسمنا بالحق ان كنا ندرى ايها اخي حقيقة واطهر فساداً وادنى من الخطاء وابعد عن الصواب من البقية وهي أولاً ان المجانية المطلقة موجبة لمزيد النفقة فهي من هذا الوجه ضريبة فادحة تزيد تكاليف الامة اثقالاً . ثانياً انها بدعة مستحدثة لم نقد خيراً ولم يأخذ بها الا القليل من الدول . ثالثاً انها من آثار الاباحية من حيث انها تتعلق بالاشتراك في الاموال . رابعاً انها انما وضعت لاعانة الفقير وهي حيف عليه فقد كان يحصل العلم من قبل مجاناً فاذا أطلقت المجانية لزمته الوزيرة فيلتوي الامر عليه . هـ . وانا لنرد بحول الله وقوة الحق كل اعتراض من هذه الاغاليط فتزهد جميعاً كأن لم يكن بها عهد ولم تكن شيئاً مذكوراً

بعضهم عدواً لبعض يتربصون بهم ريب المتون كما كانت الحال في اعصر الظلمات المساة بالمتوسطة وما احد يجهل تلك الحال وما احد لا يعلم ما أدت اليه . قال الموسيق غلزنائب بريغ في مجمع فرنكفرت « من الواجب الضروري اجتناب كل ما يحمل الصغير المعوز على الاعتقاد بوجود حد فاصل بين الغني والفقير ولا يكون ذلك الا اذا جالس المعوز منذ الحداثة على مقعد المدرسة بنزل الحق وفي نفس الدرجة التي لابت الغني » . اهـ . (الصحيفة ١٦ من مفاوضات مجمع فرنكفرت)

وقال الفيلسوف جول سيمون في كتاب المدرسة ما معناه . يحسن ان يعيش ابن الغني وابن الفقير على مقعد واحد ويجب ان يعلما انها شرع بان ينزع اولاً من مخيلة الفقير وهم الفقر لا كما هي الحال في كثير من مدارس الاناث حيث لا تعلم المدرسة الا بنات الاغنياء واما الفقيرات فيقرأن على عريضة منهن . اهـ . فن عجائب ما ينشأ عن الاهواء ومن غرائب ما ينتج من الآراء النسائية ان يرى للمجانية اعداء ينكرونها اصلاً وفرعاً ويحسبونها البدعة الشنعاء وان يكون اولئك الاعداء هم الذين اوجبوا على انفسهم فتح المدارس لكل دارس والذين كانت مدارسهم الخارجية مجانية محضاً . فهل نسوا انهم يتناسون ما ورد في تاريخ فرنسا القديم عن منع المدرسين غير مرة من اخذ رواتب الدراسة من الطالبين (تومانيه المجلد ٢ الصحيفة ٦٢٢) ام لا يذكرون ان المجانية ما برحت ناموساً مقدساً

باب

يقولون المجانية المطلقة موجبة لمزيد النفقة
فهي ضريبة فادحة للامة ومثلهم في هذا القول
كمثل من يأبى الدواء الشافي وينكر اسباب
الراحة ويهمل وسائل الوقاية بما تقتضيه من
النقطة ومثل من يترك الارض بوراً فراراً من
كثفة الزرع . ومن كان ذلك حد ما نصل
اليه مداركه فهو بالنفقة والرحمة اجدر منه بالمال
قال جول سيمون يجب ان ينفق على
التعليم الابتدائي كل الملايين التي يقتضيها
غير ما سوف عليها ثم فصل (في كتاب المدرسة)
ما يترتب من النفقة على تقرير الازامية والمجانية
من كل الوجوه مائلاً في كل ذلك الى جانب
الزيادة فقال ان ثمانية عشر مليوناً فرنكاً تكون
كافية للمجانية فاذا اردنا انشاء مدارس جديدة
وزيادة اجور المدرسين فنضعف بذلك هذا
المخرج فغاية ما يكون مع نفقة المدارس الاصلية
المعدة للترشيح للاستاذية خمسين مليوناً فرنكاً .
اه . فاذا علم ان ولاية نيويورك باميركا تنفق
على التعليم ٣٢ مليوناً ريالاً في حالة كون
سكانها لا يزيدون على ٣٨٥١٥٦٢ نفساً عدداً
وان ولاية ماساشونس وعدد سكانها ١٢٢١٠٦٦
تنفق خمسة عشر مليوناً وخمسمائة الف نيين ان
فرنسا وان انفقت مائة مليون فرنكاً بل مائتين
لا تكون في الدرجة الاولى بين الممالك ولا
في الثانية

فعلى تقدير ان تكون النفقة المتعينة على
مجانبة التعليم اربعة امثال ما حسب الفيلسوف
المدقق جول سيمون فكيف يأسف الفرنسيين

على اتفاق مائتي مليون في سبيل التعليم الابتدائي
على كونهم ينفقون نحو الف مليون في سبيل
المجندية وكيف يضمنون بالمال فيما يضي
الالباب وما ليس للعقول من لذة الا به وهم
هم الذين انشأوا ملهى غنائهم ستة وعشرين
مليوناً والذين نرى في برنامج دولتهم في كل عام
مليوناً ونصف مليون للتيار واربعة وعشرين
مليوناً للسجون وهلم جرا . قال سيمون . كيف
لا نموت خجلاً ونسبة برنامج التعليم عندنا الى
برنامج الحبيب نسبة ١١ : ٢٩٥

فان قيل ان الامة تنفق الالوف المئوية
في سبيل المجندية لوقاية شأنها واعلاء مكانها
ورد العدو وصيانة ماء الوطن وليس في التعليم
شيء من ذلك فالذي يلزم في المجندية لا يلزم
فيه قلنا اي شأن اجدر من الفضل بالوقاية
واي ماء اولى من الدهن بالصيانة واي مكان
احق من العلم بالاغلاء واي عدو اعدى
من الجهل ..

أليس هو المضعف للقوة الزاهب بالراحة
المنهي على السعادة الداعي الى المفسدة المدني
من البلاء المبعد عن الكمال المساوي بين انسية
الانسان ووحشية الحيوان

اوليس هو الذي ينسف معاقل الجدد
ويذكر اطواد العز ويقطع قلاع السطوة ويحس
آثار الفخار ويجعل البلاد عرضة لكل طامع
او غرضاً لكل هادف وعرضاً لكل سائم

بلى . فكيف تنفق الامة اموالها وتبذل
الارواح لرد طارق خارجي ثم يتعكر عليها
صرف معشار تلك الاموال لدرء هذا العدو
الداخلي المقيم . لا جرم ان الذين يحاولون

على رد القوي منه لما وجد المناظر منا للقال
مقاماً فحن لذلك تتنازل معهم الى تبين البين
وتحصيل الحاصل ليزول اللبس عن افهام العوام
فليست المجانية من البدع وإنما هي سنة
الفضلاء والرؤساء وارباب السياسة وخدمة
الدين واهل التدريس. انزهاء في هذه الايام
ومن قبل التزامها في فرنسا اخوان المدارس
المسيحية وكانت الى هذا العهد مفر الآباء
اليسوعيين في مدارسهم الخارجية وطلبت في
بلاد الفرنسيين منذ القديم كما روينا عن
تومانين فيما تقدم ونقررت في تلك البلاد عام
١٧٩١ مبنية على تقرير تاليران السابق الذكر
وفرضت من بعد ذلك في البند ٢٤ من
القانون المسنون خامس عشر اذار عام ١٨٥٠
ومفاد ذلك البند « التعليم الابتدائي مجاني لكل
الاولاد الذين لا يسع آباؤهم اداء نفقته ». .
ولم يسمع ان احداً من العلماء الاسلام تقاضى
الفارئين عليه والاخذين عنه اجرة وهذه آثار
مدارسهم في العراق والشام والحجاز ومصر
والاندلس وسائر المغرب ناطقة بذلك بل
هذه مدرسة الازهر بالقاهرة والزيتونة بتونس
وغيرها بسائر البلاد الاسلامية تثبت بلسان
الوف من طلبة العلم

وليس اولياء المجانية عدداً قليلاً فهي مفررة
في جميع الولايات المتحدة الاميركية ولا ازبد
البصير بهذه الولايات علماً انها احسن البلاد
حالا واسرعها نماء واشدها حرصاً على الحرية
وحفظاً لحقوق الانسان

وهي مأثورة في هولندا والدنيمرك وإيطاليا
وشيلي والبرتغال . وقد ظهر ارنياح سائر الامم

سرف خواطر الامة عن هذا الواجب المدني
انما هم نصراء العدو عليها . لا بروموت رفع
الواجب رحمة بها ان تحمل انفسها ما لا تسع
ولكن ليستأثروا بالحق المتعين عليه . او هم
احباؤها ولكهم يجهلون حقيقة المنفعة والعدو
العاقل ابسر ضرراً واصغر شراً من الصديق
الجاهل . فننفة التعليم واجبة على الامة وجوب
نفقة الجندية ونفقة القضاء ونفقة الضبط والخفارة
عليهم بل في اوجب من حيث انها اساس
قوة الجندية وعاد عدل القضاء ودعامة حسن
الضبط . قال تاليران في تقريره على مجانية
التعليم الابتدائي في بلاد الفرنسيين عام ١٧٩١
- يجب على الامة ان تقوم بادئ بدء بما يلزم
للدفاع والحكم فان واجبا الاول انما هو العناية
بمنظ وجودها الذاتي من كل عارض ثم
الهبوض بما تصون به الحرية والملك لتدراً
عن مجموعها النوازل التي لا يمكن انقائها في
حالة الانفراد فتحصل لم المنافع الوطنية الناشئة
عن حسن الاجتماع . بل ما وجدت الامة الا
لهذه الغاية فان لم تدركها فقد اهلكت حكمة
الوجود . ولما كان التعليم بلا ريب خير تلك
المنافع اثراً وجب على الامة ايما وجوب بذل
كل ما ينبغي للتيسير لاعضاءها كلهم اجمعين . اهـ .

المجانية بدعة مستحدثة لم تعد خيراً ولم
ياخذ بها الا قليل من الناس . - وهو من
بداهة الفساد وظهور الضعف بحيث يقف القلم
عن رده استخفافاً وازدراء ولكن سائر ما يدعيه
اعداء الالتزامية والمجانية والعالمية في التعليم
لا يخرج عن هذا الحد فلو صح الاقتصار

النفقات

للاراضين الموقوفة والابنية والاثاث	١٥٠٤٥٩٠٨
رواتب المفتشين	٠٠٩٢٤٧٢٣
رواتب المدرسين	٤٦٧٠٢٢٩٥
نفقات شتى	١١٧٠٢٠٩٥

٧٤٤٧٦٠٧١

فجيلة ما ينفق على التعليم الابتدائي في اميركا
اربعة وسبعون مليوناً وثلاثمائة الف دولار
وكسور اي نحو ثلاثمائة مليون وثلاثة وتسعين
مليوناً فرنكاً فلو بذلت فرنسا فيه ما تطلبه
الدولة مضعفاً عشرين مثلاً لما فضلت به
ولايات العالم الجديد

ولا نجد بنا بعد هذا البيان من حاجة الى
الاستدلال على رفعة شأن المعارف العمومية
في الولايات المتحدة وسائر الاقطار المتقدمة وان
الدول والامم البصيرة بعواقب الامور لا تنبالي
بالالوف المؤلفة تبذلها في سبيل اضاءة البصائر
بانوار العلوم على اننا نورد الجلاء الآتي قطعاً
للحجة وحسباً لاسباب المغالطة فهو بيان واضح
يتضمن المقابلة بين نفقات المعارف وسائر
المصارف العمومية في سبع من الولايات المتحدة
نموذجاً نأخذه عن تقرير الناظر الرئيس
(جون ليتون) على عام ١٨٧٠ وهو

الولاية	نفقة المدارس	النفقات العمومية
مين	٨٠٥٢٦٩	٠٤٠٢٦٠١
بنسلفانيا	٥١٦٠٧٥٠	٢٨٥٢٣٢٦
أهيو	٤٨١٦٤٩٥	٢٩٢٨٩٩٥
كليفلورنيا	١١٧٨٩٤٨	٠٤٧٥٩٧٨
نيوجرسي	١٢١٢٣٥٨	٠٤٧٢٨١٥

اليها في هذه الاعوام الاخيرة حتى انتهلت
باسبانيا والمانيا على ما جها من عجب المال
فابطلنا رواتب التعليم في المدارس الابتدائية
تلك بحكم قانونها المسنون عام ١٨٦٩ وهذه
بمقتضى البند الرابع والعشرين من دستورها
الحاضر . - وما كانت هذه الدول والامم على
ضلال ولكنها فتحت قلوبها للحق فصدمت
(لاف) حيث قال . ان البلاد التي يبطئ
فيها امتداد المعارف والتي تكون الازامية
فيها حديثة عهد لا بد لاهلها من جمع
الحجاية الى الازام . اهـ . وخفضت رؤوسها
للمحققة فاخذت بما حكم به جاله العلماء واعظم
الفضلاء واكابر الاسانذة في مجمع فرنكفرت
عام ١٨٤٨ حيث قالوا في المطلب الرابع من
تقرير ذلك المجمع الشهير ما ترجمته « يمع اخذ
اي راتب في المدارس الابتدائية وما دونها من
المدارس المعدة للحرف والصناعات وتكون
المدارس المخصوصة بالفقراء ملغاة رأساً . اهـ .
وقد عمت الحجاية المطلقة في الولايات
الاميركية كما قدسناه فارقت بها ذروة النكال
المدني وصارت آية العصر بالقوة والثروة ومعجزة
الايام بانتظام الاحكام وعجوبة الدنيا ببناء السكان .
لم يكن سكانها عام ١٨٦٢٠ سوى ٢٩٩٠٢٠٠٠
نفس وهم الان خمسون مليوناً او يزيدون .
وهذا برنامج التعليم الابتدائي فيها العام ١٨٧٥

دخل التعليم من خزينة
الدولة واوقاف المدارس
واموال المجالس البلدية
بحساب الدولار الذي هو
عبارة عن ٥ فرنكات و ٢٠

وأوجب عرقاً وشرعاً . في استنقاذ الالباب من محابس الجهالة . في اخراجها من ظلمات الضلالة . في اعلاء شأن الاوطان في احياء قلوب السكان . في التعليم الابتدائي العمومي .

أرايت لو قال احد من الناس لا ادفع مغرم الانارة فاني ابيت مع الدجاج واسري مع النعاج فالي باضاعة الشوارع من حاجة ألا بحسب ذلك القول سراسماً او لا يقال لصاحبه ان لم يكن بك من حاجة للنور تأمن بو عثرة المدحج فهو يفيك شر السارق باخذ ما نضن بو على منفعة العموم فان اصر على جهله أما يقال له اعتزل الناس ان رمت مخالفة جميع الناس بقول المخالفون ان الغني وان حصلت له المجانية فلا يعلم ولده ألا بدبنار يجذب اليهم بمغناطيسه عناية الاستاذ فالمجانية لا تنفذه خيراً ولا تكفيه نفقة فان ضربت عليه وزبعنها فذلك ظلم من وجه انه يلزمه النفقة فيما لا عوض فيه . واباحة من حيث انه يشرك سائر الناس فيما ملك . ونقول لا يحظر على الغني تعليم ولده في المدارس المجانية ابتداء فان اباه صلفاً وتكبراً فليكن ما ينفع من المال مزيداً ثمن الكبرياء وليس في ذلك شيء من الاباحة فان الذي تستفيد عامة الناس من المجانية يعود على سائر الامة بالنفع العظيم بما ينشأ عنه من حصول المصلحة الكلية وزوال المفساد واستقرار الراحة والامن وغناء الثروة العمومية فالامة كالأسرة الواحدة يسعى كل نسمة منها وسعة ويكون مرجع الكل اليها . بل الغني احوج الناس الى انتشار المعارف واضمحلال الجهل فتلك تليق القلوب ونظير النفوس

وسكسين ١٧٧٤٤٧٣ ٠٩٤٦٥١٩
النوا ٦٤٣٠٨٨١ ١٠٦٣٥٣٥
ثم ان ولاية نيويورك التي كان سكانها عامئذ ٦٤٨٢٧٥٩ عدداً كانت تنفقة المعارف الاولى فيها ١٠٨٧٤٩١٠ من الدولار اي ثلاثة اضعاف ما تحتاج اليه الدولة الفرنسية لتقرير المجانية المطلقة في التعليم الابتدائي . اهـ . عن الاصلاح الاقتصادي *Réforme économique*
المجلد ٨ الصفحة ٢٥٦

وصلنا موقع دندنة اللفظ الذي يهيب الاذان ولا يمس القلوب وطنطنة الكلام الذي يخرج من الشفاء ولا اثر له في النفوس . وصلنا موضع ذكر الاباحية ونفي الملكية وشيوع الاموال دليلاً على فساد المجانية يقوم ولكن عند الذين يسمون ارتكاب الخطاء على قصد صواب يتوهمون ويصح ولكن عند الذين ينفون العدل فيما يشنون . فاما مجانية التعليم الابتدائي في شيء من الاباحية الا ان تعدد وزائع انارة المدن وضرائب طرق العربات ومغارم توزيع المياه وعوائد انشاء المرافق وجبايات سائر المنافع العمومية من هذا القبيل . ليس ان بعض الناس يستفيدون من المصايح أكثر من بعض اوليس ان العربات لبعضهم دون بعض وهل تتساوى حاجة الناس الى الماء ام يستوي صاحب السفينة ومن لا يملك رأس سارية فيما يحصل من نفع المرافق فما بال النفقة تكون واجبة مشروعة مدوحة الموضوع مشكورة المحمول في كل ذلك وتعد اباحية منكدة ذميمة الوضع والحمل فيما هو اعم من ذلك نفعا

استيفاء بعض رسائله الى

بعض اصدقائه

قال في كتاب ارسلة من بيروت الى

حضرة الصديق يوسف افندي

جباره بالاسكندرية

جاءني كتابك مذكراً منيهاً لحفظ ودك
فما اذكر ناسياً ولا نبه غافلاً ولا زادني شوقاً
لامتناع المريد ولكنته اناني من انفسك بما
نفس الكربة ومن آثارك ما تمثلت به العين
فله انت من صديق في القرب والبعد والصنو
والكدر والسراء والضراء

وبعد ناني مرسل اليك رسمي تذكرة
وداد وقدمة فؤاد يثني لو كان حقيقة في
ذلك الرسم على انه لديك من قبله ومن بعد
ثم اسألك يا خليل الوفاء وفي الاخلاء
تقدم شعائر سلامي وواجبات اكرامي لآلك
جميعاً صفوة الكرام وان تقبل مني مثل ذلك
جعلني الله فداك ولا زلت خادمك واخاك

وكتب من بيروت الى حضرة صديقنا اديب

افندي نظمي بدمشق بعد عودته

من تلك المدينة

اشكو اليك سعة فضلك عن ان يسيط
بياني وعظم متك عن ان يلم بشكرها قلبي
او لساني فاجعل رقتك شفعي لديك وعفوك
وكيلي في الثناء عليك

وبعد فقد وصلنا بيروت لاهجين بذكر
محامدك هازجين بحديث محاسنك فلم تنلنا مشقة
ولم نشعر بطول الشقة ثم لقينا الاهل والاخوان

وتدبث الاخلاق وتوسع موارد الرزق فيقل
معها الطامعون في اموال الاغنياء ويندر
المعتدون على ابناء العرض فتصان بذلك
الحقوق وتحفظ الملكيات وتطمئن نفوس الممولين
وهذا يجعل القلوب فظة والنفوس دينية
والاخلاق جافية والارزاق ناضبة الموارد فتكثر
به الاطماع وتعمل النافقة على الكبائر فلا يأمن
المالك على الملك اغنياء ولا الممول على
المال استلاباً وانهاياً . وكما ان الغني يبذل
المال لنفقة الشرطة والبدل العسكري للجند
او يجند بنفسه حيث لا يقبل منه البدل لوقاية
ما يملك من العدو الخارجي كذلك يلزمه من
وجه مصلحيه الذاتية فضلاً عن الواجب المدني
ان يبذل ما يفرض عليه من نفقة التعليم
الاتدائي لصيانة ذاته وملكوته من العدو الداخلي
المسمى بجهلاً . بل هذه النفقة اوجب عليه وانفع
له من وزيرة الشرطة وضريبة الجندية فان
قوة الحماية لا تزيد على ان تدرك الشر عنه

(تنبيه)

الى هنا انتهى قلم الفقيه في تحرير هذا
السفر الناطق بصحة مذهبه في التعليم الانزامي
ولا حاجة للقول ان المعترضين عليه لم يكن لهم
في هذا المجال نزاع وان لم يقض عليه في
ذلك العهد بالامساك عن العمل مضطراً اليه
بالارتحال والانتقال وبما كان يحول دون مشاغله
من موانع الاعتلال لما ترك هذا المقال خلواً
من البقية

اما الصديق فلان فقد جعلت صحيفته
البيضاء ميثاقاً عليه انه اتخذ محبة صديقاً ورضي
به خليلاً لا يله ولا يروم عنه عدواً ثم سجلته
في محكمة الوفاء تسجيلاً واشهدت عليه من اهل
العهد شهوداً عدولاً (١)

واما الصديق فلان فقد عددت سكوته
خطاباً يكون لكتابي السابق جواباً لا يؤخذني
فيه على ان وجدت ثالوثكم وما افردت لاقنومه
كتاباً بل يعد ما صدر عن واحد مشتقاً عن
الكل بالاتفاق وان لم يكن من القائلين بكلمة
الانثاق (٢)

فتفضلوا جميعاً بقبول سلام يتزوج به
القلب وتجد به النفس شوقاً اليكم يا احب
الناس الينا ويا اكرم الخلق على الله

وكتب من باريس الى يوسف افندي
فارس بالاسكندرية
الى الله اشكو لظي في الفؤاد
يشي اصطلاحاً عذاب البعاد
وما للبلاد اشتياق الفؤاد
فعمد الرداد لاهل البلاد

(١) المكى عنه بفلان في هذه الفقرة
نعسان افندي الشراي وسر الصحيفة البيضاء
المشار اليه في الكلام عنه انه بعث الى دمشق
بكتاب لا يتضمن سوى اسمه في مكان
التوقيع

(٢) المقصود بهذه الفقرة جبران افندي
لويس والنكتة فيها ان الفتيد ارسل له ولنعسان
افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه
الاخيران وامسك هو عن الجواب

فكانت حلفتنا مجلس انس ندير فيه من احاديث
فضلك مداما ونخذ من معالي كمالك نداحي ثم لا
نلهو بسكرها عن شكرها ولا نذهل بعدها
عن حمدها

فاجعل ايديك الله ضعف الشكر في جنب
قري العذر وتفضل بعرض هاته السطور في مجلس
سادتي فلان وفلان وفلان تحسب صادرة اليهم
بما تقصد به جنابك الكريم من الشكر والثناء
فقد انخدمت حياً وتألتم قالباً وقلباً حتى امتنع
الاخصاص فيما يو تخاطبون لا زلتم عصاة
فضل تعتد على مدحكم الخناصر وتختم على
حكم السرائر

وارسل اليه جواباً على كتاب فقال
يا سيدي بل يا اخي فالاخاء واجب
عرفناه والسيادة حكم ما اعترفناه والادب رحم
نقطعها الكلفة والكلفة لبسة تمنعها الالف والالف
بيننا معقودة اسبابها بالصفاء عالقة اهدابها بالوفاء
فيا الف اخي خطاباً لا امل لفظه ولا
اهل حفظه لقد سمعتي بكتابتك ما لا اطيق
واستعبدتني بحر كلامك الرقيق فمن لي بالارقة
التي حويت والمزية التي ملكك والنفضل الذي
اصبت والكمال الذي ادركت لا خاطبك
بلسانك واكتبك بمثل بيانك . ولكن ما
لا يدرك كله لا يترك كله ولكل درجات
ما عملوا

فانجود يد الأبا وجدت

ولا تكلف النفس غير ما وسعت
ولست اعذر اليك فيما كان ظهوره منك
ولكن الود بملك من حكم علمك واعوذ
بنفضلك من سهم عدلك

لنا من هذا اللقاء لشيلاً لا بصدع فاذا استعنتك
فقد استعنت نسيباً وإذا ذكرتك فقد لقيت
حبيباً وهذه صديقتي أرسلها اليك حاملة نغمات
تسلي عليك

فهي الرسول الى الصديق وليني
كنت اتخذت مع الرسول سبيلاً
تأتي فيقروها الوفا ويحملها الـ
نعي ويقطعها رضي وقبولا
والسلام من محب رضي من دنياه بصدقة احباء

وكتب من باريس الى حضرة الصديق الدكتور
مملوك بالاسكندرية

الالفة قد نفت الكلفة والوداد جعل
الحديث للفؤاد فجرده عن زخارف الكلام
وابعده من سفاسف الاحشام فدع ميم الكرامة
ونون العظمة يستبقان الى حيث سار القارطان
وتلقى من اخيك كتاب وداده متضمناً خطاب
فؤاده

سار بسعي اليك سعي رسول
اختره عوائف الابرار
واجفاً بين رهبة ورجاء
فهو بين الاحجام والافدام
فتيسم له دليل قبول
وتقبل منه جليل سلامي

وكتب من بيروت الى عزتلو خليل
افندي الخوري بدمشق
ان الذي سوّده الفضل وميزه الادب
قبل ان تعلية الرتبة ويرفعه اللقب لغني عن
التلقب في الخطاب وصدور الكتاب فان

أجل ولكن كيف انسى مرايع انسي
ومرايع نفسي في مجالس صني وهناء بين معاشر
فضل ووفاء ام كيف لا اذكر اباماً مرّت بنا
كالا حلام فان لم تعد فلا كانت الايام وعلى
الدنيا السلام

فيا رسالة الود ان وقفت بباب الصديق
مسلمة عليه مينة بعض شوقي اليه فانشدني عني
بين يديه

قالوا التباعد بوجب الهجرا
كذبوا ومن ذاق النوى ادرى
فالمحب ذكرّ والمحب اذا
عزّ اللقاء لم يعدر الذكر

وكتب من بيروت الى صديقه
الياس افندي القدسي بدمشق
ما ترك القصور للعدو وجهاً ولا ابقى الذنب
المغفرة سبيلاً

فما لي حيلة الا رجائي
وحلمك ان عفوت وحسن ظني
ولست بزائد على هاته السطور خرفاً حتى
يحييني من لدنك ما يشعر بالرضى وبالغنى
عما مضى فان فعلت عدت ذلك فضلاً
وان ابيت كان ابائك عدلاً
ولك الامر فاقض ما انت قاض
فعليّ الوداد قد ولاكا
*

وكتب من باريس الى الخواجا يهودا كوهين
بالاسكندرية

نعم النسب الادب ونعم اللقاء التذكار
وان بيننا من ذلك النسب لرحماً لا تقطع وان

فامط ايديك الله نقاب العتب عن محيا
الرضى فالعمر اضيق من ان يسع وحشة العتب
وفرة العذر ونقبل سلام صديقك سنيراً يصلح
ما افسده القصور ورسولاً ينهي اليك بقرب وفود
الحب عليك يبتك مشافهة ما لم يستطع بالمراسلة
فينال لديك من القبول ما يكون فوق المأمول

(اعتذار عن اقتصار)

من جامع هذه المنتخبات

نقتصر في هذا القسم على بضع هذه الرسائل
الغراء التي تحصلنا عليها بعد اقفال الباب
الوارد بعنوان (رسائل وشذور) فان ما بقي
لدينا من مثلها كثير العدد يستغرق مجلداً
مخصوصاً على حدته ويتخلل أكثره شروح متعلقة
باشغال التقيد الخصوصية كرسائله الى فقيدنا
الآخر الصديق المرخوم سليم نقاش وكبعض
منها ما راسل به صديقنا البارع اسكندر افندي
العازار وغيره من اصدقائه وفيهم جامع هذه
المنتخبات فلزم من ذلك ان نكتفي بما اوردناه منها
مغنياً عن سائر ما فيها من شواهد البلاغة
البالغة حد الاعجاز

اما رسائل المدح التي وردت اليه في حياته
فقد افردنا لها باباً مخصوصاً في آخر
هذه المجموعة نضمنه ما رق
منها وراق

منتخبات جريدة التقدم

(المرة الثانية التي تولى فيها)

(التقيد بتحريرها)

لم يسعدنا الحظ بالحصول على مجموعة

الرفعة قائمة بذاته والعزة صفة من صفاته
والسيادة لفظاً وفضله معناه والسعادة مآل
سعيه ان شاء الله

وبعد فقد وصل من حضرة سيدي كتابه
الذي اثبت له المزية واوجب علي الشكر
وكنت في امر الجواب عنه على انتظار رقيم الولاية
يرد فانني بوصوله وانقض بواجب الثناء ولكنه
تأخر حتى اوجست ان يكون تأخير جوابي
مظنة اهل ومحل مؤاخذة فكنت هذا على
نية الاعتذار وقصد الاذكار ملتصاً من عناية
سيدي اتمام ما بدأ من المساعدة بتعجيل ذلك
الرقيم وله في تحقيقي الرجاء كرم الخافى موثقاً به
للاثرة تذكر في كل مكان والحمد لله تشكر بكل لسان

وكتب من بيروت الى بطرس افندي منصور
تيان بيروت (ايضاً)

وقد اتانا من دمشق ونزل بدار شقيقة
فلم يستطع زيارته فارسل اليه يقول
يدعوني الواجب الى ناديك ويجبني
اللائق عنه فيا شوقي الى لائقك وباسفي على
امتناعه . فتقبل غير ما مور فروض التمية
الفلية ممن رضي بالمراسلة من المفايلة رضي
العاجز باقليل الموجود من الكثير المنقود

وكتب من باريس الى الصديق اديب افندي
نظي بدمشق قبيل العودة

علمت بان عنك موصول باسباب حلك
فكنت على يقين من عنوك وذكرت سابق
ودك وموثق عهدك فاراحني حسن الظن بك
من تكلف الاعتذار اليك

نجمع فيها السياسيات تفصيلاً ونبسطة
الادبيات تفصيلاً لا نسود منها بالرياء وجهاً
ولا غلاً لها بسفاسف القول وطائياً ان سطرأ
ما يؤولف بين القلوب لخير من فصل ما
تختلف عليه الاراء وان كلمة ما ندعو اليه
الحكمة لا نفع من كتاب ما تبعث عليه
الاهواء

وقد اخترنا لها ما يرى في هذا المثال من
الترتيب والتبويب معولين فيه على عذوبة
المورد وسهولة المقصد وجودة الايضاح لا تتكلف
لجميع ذلك الا الافهام ولا نعتمد غير تقرير
المعاني في الافهام من اقرب وجوه الكلام
وما ندعي في هذا الاسلوب كمالاً ولا
احساناً ان هو الا جهد مقل ينطق عن غير
وان فائدة العلم - ولو فعل كل امرء ما يستطيع
من منفعة لما رأينا على سطح الارض شقياً
فاذا بلغنا المأمول من القبول فذلك
يد عندنا لذوي الفضل والحلم من اهل العدل
والعلم والا فحسبنا من العذر بذل الجهد ومن
النساء حسن القصد - نرحم مفضياً علينا بالعجز
ولا نرحم محسوماً علينا بسوء النية . نعرف
بالضعف في جملة كثير من الانام ولا نرعى
بنقص القادرين على القيام

على اننا في ايام ليست كالايام وموقف
ضنك المقام . نعم ان دولتنا العلية حقق الله
بها آمالنا واصلح بعنايتها احوالنا قد وضعت
للطبوعات قانوناً لينا في غير ضعف وازعاً في
عنفه يؤمن المستعصم بعروة الحق والصدق
ولكننا بين امور عظام ومشاكل جسام لا يغني
في مباحثها حسن النية ولا تكفي سلامة القصد

هذه المجردة لاول مرة خطت فيها بنان التقيد
سطوره الاولى بعد ان ترعرع وشب على حب
الآداب وتحصيل المعارف فقد التفتها غير
مرة من حضرة صاحب امتيازها فضن بها علينا
لما لا نعلم فاضطررنا على اسفه منا الى ان
نكون في غنى عنها بما اجتمع لدينا من آثار
التقيد التي لو شئنا استيعابها جميعاً لما صبر
علينا طالاً بها الى ان نفرغ من جمعها على ما
اروم فيه من زيادة الانتظام في الترتيب والتبويب

قال في مقدمة العدد الاول

نتعدد مظاهر الوجود في الكائن الموجود
فيندرج في مراتب الكمال بما له من معدات
الكون والبقاء والحركة والنماء

فلا تأسف على الحبة مدفونة في الارض
شئاً انها ستنبث في الصيف نامية تنوجاً ولا
تبك الشجرة مجردة في الخريف انها ستبدو
في الربيع خضراء ناضرة تسر الناظرين

وانت اتي على هذه الصحيفة حين من
الدهر دُفنت حبة قصدها وجرّد غصن نفعها
بما طراً عليها من حوادث الايام وعاديات
الحدثان ثم انجلت بهذا المظهر لم تنشأ من
العدم البحت ولم تبد بعد المهو المطلق ولكن
نقصت من الحياة ثوباً جديداً

فهي الان رسول رجائنا الى الذين عرفنا
والذين عرفنا من احباء الادب تصدر اليهم
يوم الاثنين ويوم الخميس من كل اسبوع
مشتتة على المهتم من اخبار السياسة والراجح من
اراء ذوي النقد والنافع من شذور الاداب
ولما ثور من خطرات الالباب

في الانسانية ما علمت وما علمت وليس الذي علمت وعلمت كثيراً فان اصابوا بين السقط الذي يلفظ شيئاً يحفظ فلا اسف على الجهد والا فلست اول منخطئ في الناس انت اول اول ناس

المبحث الاول

في تلازم الحقوق والواجبات
البقاء من لوازم الوجود. فالانسان من حيث انه موجود مكلف بحفظ ذاته ترشده البداهة الى معرفة نوااميس الطبيعة الضامنة لذلك الحفظ

والحيوان الناطق داجن مؤلف بالطبع فالانسان من وجه انه مدني مكلف بحفظ نوعه تهديه القوة العاقلة الى الاحكام الادبية الكافلة لذلك الحفظ

فذلك هو الواجب الذاتي وهذا هو الواجب النوعي وهما طبيعيان لازم وجودهما في الناس لزوم العلة المبقية للعلة الموجبة فاذا تبين ذلك علم انه لا بد للانسان من الحرية الطبيعية في القيام بذينك الواجبين فثبت له بذلك حق واضح وهو حق اجراء ما وجب عليه

فالحق والواجب من حيث الطبيعة متلازمان لا يقوم ولا يكون احدهما بدون الاخر فمن استلب ذلك الحق نريد الحرية الطبيعية فقد منع الانسان من قضاء الواجبات واهان النوع البشري وخالف ارادة الخالق المحافظ سبحانه ونعالي اذ كيف يستطيع المرء حفظ ذاته اذا منع ما لا بد منه للبقاء وكيف يحفظ نوعه اذا

فربما انحبس عنا القول من حيث لا نعدم مقالاً وربما ضاق علينا المجال من حيث نرى مجالاً

بل لا ينحبس القول ولا يضيق المجال ان للتقدم انصاراً من اهل الغيرة العلمية والرياء من اهل النجدة الادبية لا يضنون عليه بما يجدون من فرائد فوائدهم وفواضل افضالهم وليس ما يجدون من ذلك قليلاً

وله مطلب في

الحقوق والواجبات

تمهيد

اقدمت على البحث في هذا المطلب والساذج النظري مقدم اعلم من نفسي العجز ومن ذهني الضعف ولا اجهل صعوبة البحث واختلاف الطرق وتنوع المذاهب فيه الا انني اجد من النفس ارتياحاً اليه ومن الفكر انبعاثاً عليه واخال واعلني من المصبيين ان على كل من الناس واجباً من النظر والبحث في كل ما يتعلق بذاتية الانسان ولهيئة الاجتماعية بما يأمل منه حصول النفع لها جميعاً وان وجوب هذا الامر مستلزم لحق القيام به

فانا فيما احاول اخطأت فيه او كنت مصيباً ذو واجب ينهض بما وجب عليه وذن حق يأخذ بما حق له

ولا اتمس لنفسي عذراً فيما عساه ان يؤخذ علي من ضعف حجة او فساد بيان او ضيق معرفة او التواء معنى اني اعرض لاختواني

قطع عما لا ندحه عنه في الاستبقاء

وهذا الحكم وإن كان ظاهره مفصلاً على الواجب والحق الطبيعيين في حفظ الوجود الانساني ذاتاً ونوعاً إلا أنه يتناول لاربيب الواجبات والحقوقي في الحالة المدنية فإن احتياج الانسان الى هاته الحالة في حفظ الذات والنوع قد اوجب عليه صيانتها بقانون ادي على مثال الناموس الطبيعي فكانت احكام ذلك القانون كما قال منتسكيو حكيم الفرنسيين بياناً للصلوات الضرورية الناتجة من طبائع الاشيا فلزم من ذلك ان يكون على المرء في مدنيته واجب يقضيه بحق بعينه على القضاء

فانضغ من هذا الذي بسطناه ان الواجب غاية واسطتها الحق فمن اوجب الاول لزمه اعطاء الثاني . ان الله تبارك وتعالى لم يمنح الانسان حقاً الا من حيث انه فرض عليه واجباً فالحق ملزم بالواجب والواجب مستلزم للحق

المبحث الثاني

في اقسام الواجب والحق

تبين مما سلف ان الحق والواجب متلازمان لا يكون احدهما بدون الآخر في حال من الاحوال فكل ما نعينه من واجب يتناول حقاً وكل ما نعينه من حق يحتمل واجباً

ومعلوم ان كل موجود عاقل كلف بذاته خربص على حفظها فان اول ما يظهر من عواطف النفس الشاعرة بالوجود انما هو حب الذات ومن احب شيئاً حرص عليه

وان حفظ النوع من احكام الطبيعة . فطر الانسان على الرغبة فيه كما هدت البدهة سائر

الحيوان اليه . فهذا الحكم الطبيعي متج بالضرورة للحالة الزوجية التي ينقاد الانسان اليها بالنظرة الحيوانية ثم يراها من حيث انه عاقل فرضاً واجب القضاء فتبث في قلبه ميلاً جديداً يحد بحب الذات فينشأ عنه في النفس لذة لا تنال ولا تدرك في العزلة نريد الحب الجامع بين الجنسين الواصل بين الزوجين الذي تنوعت مظاهره في عالم الوجود ولم على اختلاف تجلياته بكل موجود فهو في الزوج عشق وفي الوالد حنو وفي الولد بر وفي الاخ وداد وهو هو في كل حال يفعل في النفس الظاهرة ويؤثر في القلب السليم الى حد ان يلتبس امره على الانسان فلا يدري أكان قائماً بواجب من الطبيعة ومنولياً من ذلك الواجب حقاً ام كان مائلاً مع الشهوة ساكناً الى اللذة آخذاً بما يجلب له الرضى والسعادة

فهذا الحفظ النوعي وذلك الحفظ الذاتي يتعلقان بالانسان من حيث هو اي من حيث انه من النوع البشري . فهما منشأ الحق والواجب الطبيعيين وهذا هو القسم الاول من الحقوق والواجبات

وظاهر ان للانسان في الحالة الاجتماعية شيئاً جديداً ينتقل فيه من الزواج الى الاسرة وهي العائلة ومن الاسرة الى الامة ومن الامة الى الانسانية فله من هذا الوجوه حقوق معينة وعليه منها واجبات معلومة . فما يختص بالعائلة من هذه الحقوق والواجبات من وجه المعاملة الشخصية والحدود الملكية . وما يمس الامة من حيث اقامة الامور وصيانة الاستقلال ووجود المساواة . وما يتعلق منها بالانسانية من حيث

منزه عما يخالف الحكمة وبغابر القدرة ويناقض العلم الحق . فالاحكام الطبيعية الناشئة عن عنائته الازلية ان هي الا كلمته الحق المعروفة من ازل الباقية الى ما لا يزال الكفالة لحفظ الوجود بوقاية كل موجود ولذلك عرفت في كل زمان ومكان وما اختلف فيها اثنان . فقد بدت لارسطو كما ظهرت لبسكال وراها افلاطون كما شهدها نيوتن وتبينت لشيخرون كما علمها فولني وانجملت لسائر المتبصرين فائقة على القدرة الانسانية غير متغيرة في حال من الاحوال حية في قلب كل انسان منقوشة على الواح الصدور واحدة في كل الازمنة والامكنة والاشخاص بقدرة الذي اوجد الازمنة والامكنة والاشخاص

فهذه الاحكام الطبيعية المقدسة تصل الانسان بذاته صلة قوية ينشأ عنها واجب الحفظ الذاتي فتصدر عنه العاطفة المسماة بحب الذات وتصل بين جنسيه فينشأ عن هاته الصلة واجب حفظ الجنس فتصدر منه العاطفة التي اذا كان موضوعها الزوجين سميت حباً وان كان موضوعها المولود سميت حباً او حباً والدنيا وان كان موضوعها الوالدين سميت برّاً او حباً والدنيا . وتصل بينه وبين ابناؤه نوعه فينشأ عن هذه الصلة واجب حفظ النوع فتحصل منه العاطفة المسماة بحب الانسانية

فما اعظم حكم خالقه وما اعم العناية الرحمانية ان الله سبحانه وتعالى ما فرض علينا الواجب الا من حيث تميل النفس وتنعطف الارادة ويسكن الطبع فقد كانت شرائعه الطبيعية عواطف نفوس وشهوات قلوب قبل ان تكون احكام

تقريب الصلات وتأمين الوفود وتيسير التجارات وتمكين السلم وحفظ المصالح العمومية . كل ذلك يعرف بالواجبات والحقوق السياسية وما كان من هذه الحقوق والواجبات متعلقاً بالمعاملة بين الافراد من وجه كف الظلم ومنع الاعتماد وحفظ الحق وصيانة الضعيف من القوي ووقاية الفقير من الغني ورد المال المسلوب ومعاقبة الظالم وارضاء المظلوم واجراء سائر انواع المعاملة على محور الاستقامة والعدل . وكل هذا يسمى بالحقوق والواجبات المدنية

ولهذه الاقسام السككية فروع كثيرة نذكرها في عرض ما يبيح تفصيلاً او تحصيلاً

المبحث الثالث

في الحقوق والواجبات الطبيعية
وفي احكام الشرائع الطبيعية النافذة في النوع الانساني مستقلة ومنفصلة عن كل شريعة دينية وكل سياسة مدنية

وقد وجد لهذه الاحكام في كل زمان ومكان اعداء الداء من اهل القوة المحسية والقوة المعنوية ممن يتسلطون بايديهم على الابدان ومن يستولون بالسنتهم على الازهان . اولئك لم يعترفوا بغير الاحكام التي هم اربابها وهؤلاء لم يأخذوا بغير القوانين التي هم اصحابها . وما بين الفريقين معظم النوع الانساني حاشية يتبعون او عبيد يطيعون حتى استنارت الافهام ونشأت من ربي الاوهام فصار او كاد يصير لكل من الناس حجة لا يتعداه وخط لا يخطاه

ومن المعلوم ان الخالق الحكيم القادر العليم

ويرثون مرتكبيه بأدلة ما يلائم ضعف الطفرة البشرية فتألف الأذهان ما يقولون وإن كان مخالفاً للثق . فلو لا أن تكون هذه المباحث مقصورة على المبادئ الأولية والأصول الكلية من الحقوق والواجبات لا وردنا الكثير من من ادانهم مشفوعة بما يظهر ضعفها من اقوال الناقدين . على أننا نذكر من ذلك ما لا يخرج بنا عن حد الأجمال والاختصار مستوعبين فيه أهم ما استدل به على جواز الانتحار

يقول نصراه هذه الجريمة أن الحق الطبيعي قائم بالناس الخير ودفع الشر فيما لا يضرب بأحد من الناس فإذا صار الإنسان إلى الحال التي تكون فيها الحياة شراً عليه ولا تكون خيراً لسواه حق له الانتحار بل كانت واجباً عليه

ونقول أن في هذا الدليل فرض محال لا يتناع تجريد الإنسان من خيرية الوجود في حال من الأحوال على أن هذا المستحيل بتقدير إمكانه لا يميز الانتحار للواقع فيما يحسبه شراً مطلقاً بما كان فيه من ضعف النفس وما طرأ عليه من اليأس فإن الشقاء حادث عارض على المرء بما كسبت يده لا جناح ولا تبعة فيه على وجوده الطبيعي فليس من الحق أن يؤخذ ذلك الوجود بما لم يصدر عنه وإن تكون الطبيعة مسئولة عما ليست منه في شيء

فإن قيل كيف لا يجوز الانتحار للمرأة على خطر العار والرجل على خوف الإهانة والوطني على اليأس من سلامة الوطن وكيف يخطأ من مات جليلاً كراهة أن يعيش ذليلاً أو أو ليس أن كاتون الروماني العظيم الشأن تد انتحر فراراً من الذل وحرصاً على الشرف

فكر وعقل فهي الحب الجاذب الواصل الحافظ الذي ذكره الشارع الثاني في (ويجب بعضكم بعضاً فمن في الشريعة وهذه هي الثبوت) ولا ريب أنه جد والنواميس القديمة جملة هذه الكلمات

وإيضاً فقد وصلت الأحكام الطبيعية بين الإنسان والأشياء فكان المرء حرّاً في استعمال ما يحتاج إليه في واجبات الحفظ فهو في حالة الطبيعة مالك للعالم بأسره إلا أن هذا الحق غير مخصوص بواحد من النوع وإنما الناس فيه سواء أكل منهم ما لا آخر بلا فرق ولا استثناء . فالعالم من حيث أنه للكل لا يكون لواحد منهم بالذات وإنما يتمتعون به على حد سوى . ولكن لما كان موضوع هذا التمتع الحفظ كان من حق الإنسان استعمال كل شيء فيه ولم يكن من حق الإفراط في شيء

هذه أصول الأحكام الطبيعية متضمنة لما يخص بها من الحقوق والواجبات أوردناها مجعولة كما رأيت وستفصلها في المباحث الآتية كما ستري

المبحث الرابع

في الحقوق والواجبات الذاتية فصل

نبين في المبحث السابق أن حفظ الذات رأس الحقوق والواجبات الطبيعية فثبت بذلك أن الانتحار أي قتل المرء لنفسه مخالف للحكم الأول من القانون الطبيعي إلا أن هذه القضية وإن كانت مسلمة لا تطابق نتيجة الصريحة على المقدمة الصحيحة فلم تسلم من اعتراض الفلاسفة المغالطين فنقد رأينا منهم جماعة يميزون الانتحار

فصل

نشر فيها سائف وجوب حفظ الذات وحرمة قتل النفس ومن المعلوم ان ذلك الوجوب قاض بصيانة الذات عن كل ما يجلب اليها الضعف والحطة والفساد وان هاته الحرمة ملزمة بوقاية النفس من كل ما يعود عليها بالضرر والهلاك فان حفظ الوجود يتناول لا شك معنى استبقاءه صحيحاً كاملاً سليماً كما وجد وحرمة القتل تشمل لا ريب حرمان الافراط والتفريط في حاجات الوجود من وجه انها متلفتان للموجود

فكل ما يؤلم البدن او يضعفه او ينقص منه شيئاً لازماً فهو مخالف لحكم الطبيعة مبين لحكمة الخالق لان الهيكل الجسماني الناهض بالواجبات الطبيعية اما ان يكون (على رأي اهل المادة) قائماً بذاته حياً بتركيبه غنياً عن كل مدد روحاني فاضاعفه او ايلامه او اذلاله مغاير لمبدأ الحفظ الواجب طبعاً واما ان يكون (على رأي الروحانيين) بمنزلة الآلة اقوة روحانية تخار فيها الافكار ولا تدركها الابصار فافساده على هذا الوجه مضر بالنفس مناقض لحالتها الكماية مبين لمبدأ الحفظ المفروض شرعاً. وهذا الهيكل الحيوي على الوجهين سواء كان قائماً بذاته او بما فيه لا يكون انساناً ما لم يتم بالواجبات الطبيعية الانسانية ولا يستطيع ذلك ما لم تحصل له الحرية فكل ما يذهب بالحرية الطبيعية تقييداً او اضعافاً او محواً كلياً فهو اختلاس او جهل بماهية الوجود لان العبودية اما ان تكون

الذاتي فهل منع ذلك من ان يعد من عطاء الرجال قلنا ليس الشرف الطبيعي الا كرامة الذات فهو من هذا الوجه فرغ من الحفظ الذاتي لا بمسئ شيء من العوارض المعنوية ولا بحق التصرف فيه لغير الارادة الطبيعية فاذا نصبت للمرء حبايل من الحوادث او طرأت عليه عدايات من الظلم او الممت به عوارض من الفساد المدني فانتحر بسبب من هاته الاسباب فاما ان يكون ذلك منه عن خوف من المصائب والضعف عن احتمال الالم فهو جبان يخرج من ساحة الحرب قبل انحسام القتال. واما ان يكون عن قوة الفساد الحادث فيه فهو ضحية للشرف المدني والرأي العمومي فانحسب كاتون وان كان رفيع الشأن علي المكان الا مجرمًا مذكورًا ومخطئًا مشهورًا ولا نراه وان عدّ شديد الوطنية عظيم الهمة الا محبًا للسطوة حريصاً على السلطة لم يتكراهة للحياة بعد حرية رومة وانما مات اسفاً على زوال السطوة عن مجلس الشيوخ

وجملة القول ان استبقاء الذات من الواجبات الطبيعية ترشد اليه البداهة وتبعث عليه العواطف النفسية ما يخالفه الانسان الا اذا طرأ عليه من الفساد ما ينسبه كل حق ويشغله عن كل واجب

وكما ان وقاية الذات من الهلاك واجبة على كل موجود من الانسان كذلك يجب عليه صيانة تلك الذات عن كل ما يجلب لها الالم او الضعف او النقص او الشوة كائناً ما كان وفي اي سبيل كان مما يخرج عن حد افتداء الكل بالجزء كما سنبينه في الفصل الآتي

من الاطلاق والامساك والبسط والقبض
والاباحة والمنع والافعام والافراغ مائل لقتل
الذات حرمةً ونكرًا فمن ترك الوسط العدل
فيما يحتاج اليه للبقاء والنماء واخذ منه بجانب
الزيادة والنقص فلا فرق بينه وبين المنتصر
الا ان هذا يهلك النفس دفعةً وذلك يقتلها
تدريجاً

المبحث الخامس

في الحقوق والواجبات النوعية

فصل

تبين في المبحث الثالث من هذه المطالب
وجوب حفظ النوع الانساني من وجه ملازمته
لبقاء الذات . فهذا الواجب ملزم بالثمار
الجنسية على صورة يحصل منها البيت او
العائلة . وله في ذلك مظهران اثنان . مظهر
الزواج وفيه الواجبات والحقوق الزوجية
ومظهر التناجب وله حالتان الحالة الولدية
والحالة الولدية وفي كل منهما حقوق وواجبات
فالعائلة والاراد بها في هذا المقام جماعة
الزوجيين وما يلدان في الاساس الاول والركن
الفرد في بقاء النوع ونماء الانسان . وهناء الحياة
وكال الوجود بل هي في العالم البشري بمنزلة
مركز نور تنبعث منه اشعة الحياة فتسير القلوب
وتسر النفوس ونحيي الابدان وترشد المرء الى
انقام الرفيع المعد له في عالم المحموان

فهي من هذا الوجه جرثومة الكلمات
الطبيعية وارومة المحاسن المدنية ومعدن الفضائل
الاهلية لا تحصل بدونها في النفس عزّة ولا
تنشأ غيرة ولا توجد رحمة ولا يكون اجتهاد

اجبارية فهي من جانب المستعبد شرقة واتلاف
لا قدس حقوق الوجود واما ان تكون اختيارية
فهي من جانب العبد جهل وعى قلب يخرج
تتبعها عن ان يكون انساناً

فمن عرض نفسه لعاديات الطبيعة من
الحرق والبرد والجوع بما يورس فيه الجهل
مختاراً في ذلك غير مضطر له ولا ملتمس منه
نفعاً قريباً معلوماً . ومن عدا على البدن بما يؤلمه
من ضرب وجلد وتزويق واهمال بما يزين له
الوهم راضياً في ذلك غير مكروه عليه ولا مستفيد
منه له شيئاً . ومن شوه الجسم او اسقط منه
عضواً لازماً سعيداً كائناً ما كان ذلك العضو
بما يؤه له الطمع او الخيال الفاسد عامداً في
ذلك غير مجبر ولا منتقد سائر البدن بذلك
الجزء كمن يقطع اليد المتضررة وقاية لبقية الجسم .
ومن انتزاعاً على حريته الذاتية بالنجس او الانقاص
او الاضرار بما يبعث عليه الكسل او الغباوة
او دناءة النفس راغباً في ذلك غير مفسور عليه .
كل هؤلاء مخالفون لاحكام الطبيعة مناقضون
للحكمة الالهية الازلية التي هي عين المجال
ومظهر الكمال ومصدر الوجود وعلة البقاء .
فسبحانك اللهم ما خلقت فينا شيئاً عبثاً ولكن
نحن بانفسنا عاثون . ولا رضيت لنا شوماً ولا
عذاباً ولا امساكاً عما لا يضر ولا قيداً ولا ذلاً
ولا عتياً ولكن اكثرنا لا يعلمون

ـ . عود على بدء . ـ اما الافراط الذي
هو استعمال الشيء من وجه الزيادة فيه والتفريط
الذي هو استعماله من جانب الانقاص منه فهما
تابعان لحرمة قتل النفس بما يجلبان عليها من
اسباب التلف فكل ما يضر بالوجود الانساني

فانضح ما تقدم ان الزواج واجب طبيعي لازم
في بقاء النوع ملازم لحفظ الوجود ولعل هذا
هو الاصل في جميع الاحكام القديمة المانعة من
التبطل وطول العزبة من وجه ان الذين هم على
من تبتك الحالتين يكونون في مثل العزلة عن
سائر النوع فتنفوا فيهم العواطف الانسانية التي
لا تخرج عن حد قولنا «انا» فينشأ فيهم عن
ذلك خلق الاثر الموجب للرحمة المعروف
بحب الذات

فاذا تقرر ذلك لزمنا بيان حد الزواج
وماهية ما يجب فيه وما يمتنع للزوجين وايضا
ما يترتب عليه من الحالة الوالدية والولدية
وما يلزم في هاتين الحالتين من الواجبات
والحقوق

فصل

ظهر مما سلف ان حفظ النوع ملازم بالثام
الجنسيين على الصورة المسماة زواجا فذلك
الالتمام لا يكون الا بالارادة ولا يتم الا بالاتحاد
فاذا حصل كاملا تدين فيه على الزوجين ان
يسعيا فيما يعود بالفائدة عليهما جميعا فان اتحداهما
بالارادة يشبه ان يكون ميثاقا على الاشتراك في
اللذة والالم والصفو والكدر والسر والضرر
غير ان حفظ النوع وان كان من الواجبات
الطبيعية فلا يلزم الا حينما لا يضر بالذوات
شيئا ولذلك وضعت للزواج حدود معينة
واوقات معينة في بعض القوانين وكان في الحالم
الصغير والعاجز الكبير مكروفا على الاطلاق
ولما كان حفظ النوع هو الغاية الطبيعية
في الثام الجنس لازم ان يكون هو المقصود

ولا يكمل شيء من السجيا الانسانية والمزايا
الاجتماعية . بل لا يكاد الانسان يلتصق من
خبيا الارض وكنوز الطبيعة وثمرات العمل
ما يفضل عن حاجته الذاتية الا ان يكون ذا
عيال من ضعيفات محبات صابرات وصية
صغار عاجزين آملين جميعا فيه متوكئين عليه
يخاف عليهم ان يمسهم ضم وبسرته ان يراهم
راضين عنه معجبين به داعين له بالبركات

نعم ان حب الانسانية على وجه الاطلاق
او المجد الخيالي على حكم التصور قد يكون
هو الباعث الاول لبعض الانفس الزكية والعقول
السوية على اقتحام المصاعب واحتمال المتاعب
في القيام بما يترتب عليه الاثر النافع العيم
الا ان ذلك فضلا عن كونه حادثا طارئا
على الجمعية الانسانية غير اصيل في الخلق
الطبيعي فهو مقصور على دون القليل من
الناس . اما السواد الاعظم فلا يعانون
متاعب المعاش ولا يصبرون على شقاء الحياة
الا يباعث ادنى الى الحسن واغرب من الطبيعة
واظهر لعين الفطنة الساذجة . وبعبارة اوضح
لا بد للانسان في الحالة المعاشية من عيال
يشعر بحجم له وحاجتهم اليه واعتمادهم عليه من
من دون سائر الناس فيخرج باجتهاده في
تحصيل المنفعة ودرء المضرة عن حد ما يحتاج
اليه مع ذلك الاجتهاد منحصرا على نوع ما في
الحاجة الذاتية من وجه ان الولد قطعة من
ذات الوالد بل هو عين تلك الذات تفصت
رونق الشباب واعيدت خلقا جديدا فهي
نقوى به ما دام لها البقاء ونجما فيه بعد اد
يدركها الفناء

حسباً مع بقاء الصلة المعنوية بحيث يكون الزواج
منظوراً عليها جميعاً

وليس من شأننا بيان حدود الطلاق
وشروط الفصل على ما وضعت في الشرائع
والقوانين المرعية فذلك يخرج بنا عما التزمناه
من الإيجاز في هاته المباحث ولكننا ننظر الى
ميثاق الزواج من وجه الحقوق والواجبات
الطبيعية مجرداً عن كل عقيدة دينية تحيزاً في
موضوع البحث وحدود المطلب.

فالزواج من هذه الحيثية عقد معلوم الشرط
والعقد المشروط فيه لا يلزم إلا ما دام شرطه
محتفظاً فان ضيعه أحد المتعاقدين أو أبطله أو أهله
عندما كان الآخر في حل من العقد وهو الطلاق
على اختلاف أنواعه تميزه بعض القوانين المدنية
بعد ظهور مرجحه ووضوح وجه الضرورة فيه
وتأمين الولد من سوء عقابه . وتحملته بعض
الشرائع المطهرة صادراً من جانب الرجل لعيب
معين ومصلمة ظاهرة بعد وفاء العقد على أنه
ابغض الحلال الى الله . ونقف به بعض سائر
الشرائع والقوانين عند حد الفصل على ما ذكرناه
اعتقاداً أنه ما عقد الله على لسان رجال الله ولن
يحل لانسان حل ما عقد الله او مخالفة ان
يتفوض به ركن البيت ويفسد الولد بافتراق
الوالدين ولكل أدلة من النقل والعقل فيما
يختلفون عليه

فصل

بالزواج يحصل النتاج فتنشأ عنه السلطة
والواجبات الوالدية وهي وسيلة استمرار النوع .
فالنتاج مؤدى الطبيعة البشرية واستبقاء المولود

بالذات فيه فاذا جرد النيران عنه عمداً كان
بمقتضى الداموس الطبيعي جرماً ولذلك جاءت
الشرائع الدينية بالنهي عن الزنا وإقامت على
مرتكبيه حداً من عقاب هذه الحياة علاوة على
ما توعدهم من عقاب الآخرة . اما القوانين
المدنية فقد انت بتلك على حين كانت
قريبة العهد من الطبيعة فلما ان تقدم
الناس فيما نسبته الفقه وتعداً رفع ذلك الحد
من قوانينهم فناب الادب عنه في ذوي النفوس
الزكية والاخلاق الكريمة والعلم الصادق

فانتزع من هذا الذي قدمناه ان الزواج
ميثاق اشتراك واتحاد يبرم بين الجنسين قضاء
لواجب حفظ النوع فهو من هذا الوجه وعلى
هذه الصورة واجب لازم بالذات كما يؤخذ من
من مآل الحديث الشريف « زوجهم فان لا
تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد عريض »

فاذا انقرر ان الزواج ميثاق يبرم بالارادة
لزم من ذلك ان تعد مخالفة شرطه من قبيل
الخيانة . فهذه الخيانة تكون في جانب المرأة افطع
منها في جانب الرجل من حيث انها (١) تقضي عليه بان
يعول الولد (٢) في حالة كونه ليس منهم في شيء
فهو لذلك من موجبات نقض الميثاق في كل
شريعة مأثورة إلا ان ذلك النقض يكون في
بعض الشرائع طلاقاً وفي البعض فصلاً وإبعاداً
ليس غير

فالطلاق حكم يعيد اكل من الزوجين
حرية الذاتية بحيث يبقى له موافقة من شاء بمثل
الميثاق الاول والفصل قضاء يفرق بين الزوجين

(١) اي المرأة

(٢) غير الشرعيين

الزامية التعليم

على ان هاته الواجبات وان كانت كثيرة
الفروع ثقيلة المحمل عظيمة التبعة فلا ينبغي ان
تعدل بغير اهل الثروة عن الزواج والتناج
فانه لم يفرض على كل والد ان يجعل مولوده
من ذوي المقامات السامية وارباب الثروة الوافق
واهل العلم الواسع وانما يلزمه القيام بالضروري
من حاجاته الحيوية واصلاح شأنه واعداد حسن
المآل له بما تصل اليه يد الامكان قال منتسكين
حكيم الفرنسيس . على الوالد ان يطعم اولاد
ويصممه ويحسن تربيته وليس عليه ان يجعله
ذا ميراث . اهـ .

ولرب ما هن فقير وفاعل لا يملك شروي
فقير يبت في قلب ولد روح الشهامة والاستقامة
ويعني به ما استطاع انماء واصلاحاً فيكون
في ذلك افضل واحسن سعياً من غني يهتم
بالميراث ولا يهتم بالوارث

وقد مر بنا ان الواجبات الوالدية لا تنف
عند حد الغذاء وسد الحاجة البدنية ولكنها
شاملة انهديب الفكر وانماء العقل - وبعبارة
اوضح - ان للانسان من حيث انه حيوان
وجوداً بدنياً ومن حيث انه ناطق وجوداً
عقلياً فمن دعاه الى حيز الوجود بالفعل فقد
وجب عليه حفظه في الحالتين وبناء على ذلك
فالتعليم فرض واجب على الوالدين بلا استثناء
الى حد ما يستطيعون . ومن المعلوم ان الحالة
المدنية قد وسعت نطاق الضروري من العلم
بما نشأ عنها من تفرع الحاجات وتنوع الحالات
حتى عز على كثير من الناس ان يبلغوا بولدهم
حد اللازم من المعرفة والضروري من العلم

متعين على الولادة فهو واجب فرضه طبيعة
الاشياء فلا منز للوالد منه ولا عذر له في
العود عنه

ولقد وضع الحد في بعض القوانين على الذين
ينبذون ولدهم ولا شك ان احوال شأن الولد
بعد الولادة يكون من ذلك القليل فان دعوة
الموجود في عالم القوة الى الوجود في عالم الفعل
لهي الميثاق على حفظه بتيسير ما يحتاج اليه وانماء
قواه البدنية والعقلية الى ان يشتد ساعده فيصير
كفوا لذاته فمن اهل ذلك بلا موجب من
الطبيعة ومن اقدم على تلك الدعوة مع تحقق
العجز عن المترتب عليها فقد ارتكب ذنباً يشبه
في بعض احواله القتل

فاذا تبين استبقاء الولد من احكام الضرورة
الطبيعية ثبت انه لا بوجوب السلطة في جانب
الوالد الا بمقدار وجود تلك الضرورة ولذلك
فالواجبات الوالدية تنهي من الوجه الطبيعي
ببلوغ الولد سن القوة والرشد فلا يبقى بينهما من
بعد ذلك الا رابط الهيئة الاجتماعية والافسة
البيئية كما سنبينه في مكانه

وما تقدم يعلم ان استبقاء الولد بانماء قواه
البدنية والعقلية من الاحكام اللازمة في حفظه
فالولد كائنًا من يكون وفي اية حالة يكون
مأمور من قبل طبيعة الوجود بحفظ مولوده
وتوجيه العناية اليه وسد حاجته الطبيعية بالغذاء
والوقاء وانما قوته العقلية بما يلزم من العلم
والحجاء الى قبول ذلك منه ان اباه ولذلك وضع
الحد على مسقط الجنين عمداً وفرض العقاب على
قاتل مولوده وحكم بالقصاص على النابذ
ونشرت في الكثير من هيئات الاجماع

وكتب في رثاء المغفورة الحاج حسين أفندي بيهم
أحد عبون الأعيان المسلمين في نشر بيروت وقد
توفي ثالث وعشرين صفر سنة ١٢٩٨ و٤ كانون
الثاني سنة ٨٨١ اقبال بعنوان

خطب عجم

لمثل هذا الخطب بعد التأبين والرثاء ولمثل
يدخر النوح والبكاء نفع بما يثير الحزن ويبعث
الوجد ويترك في القلوب صدعاً وابك ما
استطاعت بكاء وما وجدت في العين دمعاً فقد
رزى الفضل بمن كان من اعظم ادلو غناء
واحسنهم وفاء واكرمهم خلقاً وسماً وطيبهم حياً وميتاً
مات الحسين فيا لها من نكبة

اضحى بها الاحسان منهمم الذرى
مات الحسين فنقوض ركن الفضل وانقل
عرش الادب ماقل نعيم المجد وانكسف بدر
الجمال فتاحت ارض بيروت باصوات الانام
وبكت ساقها بمقل الغمام

ولئن بكيناه وحق لنا
ولئن تركنا ذاك للصبر

فلمثل جرت الدموع دماً

وانلله نفدت فلم تجر

وقد استأثر الله بكرباً محموداً طيب
الآثار فانتشر نعيه في المدينة فارتمت نه
دهشة واضطرباً واقبل الناس على داره مسرعين
مسترجعين لم يبق الحزن في وجوههم ماء
ولم يترك البكاء في عيونهم دمعاً فودعوا مئة
فقيداً عضداً لقوم ونصيراً لاخريين وحبيباً
محسناً اليهم كلهم اجمعين

وسارت المدينة في جنازته ظهر الثلاثاء يتبع

فصار من الواجب على هيئة الاجتماع ان
تعينهم على ذلك بانشاء المدارس المجانية فقامت
الدول المتقدمة بهذا الواجب فلم يبق فيها
للوالدين من عذر في الشاغل عن تهذيب
اولادهم فان فعلوا عناداً او عي قلب تعين
على الهيئة الحاكمة المختارة ارشادهم الى الواجبات
الطبيعية بالدعوة والحث والاغراء والالزام
يجب عليها ذلك من وجه ان المولود ليس
ملكاً للوالد يتصرف فيه كيف شاء وانما هو
الله علة الوجود ثم لنفسه ثم لهيئة الاجتماع وهذا
هو الاصل في قوانين التعليم الانامي

ومن الناس من لا يجد السلطة الوالدية
حداً فيحسب الوالد حراً فيما يجب عليه المولود
يفعل من ذلك ما يشاء ويهمل ما يشاء ولا
يسأل عما يفعل . ومنهم من يقول ان الولد
ثمر الولادة فمن ملك الشجرة فقد ملك الثمر
يريد تقرير استعباد المرأة واستبداد الوالد .
ومنهم من يعد سلطة الوالد قبلاً من استيفائه
للمولود فهو لاه جميعاً يرومون تأخير هيئة
الاجتماع وارجاعها الى ما وراء قرون الظلمات
الى العصر الذي كان فيه الوالد ملك الوالد
بيعه ويتصرف في وجوده استعباداً وقتلاً
وكيف شاء . الى عصر الخشونة والجهل . الى
زمن الاستبداد والظلم . الى عهد الحيف
والفساد فقل يا اهل الظلمات حذار فقد جاء
ملك الانوار

هذا الواجب

وجملة الامر ان مشهد الفيد المشار اليه
يشهد بمقدار اسف الناس عليه اهلنا الله في
مصيبته صبراً وكتب لنا بذلك اجراً فانه
عمت مصيبته وعم حداده
فالناس فيه كلهم مأجور

لمع من ترجمة حاله

واد رحمه الله عام ١٢٤٩ الهجرة وقرأ العلوم
العقلية والنقلية على العالمين الفاضلين الشهيرين
الشيخ محمد الحوت والشيخ عبد الله خالد واتجر
من بعد ذلك مدة يسيرة ثم هجر التجارة في الخامسة
والعشرين من سنه الى مقامات المجد والفضل
فصار عضواً في مجلس اباثة صيداء الكبير
وتوجهت عليه من لدن الدولة العلية رتبة عليية
ثم كانت حادثة عام ١٨٦٠ فصار عضواً في
ديوان (فوق العادة) علاوة على عضوية المجلس
الكبير والتغيب بعد التشكيلات عضواً فخرياً
لمحكمة التجارة فوفي ذلك المناصب حقها من العدل
والنزاهة ولين الاخلاق وسافر في خلال ذلك
الى الاستانة اول مرة ولما ان عادتها توجهت
عليه رتبة مولوية ازيد ثم صار عضواً في مجلس
ادارة اللواء ولما وضع الدستور الاساسي وفتح
مجلس النواب انتخب عن سورية فتوجه الى
الاستانة على ما فيه من نخافة البدن ثم لم يأخذ
الراتب المعين للنيابة وانما تركه للاعانة الحربية
وبعد ان عاد من العاصمة بقليل تشكل مجلس
البلدية فكان رحمه الله من اعضائه ثم انتخب
ثانية للنيابة عن سورية فمعه من قبول ذلك
موانع خصوصية لا ترد . ثم عرض عليه

الغني فيها فقيراً والكبير صغيراً والرئيس
مرؤساً والشريف مشروفاً والغريب بعيداً
والنسيب غربياً حتى تساوى به ساكن هذه
الارض على كونهم درجات بعضهم فوق بعض
كانما نفخ الملك بالصور وكانما يومه يوم النشور
حتى وصلوا به الجامع الكبير مسبواً على اكف
الوجهاء من اهل الاسلام والنصرانية من الف
بينهم الخطب وجمعهم المصيبة فيو يخرقون الالوف
ويمرون بين الصفوف تقدمهم تلامذة المدرسة
الخيرية باللبسة خصوصية منهم حملة القرآن
الشريف ومنهم المعدادون الثائثون ومن ورائهم
تلامذة المكاتب الرشدية واثنتان وفوق ذلك
من العساكر النظامية ثم رجال الشرطة جميعاً ثم
مشايخ الطرق واهل القرائات يذكرون بالله
ويكررون لا حول ولا قوة الا بالله ومن
ورائهم النعش يسمعون له صريفاً
وايس صريف النعش ما يسمعون

ولكنها اصلا ب قوم تقصفت

ثم تلقاه على باب الجامع افاضل اهل العلم
فعملوه الى داخل المقام اجلالاً ولم يتفق ذلك
لاحد من قبله ثم نلى بعد الصلاة عليه ما نظم
الشعراء في ليلتهم من الرثاء له فحصل من ذلك
ديوان لا يجمع لغيره في شهور واعوام ثم خرجوا به
الى المدفن فبكت السماء عليه نازعاً اليها ثم ابتست
له وافدوا عليها وواروا منه في التراب بجرراً
واسكوا منه في الارض بدرراً والناس من حول
الضريح صفوف كثيفة من كل وجه ونيبه من
اهل الاسلام وسائر الملل منهم امراء العسكرية
ورؤساء الملكية وفناصل الدول وكبار التجار
وجماعة من وجهاء الغرباء عن البلد اتوا لفضاء

مقام الافتاء في بيروت وغيره من المناصب السامية تتباعد عنها جميعاً

وكان عفانته الله عظيم العناية بالادب شديد الغيرة على وطنه مقدماً عالي الهمة في كل مهمة وملمة جريئاً في الحق لا يرهب فيه وعيد ظالم ولا تأخذه لومة لائم ابن الجانب كريم الاخلاق مقصوداً في كل مآثرة مذكوراً في كل محمدة انتخب مبرزاً للجمعية العلمية السورية ثم ولي رئاستها بعد وفاة رئيسها الاول الامير محمد ارسلان وكان له نظم رشيق مطبوع يتزرع فيه الى النكتة وحسن التضييق وجزالة اللفظ وله رواية غراء وارجوزة وطنية اديبة تليت في الجمعية العلمية وكانت وفاته طيب الله ثراه واكرم في جواره مثواه في الساعة السابعة والنصف من يوم الاثنين ثالث وعشرين صفر الحبر سنة ١٢٩٨ بعد ان اوصى بان يطلب السماح عنه من الناس عموماً ولا سيما الذين لم يقابلهم من العائدين فنودي بذلك في الجامع وكانت جنازته على ما ذكرناه في خبر الوفاة والمشهد وصار محموداً الى ربه

رحمنا الله وابناه

وله في غنيمة فريد البلاد الفرنسية من كلام له على خطاب الفاء ذاك الرجل الشهير عام ١٨٨٠ وكان رئيس نواب الفرنسيين اذ ذاك

قال

نفس عصام سودت عصاما

وعلمته الكبر والاقداما

صار هذا الرجل واسطة العقد ومركز

الدائرة في امته لم يرفعه الى ذلك المقام تنهد سابق ولا عصبة غالبية ولا نصير قوي ولا اتفاق عارض وانما اعلاه لسان ناطق بمعجز البيان واقدام شاهد بثبات الجنان ودرية يستميل بها الالباب وحكمة تجمع عليها الاراء ويقول اعداؤه من الاحزاب الملكية وغلاة اهل الحرية بلغ هذا الدخيل مقاماً لا ينبغي لاحد في هاته الدولة فانتهى اليه النبي والامر وقصر عليه التنص والابرار وصار الملك الحاكم وان كانت الدولة جمهورية والرئيس المطاع وان كانت العصبة ديمقراطية . وما يطعنون عليه في ذلك شيئاً ولكنهم يشتمون له الفضل ولا يشعرون فانه لا يؤخذ على الوجه النيه ان يكون في القوم صدراً ولا يلام على الراشد الخير ان يكون في الركب دليلاً ولا يستدرك على مثل غمنا ان يحصل في امته رئيساً الا اذا عدت النباهة ذنباً وحسب الرشد جرماً وكان الفضل شيئاً ادا . وكيف لا تجتمع كلمة الاحرار على رجل يكشف عنهم الغمة في كل ملمة وينهض بجل الخدمة في كل مهمة . على القائل للامبراطور انت العدو اللدود لم يخش نسه منشباً اظفاره في القلوب حاجباً بجناحيه اشعة الانوار عن البصائر والابصار . الراقي بركبة الهوى رسولاً الى حامية القلاع لم يرهب قنابر العدو موجهة اليه مطلقة عليه . الصائح بالمارشال مكاهون وقد اراد بالجمهورية شراً لا بد من الامثال او الاعتزال . الصادع بما تأمر الوطنية ابان الانتخاب . الجامع لكلمة اهل الحرية على اختلاف الشيع والاحزاب . القائل خير تارك لاحد مقالاً . الفاعل غير مبق لناقد مجالاً . الخطيب

العبور المجلجلة لما نسيت فيما أقول جمال ماضيك
ولا ذملت عن جلال حالك . ويا أميرتي
الفتاة الزهراء ما أهملت موجود حاضرك ولا
اغفلت موعود مآلك

ويا أيها الأحزاب جميعاً اني غير هازل وإن
هزل الزمان وغير هاذر وإن افاد فيه الهذيان
وبعد فلا يحسبني الفاضلان اللذان تناظرا
في النساء . بالكلام مجرّد الكلام . في متدى
المدرسة الكلية . معرضاً لشيء ما ذكره ولكن
لا يداخلها الظن بانني انقبضت عن ذلك بما
اصاب تقرير التبييه البر افندي المدرّر على تلك
المناظرة فاني معترف لها بالمزية من قبل ذلك
التقرير ومن بعد عالم علم اليقين ان كاتبه
اراد خيراً وأنه برئ مما أخذ عليه ولست في
ذلك راجعاً بالغيب ولا مستخيراً من القول
ما لم يرد قائله ولكن صاحب التقرير كتب
الى هاته الصحيفة يقول « نشرت في لسان الحال
تقريراً وجيزاً على المباحثة التي جرت بين
الادبيين الفاضلين يعقوب افندي صروف
وابراهيم افندي الكفروني في الرجل والمرأة
ثم رأيت في تلك الصحيفة ردّاً اتى فيه صاحبه
من التثريب عليّ ما لم استوجب منه شيئاً وما
لم اكن اتوقع من ادبه ومها يكن من الامر
فليس من قصدي المناقشة وتحمير الوجوه ولكن
اقول ان صاحب هذا الرد قد اخطأ مرادي
فما قرّرت فاني لم اقصد الوضع من شأن
احد المتباحثين كما ظنّ ولا التعرّض لتفضيل
احدهما على الآخر وإنما اوردت حكاي في نفس
البحث الذي كان كلام السالب فيه اقوى وبرهانه
اوجه لما ان الوجه نفسه اقوى واصحّ ولذلك

يهتزله المنبر وتنفاد اليه كلمات السير متداركة
منسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض ينف وقد
احدقت به الابصار وحوّمت عليه طائفة الافكار
تلمس منه طعناً ومحلّ اعتراض فيجيب عينة
« الكريمة » فيهم ويلقي على المنبر يسراه ويرفع
اليهم يناه وقد سكن المخركون وانصت المتغشون
فيدفق بالكلام تدفق السيل ما بين الجبلين
وقد صار المعترض مريداً والناظر اليئاً والعدوّ
صديقاً فما سمعنا من قبله الرعد ناطقاً ولا رأينا
الليث متكلاً ولا شهدنا الجمل متحركاً ولا
انحصر البحر في منبر نسبح حركة هياجه ونبصر فيه
تلاطم امواجه

ولقد اطلنا في وصف هذه العجوبة الانسانية
وما ندرك فيه الغاية ولا نبغ منتصف النهاية
والقصدي ان نظهر شأن غميتنا في امة الفرنسيين
وأنه هو الاول فيها الاخر والمطاع في الباطن
والظاهر فاذا قال فان ثمة الغالبة منهم هي الناطقة
بلسانه المعربة عن قصدها ببيان

وقال في

حقوق المرأة

لجريء مقدم لا يخاف السبوف وإن كنّ عبونا
ولا يخشى النبال وإن كنّ جفونا
مهلاً سيدي الشيخ . لا تنظرنّ اليّ شراً
فلست زير نساء يروم المطارحة او المفاكهة
او الاغراء او الاطراء التماس الزلفى اليهنّ بما
يرضيهن ولا يرضيك . ويا صديقي خذ
الغانيات لا يبرقنّ بصرك ارباعاً فاني وإن لم
اكن مقطّعا متبتلاً فلا اريد المزاحمة ولا
المداخلة ولا الخاشرة ولا المناظرة . ويا مولاتي

قال الفاضل المشار اليه . ان مسألة النساء موضوعة في هذه الايام موضع البحث في النيات والكتب والجرائد والمنابر وان كثيراً من اهل النظر والنقد في كل مكان يطالبون او يعرضون اسباباً لاصلاح شأن النساء حتى ان جمعية العلماء فرضت خمسة الاف فرنك جائزة لمن تحصل له الاجادة في هذا البحث ولذلك رأيت ان اجرد المسألة عن الانبجاث المتنوعة ملتصاً وجه الحق والامكان في موضوعها الاصلي وهو المساواة فاقول

اول ما يعرض في هذا البحث تعريف « ما هي المرأة » وهو سؤال مهم دقيق من حيث ان بقية المسألة متعلقة به مترتبة عليه . فلنعد الى الماضي عساه ان يعيننا على هذا التعريف

كان في معلوم قديم ان المرأة « ملحق » لرجل « حاوي خبر » ونراها عند القبائل المتوحشة تميل الانتقال وتعتقل السلاح وتنهض بفادح الاعمال فهي فيهم بمنزلة « خادم الرجل » وقد سأل سائل في مجمع من الروساء في القرون المتوسطة « هل للمرأة من نفس » واذا رجعنا الى الفلاسفة والشعراء الاقدمين رأينا بعضهم يقولون المرأة ملك كريم وبعضاً شيطان رجيم ولعلمهم جميعاً مصيرون ولكن ذلك لا يحصل به الحد المطلوب

وقال منتسكيو في القرن الثامن عشر ان الطبيعة ميزت الرجل بالقوة والعقل فليس لسلطونه من حد سوى تلك القوة وذلك العقل ونخصت المرأة بالبهجة فسلطونها نزول بزوالها . وهو رأي عجيب صدوره عن مثل هذا الحكيم

جاءت براهين الموجب ضعيفة في الغالب من جانب ضعف الوجه لا من حيث انه قصير المنجحة او قاصر المعرفة . واما قوله ان لا بد في الترجيح بين الطرفين من كون المرح اعلم منهما جميعاً فمع اقرارى فيه بانى لست من اقرانها ولا ادعي في العلم مبلغ صاحب الرد اذكره ان المسألة التي كان فيها البحث ليست من المسائل العلمية التعليمية وانما هي من المطالب الادبية العمومية التي يتأتى الحكم فيها لكل احد بعد سماع براهينها من الطرفين . وافتصر من البيان على هذا الفدرامثالاً لما نصحتني الاستاذ في آخر الرد ووفقاً عند الحد الذي رسم متبرئاً ما نسب الي من سوء الفصد

رحماني سيداني فقد خرجت عن موضوعك الرفيع الى غير المقصود منه ولكن لاجتياح علي ولا اثريب فانه لا بد لمن يتجرأ على مس الكاغذ لتزيتو باسكن الشريف ان يظهر قبل ذلك من كل شبهة وريبة . فان لم تلبان هذا القول تذكراً قلت موضوعك شامل عجم اراه في كل شيء وارى كل شيء فيه فالخروج عنه من جانب دخول اليه من الف جانب والشغل عنه من جهة شغل به من سائر الجهات فاذا تهدي بذلك سبيل المغنق قلت اروم بيان حقوق المرأة ايماً وزوجاً واماً لم يدعي الى ذلك داع من جانب القلب ولم يهديني سبيله دليل من قبل الفكر ولكن رأيت فيه فصلاً شافياً جديد الوضع ظاهر النفع للفاضل (ليكونه) الترنسوي فعربة ما استطعت وما شاء انقام خدمة للاباء ونصيحة للازواج وهدية لسيداتى النساء جميعاً

هذا مذهبا في المسألة وسنبعث عن وجه الحق والامكان فيه ناظرين الى الاثنى من وجه كونها فتاة ايماء ثم زوجة ثم اماء ثم امرأة على وجه الاطلاق . اهـ .

(وقياماً بالوعد اعقب هذا الفصل)
(بنصل آخر فقال)

البنات

اما نرى في الحجرة مقعداً خشناً عارياً وقابلة او طيباً متأملاً مراقباً ورجلاً مغبر الوجه يدعو الله فتم امرأة على وشك الولادة او ما نسمع من تلك الحجرة صوتاً غريباً يليق من جانب الحضور اهتمام وارتيابك فهناك مولود جديد يتسألون عنه فيقول قائلهم بنت ولطالما اسودت الوجوه بثل هذا القول في العصور الخالية بل سل اليوم عنه فلاحاً ما يجيبك بما اجابني مزارع بريوني سألتك كم ولدك فقال « آه ياسيدي لا ولد لي وليس عندي غير بنات »

وما احسب هاته العاطفة ناشئة بمجرد احتثار واستغفاف ولكن الابن في بيت الشرف والامارة هو الذي يصل النسب ويبقي الاسم بل نحن الاوساط على اختلاف الدرجات لا نكاد نرى من سد حاجة الحب الوالدي الا في مولد الابن فان كنا من اهل الصناعات رجونا ان يكون متماً لما شرعنا فيه او كنا من اهل التجارة رأينا بعين الامل متجربنا نامياً متمتع النطاق باسم فلان وابنه او كنا من الفعلة علمنا الابن مهنتنا واحيينا به الاسم . ولا يحسب حرص على الاسم مقصوراً على الشرفاء فان

فان المرأة تقضي ثلاثة ارباع الحياة قبل حصول تلك البهجة او بعد فقدانها فكأنما هي موجودة « لانتظار موعود وبكاء مفقود » ليس غير . وزاد في ذلك روسو على كونه من الفائلين بالنفس المجردة فقال المرأة وجدت لترضي الرجل فاذا لزمه ارضاؤها فهذا دون ذاك وجوباً ان الرجل يرضي بمجرد كونه قوياً . واقول ما الذي يفعل الضعفاء ..

ثم بدت الثورة الفرنسية فانتصر للنساء رجالان من كبرائها فعارضهما في ذلك خطيب رهيب . عارضهما (روبسبيار) رسول المساواة الكبير الذي لم ينس من رسالته غير نصف النوع الانساني ثم جاء حكم الرجعة الملكية فقال حكمها (بونال) الرجل والمرأة غير متساويين ولن يتساويا ابداً

وخلاصة هذه الاقوال ان في السماء كواكب ثانوية تتابع ليس لها من شأن سوى الدوران حول الكواكب السامية على سبيل الحفارة كما هو شأن القمر حول الارض فالمرأة على رأي القدماء قمر الرجل ولقد يكون للكواكب الواحد من مثل المشتري بضعة اقمار وبعبارة اوضح ان القدماء يعرفون المرأة بانها كائن عاقل منخفض الرتبة موجود بالنسبة

ولكن هذا التعريف لا يليق بالقرن التاسع عشر . بل نقول جهاراً ولا تخاف انكاراً ان المرأة مساوية للرجل ولكنها غير الرجل فرقعها الى المقام الذي تستحق لا يكون بمثلتها للرجل فان ذلك مفسد لطبيعتها مغاير لخلقها وانما يحصل بانماها وتقديرها استمراراً من جهة انها امرأة بحيث توجد المساواة مع الفارق

(الافرنج) بما حصل من السواء بين اناتنا
والذكور فيما يرثون

واما التربية فالعلم موضع الخلاف عليها .
ولقد كادت حجة الانثويين تكون في الغالبة
فيها عند الغربيين على اننا لا نزال نلتزم
النساء تقدماً ولا نعدم من انفسنا جماعة من
المعارضين يقولون اذا علمت الانثى زال عنها
رونق البهجة فانها لا تأخذ بمجماع القلب الا
لكونها لا تحتج ولائها طائر يغرد وطفل يعبت
وقلب يجب فكيف يحصل فيها الحب اذا هلت
عنه بشواغل العلم . فنذكر لهم مدام دي سوينيه
الكاتبة المشهورة مثلاً في اجتماع الامرين
فيقولون دعوها وشأنها فذهبكم ان لم يكن
مفسداً لخلق الانثى فهو ناقض للهيئة العائلية
لا محالة فانه كيف يصلح شأن الصغار ومن
يعتني بامورهم اذا كانت الام ترصد الكواكب
فالبنات على رأيكم قد يكنّ عالمات ولكن
لن يصرن ازواجاً ولا امهات . فكأنما هم
يحسبون شأن الزوجة والام مقصوراً على
الطباخة او نظارة الطاهي والخدمة او مراقبة
المخدمين واهتمام بالمصلحة الحسية وامرأة اهل
البيت بل لا يبلغون هذا الحد فيما يرون وانما
يحسبون ذلك الشأن محصوراً في الحب
والضراعة والتعزية وما يعلمون ان الزوجة
والام فوق ذلك شأنًا اعظم من ذلك الا وهو
الارشاد والتربية المستلزمان المعرفة وانه لا ام
الا حيث يكون علم ولا زوجة الا حيث يكون
عرفان . على انه ليس المراد من كشف اسرار
الطبيعة لافهام النساء ان تكون بناتنا جميعاً
من علماء الفلك والطبيعة ولكن المقصود به

اللاونسط ايضاً نسباً عالياً من الاستقامة .
اما مولد البنت فلا يوجد شيئاً من هذه الاماني
بل المخاوف كثيرة فيه فان كل اب بعيد
النظر يتسأل يومئذ ما مصير هاتى المولودة فان
كان فقيراً خاف عليها الشقاء وان كان غنياً
خشى الالم المعنوي وان لم يكن لها من باب
رزق سوى الشغل الذاتي فكيف تصيب الكفاف
في هيئة اجتماع لا تكاد النساء يرتقرن فيها ما
يقمن الموت جوعاً وان لم يكن عندها نقد
(معكوس الوضع) فكيف يتيسر لها الزواج في
هيئة قضت على النساء بشراء الازواج وان لم
تنزوج فكيف توفى العثار فان عثرت فكيف
تنعش في مجمع نعد في سقطاتها وتسجل واذا
شاخت ايماً بتولاً فذلك موضع الوحدة والحزن
والشفاء من جانبها ومحل الاستمراء والانكار
وسوء الظن من جانب سائر الناس فانهم
يلتمسون لعزبتها على الغالب سبباً غير الفقر
فيرمونها بالترق وينسون موجه ويرشقونها
بتكلف العفة وبذهلون عن انهم بطهارتها
عاشون على انها تكفر هاته السيئات الناشئة
عن طبيعة حالتها بالاف مظهر من الاختصاص
والشفقة فان وجدت في اهلها كانت بمنزلة
الجدّة والخدمة المدبرة وان كانت مقطوعة
الرحم انهمكت على فقرها بانماء الزهور وتربية
الداجن من الحيوان ومساعدة صغار الفقراء
تعلمهم والايام تلبسهم وتكون بمنزلة الام لهم
جميعاً

وانا لنرى في حياة البنت ثلاث مسائل
اولية الشأن « الميراث » و « التربية » و « التصبي »
فاما الميراث فلم يبق فيه محل للخلاف عندنا

وان نصباها بوعد الزواج خلافا لما نص عليه
عندنا في الشرع والقانون ولذلك نرى الفحشاء
في بناتهم اكثر منها في بنات اوطاننا بل هي
فوق الكثير عندهم ودون القليل في هذه
الديار

الزوجة

قال الفاضل (ليكوفه) نقول ان الزوجة
ونريد الزواج فهي اياه وهذا الموضوع اوسع
من ان نحيط به في مثل هذا المقام فلا ننس
منه الا ما يتعلق بسلطة الزوج

ونعلم ان الباحث في اصلاح شأن البنات
يستميل اليه الالاء جميعا فاذا حاول الزيادة
في حقوق النساء فقد استغفر منه جميع الازواج
ومع ذلك فاني اسوق الحديث الى هؤلاء راجيا
هدايتهم الى اصلاح قانون الزواج بما فيهم من
العدل والانصاف

ان سلطة الزوج تكون على الذات وعلى
المال . فاما سلطته على الذات فقد كان
موضوعها التأديب . ذكر لنا (بومنوار) قانونا
من العصور المتوسطة من حكمه «يجوز للرجل
ان يضرب زوجته على شرط الرفق» وقد
أبطلت آداب الاخلاق هذا الحكم في الدرجات
العالية من الناس الا انه لا يزال مرعيا نافذا
في العامة يأخذون به وقد لا يحفظون الشرط
ولكن لحسن الخلق صار الرجل اذا ضرب
زوجته فهي ترد اليه واحدة بواحدة جزءا وهذا
من علامات التراجع ومع ذلك ما برحت اذكر
اني سمعت سائق عربية يقول مشبرا الى السوط
« هذا كفيل السلم في اهل بني فقلت له

اضاءة الباهين بانوار العلم اعدادا لمن للمشاركة
في اراء الرجال وتعليم الاولاد ويذكر
هؤلاء المعارضون مفاسد تعليم النساء وينسبون
مخاطر الجهل وما تنبئ المرأة ضجرا الا انها
جاهلة ولا تنفق لزوجها رزق شهر في شراء
حلي ولا نفوده عند المساء الى الملهى مريضا
او مجهودا الا بذلك السبب اي لانه حجب
عنها العلم واغلق دونها باب النباهة فلم يبق
لها الا سبيل الهرج والزيف فرب رجل هزا
بالعلم على كونه لو حصل ازواجه لكان منجاة
له من العار

وزاد الكاتب الفرنسي على ذلك ان
لو فرض ان العلم لا يفيدنا من النساء شيئا
فهو من حقوقهن الواجبة علينا . او ليست
الانثى من الخلق من عباد الله من ذوي النفس
الباقية وان الحالة الزوجية والحالة الوالدية
حادثان طارئتان عليهما يبطلهما الموت ونقطعهما
الغيبة وتكونان في بعض النساء دون بعض
وان لما فوق هاتين الحالتين صفة مقدمة
عليها جميعا وهي الانسانية فهذه الصفة ومن
هذا الوجه يحق لها لا محالة تهذيب فكرها
وفوائدها فان حال بينها وبين ذلك عارض من
احكامنا اليومية فهي نطالبنا بنور العلم باسم
الابدية

واما نصي البنات فلا نرى من حاجة
لتعريب ما قال فيه ذلك الفاضل للفرق
الذي بين حالتنا وحالة قوم في هذا الامر
الخطير فهو عند الفرنسيين موضع نظر واهتمام
من وجه ان قانونهم لا يوجب على مرتكبه حدا
ولا يلزمه احصان البكر التي جرّها الى الفاحشة

انضرب زوجتك قال لا شك ولا ريب
قلت وفيّ قال هذا فرسي اسوطه اذا لم يجر
قلت ان زوجتك لا تقاس بالفرس قال وذمّي
صدقت فانها اشد عناداً منه قلت ذر العناد
اليس من النذالة ان تثور غضباً على امرأة
قال تمهل يا سيدي اني اضربها ولا يمسي غضب
فمن ذا يصدق ان الفلبسوف (سنيك)
اجاب بمثل ذلك صديقاً كان يأخذ عليه شدة
غيطه من العميد بل لا غرابة في ذلك فان
الاستبداد يرمي بسهمين فيصيب العبد بالظلم
والمالك بالفساد

ثم ابان فاضلنا المشار اليه وجه سلطنة الزوج على
المال فلم ينكر ان لا بد لادارة البيت من
رئيس فرد يكون فيه بمنزلة الملك في الامة
ولم يتزع هاتو الرئاسة عن الرجل ولكنه
اوجب فيها التقييد وانكر الاطلاق فاعترض
على قانونهم الناطق بان للرجل حق التصرف
في مال زوجته ادارة وبيعاً وهبة بلا اجازة
ولا استئذان وان المرأة لا تستطيع ادخاراً
ولا قرضاً كائناً ما كان ذلك الفرض ولا هبة
ولا قبول هبة بلا رخصة سابقة من الزوج
في حالة كونه يأخذ ما شاء ويعطي ما شاء
بلا حساب - قلت اعترض على هذه الاحكام -
بما ينشأ عنها من المضار والمفاسد من حيث
ان الرجل قد يكون دني النفس ضعيف الهمة
ذا ملكة مفسدة من مثل القمار والسكر والفحشاء
فيبدد مناع البيت ويضيع مال الزوجة ويجعلها
والولد في اسوء حال وما ذلك نادر الوجود
في الرجال . ثم تصور لهذا الداء دواءً بحسبه
شاقياً فقال اذا رأت المرأة من زوجها مثل

ذلك الفساد فليكن لها حتى رفعه الى مجلس
من اهل البيت يكون نافذ الحكم ولتكن ادارة
البيت على مثل ما قال بلوترخوس لصديقه
بوليتيانوس اذ التمس بعيد زواجه رأيه في
معاملة العروس فقال يا صاح ان اخبرت
الحكمة فاجعل حجرة الزواج مكان رياضة وشرف
وعرفان فزين عقلك بكل نوع من المعارف
الضرورية لزوجتك من كل جانب كما تفعل
النخل واجلب اليها كل ما تحسبه مفيداً فانك
الان بمنزلة ايها وامها وما قول المرأة الفتاة
لزوجها انت ناظري واستاذي في كل شيء
حسن باقل نبالة من قولها له انت الحبيب
الاول . وقد يوجد من جهلة الفرسان من
اذا ملك جواداً كريماً راضة بداءة بدء على
الركوع وهذا مثل الأزواج الذين يقترون
بنساء كرائم من بيوت نبالة فلا يعنون
بجعلهن اكثر احشاماً واوفر علماً من ذي قبل
بل يؤثرن على ذلك تذايلهن من حيث
يجب اعلاء الهمة ورفع النفس كما يرتفع رأس
الجواد الكريم

قال فاضلنا . واني اعرض هاتو الحكمة
لجميع الرجال فانها متضمنة لكل ما يجب عليهم
فاذا تزوجت بنتاً فتاة فاعلم انك زوجها
واستاذها معاً ومهد لها سبيل الادارة والحكم
في الامور العمومية فانه من مستشنع الامور ان
تكون المرأة قاصرة في الرابعة عشرة من
السنين وتكون كذلك في الثامنة عشرة فعلى
زوجها ان يبلغ بها حد البلوغ بما يعلمها من
القوانين والاحكام ولا يخافن من ذلك ضعف
الميل والحنو فان الحب يوجب التساهل حتى

في القانون

محل تأمل واعتبار

اثنان اهل البصيرة والبصر رجلٌ يعتبر بما يراه في ابناء جنسه وآخر لا يعتبر حتى يرى العبرة في نفسه فلا تكوننَّ صاح ثالث الرجلين ولقد رأينا الذين تولّاهم التعصب والجهل والذين ألقيت بينهم الاحن والعداوات كيف طمع فيهم الاعداء وتجاوفا عنهم الاحباء حتى انهم الزمان عليهم وتوجه الحبيب اليهم وانقلب عزهم خسفاً وعاد حولهم ضعفاً وحنت بهم النواصب من حيث يعلمون ولا يعلمون

ولم يجهل ان العدو لنا بالمرصاد ينتظرنا الى فرصة ينهزها وريبة يظهرها وعثرة يذكرها وثغرة يدخلها وعيب يجعل حرفة سفراً وخطأً يمثل قطره بحراً فما بالنا نهد سبيله ونرشد دليله ونمكن له في ارضنا مقاماً

ويقول بعض الوجهاء منا لا جناح علينا فيما تفعل السوق وما يقترب الجاهلون . بل عليهم واجب الردع بالقول وبالفعل ما استطاعوا اليه سبيلاً فان ثاقبوا عنه فلا اقل من منع النفس ورد الهوى وكف اليد عن مساعدة الجاهلين . ان الباعث والفاعل والناصر شركاء متكافلون . لا نقول ذلك اطلاقاً ولا نخصُّ به احداً من الناس فمن ظن نفسه معنياً به فهو اياه ان المريب كثير الظنون وان عينه لتكاد تقول خذون

وما يبعثنا على هذا التعريض المؤلم واللوم العنيف الا ما نعلم من دخيلة الامر وما يخاف من سوء العاقبة فقد تجسم حادثنا الاخير في البلاد الاوروبية حتى عد من عظام الامور

وبعد فلا بد للرجل من تصور زوجته ايما ارملة فانه قد يفاجئه الموت فتصير اليها ادارة الامور فان لم تكن معدة لذلك بعلم سابق واختبار سالف فلا تستطيع النهوض بهذه المهمة بخلاف ما لو كانت من العارفات الخبيرات ولنا في ذلك مثال لا نساء ان وطننا المخالد الذكر المفقد الوطن - يريد تبارس - قد مات بلا عقب يحفظ له اسمه ويحيى مجده ولكن مات عن زوجة كريمة فكان بها الغناء فانها تولت ادارة ثروته الوافرة وحفظ مجده العظيم فنظمت بنفسها مشهداً وطنياً لميت لا يموت له ذكر ثم رفع تمثاله في نسي فرأست في المحلة بمهابة الملكات وأقيم له تمثال آخر في سين جرمن فسارت اليه قائماً بها ثم داهها القاتل ثم جمعت اشتات رسائله وخوابره قالت منها سفراً جليلاً حتى اذا فرغت منه واصلحت الصفحة الاخيرة ماتت مبقية عندنا ذكراً وعبرة لا تموت ورأينا منها عظمة الارملة فعلنا كيف ينبغي ان نكون النساء

ووقع في يروت نزاع بين فتين منضاغتين يعرف « بجاذثة الميدان » فقتل وجرح بو نفر من الفريقين فقبض على المتنازعين وأخذ في استجوابهم واستنطاق الشهود ثم شاغ ان في اعمال الاستجواب والتحقيق ما يدعو الى الظن بالخصام القضاء في جانب التعصب وتناقضت الالجنة اقوالاً كثيرة في شأن ذلك وكان خبر الحادثة ما لهجت به صحف الغرب بما جسمته لها الشركات التلفرافية فكتب ادبينا في هذه الحال ما يأتي بعنوان

واستقلال الذين يتولون الاحكام فيما يرون
وما يحكمون وحصولهم في مأمن من كل ما
يفعل في النفوس ترغيباً او ترهيباً كل ذلك
ليس من مستحدثات الامور في البلاد الغربية
ولكن قد وجد من قبل في كل زمان اضاءه
العدل وكل مكان اثاره العلم والحرية
فاستقامت به الامور وتأييد الحق وضعف
الاستبداد وظهرت قيم النفوس وعلمت اقدار
الافكار

وقد كان اهل القضاء في بلادنا على
خلاف ما تقدم بيانه من الاستقلال والانفراد
واسباب النزاهة يصدر عن الاحكام كما يرسم
لا كما يعلم وكما ينبغي لا كما يجب ويدورون
على محور الرهبة والرغبة كما تدور الآلة الصماء
غير مباين بضياع الحقوق وفساد الامور
وانعكاس الاحكام حتى ضعفت منهم النفوس
وفسدت القلوب وساءت الاخلاق فصار
الرياء من شروط وجودهم والدهان من
لوازم بقائهم والنفاق من اسباب تقدمهم فرامت
الدولة العلية استغناؤنا من هذه المفسدة رحمة
بنا وحناناً فرسنت باستقلال الحاكم والمجالس
على امل ان تعلوهم اعضائها بما يحصل لهم
من حرية الرأي فلا تأخذهم في الحق رهبة
ولا تستميلهم عنه شهوة دنيسة فصارت محاكمنا على
ما نرى من الاستقلال

ولكن لا بد في اهل القضاء من ثلاثة
امور متلازمة لا يغني بعضها عن بعض علم بعصم
عن الخطاء (ما أمكنت العصمة لانسان)
وادب برد النفس عن الهوى وكفاف بوجوب
النزاهة فان حصلت في الحاكم هذه الخصال

فهبط به سعر قراطيسنا المالية هبوطاً فجائياً على
كون سائر القراطيس في مدارج الصعود
ووردت اليها رسائل التلغرافات تباعاً دراكاً
الى وكلاء الدول وكبار التجار واصحاب المقامات
يسأل فيها عن كنه الحادث وتفصيل الامر
وهل هم من بعد سالمون كأنما هو فتنة عامة
وبلية طامة

ولا شك انه لم يكن موجب القلق
والاضطراب من هذا الحادث في البلاد
البعيدة قتل ثلاثة وجرح نفر من الناس وانما
اوجبه ما اتصل بها من خبر الفتنة وعلة الخلاف
وانه ناشئ عن تغاير المشارب وتعصب القلوب
وانا وان لم نستطع دفع هذه التهمة عن
كثير منا فاننا نبرئ منها كثيراً من الراشدين
ولكن لا بد لدوي الحمل والعقد من الناظرين في
هذه المهمة من تأييد ذلك برعاية العدل ومقاومة
هوى النفس فيما يبحثون وما يتمكنون

نأمل ذلك فيهم ولا نعتقد بهم ما يخالفه
الا ان الذي تتناقله الالسن من خبر
الاستنطاق بضعف ذلك الامل فلولوا العلم
بعناية والينا المعظم وحسن الظن بفضيلة مفتش
الاحكام لحننا ضياع الحق وانتصار الباطل
وبقاء الخلاف على قدمه ودوام القدم على قدمه

وكتب في

القضاء والاجراء

وكان قد حل زمن الانتخاب للمجالس

بيروت فقال

ان انفصال القوة الحاكمة عن القوة الفاعلة

ذلك غير المصلحة العمومية ولا بأخذهم فيه
غير الحق

ان انتخاب المعسر ليصيب الرزق ما يحكم
بين الناس هو الحيف والظلم واقفاً على الوفاء
من الخلق

ان انتخاب الجاهل ليكون كآلة الصماء
لهو الوبال العظيم والبلاء العميم
ان انتخاب الغني لمجرد كونه غنياً هو
الآليم المصاب نازلاً بالاغنياء والفقراء
فلا يذهبن المنتخبون عن كل ذلك فان
ذهلوا فلا عيب على غيرهم ولا ملامة

وكتب في سفر خليلنا الالمى روائيل
افندي الخوري من بيروت الى الاسكندرية
في ٢٤ اذار سنة ١٨٨١

قال

سار صديقنا الاديب الفاضل روائيل
افندي الخوري الى ثغر الاسكندرية فشبعه الى
المرفأ جَمَّ غدير من الادباء والوجهاء فيهم
اكثر اصحاب الجرائد وبعض كبار التجار
واعضاء جمعية زهرة الآداب جميعاً ورافقه كثير
منهم الى الباخرة بتوسطهم الوجهه النبيه الموسى
(امسر) بمخدومه السابق كاسف البال آسفاً على
فراق فتى لزمه اثنتي عشرة سنة فرأى منه كيف
تكون الاستقامة وكيف يظهر الفضل وكيف
تعلق قيم الرجال وداروا به في الباخرة يذكرون
آثار محاسنه وأنه كان قدوة الفضل ونموذج
الادب ومثال الكمال وعينه التראה فيكون
فراقه وتذكر مع الذي يذكرون ان هجرته الى

كان استقلاله قولاً لكل ميل وقصدًا لكل
جور وصلاً لكل فساد ونصفة لكل ظلم
وقوة لكل ضعف وحداً لكل استبداد والاً
فهو عين الفساد والجور والضعف والظلم
والاستبداد والميل

فتي اتي الحالين بري البصير اعضاء
المحاكم والمجالس في هذه الديار
أنا لا نلّمُ بهم ولا نطعن فيهم ولا ننيط
بانفسهم سوءاً ففهم لا شك اهل علم وفضل
وارباب ادب ونزاهة يعتقدون بما يحكمون
ويحكمون بما يعلمون ويعلمون الحق ولا
يغالطون

ولكنهم لا يعدمون من يكون على ضد
هذه الاحوال ومن يحكم بما لا يعلم ومن يعلم
بما لا يحكم فهؤلاء وان اسألو الى انفسهم بما
وضعوا من اقدارها واخطأوا الى هيئة الاجتماع
بما اضاعوا من حقوقها فلا توجه الملام اليهم
ولا نلقي التبعة عليهم وانما اللوم والتبعة على المنتخبين
ان الدولة العلية قد ساءت بيننا وبين
الامم المتقدمة فيما لهم من الحقوق وما عليهم من
الواجبات ولكنهم لا يستطيعون ان تعيدنا خلناً
جديداً ان الله هو المبدى وهو المعيد فمن
اساء التصرف في تلك الحقوق فعلى نفسه اساء
ومن احسن فالها

وقد حان وقت الانتخاب لبعض مجالس
هذه المدينة فان كان ثم موضع انتقاد ومحل
اعتراض ومظنة فساد فليتنبه المنتخبون ولتشتئ
الطوائف لجأناً من ذوي النقد والنزاهة يحثون
عن تلك الخصال الكريمة ويعرضون من
تجنس فيه لارباب الانتخاب لا يراعون في

فتألفن على السعي في رفعهن الى ذلك المقام
فصرن جمعية لا يحيط بجمالها الوصف ولا تقوى
على وصف كمالها الاقلام

خطر ذلك بدءاً بدءاً للكرمية الخاشعة
الزاهدة القائمة بامر الخير والعلم والاحسان سلبية
الوجهاء الراهبة لبيئة جهشان فتقدمت فيه
للنبيهتين الوجهيتين السيدة الخاتون زوج المغفور
له اطف الله بك سرسقي والسيدة اميلي كريمة
الوجهيه خليل افندي سرسقي فصادف ذلك
عندها قبولاً واقبالاً ورغبة واشتالاً فاقبلت
الثلاث عليه ودعون بعض الاتراب الكرائم
اليه حتى تألف العقد من اربع وعشرين كريمة
فريدة نزين باسمائهن هاته الصحيفة

ثم اتى على ذكر الاسماء الى ان قال

وقد اكننت الاعضاء العاملات براتب
سنوي من الاحسان لذلك القصد فكان مبلغ ما
اجتمع منهن فوق عشرة الاف غرشاً وسيأخذن
في استدرار البر من ذوات النعمة وربات
اليسار وصاحبات النفوس الذكية فيحصل لاشك
من ذلك ما يكفي للشروع في انشاء المدرسة
فتكون هذه الجمعية اثرًا حميدًا نقر به كل
عين وتنال منه الاناث حق الذكور وان حصل
لذكر حظ الاثنتين

سباق غريب

كتبته في سباق الكلاب ببلاد الانكليز

فقال

جری في هذه الايام في بلاد الانكليز سباق
صيادة الارانب وهو عندهم بمثابة سباق الخيل

كريم نفقتر بودته ونزديهي بزيته الى الفاضل
الوجهيه الهام جبرائيل افندي الخلع يتولى ادارة
متجره الواسع فتجد من السلوى انه مفارقنا الى من
يقدر ادبه ويعرف فضله والفضل يعرفه ذووه
وكان اعضاء زهرة الاداب قد اعدوا له قبيل
السفر مأدبة وداع اداء لحق الثناء والشكر انه
خدم الجمعية ثمانية اعوام رئيساً معظم الملك
وعاملاً نافع الاثر سائر تلك الاعوام فودعوه
في الحضرة وداعاً طارت به النفوس شعاعاً
والقلوب التباغاً وفيهم آمل التلاق بعد الفراق
وفيهم من ليس له من سبيل الى وادي النيل
وما صباية مشتاق على امل

من اللقاء كمشتاق بلا امل

وكتب في جمعية خيرية تألفت من بعض
السيدات المحسنات في بيروت
فقال بعنوان

احسان المحسان

اعارك البدر مجيآه وحيآك الروض بريآه .
فسرت منك نسيمات الربى سحرآ تحمل شيجآ
وثامآ . وتمشت فيك ارواح الصبا يتأرجح
بانفاس الخزامى . ام انت مخبري بمكارم الكرائم
ومبشري باحسان المحسان

أجل فصغ ما اقول لجيد الصحيفة عقدا
ما تحلى بمثل جيد حسناء فاني منبتك وما ينبعثك
مثل شخير ان لمة من ذوات الايادي البيضاء
قد اجتمعن لمهمة يذكرها الشاكرون ومأثرة
يشكرها الذاكرون فرأين بنات جنسهن
منخفضات عن المقام المعدن هن في هيئة الاجتماع

الخوري مدير المطبوعات والامور الاجنبية في
الولاية السورية فعلى على تلك القطعة
شرحاً اخذ باسباب الرقة وحسن
البيان فكتب في ذلك بعنوان

شاعر الدولة

عرفتم لا شك موصوفي قبل التسمية
فشاعرنا الخليل صاحب الحديقة مدير
المطبوعات والسياسة في قطرنا الشامي معروف
بهذا الوصف من عهد صباه في (زهر رباه)
الى ان بدت (شاديات) خياله عوناً لكل
(سميرامين) في هذا (العصر الجديد) (١)

ولست فيما يجيء من قولي مادحاً او مقرظاً او
متذرعاً للثناء ان موصوفي غني عما استطيع من
ذلك بل لو رمت المدح لارجعني عنه مقامه
السياسي فيما اني ممن ينهبون مدح ذوي
المقامات وان كنت ممن لا يكاد يهولهم شيء مما
يرون فيما يقولون

ولكن رأيت في صحيفة (الدنيا) الفرنسية
المشهورة فصلاً ادبياً في حق عزتو خليل
افندي الخوري من حيث انه شاعر جديد
الترعة عصري الاسلوب فجدد في عاطفة الشعر
بعد اذ فطمت عنه النفس

وعجيب شأن طفلٍ رام في المهد النظاما
فسكنت الى نقل قطعة من ذلك النصل
فكاهة لاحباء الادب وافتخاراً بشرقي تسير

(١) زهر الربى والشاديات والسميرامين
والعصر الجديد اسماء لاربعة دواوين من شعر
حضرة الموصوف.

والقوارب يحفلون له في كل سنة . فقبل في
الحلبة اربعة وستون كلباً كما جرت به العادة
يطلقونها زوجين زوجين وراء ارنم يرسلونه
امامها والغلبة لمن امسكه . وعلى نحو ذلك يتسابق
الاثنان والثلاثون ثلاثة ايام متوالية ثم الستة عشر
فالثمانية فالاربعة حتى لا يبقى في المجال سوى
الاثنين الاخيرين . اما جائزة السبق فهي اثنا
عشر الف فرنك والربطة الزرقاء وهي وسام
لهذه الكلاب لا نظنه اقل قدراً في اهله من
وسام ربطة الساق ولعل له من مثله نظاماً لا
يتقلده بموجبه غير عدد معين من الاحياء ولا
ينتقل في الاعقاب

وقد كانت هذه الجائزة للكلبة (الاميرة
دغار) ولا شك انها اهديت من بعد سبق الى
جلالة ملكة الانكليز وامبراطورة الهند . ان
ملوك الكلاب جديدة بان تكون كلاب الملوك
فالكل هم السباق بارضهم
حتى الكلاب لها هناك جوائز

وهنا الشفاق وذكر ايام مضت
وعزائم مثل المشيب عواجز
ان قال ناصحنا الامين نجددوا
حتى م انتم في الشؤون عجائز
صرنا النوروما اختلفنا غير في
قتل النصوص واجب ام جائز



وعثر رحمه الله في جريدة الدنيا الفرنسية
على قطعة من قطع آثارها الادبية تضمنت مدحاً
واطراً فيما هو ملائم لروح العصر من شعر
حضرة الفاضل الشاعر المطبوع خليل افندي

بذكره روائد جرائد الغرب

قال محرر الديبا ان الذي نراه في بيروت
في هذه الاعوام الاخيرة من آثار الادب
العربي يبعثنا على اعادة النظر فيه لتعيين ما
صار اليه في هذا العصر وهل بقي على مثل
ما كان ام نشط من عقال التفاليد فبدأ
في المظهر الجديد المطلوب . وقد ظهر لنا ان
كثيراً من اهل الادب يسمعون الى دانه الغاية
من نحو ثلاثين عاماً ولا يصلون على ان سعي
خليل افندي الخوري حقيق بالذكر . وليس
هذا الشاعر بمجهول في البلاد الفرنسية فقد
ذكره الموسورينو في الجمعية الاسيوية عام
١٨٥٧ واثني عليه ثناء جميلاً وترجم ثم من
شعره قصيدة في مدح الشاعر لامرتين . ولعلها
القصيدة التي يقول فيها

قد قادني للشعر شعرك اذ حلا

ورأيتك يدعو فلم اتمنع

ولند علوت بروح شعري فائق

هبطت عليك من الحبل الافرغ

(عوداً الى كلام الديبا) ومع ان الشاعر

الخليل لم يتجاوز الاربعين من السنين فديوانه
كبير يشتمل على قصائد لا تخص منها ما نظم
على طريقة القدماء ومنها ما مال به الى الجديد
وهو وان كان لا يتجرب على قطع صلات التقليد
بجملتها فهو جدير بالتناء على اجتهاده فقد رأينا
متتافياً عن استعمال المبتذل من التشبيه مائلاً
الى استبدال مرئيات العصر الخالية بعجائب
العصر الجديد وعثرنا في النبذة الاخيرة من
شعره على قصيدتين يؤخذ منها ان الشاعر
لقي دليلاً واهتدى سبيله في الاولى المسماة

(جميلة) حكاية حادثة جرت في قرية راشيا

عام ١٨٢٤ - وهي التي مطلعها

نفرتم في الحياض عن الورود

واعرضتم عن الماء الورود

والحادثة ان فتاة ملكية الخلق شيطانية الخلق

رمتها عين جارتها بسهم

اصاب فؤاد عاشقها الشرود

فبعثتها الغيرة على الانتقام فاغتالت لها

طفلاً وحيداً ثم اصابته لها شقيقاً صغيراً

صبيّاً لم يذق طعم التصابي

ولم يعرف صفا العيش الرغيد

فبجر العمر ادركه ظلام

فلم ينظر ضياء شمس الوجود

فتموجت عليها شبهة الناكلة فرفعت الى

الحاكم الشرعي فاعترفت بعد انكار انها قتلت

الطفل وقطعت رأسه وافرغت جوفه والقت

الرأس في البئر الشائعة ودفنت سائر الجثة في

خزانة بيتها فخرج الرأس بالداو لنسوة يملأن

ماء فاستنفرن منه كما جاء في مطلع القصيد .

فحكم على جميلة بالموت

ولكن حال دون السيف امر

به الخلاق يأمر بالوئيد

كانت جميلة حاملاً جنباً برّاً

وكان شاعرنا يومئذ في دمشق فانصل

به خبر الحادثة فانشأ هاتيه القصيدة عنوا فجاءت

اثراً باقياً مذكوراً

واما الثانية فهي المسماة بالرومان والحناب .

تخيل فيها الشاعر انه مرّ بالروض سحراً فلقى

صاحب البستان ممسكاً غادة حسناء

ارانا الله في كل يوم لانباء الوطن فخرًا
جديدًا ورد علينا بطارف مجدهم مجددًا نالنا فقيداً

ترجمة مرثية كمال باشا

ولما ظهر الخني وانتهك المستور في مقتل
ساكن الجنة المغنورة السلطان عبد العزيز
وقبض على المتهمين بقتله ظهرت موشحة لكمال
باشا ناظر امور السلطان رحمة الله برئي بها
ففيد آل عثمان فشرتها الجرائد التركية فعرب
منها ادبنا الادوار الاتية متبعاً في التعريب
وزنها الاصلي محفوظة الالفاظ والقوافي «ما امكن
الحفظ في المنظوم من الكلام» وكان قبل ذلك
قد اورد مذهب تلك الموشحة اصلاً وتعريباً
فاما الاصل التركي فهو

دين ودولت خائي برفاج ملاعين يزيد
ايملش حضرت عبد العزيز خاني شهيد
واما التعريب فهو

خانة الدين والدولة من قوم يزيد
قتلوا عبد العزيز المرنضى فهو شهيد
ثم اتبع هذا المذهب في عدد آخر من
«التقدم» بالخمسة الاول من ادوار الموشحة
معربة كما ترى

جددت فينا بنار من اوار كربلا
وبدا للناس امرٌ منهم حيرنا
لاق فيد ان عيني نسكب الدمع دما
لعنة الله على من ذلك الجرم جنى
المذهب

خانة الدين والدولة من قوم يزيد
قتلوا عبد العزيز المرنضى فهو شهيد

معلقاً برداها وهو يصرخ يا

اهل الحبيبة ان الروض قد سرقا

سرفت هاته اللصة رمانه وعنايه ذاك في
صدرها من تحت حجاب وهذا في يديها على
اطراف البنان . فقالت ويك هذه اليهود فقل
هو الله احد وهذا خضاب البنان فقل مدد الله
مدد . فانكر واسنكر وقال لا يحبل الغصن
الواحد ثمرين مختلفين

ردّي اليّ ثماري لست اتركها

اولا فأرجع مالي كيفما انفقنا

فقالت ويك لا تمدد اليّ يداً

هل عندك الورد في البستان اسرقة

صبيحاً وانشر منه للملا العبقا

فاجاب لا فاومات الى ورد وجنتها فراح
مندهاشاً به يقول سبحان من خلق فاستضحكت
وسارت وهي تقول والله ما سرفت الا العقول
ويا حسن ذلك الذي نقول

قال محرر الديبا ولا يمكن في الترجمة استيفاء
محاسن الاصل . صدق ان الترجمة لا تعدل
الاصل في المرسل المشور فالظن بها في الشعر
ونزيده ان اختيار المنقول عسير . فان اختصاص
هاتين القصيدتين بالذكر والترجمة يوم انهما
نخبة الديوان وخلاصة ما تيسر فيه من الاجادة
والاحسان وليس الامر كذلك . فانها من عادي
شعر الشاعر الموصوف . لما في دواوينه الاربعة
نظائر تذكر ومثائل تكاد لا تحصر بل الكثير
من شعره فوقها حسنا وخير منها مبنئ ومعنى
على انه هو العذب من حيث يورد والرشيق
من حيث يفصد ومن لنا بمقام نستوعب فيه ما
نختار منه ومجال نستكمل به ما نراه فيه

وقال في

اميل ليتره

EMILE LITTRÉ

وهو احد مشاهير كتاب الفرنسيين

توفي عام ١٨٨١

التعريف

هو اللغوي الفرنسي المدقق الفيلسوف
الوضعي المحقق آية قومه في علم اللسان غابة
ذويه في صناعة البيان مجهزة عصره في معرفة
احوال الانسان ولد في باريس اول شهر
شباط من عام ١٨٠١ في بيت نباهة وشهامة
وهمة واجتهاد . كان والده من ابطال البحر
خاض عباة وذل صعاية وانتصر فيه ببارجة
ذات ٤٤ مدفعا على الانكليز في سفينة ذات
خمسهن فاهدى اليه ديوان المستعمرات سيفا
وعاد من بعد ذلك الى فرنسا فادخل في جمعية
الحقوق المتحدة . واليه^(١) اهدى برنلي سنيلر وزير
الخارجية الفرنسية في هذه الايام^(٢) كتابه في
السياسة عام ١٨٢٧ وكانت امه واسمها صوفيا
من بيت جوهانودانوناي المعروفين بالنباهة
والنبالة جهر والدها بالميل الى الثورة وولي
الحكومة في (سنت اتيان) ثم اودع السجن في
(ليون) بما حدث ايامئذ من الفتن والمفاسد
فجاءته في محبسه واقامت على مقربة منه نواسيه
وتسلية فلما زحفت جيوش الموائقة الى تلك
المدينة خرجت الى الفلاحين والفعلة تدعوهم
الى حمل السلاح وسارت بفريق منهم متجندين

دور

قد مضت خمس عليه حججاً دون بيان
واهتدى تحقيقة من بعد خافان الزمان
ذخرنا عبد الحميد العادل العالي المكان
فاتنى الريب وصار الامر في حكم العيان
خانة للدين والدولة الخ

دور

بعض اهل الغرض الفاسد سرامكرو
جعلوا السلطان بين الشهدا واستنرو
واذاعوا بعد هذا انه منتعز^(١)
لم يخافوا الله في بهتانهم لم يحذروا

دور

كم مناديه من جرا ما قد جرى واسفاه
بعض اهل الظلم ممن لم يفوزوا بانتباه
قتلوا السلطان من غير جناح آه آه
ويلهم قد جاءهم من ملك العدل بلاه
خانة للدين والدولة الخ

دور

اسف الدنيا على المظلوم سلطان الاوان
الامير العدل ذي القرنين في هذا الزمان
اسفا لم ينج من كان بالايامان مان
فغداعه شهيدا ان منواه الجنان

مذهب

خانة للدين والدولة من قوم يزيد
قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد
وهي اثنا عشر دورا اكتفى منها التقييد بهذه
الخمس الادوار

(١) اي اميل (٢) ايام كتبت هذه القطعة

(١) قاتل نفسه

مددًا لتلك الجيوش ثم اطلق والدها بعد استيلائهم على ليون ولكنه اعيد الى السجن برهة رد فعل واخرج منه بحجة النقل فقتل طعنًا بالخناجر فالقت بنفسها عليه صارخة منتدبة اهل المدينة لادراك ثاره حتى خشي ارباب الحكم بأسها فحجروا عليها ومن هذه الشهامة وذلك الاقدام اشرب قلب اميل لثره عزة واجتهادًا فطلب العلم الى عام ١٨١٩ ولبان في ذلك عن قوة ذهن وانقاد ذكاء ثم قرأ الرياضيات عامًا كاملاً وانقطع من ثم الى دراسة الطب ثمانية اعوام حتى اتى على ما في النية منه ولكنه تعفف عن طلب الاجازة ودخل المستشفيات معاون طبيب بعالمج المرضى اوقات العيادة ويصرف سائر الزمن في علم اللسان حتى تجر في الفرنسية ادبًا وبيانًا ولغة وتضلع من اليونانية واللاتينية وطلب السنسكريت - لغة الهنود المقدسة - والعربية التماس مراجع الكلم وتعلم الالمانية والايطالية والانكليزية حتى جمع منها الشوارد وقيد الاولاد . وتوفي والده عام ١٨٢٧ فاخذ في تدريس اليونانية وبعض سائر الالسنه التي تعلم توسعًا في طلب الرزق لآل بيته واقام على ذلك الى ان كانت ثورة تموز عام ١٨٣١ فاستبدل الفلم بالمندقة وقلنسوة الطبيب بقبعة الجندي وسار بين الجموع بزي الحرس الوطني يقاتل اعداء الحرية قتال من لا يخاف المنيه ثم ادخل عامئذ ادارة جريدة (نسيونال) مترجمًا من الصحف الاجنبية وبقي هناك خافي المكان مجهول القدر خامل الذكر حتى دل على نفسه بفصل من الادبيات فعرف رئيس المحررين مقامه من الفضل فادناه

ورفع شأنه واتخذ لنفسه رفيقًا صديقًا فالتزم الكتابة في الصحيفة مياومة بقدر معلوم وكان مع ذلك ينشر الفصول والرسائل المطولة في الجرائد العلمية تباعًا معنى في خلال الفرض بترجمة تأليف ابقراط ثم اصدر من تلك الترجمة نموذجًا عديم المثال بما يدل عليه من دقة النظر وصحة العلم باللسان المنقول اليه فدخل بذلك في جمعية علماء الآثار . وقرأ عام ١٨٤٠ رأي (اغست فنت) الفيلسوف الوضعي قال اليه ورغب فيه ولزم الفيلسوف حتى صار من اقرب مريديه وكان الى الوفاة خليفته في الفلسفة الوضعية كما سمينه في المطلب الذي افردناه لترجمة حال لثره فيلسوفًا

ولما عادت الثورة عام ١٨٤٨ انتخب عضواً في بلدية باريس ولكنه اعتزل هذه المنصة اواخر العام وعاد الى شأنه الاول بلا الصحف الخطيرة بالفصول العلمية والرسائل الادبية ومباحث النقد ثم انشأ عام ١٨٥٧ جريدة الفلسفة الوضعية وكان مديرها الى حين الوفاة فطار بذلك صيته واشتدت وطأة الاعداء عليه كما اشتد ميل الاحياء اليه وكان من قبل ذلك ينطق الوقت «واد لياه وبياض النهار في وضع كتاب للغة الفرنسيين يجمعها فيها اصولاً وفروعاً ويملوها حقيقة واصطلاحاً على أسلوب لم يسبق اليه ونسق لا يماثل فيه كما سمينه في المطلب الذي افردناه لترجمة حاله مؤلفاً ثم اصدر الجزء الاول عام ١٨٦٣ فانزع به مكانه وعظم شأنه وسارت بذكره الركبان فعرض على الاكاديمية اي جمعية العلماء قطعن الاسقف دوبلو عليه انه كافر زنديق لا يدين

فصار يكتب في الاسبوع غفراً ما لا يستطيع مع الروية في الشهر حتى تصكاد تأليفه تعجز المرء في مثل حياته نسخاً . وكان ساذج المعيشة ظاهر القناعة دائم السعي والاجتهاد لا تغلب شهوة ولا يستغنى بمجد باطل ولا يشغله عن العلم شاغل . يصرف نهاره بين جمعية الطب والاثار والعلماء ومجلس الشيوخ وعيادة النقره وياكل قبيل الغروب لوناً من الطعام خفيفاً ثم يأخذ في الكتابة تأليفاً او ترجمة او انشاء الى الساعة الثالثة من بعد نصف الليل لا يلبس اذلك عزلة ولا يتجنب عن آل بيته بل ربما استقبل المكتب الانشاء وهم في غرفته الصغيرة من حوله يتسامرون هساً فلا يشرد بذلك خاطره ولا يشتغل فكره ولا يشغل كانه هو في غيبوبة التجرد عن الجنس المطلق . وكان على استمساكه بالحرية وشدة ميئه الى الجمهورية وضعف عقيدته الى حد الانحلال معتدلاً متالسكاً يحترم آراء الناس ولا يطعن فيما يعتقدون ولا يخرج في المناظرة عن حد الملاينة تجند لثورة عام ١٨٤١ وحسب من رجال تموز المعدودين ولكنه لم يمل بعد ذلك مع هوى النفس بل سلك فيما كتب مسلك الاعتدال وايمان لقومه وبال الغلو والانفراط لم يهمل الحب عن قلوب ذويه ولم ينسو الميل واجب النقد . ولزم اغست اخذاً برأيه في الفلسفة الوضعية وارداً مشربة من الحكمة ولكنه لم يسلم اليه تسليم الاعى لقائده بل انفرد عنه لما صار الى العمر الذي لا يعلم فيه بعد علم شيئاً ولما رام ان يجعل مذهبه الفلسفي ديناً . ولم يره احد من الناس متعصباً فيما يعتقد

بدن ولا يؤمن بالله فلم ينتخب فرجع الى شأنه العظيم يتم ذلك الاثر الذي جعله برأسه بمنزلة جمعية العلماء واقيم بعد هدنة الحرب عام ١٨٧١ نائباً عن احدث احياء باريس فجلس على مقعد اهل الشمال جمهورياً لاضعف فيه ولا غلو ثم انتخب عاملاً عضواً في مجلس ولاية السين وولي الرئاسة فيه وادخل بعد ذلك في جمعية العلماء فعظم هذا الامر على الاسقف السابق الذكر فاعتزل الجمعية وجداً عليها ثم صار لثوره عضواً دائماً في مجلس الشيوخ الكبير واقام فيه الى ان اغتالته المنية ثاني الشهر الحال^(١) كما جاءنا بالتلغراف فذهب فقيداً مذكوراً رفيع الشأن موسعاً له في تاريخ العصر اياما مكان ونحن مترجمون عن حاله فيما يجيء من حيث هو ومن جهة كونه فيلسوفاً مؤلفاً

الرجل

اسمر شديد السمرة بالنسبة الى قومه غليظ الشفة السفلى عظيم الانف عريض الحاجبين ضعيف البصر لا تفارق النظارة عينيه كبير الجبهة غير مليح الجملة وكان في عهد صباه قوياً شديد الاعصاب يجلس الرجل الضخم على الكرسي فيرفعه بيناه من احدى قوائم ويسك بالرجلين يميناً وشمالاً فلا يستطيعان حراكاً حتى استغرق في الطلب واستغنى في البحث واستمات في حياة الذكر فوهن عزمه وذهبت قوته بل لم تذهب ولكنها انحصرت في الذهن فتحول فيه معجز قوة اليد الى الفكر

ابان مكنونها وكشف غامضها وإظهار احكامها
ووضع فيها الكتب وإنشأ لها الصحف حتى
صار هو ابن يجدتها وسابق حلبها وحتى
عرفت به ونسبت اليه

وايست الفلسفة الوضعية ما يجد ويعرف
في مثل هذا المقام لدعي اتباعها فيما نقول
وانما هو تلخيص الخلاصة بنديه لمن شاء الوقوف
عليه فيحصل منه في الخيلة صورة اجمالية من
تلك الفلسفة فهي مذهب من لا يسلم الا بالمادة
وخواص المادة مطرحا كل قضية لم تبين على
حقيقة بينة وكل رأي يتعلق بمنشأ الوجود
ومصير الانسان وهي مؤلفة من ستة علوم
« الرياضيات والفلك والكيمياء اي فن
التحليل والتركيب والطبيعة وعلم الاجسام
الحية وعلم احوال الهيئة الاجتماعية » فهذه
العلوم على هذا الترتيب شاملة لكل ما وصلت
اليه المدارك الانسانية على رأي الوضعيين نقف
عند الالهيات غير مشرئة اليها . وهي عند
مصبية في هذا الوقف بحجة انه ليس من الضروري
التماس علة المرئي فيما وراء الادراك على كونها
ممكنة الوجود في غيره فان سلسلة التعليل في
تجمل الحوادث غير منتهية الي علة من فوق
كل حس واختبار وانما هي متعلقة بحدوث
ارفع منها جميعا يسوقها متوالية فيعلم كل حادث
منها بالسابق المتقدم عليه حتى تنتهي الى
النواميس المبدعة وهذه النواميس ممكنة الحصر
في الحركة اللانهائية التي هي القوة المتحدة
بالمادة الابدية

وجملة القول ان اصحاب الفلسفة الوضعية
ينبذون كل ما خرج عن المادة وخاصة

بل كان يرى زوجته وابنته تصليان فلا يعارض
ولا يعترض ولا يظهر اعراضا . وكان مع كل
هذه الحسنات مرفوع الحجاب موطأ الجناح
سهل المقاتلة لين الجانب يسكن في باريس
دارا صغيرة على الضفة اليسرى من
السين في الطبقة الثانية ويتلقى الزائرين
بطلاقة وجه توهم انه من اهل الفراغ مع نزاهة
يترفع بها عن سفساف القول والتعل وشهادة نقول
المنية خير من الدنية وعفة تنقطع السنة القادحين
وهمة لا يبقى معها للتفرد مجال وجملة القول
انه رجل ليس كالرجال وسنرى منه فيلسوفا
مؤلفا ما تنبسط به هذه الخلاصة ويتفصل
هذا الاجمال

الفيلسوف

شأننا في ما نذكر من فلسفة صاحب
الترجمة بيانها كما وجدت لا كما نعتقد فهي
كسائر الاراء الفلسفية لا نعدم مريدا يمدح ولا
تنقد مخالفا يذم

وقد مررنا ان اميل ايتير قرأ عام ١٨٤٠
فلسفة اغست قنت المسماة بالوضعية قال اليها
وتبأت من نفسه مكانا فاقبل على صاحبها
طالباً مريداً ولزم مجلسه يتلقى عنه ويخرج به
حتى صار منه بمنزلة الولد من الوالد لا بعصي
له امراً ولا يخالف رأياً ثم انقلبت حكمة (قنت)
جريدة بما اثرت فيه السنوات فرام ان يجعل
فلسفته ديناً فاعتزله صاحب الترجمة مع بقائه
على المودة له والسكون اليه حتى استأثرت به
المنية فكان ليتره خليفته في الفلسفة الوضعية

مختلفتين اختلاف الليل والنهار فأنثر ذلك في
الخاطر ايا تأثير ...

ثم قال وكان في ذوي معرفتي من نحو
خمسین عاماً خاتون لا تزال الى الان في قيد
الحياة ولكنها مصابة مثلي بداء اليم وقد جاءني
من خبرها على لسان من يرانا جميعاً ان الالم
تغلب عليها الى حد ان تفيض بكاء وصياحاً
فهي بما بها من تقوى الله تفوض امرها اليه
وترضى بما ابتلاها اما انا فاخضع للاحكام
الطبيعية التي لا ترد ونحن في النتيجة سواء
فلا تسليها يدفع الالم ولا خضوعي بزبل
الوصب بل كلما حملت الى الفراش مساء
شكوت وتلملت مردداً في خاطري قول
(ما لرب الفرنسي)

ضعيف تولأ المصاب فما له

سوى عمر يوم لا يطبق اكتماله

على ان الفلسفة الوضعية التي هي عوني
وملاذي منذ ثلاثين عاماً والتي اشربت قلبي
حب الاحسان وارادة الاستطلاع واثار
الانسانية تمنعني ان اكون انكارياً محضاً ونهني
في هذه الاوقات العسيرة . اه .

هذه خلاصة من فلسفة ليتره وبلغ ما كان
يعتقد نوردها آسفين عليه انه كان من اعظم
الناس عقلاً واوسعهم علماً واظهرهم اجتهاداً
واحسنهم سيرة واكرمهم خلقاً واحرصهم على
الانسانية وانهمضهم بالخدمة النافعة العمومية
وابقام آثاراً واعلام مناراً ولكنها لم يكن لستوع
حظه من اهل الدين والله يهدي من يشاء
ويضل من يشاء وهو غفور رحيم

المادة وسنتهم في ذلك انهم لا يسلون الا ما
يتبين لهم من وجه طبيعي ولا يرفعون الى
الفوق الحاكمة العقلية الا ما يظهر للفكر ظهوراً
لا موضع للريب فيه . فهم في ذلك على ضد
. ووجب الايمان ولذلك لا نورد رأهم الا مجرد
نقل وما على الناقل من سبيل

واما حال صاحب الترجمة من حيث
العقيدة فقد ابانها لقراء جريدة الفلسفة
الوضعية منذ عام حيث قال من مطلب سماه
(لاخر مرة) كناية عن شعوره بقرب الوفاة
« لست ممن ينكرون شرية الالم ولقد لزمني
هذا الشر منذ شهور كثيرة حتى بلغت به
اليأس ولي من الناس انفس ثقبة بهم شأني
الداخلي رأوا اني لا اقاوم الدين اطلاقاً ولا
انكر ما فيه من الحسنات فايقنوا ان له في
قلبي مكاناً فانه من بداعة الايمان الا يكون في
القلب عداوة او استخفاف بالايمان الذي تولي
الافكار احقاباً كثيرة ولا يزال الى الان
بمتزلة التعزية لقلوب المؤمنين . وحيث اني لم
اشعر ولم اجهر بالنفور من هذه المساعي التي
ذكرت وقد انذرتني الداء والشينوخة بقرب
الاجل لم يقط اصحابها من رحمة الله ان تهديني
السبيل الذي يرومون . ولست بمنكر عليهم
هذا السعي ولكي لا اؤمن بل لا اجد من
نفسى حاجة الى الايمان ولقد رجعت اليها غير
مرة سائلاً مستكها فلم اشعر بشيء مما يشعرون
ولم استطع قبول الرأي الذي يعتقدون على
انني غير آسف على الخروج عن ايمانهم وغير
جانح الى الرجوع اليه فقد اخففت فيما ارى
سما علم اللاهوت وبدت سما المعارف الانسانية

وفي هذا القاموس حد للنفس نوره
نثيلاً على علانيه وهو

النفس في علم تركيب الاجسام مجموع
القوى العاقلة الادبية منظوراً اليها من وجه
اتحادها ومن حيث تنقسم الى التصور سواء
كان من المواضيع الخارجية او الميسوسة .
وجملة الحاجات والعواطف المستعان بها على
حفظ الذات والنوع والعلائق مع سائر الانواع
والخواص التي ينشأ عنها التصور والنطق
والاشارة . والقوى التي يتألف منها الفهم .
والارادة مقترنة بالقدرة على تحريك الجهاز
العصي والتأثير به في العالم الخارجي . وجملة
هذه القوى انما هي ناتجة من حركة العصب
الدماغي على مذهب اصحاب العلم الجديد
الذين لا يسمون بوجود خاصة او قوة بلا
مادة ولا وجود مادة بلا خاصة او قوة مع
اعترافهم بانهم يجهلون على الاطلاق ماهية
الخاصة والقوة من حيث هي ولا يدرون
السبب في كون الحس والفكر يظهران في
المادة العصبية . اهـ

ولم تأثر بترجمة هذا الحد ذهاباً اليه
ولكن ليعلم منه رأي صاحب الترجمة من
حيث انه طبيب

واما كتاب اللغة فهو آية (لثره) في علوم
اللسنة قيد فيه اوابد الفرنسية ونظم منها
الفرائد

في نظام من البلاغة ما شك

امره انه نظام فريد
معيناً مصادر الالفاظ ميماً مخارج الكلم
جالياً حدود المعاني راجعاً الى اصول في

يذكر صاحب هذه الترجمة بثلاثة مؤلفات
ومذهب فلسفي فاما تلك المؤلفات فهي ترجمة
نصايف ابقرات وفتح فاموس الطب والجراحة
وانشاء كتاب اللغة المشهور . واما المذهب
فهو الفلسفة الوضعية . ولنا في كل واحد من
هذه الآثار الخالدة كلام لا يخرج فيه عن بيان
شأن الرجل ومكانته من الحكمة والعلم

فترجمة ابقرات كانت عنوان مزيت في
حسن البيان ودقة النظر والعلم بمواضع الكلام
والوقوف على مراجع الالفاظ اصلاح بها خطأ
من تقدمه من المترجمين ووضح ما أغلق
على سواء من مقاصد طبيب اليونان واجاد الى
الغاية في اختيار الالفاظ واحسن الى النهاية
في شرح المغازي حتى لقب من بعد هذه
الترجمة بزعيم اهل البيان الفرنسي الجديد
اما قاموس الطب والجراحة فالاصل
فيه (لنستين) تولى صاحب الترجمة اصلاحه
بقدر الحاجة على نية استبقاء الوضع الاصلي فلما
سلك هذا السبيل توسعت خطاه فاوغل فيه
تفقيماً وتهديباً وإضافة وحذفاً واتمماً . وشرحاً
وابضاحاً وتغييراً حتى صار وجه التأليف
والانشاء فيه اظهر من وجه الاصلاح وحتى
صح ان ينسب اليه والى الموسيو (روين)
معينه عليه . وهذا الكتاب العظيم الحجم والنفع
ناطق بفضل (لثره) في المعارف الطبية نطق
ترجمة ابقرات بمزيت في علم البيان وقد قال
العلامة النقاد (شرر) ان جميع الذين
يراجعون هذا الكتاب يعجبون بما فيه من
الوضوح والبلاغة والدقة ولا عجب فهو نموذج
الاحسان في بابه . اهـ

الدرهم الزيف

صدى اراء مصرية

شادوا المنازل على اثار ثروتنا قصورا
واطلعوا في سائها من المصايح انجا وبدورا .
نقبس من قلوبنا نارا وتنبهم نورا . فما نرى
الشمر الا سرارا . وما يرون فيه الا سرورا .
مهلا بني الشر لقد ملائم القطر جورا وفجورا .
عرفناكم والعهد بيننا من الصدق ما لا تعرفون .
انضاء فاقة تانبسون كسرة ولا تصادفون .
حتى مسختم دودا علقا تمصون دم الجهلاء من
حيث لا يشعرون . فعدتم من بعد فيلة
تحميلون ما كانوا من قبل يملكون . ثم اقلتم
في ظلال الامن تقولون لن يتنبه الراقدون
استغفر الله من قصد الوقعة في الابرار
تعريضا . واعوذ بان اريد اغراء او تحريضا
فما هو الا النذر اخلصة لانباء جلدي تمحيضا
ثم افوض امرنا الى الله والى اولي الامر فيما
اصابنا من وبال التزييف . خصوصا في بلاد
الريف . فهي اموال معدودة . ودرهم معدودة .
لا هي معدومة فتتسى ولا هي في الواقع ونفس
الامر موجودة بعدد المارء منا كما بعدد المشعوذ
في يديه فيراها الحاضر بعيني رأسه ثم تختبئ
عن عينيه . فكأنها منصرفه عنه وهي لديه .
فهي منه ولكن لا مرد لها اليه

كما قبض الدينار في الليل حالم

واصبح لم يلق الذي كان قابضا

فمن هو السارق ليحد ويقطع . ومن هو
ذلك المشعوذ ليرد ويردع . ومن هو ذلك
الخنال ليصد ويدفع . لا تنظر الى الفقير شررا

الدخيل والاشتقاق في الاصيل مشيرا الى طرق
الاستعارة واساليب الكناية مستوعبا حد اللغة
وتعريف الاصطلاح مستوفيا صور المعاني
باختلاف المباني موردا في كل ذلك امثالا
معينة السند ما جرت به افلام البلغاء من امتد .
فجاء كتابا يقال فيه

ما كان احوج ذا الكمال الى

عيب يوقبه من العين

عرف اهل اللسان الفرنسي قدره واعترف
ارباب الكتابة منهم مزيتة وان لا غنى للكاتب
عنه ولا بد للمعبر منه فتداعوا الى اقتنائهم من
من كل صوب على كونهم عاليا يعز على
قصير باع المال فهو كبير الحجم في اربعة اسفار
هائلة الضخامة دقيقة الحرف او كتبت بمثل
حرفنا العربي لجاءت اربعين سفرا او تزيد .
ثم اختصر الموسيو بوجان هذا الكتاب في
مجلد واحد كبير ولخص هذا المختصر في سفر
اخر صغير فصار التأليف ثلاثة انواع صغيرا
ووسطا وكبيرا

ولصاحب الترجمة كثير غير ما ذكر ما
لا يكاد يعد ولا يوصف كثرة وحسنا فمن
ذلك فصول نقد في الجرائد العلمية لو جمعت
لكانت اسفارا ومطالعات ادب وبيان لو
نظمت لحصلت عقودا واسعار وفكاهات تأخذ
بالالباب رقة وتذهل الافكار احكاما . فان ما
ذكرناه من آثاره الا قطعة من بحر ونقطة من
سفر ونموذج يدل عليه دلالة الجزء على الكل
ومثال بشير اليه اشارة الاثر الى العين

ولا نظن بالمخامل شرًا . ولا تكشف عن السوقي
سترًا . بل قف الخيل العتاق جارية بالعربات
خبيا . وعج بالنصور المشيدة عافرة باطراف
السهي سبًا . واحنك الستور الكثيفة منقوشة
مؤهة ذهبًا . وناد على تلك الاندية واحربا .
ف هناك مجرّ رماح الشر . و ثم مجرى سوانق
النكر . و قل اعوذ برب الفلق . من شرّ ما خلق
وافد خاف الناس على الحق ان تخفيه
اموال المزيّفين فلا يمسهم سوء بما كانوا مقترفين
فسكن رعاك الله جاش الخائفين انا نأمل في
الحكومة املاً أكيداً ونعلم ان للرأي العمومي
تأثيراً شديداً وان في سويدانا رجالاً لا يفرح
وعدّ ولا يخشون وعيدا وبشر الظالمين بعذاب
يوم العرض العتيد ان ذلك اليوم ليوم شديد

ضيف قليل الحياء

اذا انت اكرمت الكريم ملكته

وان انت اكرمت اللئيم تمردا

موسيو شارم غبريال او موسيو غبريال
شارم كما شئت وكما يفتلك الهوى اليك
اليك يساق هذا الحديث . جئنا العام السالف
زائرا او مستشفيا ومستنجيا من جبالنا بعض ما
اصبت في وادي النيل فلقيت منا وجوها صباحا
تعد البشاشة للضيف فرضا ونفوسا كبارا تحسب
الكرامة للغريب ديناً وقوماً يبدون الفضل
ويعيدون اكارم تحسد بهم الارض السماء وما
تمثيل صفاتهم للناس الا كما مثل النجوم الماء
فحسبت البشاشة صغارا وعددت الكرامة
استعطافا ورأيت الفضل براءة ما فيك من

النقص فالتوى معناه عابك فعدت يا مؤاجر
العلم ترمينا بدائك وتنسل . نقابل صفوها وردت
من مائنا بكورة اغنيابك وسلامة ما تشمت
من هوائنا باعلال روايتك نقول وانت اكذب
القائلين ان السوريين ارباب كذب ونفاق
ودناعة اخلاق لا مروءة لهم ولا حياء ولا همة
فيهم ولا خلاق تولاهم الخبول والكسل فمن
استطاع منهم للسؤال سيلا لم يلو على عمل . .
كذبت ورب المروءة . وما هي اول فريفة منك
فقد رميت من قبل نزال اليونان في مصر
هتل هذا القول فجاءك النذر من الصديق
(جوسيو) ردّ ما كذبت او تكون من
الخاسرين فايبت فدعاك للترال بحسب ان في
عروقك دم الرجال فتسترت باذيال فواجر
العذر فعلم ان مثلك لا يعامل معاملة الشرفاء
فصنعك يا ضوطار السياسة كما يصنع الاندال
وتقول ما رأيت اشد من السوريين تعلقا
بالخرافات والباطيل فقد شهدت منهم في
القدس حلقة رجال من حول بائع صور وغمائل
يسومونه احدي الصور فلما اعياهم الثمن المطلوب
قطع الصورة اجزاء وباعها منهم باثمان مختلفة
فأب هذا برأس وذاك بساعد وذلك بيد
وذايك برجل مسرورين جميعا متبركين . . . فهل
استهزأ بك الترجمان يا موسيو شارم ام استهزأت
انت بقومك ام رمت توفير الصنيعة فضربت
بهذا الطبل علما منك بتهافت ذوبك على
الغريب

وتزعم ان رؤساء الدين منا اطع الناس
في الاموال واشدهم حرصا عليها وافسدهم اخلاقا
واميلهم الى الشهوات واكثرهم تهتكاً في المحارم

تضيعوا الفضل في غير ذويه
فوضع الندي في موضع السيف في الوغي
مضراً كوضع السيف في موضع الندي
وان اخذتني الحدة فيما ابنت من لؤمي
ودناعة نفسي وسقم طباعه فهي نار الغضب
للوطن نثير بخاراً يدبر القلم على هذا القراطس .
فقد رأيت ذلك المطبوع المعكوس في صحيفة
(ريفودي دومند) وصحيفة (لجيت) المطبوعة
في مصر تنقاً من كتاب سيرد اليّ فاذا ذكر
لكم فحواه

ويا موسيو غبريال شرم هذه اول رسائلي
اليك تنوب عن يد يقصرها بعد المسافة عنك
قطب نفساً انك التمسث الشهرة بين قومك
بما افتريت على السوريين والمصريين من
قبلهم واني لاجعل لك بين قومي ذكراً يجده
المستفيجون عصرًا نعصرًا

الاصلاح

قال رحمه الله في هذا الموضوع

(١)

تبلغ الحاجة من المرء حدّ التعامي عن
سائر الموجود فلا يلتبس الآها ولا يرى الآ
قضاها فهي مدار مقاله ومهور افعاله وغايه
تملاً منه جانب التصوّر وتغشى دائرة الخيال
كما ملأت شهوة الراح مخيلة الشارب التمل
فكل شيء رآه ظنه قدحاً

وكل شخص رآه قال ذا الساتي

ولا خفاء في حاجتنا الى الاصلاح وانه
حديث نهارنا وسمير ليلنا ودليل سير الاماني

على خلاف ما يرى في رؤساء قومك . فهل
بعينيك عي ام تحسب الناس عياناً ام لم يخبرك
من صحبت من ساقه الحدير وادلاء المولى . انه
ما وجد فينا من بظن باهل الرئاسة شراً ومن
يميل الى رأي اهل الشكوك الا بعد اذ وثبت
بلادنا بفاسد الاجني وبعد ان رأينا من
الذين تمدح وسمعنا من اخبارهم ما يعي وبصم
حقي خيل لنا ان الفساد فيهم عقيم على كوننا
اشد الخلق استمساكاً بما يدعون اليه

وتذكر بعض محند راتنا بالسوء ابتهاجاً
وتورد في ذلك حكاية حال من سفر بجر وصحبة
فتي وتزلف والد وغباء ولهان وضرب الحان
وسائر ما يهذو به اصحاب الحكايات وتعين
بعد ذلك ونسي اعثلاً بقلة الحياء . . فهلاً
ذكرت يا ابن الطاهرة مكارم الكرائم حيث
دبيت وحيث شببت وحيث تأدبت . . فلا
تخرجنا فتخرجنا من الذود الى الاقدام ومن
الجواب الى الخطاب انا نعرف منكم ما لا تنكرون
ونعلم ما لا تجهلون

ثم طبع كل هذا القول الهراء يا سقيم
الطبع فاين تركت ماء الحياء ومن اين جلبت
لوجهك جلد خنزير . .

عفواً سادتي عما ترون بي من سورة
الغضب ولكن هو الوطن والعرض والقوم ومن
ذا الذي لا بغضب لوطنه ان يهان ولعرضه ان
يتمتلك ولقومه ان ينالهم لسان مبتذل ساقط لثيم .
فقد عرفت هذا الرجل الذي جاءكم ضيفاً
نزيباً واكرمتموه فجعل اعراضكم مناديل عرفته
متلصصاً على ضفاف النيل . ورأيت من واجب
الذمة والوطنية ان اعرفكم ما عرفت لكيلا

يناسبه استعداد السكان فاذا حصل موفورة فيه هذه الشروط فهو المورد السائغ والفضل السائغ والنعمة الكاملة والمنفعة الشاملة والآ فهو مجلبة للبلاء وبداعة للشفاء

وما نجهل ان الدولة العلية ايدها الله لم ترحى الاصلاح المني اختياراً ولم تؤجل الاخذ فيه استنفاراً منه او رغبة في العدول عنه فانها تعلم علم اليقين انه اذا حصل لها موفور الاسباب مستكمل الشروط فلا يمتنع ان يعود بنا الى المجد الذي اضعناه والسودد الذي فقدناه والقوة التي استبدلناها بالضعف والعزة التي رضيعنا من بعدها بالخسف وانما صبرت عنه اضطراراً الى ان يخلو لها الجوّ من الموانع فقد كانت ولا خفاء في ذلك بين امور عظام ومشاكل جسام في موقف ضئلك المقام تدافع الاعداء وتجارى الاحباء وترعى للضرورة احكامها متقلبة بين اللين والشد واليسر والبس والجود والامساك على حسب ما تقتضيه الاحوال لتنبو من العوادي وتخلو من العوارض فتنعكف على شأنها الداخلي انعكاف المتفرغ الخلي حكمة لا تتخفى عن ذوي الالباب

وقد نجت من تلك العاديات وازالت تلك العوارض الا قليلاً لا يهجز ولا يرد ارادة فقضت مسألة الجبل الاسود وحملت نازلة اليونان بعد اذ قضت مشكلة الهرسك وبشناق وقررت امر البلغار والرومي وازالت خلاف خوتور نصار امر الاصلاح في جانب الامكان فجازلنا النظر فيه بما توجبه الوطنية وحب الدولة العلية وما جادت به علينا اعزها الله من حرية الرأي فيما لا يخرج عن حد القانون.

ونجم سري الآمال فلا غرو ان نعيد ذكره اعادة المحب لذكر الحبيب ولا بد ان نلتبس قربة الناس المريض لقرب الطبيب

ان اصلاح الاحوال واقامة الامور وازالة المناسد واستجلاب المنافع في البلاد المروسة وان كان ما اوجبه عهد مؤتمر برلين فانا نعوذ بالله ان نلتبس من عناية دولتنا المؤيكة العلية من هذا الوجه وبهذا الايجاب . انا رعية صادقون لا يداخلنا الريب في حسن مقاصد الدولة ولا يبخامرنا الشك في ارتياح نفسها الى الاصلاح اختياراً فاذا التمسناه فما نطلب الا ما نوت ولا نطع الا فيما ارادت ولا نذكر الا ما وعدت وما تعلم انه من لوازم البقاء واسباب النماء

والاصلاح فيما نحن بصدد مطلق لا يكاد يقف عند حد ولا ينهي الى تعريف فما نخص به الادارة لاحتياج المالية اليه ولا نحصره في المالية لعدم استغنائه القضاء عنه ولا نجسده على هذه الاركان الثلاثة لظهور لزومه في سائر ما تقوم به الحركة الحبوية في هيأتنا المدنية والسياسية فهو كلي عيم بقدر كلية الخل وعموم الحاجة فحيث ترى نقصاً او ضعفاً او اختلالاً او اعتلالاً او اعوجاجاً او موضعاً للكمال فهناك محل اصلاح

ولا بد في الاصلاح من شروط تكون فيه بمنزلة القوة المبقية للموجودات وهي أخذ من الاصل وتمكين وتدرج وآفة الشرط الاول الرضى بالظاهر الموه في الباطن المشوه . وبلاء الشرط الثاني أنصاف الوسائل . وداء الشرط الثالث النهور فيما لا تلائم احوال المكان ولا

على اننا لا نطلق النظر فيه من الوجه العمومي
الآن لانه نكون بمقام التمهيد لما سنحاول من
بيان طرق الاصلاح فيما اختصاصاً فان لذلك
التعميم رجلاً ظهرت لهم منه الخفايا ولم تخف
عنهم انه قاتق . وبعد فالذي يقال في جزء من
البلاد المحروسة يصح في الكل الا في فروع
وتفاصيل لا تمنع من هذا الاطلاق

(٢)

ينظر الى الاصلاح المطلق من ثلاثة اوجه
السياسة والمدنية والاقتصاد الاجتماعي وفي الاول
مالية وإدارة وقضاء وفي الثاني معارف ومساواة
وحرية وفي الثالث امن ووقاية اعمال وتوزيع
اشغال وتحت هذه الابواب فصول تجيء في
عرض الكلام عليها

فالمالية وهي قوام الملك وأيد الدولة ومفتاح
الاصلاح وعماد الاعمال منوطة باطراف جميع ما
يتبعها من مواضع الاصلاح فما تنتظم
امورها ولا تتسع مواردها ولا يزول اختلالها
الا بحسن الادارة واستقامة القضاء وعموم
المعارف وحصول المساواة وظهور الحرية
وثبوت الامن وتفرق الاشغال بالعدل فالنظر
في هذه الابواب عائد اليها لزوماً

اما القضاء فأول الحاجة فيه اتساق
القوانين وكفاء المحكام فاما القوانين فهي عندنا
وافرة كثيرة الفروع تكاد لا تحصى ولا تنحصر
فمنها القديم ومنها الجديد ومنها الموقت ومنها
المشروع ومنها الموضوع ومنها الاوامر والمخفات
وهي بالجملة مبنية على العدل والحكمة مأخوذة
عن احكام السابقين الى غايات الكمال السياسي
فيا لا ينقض النص الشرعي فما يلزم فيها غير

الجميع والمحصن لدفع اللبس ومنع الاحتيال
وتنسيق ما بيني عليها من الاحكام فان ذلك
التعدد فيما لا بد من الوحدة فيه موجب للخلل
وضياع الحقوق والجهل بمواضع الحكم واذا لم
يعلم المحظور فكل مفعول جائز واذا لم يعرف
الجائز فكل مفعول محظور . واما كفاء المحكام
فهو لا شك اعسر من ذاك مثلاً فان الكفاء
فيهم يقتضي بالعلم بالاحكام واستقلال الخاطر
وعنة النفس وهي شروط قلما تجتمع في عدد
كثير ممن لم يدخلوا باب مدرسة قانونية ولم
يألفوا مظاهر الحرية ولم يروا للعفة من مزية
والعلم لا يحصل الا بتعليم والاستقلال لا يكمل
الا بعادة والتزاهة لا تستحكم الا بمكافأة فلا بد
لحصول الكفاء في حكمانا من انشاء المدارس
لعلم القوانين وتعويد المحكام حرية الرأي
وتقديم ذوي العفة والتزاهة منهم ثم لا غنى مع
ذلك عن تأييد تلك الحرية بصيانة اربابها
عن الخيف وتمكين هذه العفة بوقاية اصحابها من
الفاقة بمعنى ان يؤمن القضاء الاحرار من
النكبة ويضمن للزهاء سداد من الرزق

واما الادارة فلا شك في صعوبة اصلاحها
لتعسر الوقوف على موجب الخلل وعلة الفساد
في كل فرع من فروعها الكثيرة ولأن العمال
والحكام والامرين والمأمورين على اختلاف
درجاتهم لا يتبعون في اعمالهم قانوناً مخصوصاً بها
مرعياً فلا يعلم مقدار حقهم ولا يعرف حد
واجبهم ولا تلزمهم تبعة الا فيما يروم الرئيس .
وذلك موجب لتأخر الاعمال وضياح الحقوق
وتبدد اموال الدولة واختلال السلسلة الادارية
وضعف سطوة الرؤساء من كبار المأمورين

الى الوزراء . وما يفيد فيه تغيير الحال وتبديل
المأمورين قطاراً جرى ذلك فما ازال خلاً
ولا اظهر نفعا وإنما يجب تبديل الهيئات مع
تغيير الذوات وتعيين المسئولية وتحديد الواجبات
في النروع والاصل والاطراف والمركز بحيث
يكون كل عامل مسئولاً عما يعمل من طرف
السلسلة الاخير الى طرفها الاول فتصل
بذلك وحدة الحكم مع حسن التوزيع وهي الغاية
التي ينبغي اليها انتظام الادارات . ثم لا بد
مع ذلك مما اشترطناه في كفاءة القضاة من
التأمين وكفاءة الحاجة فيما يجري على المأمورين
من الارزاق فقد افادنا الاخبار ان تقليل
راتب المأمور الى حد ان لا يفي بالضروري
من حاجاته ليس في شيء من الاقتصاد وإنما هو
داعية الفساد وموجب الدناءة والخيانة . ان
ما نرى رأي العين احوال ذوي الرواتب
القليلة وان الرجل منهم ينفق على الخادم والفرس
اضعاف ما يجري عليه من ظاهر الرزق فضلاً
عما ينفق في داره وعلى حظيرة جاره وفي مجلس
قماره ما يعجز عنه ذو الالوف المؤلفة والفاطير
المنظرة فهل يتزل عليه هذا المال من السماء كما
أنزل المن على آل اسرائيل ام تنبته له السجادة
كما تنبته لذوي الكرامات . . . كلاً وإنما هو مال
الدولة يؤخذ جزافاً وينفق بلا كيل

ومن أخذ البلاد بغير حرب
يهوت عليه تسليم البلاد

(٢)

لا تنهي النفس عن غيها

ما لم يكن منها لها زاجر

ان الصلاح المدني القائم بعوم المعارف

وحصول المساواة والحرية من وجه العدل
والاعتدال وان لزم في بعض احواله اصلاح
السياسي بما تمس بها الحاجة الى المال وما تؤثر
فيها احوال الادارة والقضاء الا انه في الواقع
ونفس الامر علة هذا اصلاح من وجه ترتيب
الثروة على المعارف وتعين انتظام الادارة
والسقامة الاحكام على الحرية والمساواة فهو
اجدر من اصلاح السياسي بالتقديم فان
قضت الحوادث بمثل ما نراه في دولتنا العلية
من وجوب الابتداء السياسي فلا اقل من
جعل اصلاحيين على وتيرة واحدة بمعنى ان
يشروع فيها معاً فانه اذا لم يصلح الباطن فلا
بقاء لصلاح الظاهر واذا لم يكن للنفس زاجر
منها فلا يفيدها زاجر

والمعارف جمع يراد به مجمل ما تمس
الحاجة الى معرفته وما تقتضيه احوال العصر
ما يهتدى به المرء سبيل السابقين الى غايات
المناء والكمال فهي وان امكن تقييدها بهذا
الحديث فلا حد لها ولا قيد لوجوب اتصالها
بحركة العلم التي ليس لها نهاية ولزوم اتقانها
بمجاهات الايام التي لا تنفد عند غاية فما يفيد
فيها الالتزام حال لا تنفع رعاية ماض بل
الحرص على الاثر المجهور ما كان في المعارف
الحالية مذكوراً ظاهراً للضرر بما فيه من
التأخر في مجال التقدم . فقد كانت غاية
الزارع والصانع والكاتب والعالم فيما سلف
ان يعرف الاول اوقات الفراغ والامتلاء في
الفر ومحسن الثاني تقليد استاذة في ادارة الالة
ومحفظ الثالث ما تيسر من منظوم الشعراء
ومشور البلغاء ويعلم الاخير من المنقول ما لا

الآخرين وتطهر من كل ما يشف عن شيء من ذلك ان يؤدي اليه فتكون امن المخائف وملاذ الفازع ونصفة المظلوم وسداً سديداً في وجه المجري . واحكام دولتنا العلوية ايدها الله مبنية على هذه المساواة الحققة فما يلزم فيها غير اصلاح الحاكمين ثم لا بد من النظر في امتياز الاجني والتعويض منه بما يكفل استمرار العدل ويضمن دوام المساواة

وقد وصلنا موضع تنازع الاهواء وتدافع الاغراض فهلاً سيدي القوي انا لا نخرج فيه عن حد الحق ولا نتجاوز ما رسم به قانون دولتنا المؤيدة وانت وان كنت تعادي من لا ذنب له غير مخالفة رأيك وتناوي من لم يحسن من الاثم غير اعتقاد ما لا تذهب اليه وتناصب الشر من لم يرتكب من النكر غير الذهاب الى ما است تعتقد فانك لا تستطيع انكار حرية الانسان ولستك تحسبها قائمة فيما تريد مبنية على ما تقتل منوطة بها يلائم اغراضك الذاتية فانت في ما لا تنكره صادق وفيما تنوهه عن الهوى ناطق فحرية المرء لا تنحصر في كونه يحرك اعضاءه كيف شاء فانه موجود ناطق والناطق ذو فكر بعقل والفكر هو الانسان بالذات فحرية الفكر ثابتة للمرء لازمة فيه لزوم حرية في تحريك الاعضاء فان منع من اظهار ما يراه فهي العبودية وان اكراه على القول بخلاف ما يعتقد فهو قتل الحقيقة

الا ان الحرية عندنا معاشر المعتدلين شروطاً واحكاماً تخرج بها عن حد التفریط ولا تبلغ جانب الافراط فنحن من الطالبين لحرية المطابع الراغبين في حرية الجامع لما

ينقل ومن المعقول ما لا يعقل . ولو اقتصر الزارع الان على معرفة امتلاء القبر لما برح فارغ الدار والحبيب ولو رضي الصانع بتقليد الاستاذ في تدوير الالة لما دارت الدوائر الا عليه ولو اجتزأ الكاتب بحفظ ما سئته الطباع وملئة الاسماع من ايات خاويات واجتماع لما وجد قراء الا بين القبور ولو اكتفى العالم بضغ ما تليظ به الناس من عهد ادم الى ما قبل ايامه باعوام لما استفاد من مخالفة علمه الدقيق رغباً . وما نعجز عن بلوغ القصد من المعارف ولا تنالنا الحيرة في طريقة الوصول اليه ففي السبيل ادلاء راشدون وفيه الف ركب سابقون فما علينا الا اتباع اولئك فيما يدلون عليه وتأثر هؤلاء لما انتهوا اليه سالكين فيه مسلكهم راغبين في الاسلوب الذي عولوا عليه من تقسيم الدروس وتنظيم المدارس مجردة جميعاً ما يقيد الازهان ويؤيد سلطة الاهوام فالقوليد في هذا المقام عين الاجتهاد

اما المساواة فليس المراد بها ما يروم الغلاة من محو الطبقات وازالة الدرجات المترتبة على السعي والجد لزوماً فتلك امنية لا تنال الا ان يكون الناس جميعاً اخواناً فلا تحصل ما دام الانسان انساناً . وليس المقصود منها ما يغالطنا به اولياء الامتياز من كوننا شرعاً فيما تجري به الاحكام فذلك لا يمنع من وجود التفریق ووقوع التمييز في نفس تلك الاحكام . وانما حقيقة المساواة ان تكون الاحكام سواء على من هم بالنظر اليها سواء بمعنى ان تجرد النصوص الحكيمة عن كل ما يجعل بعض الناس فوق بعض وتنزه عن كل ما يفتح باب التفاح لبعضهم دون

الجواد بين الرني والوهاد

واغنم نشق انسيات السحر

قبل ان نمي بانفاس البشر

وقابل الفجر قبل انفجار بركان النهار

وقبل طلوع الغزالة على هودج النار وتعطر

بأثر بالخزام والشج من خطرات الريح وسرح

طرف عينيك بحال جمال ما بين يديك فقد

نسفت صفوف الاشجار على ضفاف الانهار

وتكملت هام الاغصان من لألي النداء بيجان

وغرد العندليب على العود فاذكر بانغام اسقى

على العود والهواء يملأ القلوب حياة وهناء والماء

يسيل في الابدان صحة وشفاء

والانق يسم والطيور صواحج

والنهر برقص والغصون نصفق

ومن فوق ذلك جبال لبنان تسمى

بعادات الزمان لزم رؤوسها الشيب

فازدادت به جمالا فنادى لسان حالها رب

زدني كالا . فكان في هامها الشتاء وفي عتها

الربيع وفي قلبها الخريف ونحت اقدامها الصيف

والبحر من وراء ذلك يمدجها بعين الزرقاء

فترده صخورها الصماء فيعود راغيا وجدا مزبدا

حقدا يدفع سابق موجه الملاحق انكسارا كما

انهزم الجيش فارتدت طلائع الساقة فرارا

فتلك هي الحياة لا ما انتقت في الطلب

وما صرفت في التعب بين مداح تدنيه وتخشا

ومناج تخاف غصبة ولا تأمن رضاه والاف

رأى اللوم راعه وسكن اذا اودعته القلب اضاعه

وبين ذلك تمالك وانقباض وصد واعراض

ودلال وهجر وملال وغدر وصحة بالمحادثة

وفواء بالمداخلة وشفاء لاصلة بينها وبين

يترتب عليهما من تنبه النفوس وارتناع المهم على

شرط ان لا يراد بهما الضرر ولا ينشأ عنهما

الخلل ولا ينتج منها فساد الاخلاق . وهو الحد

الذي لاشك في مروره بخاطر المصلحين من

رجال دولتنا العلية ايدها الله ولا ريب في

نشره بالقبول من لدن مولانا المعظم جعل

الله النصر رفيق لواء

عيشة الخلاء

وفي صيف عام ١٨٨١ تردد الى بعض قرى

لبنان طلب التنزه وتبديل الهواء ورغبة في

الاستشفاء ما كان ملها به من الاعتلال

فكان - وآسفاه عليه - يكتب فصول

البحرينة ومطالبا وخبارها في

رعي لبنان ويرسلها الى الادارة

فكتب اثناء تلك الفترة

القطعة الآتية

قال

لقد سكن الهواء وفتر الماء ووقعت سهام

الشمس على الرأس وثقلت وطأة الليل على

النفس فما اطلأب الهناء سوى الخلاء وما

لاخوان الصفاء غير الفضاء . فاهجر هواجر

الحواضر وذرم فاسد المحاشد وسرني بسرب

الاداب وصحب اولي الالباب نلتبس في الجبال

نسما بليلا وفي الاودية ظلا ظليلا ولا نتبع

بنا العربية سارية على عجل بين السهل والجبل

فانك ان ادركت اثارها لم تأمن غبارها

ولا تفر وراء الفرس بركضه القبي خبا

فيسحب قوائمه نعا . فانك لم تجد ثم رفيقا يكون

بنفسك رفيقا بل انفرد بالخاطر تطلعه اطلاق

والاسعاد وتغيير هيئة البلاد . وفيكم من وجه
 اخر فتيان ملء قلوبهم الغيرة الوطنية وملء
 نفوسهم حب الانسانية . وكهول ملء اذهانهم
 الحكمة وملء افكارهم الاخبار . فانتهم لا عدتم
 موضع آمال سورية . وانتم حجة قابليتها للنجاح
 في كل حال واذا حصلت القابلية لم يبق الا
 الارادة وهي حاصلة لا محال . وكيف لا توجد
 الارادة في مثل قلوبكم المضطربة بنار الغيرة
 وفي مثل نفوسكم الملهبة بضرام الحمية . . (الى
 ان قال خطاباً لرأس الحضرة) فبأذنك مولاي
 وبارادتك سادتي ابشر سورية باصلاح قريب
 وفوز مبين تخرج به من الضعف الى القوة
 وتنقل من الهرم الى الفتوة وتعيد ماضي بهائمها
 وترد بهائمها مائماً . . وعلى اعتقاد ما بشرت
 ويقين ما املت ارفع الكاس على سر آمال
 الوطن . على سر من تنتهي اليه تلك الآمال
 انتهاء الخطوط الى المركز على سر مولاي
 حمدي باشا

قال

فتفضل ايده الله باظهار الرضى والامتنان
 بالفاظ كريمة تدخل الاذان بلا استئذان .
 ثم انفضت المائدة وخرج والي الولاية اعزّه
 الله بعد الاستراحة شاكرًا لصاحب المنزل
 الوجه ما لقي فيه مما لا يخلف في كماله اثنان
 وما اثبتة التواتر في ثغرنا حتى صار في جد
 العيان

وكتب في

مصر

ما تكرر ذكر بلد من الشرق في مجالس

الذائر والسنة لا علاقة لها مع السرائر وعميون
 لا تشف عن القلوب واخوان فيما لا يس
 الجيوب ودهان واجلال واعظام ورياء
 واكرام واحشام
 ابقاه الانام عذب ولكن

كدرته مؤنة الاحشام

فاغنم هذه الاوريفات قبل انهدام اللذات
 فانزمان يومان ماضي لا يرد وحاضر لا يعلم
 له غد فاذا ذكر امسك الذي فات ووات يومك
 قبل الفوات

وقال من خطبة القاها في مأدبة اعدتها حضرة
 الوجه الخواجا جرجس التويني في قرية
 عاليه من جبل لبنان دعا اليها والي
 سورية المتوفي حمدي باشا وكان
 الفقيه من حضورها

فقال

لو نهجت منهج الشعراء لقلت هذه سماء طلع
 بها البدر مخفوفًا بالنجوم ولو نزعت مترع
 قدماء الحكماء لقلت هذه الحكمة من حولها الحور
 ولكني حسبي المشرب فاننا انظر الى هذه الحضرة
 بعين رأسي لا بعين الخيال . فهي حضرة آمال
 سورية . اجل ففيكم يا سادتي اهل الحل
 والعقد والنهي والامر والنقض والابرار الذين
 يستطيعون احياء موات الهمم ورد فوات
 النعم وفيكم اهل الفضل والعلم والمعرفة والذكاء
 الذين يقوون على بث انوار العلوم ونشر
 الموية العرفان وتبديد ظلمات الجهالة ورد
 غارات الغباوة . وفيكم اهل الثروة والجاه
 والكرم والسطوة الذين يقدررون على المساعدة

منتخبات التقدم

(للمرة الثالثة)

قال في وفاة

غيمينا

هو المقدم السياسي الخطيب افرنساوي
الذائع الصيت ليون غيمينا . ولد بكاهور آخر
تشرين الاول عام ١٨٢٨ في بيت جنوبي
(ايطالي) وقرأ علم القوانين فبلغ فيه المقام
الاعلى وكان له في الامتحان التقدم المعلن فقبل
في مجمع المحامين بباريس عام ١٨٥٢ فظهرت
هناك نيابته وعرفت في الشطابة فصاحة واشتهر
بالجراة في الهامة عن ارباب الفضايا السياسية
بالعاصمة والولايات . خصوصاً في دعوى ديلة
الامبراطور على الذين لم يخشوه في دعوة الناس
الى اقامة تمثال للناب بردين عام ١٨٦٨ وفي
دعوى تلك الدواة على جريدة (امنسيبايون)
وفي غيرها من الدعاوي السياسية نظارت
بذلك شهرته ونظمت في القلوب منزله واشتهر
بكونه عدو الامبراطورية الالدية شمع للنيابة
في باريس ومرسيلية عام ١٨٦٩ وان منافسوه
فيها من عظماء الرجال ومع ذلك اجتمعت
له الاكثرية في المدينتين فظهر في باريس
على الموسر كارنو وفي مرسيلية على تيارس
ودلسبس والماركيز دي برتلماي . ولكن اعلى
جسمة في تلك الايام فانقطع عن مجلس النواب
حيناً ثم عاودته العافية فعاد اليه والتزم معارضة
الدواة في اقواء وآرائه بلا اكتنام ولا حذر
واشتهر بخطبه العندة في تلك المعارضة ولا سيما
خطبه التي نكر فيها الحجز على هنري رشفور

نواب الغرب وما كثر تحدث الجرائد الاوروبية
في امره الا داخلني من الخوف عليه ما لا اعلم
له سراً ولا استطيع فيه بياناً كأنما انا آخذ في
ذلك بقول القائل

وخمول ذكرك في الحياة سلامة

ودهاك من امسى الذكرك ناشراً

بل سر هذا الخوف اني ما سمعت رجال
سياسة الغرب يلهمون بذكر مملكة شرقية
سؤالاً عن احوالها او بياناً لشؤونها او اهتماماً
بامورها الا رأيت فيها نلوا كلامهم نوازل
تخرج الصدور ومشاكل تذهل الافكار
واموراً لا اكاد احصرها اولها مزعج واخرها
ولقد رأيت مصر في هذه الايام موضوع
نظر في مجلس نواب الانكليز يسألون عن
احوال عسكرها وجسدين خيفة من قصد
الزيادة فيه وتجيهم الدولة بما تعود اهل السياسة
من الاتهام والايهام ثم رأيتها مكان بحث وموضوع
اهتمام في جرائدهم تروي حكاية ما وقع من
جندها مما اوجب ابدال ناظر الجهادية وتشفع
بما يلائم المشارب على اختلافها من الشرح والتأويل .
ومصر . ولا حياء في الحب . بلد تركت فيه
زهرة ايام الشباب وخلفت باكورة غرس
الاداب وهزئت غصن الاماني رطيباً ولبست
ثوب الامال قشياً فما عدلت بي عن حبها النكبة
ولا انستني عهدا الغربية ولست اول محب
زاده البعد وجدا ولم ينكث على الصد عهداً فبا
رعى الله مصرًا والسلام على مصر

وياحبذا مصر على الصد والهجر

فحذار اهل مصر ان العدو لكم بالمرصاد

وانكم لمخفونون بالعيون والارصاد

وهو من آيات البلاغة في رثاء الوطن والبحث على ادراك الثأر . ومنشوره الذي يطلب فيه اجتماع الحرس الوطني على نفقة الولايات لانقاذ البلاد من محالب الفاتحين . ومن تلك الاعمال العظيمة انه افترض من تجار الانكليز (وبلاده في احوال تلك الاحوال) مائتين وخمسين مليوناً فرنكاً . وفضلاً مجالس الولايات مع كثرة مخالفته في هذا الشأن ولم تثبت العساكر وجيش من بقاياها جيوشاً . ولما قضى الجوع بتسليم باريس اصدر مرسوماً بحرمان بعض الامبراطوريين من حق الانتخاب فعارضته حكومة الدفاع في ذلك وامرت بالغاء المرسوم فبقي على المخالفة حتى اتاه الموسيوجول سيمون وكان من اعضاء تلك الحكومة مأموراً بانفاذ الامر فاعتزل صاحب الترجمة مناصبه ترفعاً عن قبول ما يخالف رأيه المذكور . وحيث انه هاجت عليه الاحقاد والضغائن واتسعت السن الطاعنين فيه فاخذته العزة في التبرؤ ما كانوا ينهونه به فاعرض عنهم انفة واستخفاً فنطقت اراء الامة ببرأيه في دوائر الانتخاب وكانت له الاكثرية الغالبة في كثير من البلدان ولا سيما التي خيف عليها من الوقوع في يد الالمان فانتهى للنيابة عن ولاية (بارين) باكثر من ٥٦ الف رأي وعن ولاية (هورين) بنحو ٥٣ الفاً وعن (موزيل) بنحو ٥٢ الفاً وعن (مورت) باكثر من ٤٧ الفاً وعن (بوش دورون) بنحو ٦٣ الفاً . وانتخب ايضاً في ولاية (سين اسيز) وفي الجزائر واوران فاختر النيابة عن (بارين) على علم بان دخولها في حوزة الالمان يخرجها من مجلس النواب فلما وقع هذا المجدور جدد له

في سابع شباط عام ٧٠ (وكان رشفور عاملاً من النواب) وخطبته التي اعترض فيها على جنوح الامبراطور الى جمع آراء الامة على الحرب في خامس نيسان من ذلك العام . ثم وقعت الحرب ولم يكن صاحب الترجمة من الراضين بها فالتمز العزلة ولم يشترك في الثورة التي نشأت وقتئذ عن اختلال الاحوال الى ان كان يوم سيدان المشهور الذي ائبل فيه عرش الامبراطورية فعرف حمل غمنا في الهيئة الجمهورية فانتهى في رابع ايلول عضواً من اعضاء الجمعية المؤقتة التي سميت بحكومة الدفاع الوطني ومن الغدعين وزيراً للداخلية . ثم توغل الالمان في بلاد الفرنسيين حتى صارت باريس على خطر الحصار وتبين ان الرسل الذين بعثتهم الحكومة الى (تور) لتوفير اسباب الدفاع لم يكونوا كفواً لذلك فعن لغمنا ان يسير بنفسه اليهم وكانت الطرق مأخوذة فطار في قبة الهواء من فوق بنادق الاعداء حتى وقع في (تور) فاخذ في احياء الهمم وبعث روحه في تلك البلاد منها انحاء متفانية على السعي والاجتهاد ناضجاً وحده بالمهمات غير منهية من التبعات ضابطاً بيده القوية زمام الداخلية والعسكرية والمالية مشاركاً في كل نوع من الاحكام والتدابير غير ذاهل عن سوق العساكر وحركات القتال متفلاً في البلاد والقرى ساهراً لا يأخذه نوم ملتجئاً بالغيرة لا بعثرية فتور اربعة اعوام . وقد صدر عنه في خلال هذه المدة منشورات غراء تذكر اعمال عظيمة لا تنكر من ذلك منشوره الذي يخبر قومه فيه بتسليم قلعة متس وخيانة القائد بازين

الانتخاب في ولاية السين وولاية وار وولاية
بوش دورون

وكانت الجمهورية وقتئذ في حالة الضعف بما
كان محدقاً بها من المشاكل الخارجية والنوازل
الداخلية . تلحظها دولة الالمان بعين العداوة
وتنظر اليها سائر الدول الملكية نظرة الخوف
ويكيد لها اعداؤها من الامبراطوريين كيداً
عظيماً وكان رئيسها من الذين لم يقبلوا الحكم
الجمهوري الا اضطراراً فتألفت دولته من
بقايا الاورليانيين ومن ذوي التردد الذين
لا يرومون استيفاء الجمهورية الا بمقدار ما
يتعذر الرجوع الى الملكية فاشتد بذلك هياج
الغلاة وكثرت وقود الفتنة فصره صاحب
الترجمة اضرام نارها في النفوس فالتزم التجلد
والاعتدال في مقاومة الدولة وانشأ بهذا القصد
جريدة المعروفة المسماة (لاربوبليك فرنسيز)
فصدرت على احسن وجه من الشدة في غير
عنف والرق في غير ضعف وكان صدورها في
الخامس من شهر تشرين الثاني ١٨٧١

ثم وسدت رئاسة الجمهورية الى المارشال
مكاهون وكان اخصاؤه ورجال بطائمه وادل
مشورته من اولياء الامبراطورية فنشطوا
لاحياءها من كل صوب وسلحوا الى ذلك
القصد كل سبيل حتي اوشكت الجمهورية ان
تصير على خطر منهم فخرج غمبتا عن حد
الاعتدال في المقال وبذل الجهد في معارضة
ذلك الحال وصاح بمكاهون للامة الامر فلا
بد من الامتنال او الاعتزال فهاجت باقواله
خاطر الجمهوريين وانقدت في قلوبهم نار
الغضب وكبر الامر على المارشال فجعل صاحب

الترجمة تحت المحاكمة ورسم بنص مجلس النواب
على امل ان يكون الانتخاب الجديد محققاً
لما يريد فسار غمبتا من العاصمة بضرب في
البلاد ويطوف بمجامع المنتخبين ويحيي الهمم
في النفوس خاطباً داعياً لتأييد الجمهورية
في كل مكان لا يكل له لسان ولا يضعف له
بيان حتى اتحدت كلمة الجمهوريين فحصلت لها
اكثرية الثلثاثة والخمسة والستين فاعتزل
مكاهون الرئاسة ووليها الموسيو غريفي في
٢٠ كانون الثاني عام ١٨٧٢ وانتخب غمبتا
لرئاسة مجلس النواب وولاه حزب الاتحاد
الجمهوري زعاماتهم وكان في الواقع هو المنفذ
للجمهورية من مكائد الاحزاب الامبراطورية
ولما صار غمبتا رئيس النواب علت مكانته
علواً كبيراً وبات هو المشار اليه بالبنان
فكثر حاسدوه والخائفون من استبداده بالامر
لما يعهد به من علو الهمة وكبر النفس فاخذته
السنة الناقدون وقصدته افلام الظالمين
انه مستأثر بالامر سرّاً وان كان الحكم افي
الظاهر بيد الوزراء وانه يتصرف في البلاد بما
نقضيه ارادته ويدير سياسة الدولة على محور
هواه . وعاداه الغلاة من اهل الحرية كما
كانت تعاديه احزاب الملكية ونصراء الكهنوت
ثم اتحد اعداؤه من جميع الاحزاب على الجأء
للقيام بالامر جهاراً علماً منهم بان الاحكام
تختلج دياجة الرجال فدافعهم عن نفسه
دفاعاً طويلاً وبقي على رئاسة النواب عزيز
الجانب قابضاً على زمام الاكثرية الحاكمة
حق عظمت من اخذته الناس اليه على تخوفه من
القيام بالامر وتوالي انقلاب الوزارات الفرنسية

لامتناع حصولها على الاكثرية في مجلس النواب
فاضطر غمينا لقبول رئاسة الوزراء فتألفت
وزارته اوائل تشرين الثاني عام ١٨٨١
وسميت بالوزارة الكبيرة

وكان من اعماله المذكورة وهو على رئاسة
مجلس النواب خطبته في شربور يوم استعراض
البوارج الفرنسية فانه عرض في تلك الخطبة
بقوة الجيش الفرنسي وما عليه من الواجبات
حتى رمي باظهار الرغبة في استجاشة النفوس
لادراك الثأر من الالمان فتناقلت جرائدهم
تلك الخطبة وهامت من تأويلها في كل واد
فاشتغلت بها الافكار وقتاً طويلاً . ومن
تلك الاعمال خطبته التي استمال بها آراء
النواب الى العفو المطلق عن المحكوم عليهم
بالجنايات السياسية من الاباحية وغيرهم من
الغلاة بعد اذ كانت الكثير منهم على ضد
ذلك الرأي . ومنها سعيه في تقرير التعليم
الازامي المجاني واهتمامه بتعديل القانون العسكري
وغير ذلك من الامور الخطيرة . ويقال انه
كان شديد الرغبة في الحملة التونسية وانه
كان قوي الميل الى مشاركة الانكليز في الحملة
على مصر

ولما انتهت الوزارة اليه انفجرت براكين
العداوات عليه واتسعت السنة اعدائه وحساده
بما ضاقت به صدورهم من الضغائن والاحن
ورأى من مجلس النواب فنوراً عن الاخذ
بناصره وترددت في قبول ارائه السياسية كما
وجدت فاراد ان ييلوهم ليكون على بينة من
الامر فيحكم قوياً او يعتدل سويًا فذاكرهم في
فض المجلس لتغيير كيفية الانتخاب فاجتمعت

اكثرينهم على ضد هذا الرأي ايثاراً للبقاء في
النيابة فاستقال صاحب الترجمة من الوزارة
قبل مضي شهرين على انتهائها اليه فلم يبدُ من
آثار سياسته في تلك المدة القصيرة غير القليل
الذي لا يذكر في جنب كثرة المنوي على انه
اجتهد في اتمام الحملة التونسية واعداد قانون
جديد للمعاشم والجندي ولو اتى عليه في الوزارة
شهر اخر لما انفردت انكادته في الحملة المصرية
ثم عاد الى مقامه بين نواب الشمال اوخر
كانون الثاني عام ١٨٨٢ ملتزماً فيه الثاني
والاعتدال ساعياً في التأليف بين الاحزاب
الجمهوريه لتأييد آرائهم بالاتحاد مراقباً اعمال
الدولة بعين الناقد البصير مدافعاً عن نفسه
متبرئاً من مؤاخذات اعدائه بما اشتهر به من
حسن البيان حتى اصيب منذ شهر تقريباً
برصاصة رولفير في احدى يديه . قيل كان
يصلح الغدارة محشوة فانطلقت عليه اتفاقاً وقيل
اطاقتها يد خلية سامها هجراً وقرأت فالمه ذلك
الجرح اياماً وما كاد يشفى منه حتى ظهرت فيه
علة التقرّح في الامعاء فكانت هي القاضية

وكان الرجل اسمر اللون ربة ديجوري
الشعر الا ما داخله من خيوط صبح الشيب
مكتنزاً عظيم الامتلاء قريباً من تمام السن
(في اعمامه الاخيرة) مصاباً باحدى عينييه يجعل
مكانها عينا زجاجاً فلا تكاد تفرق عن العين
الصحيحة على انه كان في مقلته الواحدة كهرباء
مئات من العيون ولا سيما في مواقف الخطابة
حيث يتكلم تنتبعث روحه من فيه ومن عينييه
وباشارات يديه . وكان فيما يقال نهماً بحب
الطعام والمداوم وما وراءها من اسرار الليل

الآن ان النهضة لم تشغل البتة عن الواجبات الوطنية بل كان فيها على ما قال . من استعمال وقته كله قدر على كل ما يريد . فهو في ذلك مشابه لابن سينا الذي كان مع رغبته في (الحياة العريضة القصيرة) من آيات الوجود في سعة الاطلاع وكثرة الآثار . ووجه الشبه بينه وبين ميرابو خطيب الثورة اقرب فقد كان ميرابو يصل النهار بالليل سعياً في الامور الجسم ثم يصل الليل بالنهار انهماكاً في الصباية والمداوم وكان غميتاً فيما يزعمون يصرف نهاره بالمجد والاهتمام ويميل مع هوى النفس تحت حنج الظلام . وكان ذاك خريصاً على قضاء الشهوات مع الحرص على قضاء الواجبات ولم يكن هذا من تلهم النهضة عن اداء حق الخدمة والاول هو المظهر للثورة الفرنسية بنات جنائز وطلاقة لسانه والثاني هو المؤيد للجمهورية بحسن بيانه وقوة برهانه . وقد كان ميرابو خطيباً قوي المعارضة في المعارضة جمهوري الصوت جهيراً تلتهب روحه بالكلام كما تذوب الشعبة في الضياء وكان غميتاً خطيباً شديد البادرة في المناظرة هائل الصوت عظيم الخلق تجسم روحه في المقال كما يتجسم النصور في الخيال . ومات ذاك وقد ابد الثورة ووفي حقها عليه فلم يبقَ بها من حاجة اليه بل كانت من قوة شوكته على خطر ومات هذا وقد رفع منار الجمهورية وقام لها بواجب الخدمة فلم يعد بقاؤها متعلقاً بوجوده بل صار اولياؤها منه على حذر . والرجلان من آيات الله في الخلق بلاغة وعزماً وإقداماً وحزماً فتبارك الخالق العظيم

ولا تتوسع الآن في الكشف عن اراء صاحب الترجمة وبيان طريقته السياسية في الامور الداخلية والخارجية وما تم له من ذلك وما تعذر عليه وما يعز من بعده وما يمكن الوصول اليه فذلك ما يفرد له فصل برأسه بل فصول . ولا نزيد في وصفه خطيباً مقدماً على ما اوردته التقديم من قبل حيث قال . هو الفائل للامبراطور انت العدو اللدود لم يخش نسه منشئاً اظفاره في القلوب حاجباً بجناحيه اشعة الانوار عن البصائر والابصار . الراقى بمركبة الهوام رسولاً الى حاميه الفلاح لم يحذر بنادق العدو وهي موجهة اليه مطلقة عليه . الصائح بالمارشال مكاهون وقد اراد بالدولة شراً لا بد من الامثال او الاعتزال الصادع بما امرته الوطنية ابان الانتخاب . الجامع لكلمة اهل الجمهورية على اختلاف الشيع والاحزاب الفائل غير تارك لاحد مقالاً الفاعل غير مبق لناقد مجالاً . الخطيب الذي تهتز له المنابر وتنقاد اليه كلمات السحرة متسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض . يقف وقد احدثت به الابصار وحوّمت عليه الافكار تلثم من مطعناً وممل اعتراض فيجبل عينه (الكريمة) فيهم ويلقي على المنبر يسراه ويرفع اليهم يمينه وقد سكن المتحركون وسكت المتكلمون وانصت المتغفغون فيتدفق بالكلام تدفق السيل ما بين الجبلين وقد صار المعترض مردياً والناظر اليئاً والعدو صديقاً فما سمعنا قبله الرعد ناطقاً ولا رأينا الليث متكلماً ولا شهدنا الجبل متحركاً ولا انحصر البحر في منبر نسمع منه حركة هياجه وتبصر فيه نلاطم امواجه . والله في

المخلوق آيات

وقد توفي صاحب الترجمة اول العام
الجديد وكان الاحتفال بجهته على نفقة الدولة
في السادس من الشهر وذهب مأسوفاً عليه في
قومه مذكوراً عند سائر الاقوام فانه كان في
عنوان العمر وقوة الحياة

وكنت لو ظال فيها عمره سنة

اقول للدهر اترخ مات غمينا

وما كتب في غمينا بعد ذلك قوله بعنوان

مظاهر الرجال

ان رزء فرنسا بغمينا لرزء عظيم فقد
كان الرجل مقدماً نافذ الكلمة قوي الحزب
واسع الاطلاع على الاحوال الاوربية بصيراً
بامور السياسة الداخلية شديد الحب لوطنه
يجراً على الاعمال العظيمة ولا يتهيب التبعات
وهي من الصفات اللازمة الضرورية في الذين
يتولون امور السياسة فمن وجدت فيه كان
هو الفعّال ومن تجرد عنها لم يكن الا قوّالاً
وان جمع سائر ما ذكرنا لغمينا من الصفات

ولكن الرزء بالرجل الواحد وان كان
عظيماً لا يؤثر في البلاد الحرة التي لا تفقد
فيها الافكار ولا تنجب مظاهر النفوس ولا
يتوقف ظهور القدر على اقبال بعض الناس كما
تؤثر في البلاد المقيدة التي تقتصر فيها قوى
الجمهور بالافراد وتجنّب ارادات الكل
بالاحاد فان العطاء من الرجال لا يظهرون في
مثل هذه البلاد الا مع طول الاختبار الموجب
لحصول الثقة التامة من جانب صاحب الامر
فلا يكون للرجل منهم ظهور الا اذا انعطف

الامر اليه ولا يحصل هذا الانعطاف الا بعد
الانحراف عن الرجل السابق الا في النادر
الذي لا يقاس عليه فظهور احد الرجال في
تلك البلاد لا يكون الا بحفناء من تقدمه على
حد قولهم مانع احد من قبيلة مجيد الا ذهب من كان
قبلة وانشدوا

اذا مقرر من ذرا حد نايو

تخط منا ناب آخر مقرر

وليس الامر كذلك في البلاد الحرة فان
الحوادث هي التي تظهر الرجال في تلك البلاد
وقد اتت الثورة على بلاد الفرنسيين وليس بها
احد من الرجال المعروفين فظهر فيهم
السياسيون الذين حيروا الافكار والخطباء
الذين سحروا الالباب والقادة الذين ردوا
مالك اوربا المتخالفة بالدهشة والخذلان
ولولا تلك الثورة لما ظهر ميرابو ولا كاتون
ولا روبسيار . ولولاها لما عرف كلبر ولا
بونابارت

نعم ان الاختبار ومعاناة الاعمال في رجال
السياسة الزم منه في رجال الخطابة والقتال
ولكن اشتراك الامم في سياسات الممالك قد
وسع لافرادهم هيال الافكار ويسر لهم اسباب
الاختبار فكثير فيهم العارفون بالامور
القادرون على النهوض باعباء السياسة المبصرون
لما وراء حجب المواربة وناهيك بما في اصحاب
جرائدهم المهمة من اصالة الرأي وحسن النقد
وسعة العلم باحوال الدول . فليست معاناة
الامور لازمة في ظهور رجال السياسة منهم
لزومها في ظهورهم بين الذين كانت السياسة
فيهم طريقة لا يصل الى الحقيقة منها الا من

واحكامها وتدابيرها المالية والعسكرية وما يلحق بكل ذلك من توزيع الاشغال وتأيد العدل وحفظ الثروة وصيانة القوة . والاخر يتعلق بالامور الخارجية وهو مبني على سياسات الدول وتدابيرها العمومية وما يتبع ذلك من المحالفة والمخالفة والمبالاة والمعاداة والمسالمة والحاربة ولا يسع المقام ايضاح سياسة غمبتا في القسمين جميعاً بما فيها من الابواب والفصول فمن لذلك نقتصر في هذا المطلب على بيان سياسات الخارجية من بعض الوجوه وموعدها في ايضاح القسم الاول سنوح الفرصة واتساع المجال وقد كانت الغاية المقصودة بالذات في

سياسة غمبتا الخارجية اعادة فرنسا الى مقامها السابق في عالم السياسة من طريق مخالفة الدول الغربية ولا سيما دولة انكلترا

وقد اتى على فرنسا بعد الحرب الالمانية حين من الدهر لم يكن لها في الدول الاوربية نصير يستعان ولا خليل يؤمن في غير الزمان بل كانت الروسية والمانيا واوستريا على وفاق واتحاد وكانت ايطاليا منفردة عن فرنسا - كما يعرف المستقوي بعد الضعف عن كان سبباً في قوته فراراً من ثقل الامتنان - وكانت انكلترا معتصمة بحبال منافعها مستوثقة بعري مصالحها محافظة على الأثرة في كل شأن فغدت فرنسا منفردة تحالف فيها الناس والزمان فكانوا حيث كان والانفراد في السياسة ضرب من الخذلان . فلما سقطت وزارة بيكسنيل في انكلترا وقامت مكانها وزارة اهل الحرية واعرضت دول الشمال عن دولة ايطاليا فلم يدخلها في المحالفة الثلاثية ففتح لفرنسا باب

تقرب من حضرة الامر وتم له الكشف عن غواض اسرارها وحصل في مرتبة الفناء بوجودها فان لم يكن كذلك رده مقتضى الحال بمثل قول من قال
أثبت بيوتاً لم تنل من ظهورها

واصابها عن قرع مثلك سدت

فموت غمبتا والحالة هذه في امة الفرنسيين لا يضعف قوة الجمهورية ولا يفسد تدابيرها السياسية ولا ينقص من عسكريتها جندياً ولا يضع من برنامجها سنتياً ولا يمنع من ان تكون في مقدمة الدول الاوربية غنى في الرجال والمال

نعم ان وفاة هذا الرجل تؤثر على الغالب في طريقة السياسة الفرنسية بالنظر الى الشرق فتصير ان شاء الله الى مودة الدولة العلية اقرب ومصالحها العمومية احفظ وعن ترك مخالفتها ابعد ولكن هذا يجلب لنا السرور ولا يوجب الكدر بشئ للامة الفرنسية

ولقد سرنا ما رأينا من انصاف جريئة (الوقت) التركية الغراء في تأيين غمبتا وذكر مناقب السياسية بعد الاشارة الى ماضي له من المخالفة للسياسة العثمانية . وهذا دليل على حصول حرية النقد لجرائدنا الخطيرة من مكابر سيدنا وولانا المعظم وحرية النقد مؤدية الى العدل والانصاف

ثم قال في

سياسة غمبتا

السياسة عند اربابها قسمان كليان احدها يتعلق بالامور الداخلية وهو مختص باحوال المملكة

معتمداً في القيام بتكاليفها على ثروة الامة وغنى الدولة لينتقم على المانيا هجراته في هذا السيل على ما بها من عجب المال وسوء الحال فتضعف من حيث تلتمس القوة ولا تقوى على الصبر فما يمر غير زمن قليل حتى يمتنع بقاءها على تلك الحال فتلتبس منه مخرجاً فيكون ذلك مدخلاً للدولة الفرنسية فيما تريد

وكان غمبتا مناصراً اليونان فيما اقترحوه على الدولة العلية بعد حرب الروس ومؤتمر برلين حتى قيل انه ارسل اليهم نقرأ من قادة الفرنسيين لتعليم عساكرهم اساليب الحرب وانه اعانهم على شراء كثير من البنادق من معامل الدولة الفرنسية (وكان ذلك موضوع جدال عنيف للغاية في مجلس نواب الفرنسيين) وقد بدا منه غير ذلك ما يشعر بمخافة الدولة العلية ولا سيما في مسألة مصر ولكن لم نعلم حقيقة قصده بهذه المخالفة التي هي على ضد موجب التقليد القديم والمصلحة الظاهرة في السياسة الفرنسية الا ان يقال انه اراد بها احياء الفتنة في مسألة الشرق لتلهو بها الدول الشمالية وفيهم دولة المانيا فتتوسل فرنسا بذلك لما تنصور من الانتقام

وهنا يرد علينا ان رأي استرجاع الانزاس واللورين وإدراك الثأر من المانيا غير مخصوص بغمبتا من دون سائر الفرنسيين فلا تصح نسبة اليه ولكن هذا الاعتراض غير مصادف محلاً ما نحن فيه فانا لم نفل بسلامة الاختراع في سياسة غمبتا الخارجية ليوخذ علينا هذا القول ولم نجعل عموم رأي الانتقام في امة الفرنسيين ليرد على قولنا ذلك الاعتراض وانما ذكرناه في

الامل في محالفة هاتين الدولتين فانصرفت همه غمبتا الى هذا القصد فوائق انكثره على موافقتها في السياسة المصرية متوسلاً بذلك لمخالفتها في سائر المهمات السياسية واظهر لايطاليا رغبته في اتحاد دول الغرب فصار كثير من رجالها على هذا الرأي ثم رزمت الروسية بالاسكندر الثاني فانهتى الامر الى القيصر المالك الآن (وهو ذو ضلع معروف مع الامة الفرنسية) فانفتح لغمبتا باب الرجاء بنقض المعاهدة الثلاثية وجاءت الحوادث وفاق ما مولو فصارت المعاهدة المذكورة مشنوية بين المانيا واوستريا وغدت الروسية منفردة عنها محاذرة منها فاستمالها غمبتا الى دولته ما استطاع فكان لفرنسا في اوربا ثلاثة حلفاء اقوياء حليف نعتقد مودته واخر ترجو موازنته وثالث تأمن معارضته فخرجت بذلك من هاوية الخذلان

ولا ريب ان غمبتا كان من اشد قومه رغبة في استرجاع الانزاس واللورين ومن اضعفهم صبراً عن ادراك الثأر من الالمان ولكن قد وهم الذين رموه بالميل الى مجاهرهم بالحرب ابتداء فانه كان غمبياً عاقلاً لا يذهل عن حواقب الامور ولا يخفى عنه ان قوة فرنسا العسكرية وان كانت كافية في رد هجمات العدو الا انها غير وافية بالهجوم عليه ولذلك لم يخطر ببال غمبتا مهاجمة الدولة الالمانية وانما كان همه اضعاف قوتها بتبديد ثروتها لتعجز عن تكاليف الجنود فتفقد قوتها العسكرية او تكون هي البادية بالحرب فكان يجد في تكثير الجنود الفرنسية وتوفير آلات القتال

العساكر الفرنسية في موافقتها وأنكثرت في الحملة المصرية وعسى أن يكون كره شيئاً وهو خير لفرنسا ومصر معاً

مباحث في الجرائد

المبحث الأول في الجريدة من حيث هي
(جد وتاريخ)

الجريدة لنظراً أطلق اصطلاحاً على الصحيفة المفردة أو الصفائف المصحفة تطبع في اوقات معينة مشتملة على انباء واره ومباحث من السياسة او الادب او العلم او منهن جمعاء . وليس لهذا اللفظ في اصول اللغة من معنى يتناول ذلك المفاد او يناسبه من وجه تصح به استعارته له . ولكن صفته الاسن بهذا فدل عليه واشتهر به حتى صار العدول عنه الى سواء خروجاً عن المشهور ومخالفة للجهور فما الجريدة في اللغة الا الطائفة من الخيل جردت عنها لوجه او لم يكن بها رجاله او السعفة الطويلة رطبة وباسية ولم تأت بمعنى الدرج المكتوب او صحيفة الحساب الا في اقوال بعض الموابدين . فاشتهارها بالمفاد الذي تقدم ابضاحه مع بعض ما بينه وبين معانيها الاصلية بدل على ان الاصطلاح غالب وان وضع الاسماء للمسميات الجديدة على نحو ما اشار اليه صاحبنا الاديب الفاضل سعيد افندي الشرنوبني في البشير مطلب غير بعيد على اهل هذه اللغة طلبوه باسبابه ودخلوه من ابوابه

واسم الجريدة عند الافرنج « غزنا » او « جرنال » وهما كاسمها العربي من حيث عدم

الكلام على سياسة غيبنا اختصاصاً لثلاثة وجوه تميزه فيه عما سواه . الاول ان غيبنا كان في مقدمة المجاهرين بهذا الرأي كما تدل على ذلك اقواله ولا سيما خطبته في شربور . والثاني انه كان يسلك اليه سبيلاً مخصوصاً به معلوماً . والثالث انه كان على يقين من امكان اخراجه الى عالم الفعل في وقت قريب على خلاف ما يظنه كثير من رجال السياسة الفرنسية . وفصلاً عن كل ذلك فانه كان جريئاً مقدماً لا يبالي بظواهر الاخطار واهل الجراءة والاقدام الحقيق في الناس غير كثير

وما يجهل احد من الناظرين في المسألة المصرية ان غيبنا كان من نصراء التدخل الاجنبي ومن اعداء الحزب الوطني في مصر بل كان لا يعتقد بوجود هذا الحزب فيها يدل على ذلك تأييده للمسيو دبلنيار وغيره من انصار التدخل كما ثبتت سعيه في عزل البارون دي رنك فحصل دوائه الاسبق في مصر ويظهره كلام احزابه في مجلس نواب فرنسا كما توضحه اقوال جريدته المعروفة (لاروبليك فرنسيز) ومن اجل ذلك بقي على موافقة انكثرت في سياستها المصرية من يوم تشكيل الوزارة المختلطة الى يوم اطلاق المدافع على ثغر الاسكندرية فلم يتردد في اضاء البلاغ الذي اصدرته انكثرت وفرنسا الى النظارة العراقية والعصبة العسكرية على صورة تشبه ان تكون انداراً بالحرب قيل انه كان هو المنشئ لذلك البلاغ ثم اعد فريقاً من الجيش لمشاركة الانكليز في الحلول بمصر ولكن خالفت في ذلك آراء نواب الامة فانقض الامر عليه وبقيت

فرنسا جرائد كثيرة من مثلها كجريدة «مركور» و«فيز» و«تريفو» وغيرها وكان أكثر هذه الجرائد الفرنسية خالية عن الأخبار والآراء السياسية مقصورة على مباحث من العلم والأدب لا يزداد فيها على استحسن كتاب وانتقاد آخر وإيراد شيء من الشعر واللطائف على سبيل المفاكهة فلم يكن بها لعامة الناس فائدة تذكر وإنما كانت الفائدة لذلك العهد في جرائد الانكليز فانها كانت تنشر أخبار السياسة وتعلن آراء العلماء وتلم بكل مبحث مهم لا تخاف دركاً ولا تبالي بأحد فيما لا يخالف أحكام القوانين . وكانت قوانين الانكليز من ذلك الحين عادلة

واستمرت الجرائد الفرنسية على ما أوضحناه من حالها تنطق بنفسها القول وتطلب مظان الزلفى الى ذوي المقامات العالية وإذا ارادت نشر نبأ من السياسة أو رأي في تدبير الأمور على تقدير ان تكون مأذوناً لها في ذلك - تعين عليها عرض ذلك النبأ أو هذا الرأي لدبوان المراقبة مكتوباً قبل الطبع ومطبوعاً قبل النشر فان أجاز لها إذاعته فعلت وإلا رمت به من حلق الى حيث كانت ترمي الحقائق فكانت بذلك آلة صماء يديرها القوي كيف شاء حتى انتقضت هاتيك الأحكام ونحوات تلك الأحوال ووضعت للدول أوائل هذه المئة قوانين أدنى الى العدل والحرية فنشطت الجرائد من عقالها وانطلقت متبارية في مجالها فكثرت عددها وعظم نفعا وتدرجت في مراتب الخطر وعلو الشأن حتى بلغت المقام الذي نراها فيه الآن وصار منها في بلادنا المحروسة

المناسبة بين معناها في اللغة وفي الاصطلاح فالغزنا ضرب من الدراهم كانت تباع به الجريدة في البندقية فسميت باسمه والجرنال معناه «اليومي» أي المنسوب الى اليوم ولا مناسبة بينه وبين مفاد الجريدة إلا ان يقال انه اطلق أولاً على الصحف اليومية من قبيل تسمية الشيء بما هو عليه ثم عممه الاصطلاح فعرفت به الجرائد يومية كانت أو غير يومية . وقد سى الأفرنج هذه الصحف بالصحف التي تصدر على شكل الكراسة في الأسبوع أو الأسبوعين أو الشهر مرة باسم يتضمن معنى «المراجعة» ولم نضع اسماً مخصوصاً بها وإنما قلنا جريدة الجرنان كما نقول جريدة الجوائب إلا ان أحرارنا كتاب اللغة التركية اصطلموا على تسميتها «مجموعة» ولا بأس من اتباعهم في هذا الاصطلاح

ولم تعرف الجرائد إلا في صدر المئة السابعة عشرة للميلاد ومن قال بوجودها منذ القديم في الصين أو غيرها من الممالك العبيدة فقد حكم بلا ثبت . وأول الجرائد المعروفة صحيفة «غزنا» وقد صدرت من البندقية بإيطاليا أوائل المئة المذكورة وكانت النسخة تباع بدرهم يقال له غزنا فسميت به وكان هذا الدرهم يساوي ستينين ونصف ستيم أي نحو خمس بارات ثم ظهرت في فرنسا لعهد لويس الثالث عشر جريدة كان الطبيب «رينودو» ينشر فيها الأخبار والأحاديث اليومية لتسليه مرضاه وإصحائه وصدرت من بعدها عام ١٦٦٣ جريدة علمية سميت «جرنال العلماء» فعظم اقبال الناس عليها فتلها في

اقامة الامور وتعين اوجه الفلاح وتهيج مسالك
الرباج وتبين خفايا الفساد وترشد الى طرق
السداد فيخافها المعتدون واهل الخيانة وتطيب
بها انفس الصادقين وذوي الصيانة

وما نستوي الجرائد في هذا الحد ولكنها
مختلفة الشؤون والاحوال باختلاف الاحكام
والعادات والحالات المدنية في مالِك الارض
فهي كالناس درجات بعضها فوق بعض .

على انها تتبع القوم في مسالك الترقى (على
القول بانها ترجمان الاراء) او ترشدهم الى
سبل التفسد (على القول بانها دليل الخواطر)
فتكون ماثلة لسوادهم الاعظم فيما هم عليه من
صلاح او فساد وعلم او جهل وكرامة او هوان
فاما رأيت الجرائد تعلو بها يظهر من فضلها
وتجمل بما يبدو من صدقها وثمر الخير لاصحابها
بما يترتب عليها من النفع العميم فتم قوم عرفوا
الحقيقة وسلكوا في شؤونهم اقوم طريقة واما
رأيها تعلو وهي بالسفالة احق وتسفل
وهي بالنباله اولى ولا ينظر في شأنها الى وجه
الحق والنضل فهناك قوم باعوا الهدى بالضلال
وانطى عليهم الخال

على ان الجرائد في المجلة نافعة الاثر
عظيمة الفائدة تظهر الحقائق او تكون دليلها
وتقرب المعارف او تمهد سبيلها وتروي اخبار
الاقطار قريبا والبعيد وتحمي اراء الناس
طائشا والسديد فتقرب مسافة ما بين البلدان
وتصل بين الخواطر والاذهان فان لم تكن
من اللاتي حصت لهن الحرية او كملت فيهن
المزية فلم تقل كل ما تعلم او لم تعلم كل ما
نقول فاقل ما فيها من النفع انها تجمع شتات

صحائف غير قليلة تكتب بالعربية والتركية
وسائر اللغات وكانت اول الجرائد العربية
جريدة الوقائع المصرية . واكثر بلداننا صحائف
اخبار دار السعادة العلية ثم بيروت ثم
الاسكندرية والقاهرة ثم ازمبر

المبحث الثاني

في احوال الجرائد وآثارها

تبين ما تقدم ان الجرائد كانت عند
نشأتها اضاحيك هازل يلهو بها امراء الناس
واغنياءهم في مغامس نعيمهم ثم صارت امدج
واهاجي للمؤلفين وتواشج واغاني للامراء واجيز
لبعضها نشر ما يتيسر من اخبار البلد وانباء
السياسة ولكن على شريطة ان تعرض لديوان
المراقبة فيخذف من انبائها ما شاء غير معارض
ولا معترض عليه فكانت الجرائد على هذه الحالة
آلة لكسب المال او ذريعة لنيل الآمال
لا يلتبس بها النفع الا لكتابتها ولا تقصد منها
الفائدة الا لاصحابها ولا يعبا فيها بالحقيقة
ما لم توافق « مقتضى الحال »

ثم طلع نور العلم والعدالة على ظلمات
الظلم والمجهالة فبددها واغار جيش الحقائق
والنباهة على عساكر الابطال والبلاهة فشردها
فجرت روائد الافكار وانطلقت جرائد الاخبار
تطلب مستودعات السرائر وتكشف اسرار
الضائير وتجلو اراء ذوي النقد وتظهر آراء
اهل الحل والعقد حتى عظم شأنها وعلا
وصارت هي الدليل على منزلة القوم من التمدن
والعرفان بين ابناء الزمان . ورأينا منها
صحائف تنطق بلسان الجمهور في الدعوة الى

الاخبار وتعلن آثار الافكار فتكفي المطالع مؤنة البحث والاستخبار

فان قيل ما فائدة الجرائد الناضجة الماتية المقصورة على حكاية حال او رواية خبر من غير نقد ولا بيان لوجه النفع والضرر وكيف لا يترتب الضرر على الصعائف التي تهيج الانفس وتبث الشحنة في القلوب وتوقظ القتين والحروب قلت اما هذه فهي فاسدة لا محالة على ان الضرر غير مترتب عليها بالمحصر وانما هي اللسان الناطق بالمشارب الكائنة في بعض الصدور فوجودها ينفع من هذه الخبيثة اي من حيث انها تظهر تلك الموبقات المخفية فيسهل التحرز منها ولا يضرب من وجه اخر لان الكلمة لا تؤثر في النفس الا بمقدار استعدادها للانفعال ومن كان سليم الذهن راشدا لا يستوي عنه الهدى والضلال . بل ربما كان نشفي ذوي الاحقاد والضغائن باقوال تلك الجرائد مانعا لهم من ارتكاب الشر فعلا حائلا بينهم وبين التستر في نصب المكائد والاشراك بدل على ذلك ما نراه من الفرق بين اعمال الفئانية في الروسية والاباحية في فرنسا فاولئك بقائلون الملوك ويفتكون بالامراء ويملاون قلوب سائر الناس خوفا وليس لهم جريدة منشورة وهؤلاء على كثرة جرائدهم نسمع منهم جمجمة ولا نرى طحنا . اما الجرائد القليلة المادة المقصورة على حكاية بعض الوقائع ورواية شيء من الانباء فلا تخلو من الفائدة التي ذكرنا ترتبها على جمع شتات الاخبار وهي اما ان تكون في قوم من الذين ترقوا في مراتب التمدن والمعارف والحرية فغايتها التفاء او الخفاء واما

ان يكون قوما من الذين يستخفون بآثار العلم وحاجات العقل ولا يقدرون الجرائد حق قدرها فلا تثير عاينها في القصور انها تنزل ما ينسجون او تنسج ما يغزلون . ولو رأيت منهم ما ينبغي لها من الاقبال وحسن الاشتغال لتزينت لم زينة العيد وبدت كل يوم بثوب من الحسن الجديد

المبحث الثالث

« في حرية الجرائد »

تنوعت اراء الناس في حرية الفكر الشاملة لحرية اللسان والقلم واختلفت احكام الدول فيما اجازته وما حظرت من مظاهر تلك الحرية فلم تكن الجرائد من هذه الخبيثة سواء في جميع البلاد وانما هي في بعضها مطلقة لاحد ما الا القانون العام وفي البعض مقيدة باحكام مخصوصة بها تكون قريبة من الرفق او بعيدة عنه بمقدار القوم عن الحرية المدنية والسياسية وقربهم منها

وقد كان الانكليز اسبق الناس الى الحرية على اختلاف مظاهرها وانواعها ففازت بها جرائدهم تامة مطلقة من غير حد الا قانونهم المتبع في جميع المعاملات على حين لم تكن الجرائد في سائر الاقطار الا بوقات مدح ومزمار حمد للوجهاء والاقوياء ثم تلتها جرائد فرنسا بعد الثورة فانطلقت في مجال الاهواء ذات اليمين وذات الشمال واساء بعض اربابها استعمال الحرية فدعوا الى القتل والنهب وانتهاك المحرم فكانوا كالجبنون تقلد سيفا ماضيا ثم قامت الامبراطورية في فرنسا على جثث حماة

الرفق بين الحرية وقيود الجرائد في كثير من البلاد الأوروبية ويفضل بعضها بسعة الحرية في كثير من الأحوال فهو يميزها أي للجرائد أن تنتقد الإدارات وتبدي رأيها في المهمات الوطنية وتظهر سيئات العمال والمأمورين صغاراً وكباراً مروسين ورؤساء من أقل الخدم إلى الوزراء لا تخاف في ذلك دركاً ولا تحشى أحدًا ولا يلزمها إلا مراعاة أحكام القانون من حيث المقدرة على إثبات ما نقوله في المحاكم النظامية وهو عين ما يلزم الجرائد في أكثر الأقطار العريقة في الحرية . وليس في قانوننا من استثناء في القاعدة التي تجيز للجرائد ما ذكرناه إلا أن ذات الحضرة السنية السلطانية مقدسة لا ينبغي أن تذكر إلا بما يجب لمقامها الكريم العالي من الاجلال والاحترام وإن لوكلاند الدول حرمة واجبة الرعاية فلا يسوغ القدح في ذواتهم وإن جاز انتقاد ما يقولون وما يفعلون مما يتعلق بالسياسات . وهذا الاستثناء أيسر إيجاب الاحترام لذات رئيس الدولة ووكلاء سائر الدول المقيمين لديه مرعي معمول بولا أقول في الروسية وألمانيا فقط بل في أستراليا وإيطاليا وجمهورية فرنسا بل في أنكلترة وجمهورية سويسره

فمن ظن جرائدنا معقولة مقيدة محظورة عليها ما يجوز للجرائد في سائر الأقطار من النقد والتخطئة والمحاكمة والتسوية في مكان الغلط والخطأ والسوء من إبداء رأيها وما نقف عليه من آراء الناس في مسائل الإدارة ومشاكل السياسة وفي كل مبحث له في صحائف الاخبار مقام فقد ناله الوهم وفاته الصواب

الجمهورية وإنصار الحرية فقيدت الجرائد بنظام بين الرفق والشدّة وتعاقبت من بعدها الدول نارة ملكية وطوراً جمهورية وحيناً امبراطورية فكانت الجرائد تستفل من طور إلى طور حتى أنت عليها هذه الجمهورية الأخيرة وهي غير مطلقة الحرية بل كانت إلى سنة ١٨٨٠ لا تصدر إلا برخصة من الدولة وضمان مالي مقداره ٥٠ ألف فرنك يستودع لوفاء ما عساه أن يحكم به على الجريدة من المغارم ولا تأمن مع ذلك أن تحظر الحكومة بيعها جهاراً من غير محاكمة ثم أبطل هذا القانون والغي حكم الرخصة والضمان وحظر البيع ومع ذلك بقي للجرائد في فرنسا قانون مخصوص بها فلولا أن حكومتها لا تعمل بشيء من أحكام هذا القانون لكانت أضيق حرية من جرائد الانكليز

والجرائد في الولايات الأميركية وسويسره مطلقة الحرية غير مقيدة إلا بالأحكام والقوانين المرعية في محاكم المعاملات كجرائد أنكلترة . وليست كذلك في إيطاليا وأوستريا وإسبانيا وغيرهن من الممالك الدستورية ولكنها بالجرائد الفرنسية أشبه من حيث أنها مقيدة بنظام تهمل الحكومة أحكامه في أكثر الأحيان كراهة اغضاب الجمهور

وما تنكر أن صحائف الاخبار لم تبلغ بعد في بلادنا المحروسة ما بلغته من الحرية النامة في بعض الأقطار الغربية ولكن من نظار إلى أحوالها بعين الانصاف ذكراً قرب عهدنا من الحرية المدنية والمعارف السياسية غير ذاهل عن وجوب التدرج واستحالة الطفرة في كل الأمور رأى قانونها بعيداً من الجور قريباً من

انا نستطيع جل ما تقوى الجرائد عليه في معظم البلاد الغربية كما يعلم ذلك من وقف على بعض جرائد الاستانة العلمية فكانت بعض صانعتها خالية عن الاثار الدالة على الحرية او سالكة من «مدارة الخواطر» مسلك اهل الرق والعبودية فالتصور منا والذنب لنا وليس العيب في القانون . وفقدنا الله لحفظ نظامه والعمل باحكامه وبسر لنا القيام ببعض الواجب من خدمة الدولة والامة فتلك اشرف خدمة بل اسبق نعمة ولا سيما في عهد من كتب لرعيته من الحداث اماناً وملاً ارجاء بلاده عدلاً واحساناً سيدنا السلطان الاعظم وولانا الخليفة الاشرف ايد الله بالعزم مقامه ونصر الوتة واعلامه ولا زال السعد خادمه والزمان غلامه

وكتب مقررًا كتاب «آيات الينيات
في غرائب الارض والسموات» تأليف
حضرة صديقنا الكاتب الاممي
البارع ابراهيم افندي
الحوراني ببيروت
فقال

وقفت على هذا الكتاب (وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه) مستجلباً منه فرائد الفوائد والآداب (والله من درّ والله ناظمه) فرأيتُه مختصراً موفور النفع محكم الوضع ملجج النسق بريء العبارة من الكلفة والقلق حافلاً بمنافع العلم ومحاسن الادب قريب المال على قصير باع الطلب مرتباً على ديباجة وقسمين . الديباجة في بيان الغاية من تأليفه وهي تثقيف الطلبة

والعوام بدانيات المعارف تمهيداً لطريقهم الى ما فوقها من المطالب العلمية وايضاح سرّ تسميته بالآيات الينيات وهو (ييات آيات القدرة الالهية والحكمة السرمدية) . والقسم الاول في عالم الغيب والختاء والمراد به مجموع المخلوقات التي خفيت عن الاقدمين وراها المتأخرون بالمرسكوب والتلسكوب كالحبيوبينات النقاية والهوائية التي احتجبت لدقتها عن الانظار وحارت في خالفها وكثرتها الافكار وهو قسم مختصر تمام الاختصار . والقسم الثاني في عالم الشهادة والظهور والمراد منه المرئي من موجودات الارض والسماء وفيه كلام على البحر وما فيه من عجائب المخلوقات وعلى البر وما يقل من الحيوان والمعدن والنبات وعلى الجو وما يلحق به من الريح والصاعقة والمطر والثلج والسحاب وعلى ذلك الاعلى وما يتبعه من الشمس والافقار والكواكب والشهب وذوات الاذناب وكل ذاك بما يجاز ملائم للغرض المفصود من الكتاب

وفي خلال هذه المطالب العلمية فوائد من علم اللغة من نحو تسمية الاشياء باسمائها العربية الصحيحة وتمييز انواعها بالمصطلحات اللغوية النصيحة وتعريب المسميات الجديدة بطريقة الصيغة او التقريب مع شرح الغامض من اللفظ وتفسير المجهور وبيان الغريب وهي طريقة الاجتهاد الذي لا بد منه لاهل الانشاء بهذا اللسان وهي وسيلة النجاة من طمطانية الاعاجم التي سرت في بعض كتاب الزمان ومن محاسن هذا الكتاب في باب الادب وصف الاودية فيه بما يحسن ان يكون للهائمين

بل زاد رونق حسبه في العين أن
كبرت منافعه وكان صغيرا
فانظر اليه تر المعاني غضة
واللفظ بضاً والبيان نضيرا
واحرص عليه فقد حباك فوائد
مثل الفرائد قد نظمن سطورا

وقام خطيباً على ضريح العلامة الخالد الاثر
وطبينا الطيب الذكر المعلم بطرس البستاني فقال
كذا فليجل الخطب وليفدح الامر
وليس لعين لم يفرض ماؤها عذر
ان هذا المصاب مصاب جسم . ان
هذا الخطاب خطب عيم . انها لمصيبة وطنية
يقول في مثلها بذل الدموع انها لثابتة عمومية لا
يكثّر في نظيرها نمزق الضلوع . اجل ان المصيبة
فيك مصيبة الوطن يامن انفتت العمر في
خدمته . مقدماً مجتهداً صابراً متجلاً متعقلاً
مستقيماً . فلا بدع ان تبيك العيون . ولا
غرو ان تنفطر لفقدك القلوب . أو لم تكن
فيما مثال الفضل والاجتهاد . ونموذج البراعة
والأدب . وعنوان التجل والثبات في خدمة
العلم . بذلت في هذه الخدمة شبابك . ووقفت
على هذا السبيل انعابك . وجعلت العلم غايتك
الفصوى من دنياك . فكان لروحك روحاً
وكنت لذاته قوياً

فأي اثر ادبي رأيناه ولم تكن أنت البادى
به او الداعي اليه . وأي مشروع مفيد شهدناه
ولم تكن انت الشارع فيه او المعين عليه . ان
لست اول من خط على صفحات القلوب ورسم
على صحف الجنان « حب الوطن من الايمان »

في كل وادٍ عذراً (وان من البيان لسنراً)
فمن ذلك الوصف قوله « يترقق على در
حصائرها لجين الماء ويسم نغم ياقوت وردتها
الحمرء على عنق الزمردة الخضراء وترقص
غصون حدائقها الغناء على الحان الوراق فكم
فيها من ماء مزاجه من نسيم وكم في رياضها
من جنات ونعيم صح فيها الماء واعتل النسيم »
على اني رأيت صاحب هذا الوصف الشعري
الكلام الاندلسي التصويري تبرزاً من شأن الشعراء
فيه ويقول انهم به ادري وباستيفائهم اخرى
وان غرضه عجائب الاودية وغرائبها لاطباؤها
ورباربها ولا مضاربها وخيامها ولا حدائقها
واجامها ولا ما فيه من غدق ومعين وسلسال
وغلال وفرات وزلال . الى آخر ما نسجه على
هذا المنوال ثم وجدته يسترسل الى ما يتبرأ
منه ويطلب فيما يوه التماهي عنه حتى انه رام
وصف وادي الموت فلم يتمالك ان نظمه شعراً
فايقنت ان السليقة لا تغلب . ولست اعد
الشاعرية لصاحب هذا الكتاب وزراً فالشعر
ريحانة النفوس وزهرة الادب والشعر ديوان
العرب وانما اذكره فضلاً بمحاول انكاره واظهر
للعيون آثاره

وجملة انقول ان كتاب الآيات الينيات
فيه من الأدب آيات وعلى فضايا العلم بينات
فهو جدير بان نقبل أنفس الالباء عليه حري
بان تنبسط ايدي الطالبين اليه حقيق بان
يكون لأولئك سبيراً في المجالس قين بان
يتخذ لهؤلاء مرشداً في المدارس

ما ضره ان لا يكون مطوّلاً
ان كان حاصلاً نفعه موفوراً

المصيبة فيه

أي هذا الراقد تحت ظلال الرحمة والرضوان .
لقد عشت سعيداً مقيماً . وقضيت حميداً أقيماً .
وان كان عموم الاسف وشمول الحزن مما
يرد ثرى ويحلب غفراناً فقد جادتك سمح
الرضوان والغفران مسوقة الى ثراك من كل
مكان مستطرة على ضريحك بكل لسان
نم سعيداً يا من قضيت فقيداً
بحسبيل قد مت بين يديكا
أنت أحسنت في الحياة الينا
أحسن الله في المات اليكا

واله مقالة في

النشبه

قال

من تردى برداء ما رآه لايه
واشقى ما قد تعالى عنه ما يشبهه
سوف يأتيه زمان ينمى الموت فيه
وقد ابت لي نفسي ومشرب يعرفه الناس منها
ان اكون من الفائزين بالامتياز من غير مزية .
اني أو من بالله واقر له سبحانه وتعالى بالعدل
الذي هو عين المساواة . واظن بيني نوعي خيراً
معترفاً لكل سوى منهم بقابلية الفلاح والارتقاء
فما اردت بما تمثلت به من ذلك الشعر الحجاب
نشبه الانسان باييه وقوفاً عند حد التقليد
ورضاء بما وجدت يداؤه فعل الوكيل البليد
وانما قصدت الاشارة الى من يمثل بين لا يصل
اليه فيما يعز ادراكه عليه فيكلف نفسه ما لا
نسع ويلقي على عاتقه ما لا يطيق فيني بالخيبة
والذل صاغر النفس قبل الوصول الى متصف

واول من اقدم على المشروعات الجسيمة العلمية
بهمة لا تخاف المصاعب والعقبات ولا تألف
الا صدق العزيمة والثبات
بأي آثارك لا تذكر . وبأيها اذا ذكرت
لا تشكر . واية عين ترى اعمال يدك . ولا
تفيض دمعاً بل دماً حزناً عليك . وما الذي
تذكره من آثار اجتماعك في استمرار ارتباطك
ولا نجده عظيماً . أمواظيك على خدمة العلم
والأدب اربعين عاماً او تزيد . ام تأليفك
وتصانيفك الغنية بشهرتها عن الوصف . أمحيط
بمحيطك . ام قطر محيطك . ام مدرستك الوطنية
التي ملأت بها الوطن انواراً . ورفعت فيها
الأدب الصحيح مناراً . ام جناتك التي غرست
فيها اغصاناً من العرفان . من كل فاكهة بها
زوجان . ام جنتك الزاهرة الدانية الفطوف .
ام دائرة المعارف التي . . . كدنا نخاف ان
تدور الدائرة عليها لولا الامل فيمن أقيمت لها
خلفاً كريماً . يحقق رجاء المهير ويتم أمنية
المستفيدين . اجل يتم الامنية ويحقق الرجاء
فيكون به للوطن عزاء

في الآثار الماثورة ياسادتي « من علمني حرفاً
كنت له عبداً » فمن منا لم يعلمه هذا الفقيه
حرفاً . من منا لم يستفد منه فوائد صنوقاً .
من تصانيفه في كل فن . من مدرسته الوطنية .
من جرائده الزاهرة . من آثار معارفه في كل
موضوع . ومن منا لم يدفع الملل في اوقات
الفراغ . ويغلب الضجر في ساعات الراحة
ويتره الفكر بعد تعب الاشغال . بتلاوة ما
كان فقيدنا يحب لانشائه الليلي الطوال .
فكيف لا يرثوه . وكيف لا ينكبوه . وكيف لا نستعظم

ولا تعد ما هنا أو آكاراً بل أنت معرض نفسك
للسخرية تحرمها مما تحتاج إليه لتظهر بها يضحك
الناس منه

سلي اخبرك باحوال امثالك - في بلاد
المساواة المطلقة والاجتهاد المستمر فوائلك لا
يتخلون بالذهب ولا يلبسون الجوخ الناعم من
فوق معدة فارغة تطلب المدد ولا تنزياً نساءهم
بازياء نساء المتولين وانما لباسهم انكتان صيفاً
والصوف شتاء وانساءهم واولادهم ملابس نليق
بشأنهم ونلائم احوالهم يخرجون بها في اوقات
الفراغ راضين بها وصلوا اليه فرحين بما هم عليه
لا يس قلوبهم الحسد ولا تعرف انفسهم الذل
فاذا انتضى زمن العطلة او يوم العيد عادوا
الى شأنهم يسعون فيه تشتغل نساءهم كما يشتغل
الرجال ولا يرى اولادهم في الازقة متمرغين
في الاحوال واذا مر بهم سادة القوم من الوجهاء
والاغنياء لم يخفضوا بين ايديهم رأساً ولم يخافوا
لم قوة وبأساً وانت مع ترديك بالجوخ وليس
زوجك الحرير تقف على ابوابهم موقف
الذليل الخفير فما ضرك لو تركت ذلك الزين
ولم ترض هذا الشين وانت في غنى عن الحالين
الاساءات عاقبة من جهل حدة فتعداه
ونظر الى من فوقه فتعداه فزلت به القدم فندم
حين لا ينفع الندم . اطع نفسه فيما تقصده
عنه وعود اهله ما لا يستطيع الاستمرار عليه
فطالبوه به فلم يصبه حالاً فاحتمل فلم تغن
عنه الحيلة فسرق فامتعت عليه السرقة فاغتال
فان عز عليه بعد ذلك فحياته في اهل وعناه
دائم وبلاة مستمر

ونعم الرجل من تشبه بذوي الفضل

الطريف وفي مثل الضفدع اذ انتفخ تمثلاً
بالجاموس فانشقت مرارته عبرة لاولي الابواب
ولقد سرت هذه العلة في ديارنا بين
الاكابر والاصاغر والاوساط فصاعت بها
الاموال وساءت الاحوال وفسدت الاخلاق
وضافت الارزاق وصار اكثرنا كالقبور المكلسة
بيضاء الظاهر وليس في باطنها غير الدود
فيا قريبي الوسط المستور بالبركة على م
تخدى الغنى فيما لا تخدع به الا انفسنا من
الزخارف والباطيل أرايت لو رفقت زوجاتنا
بالحرير الاطلس يكس باطرافه قمامة الشوارع
فيغنين البلدية عن الكناسين ولو تختم اولادنا
بالجوهر مستعاراً ونفدوا سلاسل الذهب
مبتاعة بالدين تشبه باولاد الاغنياء ولو سكننا
القصور مفروشة بالديباج بطالبنا الغرماة بثمن
قبل انقضاء العام او نبذل فيه جل رأس
المال انسدل على حقيقة امرنا حجاباً ونلقي في
اعين الناس تراباً فلا يظهر من حالنا الا ما
نريد ولا يرى منا الا ما نظهر بل نحن نسعى
الى دمارنا بارجلنا مخربين بيوتنا بايدنا

وانت يا خليلي الناعل الآكل الخبز بعرق
الجبين فيم تشبه بالاوساط وما فوقهم من
الدرجات أرايت لو خرجت زوجتك من
بيتها الخفير بزى امرأة جارك صاحب القصر
الكبير على رأسها نقاب ثمين وفي يدها عالة
او مظلة من الحرير ولو رضيت بالنول غذاء
وباذناب الفجل عشاء انليس زوجتك واولادك
ما يلبس الاغنياء وانتم في مبيت لا برضوة
مربطاً لحيلهم أغير ذلك شأنك ويرفع بين
الناس مكانك فلا تحسب معزجاً حملاً أو خائراً

واهل الاجتهاد فيما ادركوا به الامنية وبلغوا
المراد فطلب فحصل وسعى فادرك وجد فنال
وتعب فاستراح لم يقع قناعة الركل ولم يطمع
طبع المغرور فذلك هو المعنى المراد من
قول من قال فاجاد

ونشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالكرام رباح

وكتب في وفاه السيد الشهيد الامير عبد
القادر الجزائري بعنوان

داهية دهماء

ما خلت ان عماد الدهر ينهدم
حتى قضى السيد العالي الذرى العلم
القاصد المجد ما زلت به قدم
الصاعد العزم ما انحطت له هم
البازل الخير ما غاضت مكارمه
المحافظ العهد ما ضاعت له ذمم
الموقد النار يوم الروع يضررها
حيناً ويطفئها والنار تضطرم
فالحيل والليل والبيداء تندبه
والسيف والرمح والفرطاس والقلم
والحزم والعزم والمجد الذي بسقت
فروعه والعلى والفضل والكرم
كيف لا وهو السيد السند الامير الكبير
الحسيب النسيب العالم العامل المحرر البحر التقي
التقي الهام المقدم العربي الابي سيدي عبد
القادر ابن سيدي محيي الدين الحسيني الجزائري
سقى الله بغيث الرحمة ثراه ورضي عنه وارضاه
مفرد مجده ما لنا بعده

والاعلى غير الاسى والعويل

والصبر ان امكن في خطيه
والمستعان الله صبر جميل
وقد توفاه مولاه غلس يوم السبت الماضي
في قصره بدمر من ارباض دمشق بعد تجلده
لداء عياء فبنت فيه حيلة الاطباء شهر ونصف
شهر فكان الرزء فيه جسيماً والمصاب اليماً
والخطب عظيماً والحزن عميماً
فيالك وقعة جلالاً أعارت
أسى وصباة جاد الجليل
وبالك ساعة اهدت غليلاً

الى اكبادنا ابد الابد
وسرى نعيه في المدينة صباحاً فملاً القوم نواحياً
نواحاً وطاروا الى القصر هائمين حيارى تحسبهم
سكارى وما هم بسكارى فداروا به صفوفاً
واجتمعوا من حوله الوفا ناديين مسترسلين
للبيكاء ناحيين متجافين عن العزاء
وكلمهم اعدا اليأس وقفاً
عليه ونصاً راحلة القعود

ثم ساروا بنعشه الى منزله في المدينة حيث
اقامت مناحته الى الساعة الثالثة من النهار
وكانت الطرق من ابواب المنزل الى الجامع
الاموي غاصة بالناس على اختلاف مراتبهم
ومذاهبهم حتى لو ألقي عليها التراب لما مس
الارض ثم خرجوا به الى الجامع بتقديمه ثقات
من المشايخ والقراء واصحاب الطرائق والاشائير
مهللين مكبرين ورجال الشرطة وعدد كثير
من العساكر النظامية ويليهم جمع لا يحصى من
العلماء الاعلام والامراء العظام والوجهاء
الكرام فضلي عليه رحمة الله وكانت الآراء
مجموعة على دفنهم بجمار القطب الرباني الشيخ

الأكبر محيي الدين العربي رضي الله عنه فاجتمع مجلس إدارة الولاية للذاكرة في هذا الأمر فقرّ عليه فساروا في الجنازة على طريق الصالحية حتى بلغوا دار الحكومة فاستقبل النعش هناك فواصل الدول جميعاً باللبسة الرسمية ورفيق آخر من العساكر السلطانية وجميع أمراء العسكرية والملكية وساروا به اجمعين ليلوي سابقهم على لاحقهم ولا يبصروا لهم آخرهم . فقد انبأنا المكاتبون الثقات انهم كانوا زهاء ثلاثين ألفاً عدداً غير الواقفين بالطرق وعلى الابواب والنوافذ عجزاً عن اختراق الصفوف

وما نحاول استيعاب مناقب هذا الأمير العلي المكيان ولا نزاول استيفاء ماثره التي سارت بذكرها الركبان فذلك ما تضيق دونه الاسفار فضلاً عن صحف الاخبار وإنما نقول فيما نحدث عنه ولا حرج اننا رأيناه مجراً ينظم لفظه درأ وعرفة الناس برأ تنثر كفته تبرأ وكان في السلم غيثاً وفي الحرب ليثاً وفي المهمات مناراً وفي المهمات ناراً وللعايفين ملاذاً وللخائفين معاذاً ولطلاب العلوم استاذاً وجملة القول انه بضعة الشرف العربي وبقية المجد الشرقي وصورة من صور السؤدد والفضل ومظهر من مظاهر الاقدام والنبل ونجل من تجليات الكرم في الفرع والاصل وهذا طرف من ترجمة حاله نؤثره من معجم فرنسوي في تراجم العظماء

هو السيد الحاج الأمير سيدي عبد القادر بن محيي الدين احد حماة الامة العربية ولد نحو عام ١٨٠٧ (الميلاد) في ضواحي مسفرا وكان سيدي محيي الدين مرابطاً رفيع القدر

في عائلة اوران متصل النسب بآل البيت النبوي الكريم فرني صاحب الترجمة في حجره واخذ العلم سنة واقتدى بالادب فيه وكان متوقفاً الذكاء ينسر على صفه آي القرآن العظيم ثم اشتهر بالنصاحة وسعة العلم بتاريخ قومهم وبالتفوي والصلاح ولم يكن غافلاً عن واجب الرياضة للبدن بل فاق عشيرته في الفروسية وضرب السيف حتى خافه عامل الجزائر يومئذ فاضمر له شراً فسار الأمير الى مصر بصحبة والده ثم ادى فريضة الحج فزاده ذلك رفعة عند ذويه ولما آب من سفره كانت مدينة الجزائر بيد الفرنسيين وعرب اوران على قدم الحرب فولوا سيدي محيي الدين زعامتهم فاغار بهم على مسقرا ودخلها عنوة ثم تنازل عن الامارة لابيه صاحب الترجمة ومنذ حينئذ دخل تاريخ الأمير عبد القادر في تاريخ حملة الفرنسيين على الجزائر بل صار هو اياه . فانه لما اشتد أزره ببوار النصر نادى في قوميه بالجهاد واغار في عشرة الاف فارس منهم على مدينة اوران عام ١٨٢٢ وكانت بيد الفرنسيين وقائد حاميتهم فيها الجنرال بوبر فخرجوا لقتاله فثبت لهم والى بلاء حسناً ثلاثة ايام متوالية ثم عاد عن المدينة وفي السنة التالية ولي الجنرال ديمشيل قيادة الفرنسيين في الجزائر وظهر على الأمير في بعض المناوشات واقام رابطين من الجند في موقعين من الساحل ونع ذلك لم تقترهه صاحب الترجمة ولم ينخفض مكانه بين قوميه بل صار رئيسهم الفرد المشار اليه وتيسر له الهجوم على تلمسان ثم توفي والده عام ١٨٢٤ فهاذن الجنرال ديمشيل على ان يكون الشليف هو الحد الفاصل بينه وبين الفرنسيين

فصار له بذلك اماره واسعة بين مراكش
 واوران ونيتري والجزائر وصرف الهبة الى اقامة
 الامور وترتيب الشؤون واصلاح الاحوال
 وتنظيم الجند في تلك الامارة استعدادا لمعاودة
 القتال عند الحاجة وفي خلال ذلك تنافر
 الجنرال فوارل والجنرال ديمشيل وولي الجنرال
 تريزل قيادة الفرنسيين عام ١٨٣٥ وكان
 الامير قد اجاز الشليف واستولى على بلد مديّة
 فخرج اليه القائد المذكور في جيش كثيف
 ونازله على ضفاف مقطا فبلغه الامير بعشرين
 الفا من الخيل فتجدد الفرنسيين لقتالهم ما استطاعوا
 واظهروا فيه عجائب من البأس والافدام ولكن
 ظهر العرب عليهم فارتدوا مدافعين عن انفسهم
 تاركين لفرسان الامير متاعهم وذخائرهم ومستشفياتهم
 مغنما فاشتدت بهذا النصر عزائم العربان
 وضعفت همم الفرنسيين ثم عين المارشال
 كلازيل عاملا على الجزائر فدأب في القاء
 الفتنة بين مشايخ العرب حينا من الدهر ثم
 حمل على مسقرا بثانية الاف من الجند فراها
 خالية من الحامية فامر بهدمها ثم حلّ بملسان
 وكانت بينه وبين الامير وقائع ليست بذات
 بال

والماضي واستكمال الآت القتال ثم وقع الخلاف
 بينه وبين القائد الفرنسي على بنود غامضة
 من ميثاق الهدنة فعاد الى الحرب عام ١٨٣٩
 وحشد خراج الدوك دورليان والمارشال
 فانه لقتال العربان وابتدئت الحملة المعروفة
 بحملة عام ١٨٤٠ وحصل الظهور للفرنسيين
 فاستولوا على مديّة وميلانة وانتصروا على جند
 الامير في موزايا ثم توالى الوقائع تباعا وانصل
 مدد كثير بعسكر الفرنسيين وغير قادتهم
 طريقة الحرب فاستولوا على مسقرا عام ١٨٤١
 ودانت لهم بعض القبائل فاخام صاحب الترجمة
 ولا ومن بل زاد تجلدا وعزما وجمع الامناء
 واهل النجدة من عشيرته واقام يدافع بهم
 الفرنسيين حتى استولى الدوك دومال على
 سالا عام ١٨٤٢ فلاد الامير ببلاد مراكش
 واستنجد سلطانها عبد الرحمن فالتجده ببعض
 الجند ولكن ظهر الفرنسيين عليهم واطلقوا مدافعهم
 على موغادور وطنجرفخاف سلطان مراكش
 وقعد عن نصرته الامير فاستجاش الامير اهل
 مراكش على الحرب فاقبلوا على نصرته بالرجال
 والمال فعاد الى القتال ضابرا جليدا واوشك
 ان يسترد البلاد عام ١٨٤٥ فجدد الفرنسيين
 عزائمهم وقاتلوه قتالا مستمرا عامين آخرين
 وكان صاحب مراكش قد اظهر الفرة منه
 فضلا عن الشاغل عن انجاده فاضطر الامير لقاتلته
 وظهر على جنده ظهورا مبيتا ثم احاطت به
 الاعداء من كل جانب وحقت به الاخطار
 من كل صوب فكره ان يعرض قومه للهلاك
 بلا فائدة فرضي بالتسليم للقائد لاموريسيار
 على شرط ان يرسل الى الاسكندرية او عكا

فصار له بذلك اماره واسعة بين مراكش
 واوران ونيتري والجزائر وصرف الهبة الى اقامة
 الامور وترتيب الشؤون واصلاح الاحوال
 وتنظيم الجند في تلك الامارة استعدادا لمعاودة
 القتال عند الحاجة وفي خلال ذلك تنافر
 الجنرال فوارل والجنرال ديمشيل وولي الجنرال
 تريزل قيادة الفرنسيين عام ١٨٣٥ وكان
 الامير قد اجاز الشليف واستولى على بلد مديّة
 فخرج اليه القائد المذكور في جيش كثيف
 ونازله على ضفاف مقطا فبلغه الامير بعشرين
 الفا من الخيل فتجدد الفرنسيين لقتالهم ما استطاعوا
 واظهروا فيه عجائب من البأس والافدام ولكن
 ظهر العرب عليهم فارتدوا مدافعين عن انفسهم
 تاركين لفرسان الامير متاعهم وذخائرهم ومستشفياتهم
 مغنما فاشتدت بهذا النصر عزائم العربان
 وضعفت همم الفرنسيين ثم عين المارشال
 كلازيل عاملا على الجزائر فدأب في القاء
 الفتنة بين مشايخ العرب حينا من الدهر ثم
 حمل على مسقرا بثانية الاف من الجند فراها
 خالية من الحامية فامر بهدمها ثم حلّ بملسان
 وكانت بينه وبين الامير وقائع ليست بذات
 بال

وما ظهر الفرنسيين على صاحب الترجمة
 ظهورا حقيقيا الا على عهد الجنرال بوجو
 الذي ازال العربان عن حصار القائد ارنج
 على انه جنح الى مواعدة الامير تمهيدا لسيل
 الغارة على قسطنطينة ووافقه على ذلك في الثالث
 من شهر ايار عام ١٨٣٧ فصرف الامير ايام
 الهدنة في لم الشعب وجمع كلمة العربان واقامة
 الارصاد في البلاد التي بيد الفرنسيين وتوفير

رنة الحزن

واختطف الهواء الاصفر عام ١٨٨٢ صديقنا
الكاتب الاممي البارع فضل الله افندي الخوري
فسار نعيه الي يروت فنواطاً فيها خلافة ومحبوه
على كتم الخبر عن والدته كما جاء بيان ذلك في
الرياء الآتي ثم اثبت الخبر مكتوماً مدة خمسة وسبعين
يوماً اي الى ان حلت لاصدقاء الفقيد الفرصة
الملائمة لنشره فاذا دعوا فتجدد البكاء عليه مرّاً
فكتب ادبينا في (التقدم) ما يلي بعنوان (رنة
الحزن) فقال

نحن اليوم في موقف نوح وبكاء ومقام
ندب ورثاء قصفت لنا ربح الوباء غصناً نضيراً
يانعاً رطيباً غصّاً وربقاً ينفع زهره طيباً فقدنا
منذ شهرين ونصف شهر صديق الفؤاد شقيق
الروح فضل الله افندي الخوري فتى غصّ
الشباب ناضر العود لم يتجاوز من عمره خمسة
وعشرين ربيعاً

وكان خلواً من كل بائنة

وطيب الروح طاهر الجسد

فبكيناه في السر الى هذه الابام رفقا بمن
ثكلته ان تغلب عليها لواعج السكمد ولا نجد
سيلاً الى الجلد

من لوعة لا يزال لاعجها

يقدح نار الاسى على الكبد

وكيف لانيكيو وتعظم عندنا المصيبة فيه
ونحن اعرف الناس بهما من ماضيه وحالي ومخايل
المجد والكمال في ماله ازهر غصن آداب فاجتليناه
وأغر بعد ازهاره فاجتليناه فعرفنا العين ورأينا
الاثر وحصل لنا العيان ولم يفتنا الخبر .وسل

فحمل اولاً الى فرنسا واقام حيناً في قلعة لاملغ
ثم في طولون ثم في قصر بوف في عام ١٨٥٢
اطلق نابوليون الثالث حرّيته وابتاع في اكرامه
فسار الى بروسة (بورسة) واقام بها الى ان
زلزلت عام ١٨٥٥ فسار الى الاسنانة ومن ثم
الى دمشق وكان له في هذه المدينة عام ١٨٦٠
اثر من الكرم والاقدام والتقوى وحماية الجار
تشكره له الانسانية ويذكره له التاريخ ابد الدهر
وفي سنة ١٨٦٣ سار الى مصر لنتفّرج على خليج
السويس واتى فرنسا فتلقته دولتها باحتفاء
لا يليق الاً بعظماء الامراء وكبار الملوك واهدت
اليه نيشان اللجيون دونور الاكبر ثم عاد الى
دمشق فاقام بها كريماً عزيزاً رفيع المكان
مقصوداً في الحاجات محبباً الى الناس آمراً
بالمعروف ناهياً عن المنكر يجتمع في مجلسه العلماء
والوجهاء والاشراف ويقصد بابه الفقراء والضعفاء
وذوو الحاجات فلا يصد ملتبس فائدة من
العلم ولا يرد طالب عون من الجاه ولا يمنع
سائل صدقة من المال .تشرفت بلقائه منذ
ثلاثة اعوام فرأيت مجلسه العالي كما وصفت
وبابه المقصود كما عرفت

وادهشني منه التواضع والنفى

قريدين للعلم الذي ماله حد

والامير الفقيد انجال نبياء اشراف امراء
سادة كرماء قادة فضلاء منهم السيد الامير
محمد باشا والسيد الامير محيي الدين باشا
وغيرها من اشبال ذلك الاسد فهم يحفظون
ان شاء الله اثره الكرم ويجرون على سننه القوم
فانهم القوم الذين هم هم

اذا غاب منهم سيد قام سيد

جربة المحروسة عنه تؤيد هذا القول ان
كنت في ريب منه فكم نقش في تحريرها بروداً
وكم نظر في جود حسنها عفوداً وما كان الأ
مبتدئاً يستوضح سبيلاً ومستهدياً يلتمس دايلاً
فكيف او ساعدته العناية وبلغ من الطلب
النهاية

ياموتة او اقلت عثرته

يايومه او تركته لغد

او كنت راخيت في العنان له

حاز العلى واحوى على الامد

وقد اغتالته المنية في الفاهرة مقيماً بها غير
مبالٍ بالوباء المشتد والبلاء المتدّ قضاء
لواجب الخدمة واعتماداً بقوة الشباب وانقياداً
لنفس لا تعرف الخوف ولا ترضى بترك الواجبات
وان كان فيه الخلود فقضى في قضاء واجبه
شهيداً ومضى لمضاء عزيزه فقيداً فلن يبرح
أبد الدهر مذكورا حميداً

ولسنا نعزي آله وذويه فيه ان أمكن
العزاء فقد عمنا رزهم فممن فيه شركاء بل
نحن واباهم سواء فلينجدنا بالدمع كل ذي كبد
حرى ويسأل الله لنا بعد ذلك صبراً

(انتهت منتخبات التقديم)

(للمرة الثالثة)

رواية اندروماك

الفصل الاول

في قصر بيروس (في حجرة منه)

الجزء الاول

اورست بيلا

و ب

كلادما يدخل من جهة ويلتقيان بلا انتباه
و ب صفحا لدهري عما قداني وجنى
من بعد لقيناك ياكل الهناء هنا
ب و يا من اذا غاب عني كان في خلدي
لولا التفادير مسام القاء لنا
لما قضى الدهر ظملاً بالنوى ونأى
عنا الهنا ولقينا البؤس والحزن
لبثت مكتئباً اخشى عليك اذى
بيد ووجيش اصطباري عنك قدوهنا
وقد تركتك يا مولاي في كدر
كادت تفارق فيه روحك البدنا
يبيدي لك البأس اهولاً منبهة
فتحسب العيش طيشاً والمنون منى
لكن اراك ومن لي ان تكون هنا
لما يكون به الاقبال مقترنا
و ب دعا الغرام فوادي وهو مالكة
فجئت كما الاقي من بها افتتنا
ب و حملت نفسك ما يودي بها ولقد
ركبت فيها فعلت المركب الخشنا
وجئت ترجو الوفا من مبلغ غدرت
فهل نسيت الشقا والحزن والشجنا
احذر هديت فذات الغدر ما برجت
تبيدي الوداد وشغني المكر والضغنا
و ب عرضت نفسي في سوق الهوى فاذا
قضيت في الحب لا ابغي لها ثمنا
ب و لقد كنت اذن تحذعني بالكلام وتزع
انك اعتزلت الغرام
و ب مولاي لم اخدعك وانما كنت احاول
ان اخدع ذاتي وقد كنت تسمع اني وتلفاتي
لم نر بعد ارتباط هريون بيروس ما حل

بنفسى . وما لقيت من حزني وبأمني . حتى
تركت الاوطان والاططار . وسرت هائماً في
الجبار . اصل الليل بالنهار . وامزج المهوم
بالاكدار . وكنت احسبك لي في هذا الايام
رفيقاً . وارجو مساعدتك فانك كنت لي برأ
رفيقاً . وانا احاول سلو هرميون والنجاة من
الغذاب . فلا اجد الى ذلك سبيلاً . والنفس
الهادية الى الصواب . فلا ارى لي دليلاً . ولما
اعيانى ما اقاسى . ولم اجد لي من مواسي . جندت
جيوش العدوان . وعقدت راية السلوان .
وسرت الى اليونان على امل الظفر . ولكن اذا
وقع القضاء عني البصر

ب و وماذا كان بعد ذلك . الفيت ما
ترجوه هنالك

ر ب رأيت محفلاً حشد اليه الامراء فرجوت
ان يكون اجتماعهم لحرب . الهو بها وينجلي عني
الكرب . فكذبت ظني حقيقة الحال . وما كل
مطلوب ينال . وسهت الجميع بتوعدون
بيروس ويقولون انه نفذ عهده . وحفظ
عدو اليونان عنده . وذلك ان ابن هكتور
الذي نجا من عولس ببيلة امه . وقع معها في
سهو . فحزبتة ارملة هكتور بعينها . قال عن
هرميون اليها . وقد ساء ذلك ابا هرميون
منلاس اما انا فبالعكس . ورب غيظ نفس
فيه شفاء نفس . الا ان تلك الغادرة التي
رعبت ذمامها . استرجعت فوراً في قايي مقامها
ورأيت ان غيظي كاد ينتهي . وان قلبي عن
حيها لا ينتهي

ب و من ايس يسأل عني
فلست اسأل عنه

ومن غدا الغدر يجني
لا تترجى الخير منه

الناس لامول ومالو
عن شكر صاحب منه
ان تحسن الفعل قالو
فرض عليه وسه
(نشيد)

ر ب لا تلمني فلا يفيد الملام
حكم الحب واستنب الغرام
يا اخا العدل خل ذا العدل جوداً
انما لوم من يجب حرام

واستمع نسيمة الكلام . وهو اني دخلت ذلك المقام .
فانتخبوني سفيراً الى بيروس لاطلب ذلك
الغلام . ومن لي بان آخذ بدلاً منه هرميون
فاشتني من لوايح الغرام . فاني واجارك الله ايها
الصديق . سلمت الى غرامي تسليم اعنى الى
رفيق . احب هرميون وقد سرت اليها . فاراها
واخطفها او اموت بين يديها . واناشدك الله
ان تقول لي ما شأن بيروس وشأن حبه .
وماذا يحدث في قصده وفي قلبه . وهل تهواه
هرميون كي يهاها . ام تعرض عنه جزاء ميله
الى سواها

ب و اراء بملك اياها . ولا يكلنه ذلك عنه
جزيلاً لانه يتعشق ارملة هكتور ولا يرى
الى مرضاتها سبيلاً فانها لانقابله الا بالرد .
ولا تمن عليه ان سأل بالرد . وهو تارة يتهددها
وطوراً يقتل ابنها بتوعدا . ثم يتذلل ويخضع .
فلا تلين ولا تسع . وربما غضب فتجنب ثم
برضى فينقرب . فكيف يتبها لي ان اعرف
حقيقة امره . وهو عاشق قد استولى الغرام على

فكره

وب انرضي بهذا هربون ونصبر
وتثبت في حفظ الوداد ويغدر
ب و تسوم اضطباراً كلما زاد غدره
وتخضع في كل الامور وتعذر
لها مقلة بالدمع شكري ومهجة
من الغدر تشكو فهي تشكو وتشكر
وتدعوك ان اربي البلاء مستجيبة
فانت لمن يدعوك في الضيق تنصر
وب واسروري: ليك يامن دعاني
فانا والوفاء خير رفيق
ب و مه لقد اقبل المليك فحاذر
واكتم الامر

وب

.. .. . لا تخف يا صديقي
ب و اكثر القول طالبا كل شيء
واسكن للشفاق كل طريق
(ويذهب)

الجزء الثاني

اورست يروس فنكس (الوزير)

و س ف

وس سلام ايها الملك الهام

ودام لك ارتفاع لايرام

علوت بهمة ليست نضاهي

واجداد هم القوم الكرام

اليك يا من فحمت بجسامك ترواده .
بعد ان بلغ والدك الهام من هكتور مراده .
انيت سفيراً من امراء اليونان . احمل اليك عنياً
وارجو ألا يحمل علي العدوان . وذلك انهم

يرون ان شفقة غير سديدة . حملتكم على حفظ
بقية حرب شديده . اعني بذلك ابن هكتور
الذي اعداكم . الذي جعلتموه في حماكم . وان
ذلك لمن العجاب . فكيف نسبتم هكتور وما
حملنا من العذاب . لعمرى ان شعبنا يتذكر
ذلك البطل . وفي كل قلب منه وجل . وما
من بيت الا وبطلبة بنار . وما من يوناني الا
وفي قلبه منه نار . ومن يدري والغلام سر ابيه .
ما عسى ان نعانيه منه ونلاقه . فنراه بعد حين
مهاجماً مراكبنا . كما رأينا اباه داهماً مواكبنا .
واني اخاف ان تكون عقبي اهتمامك به واعتناك .
ملاقاة بلاتك . وان الحية التي تربى بها . تجررك
السم من فيها . فدارك امر غدرك قبل فوات
يومك . وابعد عنك عدواً يستنجد بك على
قومك

س و ما خلت ان مثل هذا الاهتمام يكون
لهذه النازلة الصغيرة . وان حضور ابن
اغاممنون الهام يكون لهذه الحاجة المحققة . وان
قوماً طار صيت انتصاراتهم . واخبار غاراتهم .
يتنازلون الى طلب صبي . لا يعرف الحي من اللي
وكيف يزعمون اني اسلمه وفي بقية . ام اي
سلطان لم على اسير حصل لي بالقسبة الشرعية .
وهل مددت الى ما حصل لم بدا . ام عارضت
منهم احداً . وكيف يخافون تجديد سطوة
هكتور وابنه في هذا النادي . والله لقد عز
الصبر عن هذا النادي . ام كيف يزعمون ان
اهل ترواده يقصدون الانتقام . بعد خلوت بلدهم
من رجال الصدام . واني اتذكر حال تلك
المدينة وما كانت عليه . وارى الان ما صارت
اليه . فانهما كانت سلطنة آسيا ومقام صناديد

الرجال . ولم يبقَ بها الا ان سوى بقية اطلال .
سقيت بدم الابطال . وصبي في النبود والاعلال .
وحيث كان قتل ابن هكتور ضربة لازب
عند اليونان . فلماذا اخروه الى الان . ولم لم
يقتلوه وهو في حضن بريام . مع من قتل من
ابطال قومه الكرام . وكيف بطلونه حين
لم يبق من قومه غير شيوخ وغلان فقدوا
الحامية والانصار . ويات بروعهم هدوء الليل
وذكر الانتصار . واني حين الحرب لم آل
جهدا في المقاتلة . وعاملت المنكسرين بما اقتضت
الحال من المعاملة . ولكني لا ارنكب فوق جرائري
هذا الجرم الكبير . ولا الطخ يدي بدم غلام صغير
ما له نصير . لا ومن براه . فليطبع اليونان
في سواه . وبطلان في غير هذا المكان بقايا
تروادة اليسيره . ويعلموا ان الذي انقذته ترواده
تحميه ايره

و س . ولكنك تعلم يا مولاي ان هذا الغلام
لم ينج الا بحيلة امه . اذ بدلته بغلام دعته باسمه
اما اليونان فلا يطلبون البنايا التروادية .
وانما مطلبهم ابن من الحق بهم المصيبة والبليّة
وبخافون ان يلاقوا منه هكتور ثانيا . بعدما
اورثهم هكتور الاول ضررا كافيا . والحق
بهم ما شاء الله من العنا . وربما حملهم طلب
هذا الغلام على قصده وهو هنا

و س . اهلا بهم ليس المجال بعيدا
واخو البسالة لا يخاف وعيدا
ان يقدموا فلقد تقدم ظلمهم
قبلي ابي حاميم الصنديدا
سبعيد ظلمهم فتي متظلمًا
ولرب ضرر قد يكون مفيدا

و س . ما خلت انك من طراز المخلفين (م)
وعودهم الناقضين عهدا
س . لقد انتصرت لاستبد فكيف ار
ضى بالخضوع وما انا رعديدا
و س . نرضى به طوعا لعين حليقة
ترنو اليك فتبلغ المقصودا
عين بمغناطيسها لما سطت
جذبت فوادك حيث كان جديدا
س . هذه عيون في الغرام اطيعها
لكن نفسي تكره التقييدا
ختم الكلام فسر اليها ذاكرًا
ما قلت وارحل ان سئمت ربودا
(اورست يذهب)

الجزء الثالث

بيروس فنكس
س ف

ف س . لقد احسنت اليو في معرض الاساءة .
وارجعت النحل الى المباءة . وقربته وانت تريد
ان تبعك . وجمعت شمله وانت تروم ان تشرده .
فارسلته الى من يحبها حبا عظيما
س ف . يقال انه كان يعشقها قديما
س س . رب هو ي باللقاء يتجدد . كالنار ان
نعرّعت للهواء تتوقد

س ف . اني اعلم يا فنكس انها لا تؤثر علي
بالحب احدا . ولا تميل الى غيري ابدا . مع
علمها بما انا عليه من اعتزال هواها . والميل
الى سواها . اما ميل اورست اليها فلا يقتضي
ميلها اليو . وما قيل ان من الفواد الى الفواد
سيلا قول لا يعتمد عليه . علي ان رجوعها الى

س م لكننا اليونان سوف يبيثون (م)
لك البكان غير هذا الباب

م س ماذا عسى يبغون بعد قطيعني
وتليني وتألني وعذابي
س م والدًا اذاقم ابوه شداثدا
بقتالو

.. ..
م س .. بالله رقي لما لي
ما ذنب طفل في الاسار معذب

الف الشقا وتحمل الاتعاب
قد اهاكوا ابطالنا وحماتنا
وقضوا على اموالنا بنهاب

ماذا اجبت رسولم مولاي هل
جاريتهم فاجبت بالايجاب
س م لا قدرضت وقد توعدتني الرسو

ل وما برحت مقاوماً بجواني
ولسوف تاتيني المراكب عدة
فيها صنوف مواكب الركاب

عاديت قومي مثلاً شاء الهوى
ورددتهم املاً بنيل طلاي
عاديتهم حباً بذات ملاحه

لما حلت جليت مرير عذابي
فلعل ناظرها يقوم بنصرتي
ولعلمنا تشفي الجوى بخطاب

يامن اذا حاربت عنها راعني
من لحظها الفناك رشق حراب
اني اقاتل عنك لا مهيماً

الآ قتال تجنب وتصاب
هوذا يدي هذا فؤادي ها انا
نبيدي الخضوع لحسنتك الغلاب

ما كانا عليه من التوادد يجلب سروري. واذا
انفقا على الرحيل فاني افتح لما جميع ثغوري
ف س سيدي

س ف لئلا يفتكس لانطل الكلام. في هذا
المقام. فان في قلبي اموراً سأذكرها لك لتنظر
اليها نظر بصير. وترشدني الى حل مشكلاتها
ارشاد مشير. ولا اكتمك امراً من الامور
الخافية... دع هذا الان فان اندروماك آتية

الجزء الرابع

بيروس فنكس اندروماك
س ف م

س م دنت وقد اشنت فرنث غزالا
ومالت بانه وبثت هلالا
نلت بها ولو حيت لاحيت

قتيل صباية الف القتلا
مهففة رأت وصلي حراما
بعاف وقد رأت قتلي حاللا

انت بعد الجفا من غير وعد
تفاجئني بناظرها اغنيا
فبال الدمع فيه وقد اراني

حساماً قد اجاد له الصقلا
س م ابكي على واد اليك عذاب
في السجن بات سيمر كل مصاب

وانت اراه كل يوم مرة
واقلة الانصار والاصحاب
هذا بقية مهجة انلغها

في محبس اننقت فيه شبلي
قلبت ثوب السم بعد تنعسي
وجعلت من دمع العيون خضالي

ذنوباً جناها الحسام المهند
 وادبت دهن الوداد وهذا
 حساب ذنوبي بدمعي مسدد
 هجرت مناعي بفرط غرامي
 وسامرت بدرًا حكاك وفرقد
 فياتغر بالله فسر غرامي
 فانك تروي حديث المررد
 وياقد ما بال قلبك يقسو
 وانت تكاد للينك تعقد
 تشيت لما جمعت الجمال
 وما زلت باجامع الحسن مفرد
 ويا من تجنت على من جنت
 على الغرام فبات مشرد
 حنانك ان الغرام رماني
 فاطلقت دمعي وقالي مفيد
 والي لاحي الغلام بعزمي
 وحزني حتى اموت والحد
 وان طال عمري بئل بحسامي (م)
 عزاً عزيزاً وملكاً موطن
 فجوذي بعطفه علي تسودي
 وعودي عن الظلم فالعود احمد
 م س سيدي ان جميع هذه الوعود لا تنفي في
 حزني شيئاً . وكنت اعد بها اني لو كان ابني
 حياً (النفات) فبايها الاطلال الباليه .
 ويا ايها الاوطان الفريدة الغاليه . ان في قلبنا
 من الشوق اليك لناراً حاميه . ومن لنا بان
 نراك بعد موت المقاتلة والحاميه
 عليك دموعي جرت بانسكاب
 تماكي السحاب السحاب
 فرحماك مولاي ياذا الهام

س تجلد ولا تظهر الضعف فانك في البسالة
 آية . وانعم باحسان مجرّد فخير الاحسان ما
 كان بلا غاية . ابغلبك العشق فتخضع له
 اضطراراً . ولا تخاف في اظهاره عاراً . ونزعم
 ان اندروماك بطيب لما هذا الغرام . وهي على
 ما ترى من الاسر والحزن والسقام . واي جمال
 ياوح لك في عينين حكمت عليهما فعالك بالبكاء
 فجلها واحترم مشهود تعاستنا بعد النعمة والهناء .
 وانفذ غلاماً بات في اسرك ذليلاً . وكان من
 قبل جليلاً . وردّه على والده حزينة باكية .
 ولا تجعلها تفديه ببقية مهجة باليه . انفذه ولو ابنت
 امه فهو جارك وجار الكرم لا يضام . فذلك
 عمل يليق بابن اشيل الميام

س م اعيدك من البغض اللازم . والنقص
 الدائم . فقد اسفنتني بالتجني والصد . واتلفني بعدوان
 ما له حد . فان كنت ابكيتك دمعة يوم كانت
 يدي ملطخة بدم اقوامك فقد ابكيتني دمك اسفك
 مقداره في غرامك . وان كنت اقيمت بسبي عذاباً
 فقد احتملت صنوف العذاب . فانا مطلق الدمع
 مفيد القلب اليك السهاد وهي صنوف عذاب في
 الغرام عذاب . فهل بلغت بظلمي غاية ظلمك . وعلى
 فرض ذلك الم يكن من اعتذاري ما يقتضي
 مزيد حلمك

وان كان ذنبي كل ذنب فانه
 مما الذنب كل المحو من جاء تائباً
 فكفانا سيدتي معاقبة متتالية تقضي
 بانلافنا . وليكن اعداؤنا سبياً لانلافنا
 تجاوزت حد التهاجر والصد
 تجاوز طرفك في حده الحد
 وقد كثر الدمع لما هي

وانفذ غلاماً .. غلاماً .. غلام

(على قد ملككم فوادى)

(النفات) رحماك يا مولاي ان دمعي الهامع
لا يسألك غير الرحيل فهو غاية رجاء . فاسمح
لي ان اذهب بانني فاخفيه وابكي اياه . وقد
علمت ان ميلك الينا بورئك بغض قومك
والويل . فارغب في هريمون عني فانها اجدر
مني بهذا الميل

س م يا غزلاً بروم مني سلوا

عنه والمحبة في فوادى لابت

زادني العذل في هواك ثباتاً

رب عذل اضي على المحبة باعث

فأجرني اجارك الله من شو

في وكن لي من سهم عينيك غائث

بالفوجي صار الحبيب عدوياً

ان هذا لمن صرف الحوادث

بالله لا تعذلي قلباً عن هواك لا يحول .

وارحني طرفاً في غير محياك لا يحول . فليس

بامكاني ان ارغب في هريمون واميل اليها .

واقبل بعد الاعراض عليها . فقد ملكتك قلبي

ولك فيه الامر والسلطان . فكيف اهواها وليس

لي قلبان . ومن يرى مالك عندي من عظم

الشان . ورفعة المكان . ولا يظن انك الاميرة .

وانها الاسيرة اه . اه . اه . قول مغرم او اه .

لو سمعته هريمون لنال فوادها مناه

س م وهل تريد ان تسبعت متهداً بعد

ان صارت صاحبة امرك وولية شرك وجهرك .

وهل تنسى ما خضعت لاجلها من المهالك . ام

هي تطمع في غير ذلك . ألم يكفها سوء حال

واسري واذلال . ام تريد ان تضرم في قبر

هكتور ناراً . اي ذكر رهيب لهكتور

من حبا اباك مجدداً كما حبوتك بدمعي اشتهاً

س م كم ذا التبني والدلال . لقد عز الصبر

ولم يبق العنومجال . فاننا اسلوك وبغضك

ان امكن . فقد طال ما عاملتك بالتي هي احسن .

واعلمي ان بغضي يكون كمي شديداً . وان

رجوعك عن غيبك بعد ذلك لا يكون مفيداً .

وان الابن يؤخذ باعمال امه لا بمجال فاسلمه

الى اليونان والنجوم المشاكل والاهوال

س م يموت ابني .. ابني يموت ولا معين

له ولا شافع الا معين دمعي الهامع . وعسى

ان يقصر ذلك عذابي ويربحني ما الاقيه فالحق

يو لثقتي معاً بايه ..

س م اذهبي اليه ابنتها السيفة وانظريه . وقبله

وعافيه وافتكري ان تنقذه

الجزء الخامس

اندروماك

م

م م ابادهر مالي في العذاب ضريب

فقد حل لي يادهر منه ضروب

رميت بانواع المصائب مهجتي

وسمعت يارامي المصاب مصيب

وامرضتني لما سلبت احبتي

وليس لدائي في الديار ابيب

بكيت وكان الدمع من ذوب مهجتي

وكنتي بجناء الدموع خضيب

فان كان لي ذنب وانت مواخذ

فلاني من ذنبي اليك اتوب

عولوا غلامي وارعلوا زماني واشفقوا ايامي
لا تظلموا الاطفال يا ايها الابطال وانقذوني

الفصل الثاني

في قصر بيروس في حجرة هرميون

الجزء الاول

هرميون كليون

ه ك

ه ك ارضى بما رمت ارضى

وليتني لست ارضى

اورست عما قليل

يجي والامر يقضى

ك ه قد كان وهو بعيد

لا يلتقي منك دحضا

فصار وهو قريب

يلقي نارا ورفضها

عجبت مما اراه

حب تحول بفضا

ه ك لانعجي فانقلابي

عن فجو ليس يغضى

قابلت بالغدر حبا

قد جاء بالود محضاً

فان رأيتي وحالي

بئسها ليس برضى

يشف الفؤاد انتقاماً

وبتنض الثوب تنفضاً

فلست ارضى بهذا

باليتني كنت ارضى

ك ه لا تنفري عن محب

بعض ودك يرضى

جار دهري وما من مجبر

ونأي بعد عزى نصيري

فغدا قلبي كثيراً بالمصائب

وجفاني طيب انسي

وتولى البأس نفسي

يا الهي انت ملجأ كل طالب

فأجر نفسي من هذه التوائب

دهر جور لا يبالي

بتلافي ووبال

بات جعبي منه بالي

وهو بالاوجال جال

قد جار بي دهري

فحوت في امري

وما من الدهر مجبر

بالدهر من اذاه

طاب بالجسم بلاه

كيف انجو من بلاه

وهو بالفصال صال

باخالق الكون

كن في البلا عوفي

فانت لي خير نصير

(على قد «العيون الكواسر سبوني»

او يقال بدلاً منه

رمانى زماني وشفى عواذلي مني وجار علي ضعفي

بقصده ابني

دموعي جرت على الحدود فاضرم في قلبي الوقود

وشمت في الحسود بانرى زماني يعود فيجولو لقائي

الورود

واخلص من حزني

لا تظلموني بل ارحموني وخلصوني

وكنى سيدتي ما قد جرى

هـ ك لا تقولي قد كفى ما حصل

فاهجري او فاصبري صبراً حلاً

زادني الصبر مصاباً وبلاً

فاز الّا في الهوى من صبرا

على قد (باهي السنّا لما انتنى الخ)

ك هـ وهل تنتظرين منه خيانة جديدة . بعد

خياناته العديدة . يجب اسير . . ويحبها امام

عينيك . وكل ذلك لا يجعله بغيضاً لديك .

وماذا يمكن له بعد ما اجراه وكرره فانه لو

استطاع ان يجعلك تبغضيه لما تأخر

هـ ك لماذا تريد من تنبيه هي

فاني ارفض علي بعلي

فقولي فديتك اني سلو

ت وصوبت فخر الاصابة سهي

ترومين اني اسير فراراً

هلي بنا للمسير هلي

نسير ويقي اسير الاسير (م)

بين يديها واترك نفسي

ولكن اذا عاد عن غدره

وعامل بالحلم من بعد ظلم

وصار الخبيب وفيّاً بعهدي

سبعاً لقولي مطيعاً لحكمي

ولكن اراء خوؤنا فابقي

عدولة حب وسيلة غم

اقابل بالغدر غدرًا اتاه

واستل للفتك صارم عزمي

جئت على الابن وبلاً ومنه

ساجني على الامّ اوفر سهم

فليس يحنوك صب

ذو مهجة . نك مرضى

برى ودادك ديناً

ويحسب الصبر فرضاً

هـ ك مناسب الان با تي به بيلا . فاني له

من لقائي المراد

ك هـ وما عسى ان تكون ارادة ايك في

هذا الباب

هـ ك لقد اتاني منه كتاب . يأمرني ان اسير

الى اليونان بلا تأخير . ان ابي يبروس ان

يسلم الاسير

ك هـ فانكلي اذن علي اورست ليعلم يبروس

عاقبة الغدر كيف تكون . ونال الله لا يفلح الظالمون

ك هـ غادره وكنى ما قد جرى

ودعيه انه قد غدر

هـ ك كيف اسلوه وقلبي في يديه

ان روحي نرعت مني اليه

ليس صبري عنه كالصبر عليه

لا تلوي ان من ذاق دري

ك هـ غادره انه قد غدر

ولقد ذاق ولكن ما دري

هـ ك مهجني من جر شوقي تحترق

وفوادي في هواه تحت رق

وسهام الغدر قلبي تحترق

ووشاة الدمع تروي ما جرى

ك هـ غادره انه قد غدر

الجزء الثاني

هرميون كليون اورست

ه ك و

ه و اهلاً بن مسة في حبه السقم

شوقاً وما مسه هجر ولا سأم

ماذا دعاك الينا بعد فرقنا

الشوق ام رحمة في طيها نعم

وه هذا انقيادي لحب حل في كبدي

فجئت ابدية على الهجر ينصرم

وان اعاهد نفسي بالبقاء على

عهدي لمن غدر واظلماً ومارحوا

قربهم نفروا واصلمهم هجروا

امتهم غدروا خاطبتهم شملوا

صبراً عليهم لاعتهم ولو سفكوا

دمي وطوعاً لا راموا ولو ظلموا

هم ارضعوني ثدي الحب من صغري

فلست عن حبيم بالصبر انظم

يا من دعاني اليك الحب لا نسلي

عن حال قلب به النيران تضطرم

مذسرت عني تركت الدار ناعية

وخضت بئراً به الامواج تاتطم

وكم فريت النلا والليل معتكز

والغيث يبكي وأغر البرق يبتسم

طلبت موتاً وكان العمر يطايني

فازددت حزناً واضني قلبي الالم

بين البرابرة القوم الاولى رغبوا

في قتلي وانا بالصبر معتصم

قوم من السيت اهني صيدهم رجل

حي واغذب شيء بشرهون دم

ك ه سيدتي انما لم تجن ذنباً يستحق العقاب .

فانما اليفة غم وه صاب . وهل تظنين ان عيوناً

لا تنفخ الا للبكاء نروم مناظرتك في الغرام .

وان قلباً حزينا يميل الى من سبب له الالام .

وهل رأيت ان حبه اذهب عنها الاكدار

والشجون . وان كان ذلك فلماذا ترفض محبا

نسريه الخواطر ونقر العيون

ه ك ومن عجب الالام حالة عاشق .

تغيرت الافكار في امر حبه

يقرب من لا يرضي غير بعده

ويبعد من لا يتبعي غير قربه

وكيف لا يذيني غمي ووجدي . بعد ان

كنت اظنه لي وحدي . وكنت ارى كل شيء

يهمني به : قومي بعد ادراكهم النار . اليونان

بعد ان نفوا العار بالانتصار . مراكبتا وهي

مشحونة بالغنائم . المجد والسرور والسعد الملازم .

شهرة ابيه التي نسخت بشهرته نيران شوقه ودلائل

محبه . قلبي . . . وانت انت . ايضاً فقد كنت

مندهشة من مجده الكابل . وقد خدعتني قبل

ان تخدعني هذه الدلائل . اما الان فلم يغى

سبيل الى الاحتمال . هرميون ذات أنفة واورست

ذو فضائل وافضال . فهو على الاقل يعرف

ان يجب وان لم يكن مطلوباً وربما عرف ان

يجري واسطة ليكون محبوباً . فليات لذي واسطة

نزبل هذه الاكدار عنا

ك ه سيدتي ها هو

ه ك لم اكن عالمة باقترايه منا

فجوت منهم وجئت اليوم مبتغيًا
موتًا من اللحظ فهو المالك الحكم
قضى الزمان بان انجوبلا طلب
وقد سقطت على عمدي ولا أجم
كنت الذبيحة للمعبود عندهم
بئس الذبيحة اذ مذبحها عدم
وما نجاتي الا كي اقدم في
هياكل الحب حيث المجد ينتظم
فجردوا سيف لحظه كي يريق دمي
يا ظالمين وفي الاحشاء حبكم

هـ و سيدي خل عنك هذا الكلام . فانه مما
يضيق دونه المقام . وافتكرك في الملوك الذين
بعثوك سفيرًا الى هذا المقام . ودع ذكرا اعمال
السميت البرابرة ومفاعيل الغرام
هـ و قد اظهر لي يروس النصار المحض . ورفض
طالبي كل الرفض . واذن لي بالرحيل والظاهر
ان قوق لا يستطيع ردها تحمله على حفظ ذلك
السلام

هـ و يا الخيانة

وهكذا تمهياً لنا تركه ولا عنب علينا ولا
ملام . وقد اتيت لاستطلع افكارك فاعرف كيف
انصرف . واخاف ان اسمعك تنكرين محباً بحبك
يتعرف

هـ و لا تزال نسي ظنك بي . مع انك تعلم باني
لم آت اية الا باذن ابي . واقسم اني كنت
اذكرك في خلواتي . واتنى ان اراك ولو خالفت
واجباتي

هـ و تمنين ان تربني . ان تري اورست .
تألمي وامعني النظر . انك تخاطبين اورست
المهجور المحتر

هـ و نعم انت . انت الذي نشأ حبه مع حمته
يعلمه بادئ بدء كيف يكون الظفر . انت الذي
كانت تحبني فضاءك على حبك واحترامك
وقد جعلتني من الميل اليك على شفا خطر .
هـ و نعم . نعم . . . اسمع هذا الكلام . القلب
ليروس والذكر لمن اتلفه الغرام

هـ و اه . . . (نقول هذا بدلال و غنج وخيلاء
ووالح) لا تذكر يروس فانا اكره من يذكره
هـ و بل نكرهين من ينكره او من لا يشكره .
يا للعجب كيف تنظرين الي نظر الموارب .
تريدن ان تحبي اورست ولا ترين ما
يستحق الحب فيه . ويدولك الحب بلا سلاح
وربما عصيته وانت تريدن ان تطيعه .
واقسم انك تدافعين عن يروس وربما كان
ذلك بالرغم منك . وهو غير راض . بذلك لان
قلبة المائل عنك . لا . . .

هـ و من قال لك هذا وهل رأيت بي ما
يدل عليه . فان كان لا يميل الي فاني لا اميل
الي . فحني م تحفرتني

هـ و انا استحق هذا الملام . و يلقى بي هذا
الكلام . انا احفرك وعيني لا تنظر اليك نظرة
وداد . ولو نظر يروس اليك بعيني لنت المراد
هـ و سيدي سواء عندي ان اقبل او هجر
وان وفي او غدر . فاذهب واحمل عليه بجوش
البرنان . وجازه على ما ابدى من العصيان

هـ و سيدتي هلم بنا قبل ذلك نذهب . الي
حيث يكون لك في كل قلب مطلب . تعالي
واحكي بالقلوب ولتجد لنال المطلوب

هـ و ولكن اذا اقترن باندروماك

هـ و كيف العمل . . . هذه مصيبه

وارملته وابنه ومن شاء من الترواديين . حسينا
هرميون عادت اليها فلا تنظر بعد ساحلك
يا ابيرة ولا تشمأق اليه . فلتكلم ونطلب
ابنها المحبة ظللي عينيه

الجزء الرابع

اورست يروس فنكس حاجبان
و س س ف حح
(بحرسان يروس)

س و سيدي كنت اطلبك لاخبرك ان
الغضب . جعلني ارفض ما جئت لاجل من الطلب .
واني بعد انفصالنا فكرت فيما قلت من الكلام .
الجدير باللام . وعلمت اني برفض طلبك اقاوم
اليونان واني وانا قاض ذاتي لاحمال . واحيي تروادة
بعد موتها او اعزها بعد الازلال . واجعل ما
صنعت وصنعه ابي ناقصاً مع المقدرة على التمام .
واني لذلك اعذر اليك وعما قليل اسلمك
الغلام

وس الان هديت الى الصواب ووفرت عنك
وعنا معاناة الانعاب ومنعت حرباً تقضي على
الارواح بالذهاب . وعلى الاموال بالتهاب
وو وبلاه لقد فسد التدبير وساء المصير
س و واني قد عزمت على ان ازيد الرضا
توطيداً . والصلح تأكيداً . بان اقترن بهرميون
وانت هنا . تشاركنا في المسرة والهناء . والظاهر
ان اقتراني بها كان يترقب مجيئك لتكون من
الشهود . على تجديد العهد . فانت تنوب عن
ابها وعن سائر رؤوس اليونان . فسر اليها
واخبرها بما كان

و الا يلحق بنا العار اذا اقترن بغريبه
و ه ان انكر الصب الهوى فدموعه
في وجتيه نخطأ عنه سطورا
لا تستري وجه الغرام ببرقع

ان الزجاجة ليس تخفي النورا
و حتى م تستنج من بغضي الوداد . وتخالف
من كلامي المراد . رح وقل ليروس ان
عدو اليونان لا يكون صهرهم فاما ان يسلمك
هرميون او الغلام فليختر من الامرين مارام
ثم تشد على قد (يامن اسرني بالجمال)
او ان يسلمك الغلام

حالا كما صار الكلام
او انني امضي فلا
ارضى البقا في ذا المقام
لم ارض بعد العز في
ذلي ولا اخشى الملام
فاذهب وياشر ما عسى
يفضي الى نيل المرام
(وتذهب)

الجزء الثالث

اورست
و

و و ليس بدعاً اذا غدوت مجيئاً
عن سؤال عنه السؤال جواب
تم ما رمت والزمان وفي لي
وقد انجاب عن نهاري الضباب
كلمة واحدة تكفيني . يروس يجب
بالانجاب وهذا بلا ارتياب . بالسرور اي حظ
واي انتصار ميين . فليفظ يروس ترواده وهكتور

و ما كلما تمني المرء بدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
(وبذهب)

الجزء الخامس

بيروس فنكس الحاجبان

س ف ح ح

س ف كيف رأيت . الاتزال ترعم اني
يغلبني الزمام . لالا . اعلم اني لا اغاب وانني
ابن اشيل الهام

فس الان انت كما ترضى العلاء رجل

بقي الصروف بقلب ما به وجل

اصبت نصراً على نصر وخيرها

نصر غريءك فيه الاعين النجل

س ف اجل هذا اول انتصاراتي . وغزوة
الحب اكبر غزواتي . فقد حاربته ورجعت منتصراً
ظافراً . وعاد مغلباً خاسراً . لقد لاح هلال
سعدني . وهذا بداءة هجدي . تأمل يا فنكس
ان نظرة . كانت كافية لتورثني الف حسره وتبليني
بعذاب واضطراب . ومقاومة اهل واصحاب .
واهل واجبات . وارثكاب سيآت

ف س ولجأئها يد في هذه القضية . فهو
الذي انتذك من هذه البليه

س ف اصبت لفسد تجاوزت الحدود .
بالصدود وقابلتني بما لا يحسنل . من التجني
والملل . وما زادني غيظاً انها حين امرتها بوداع
ابنها . ذهبت وأهاجت بالبكاء نار جزنها .
فرأيتها وهي تسكب الدمع وتذريه . معانقة
ولدها وقد كررت مائة مرة ذكر ابيه . والتفتت
الي وهي تقول هذا هكتور الفريد . هذا بعلي

الجيد . عيناه تشبه عينيه وكل ما فيه بدل
عليه . ثم عادت اليه فعاينته قائلة انت بعلي
وانت ولدي . انت قصدي . وانت عضدي .
فأيقنت انها تروم ان احبي ابنها لتشفي به
نفسها من الآلام . وتشفي نفسي وتضرم فيها
نار الغرام

ف س هذه عني هوى الغيد . مثل
الصناديد . وجاعل الملوك كالعيد . والباسل
كالرعيد

ب ف زعمت باني لا احول عن الوفا

صدق فاني عنه لست احول

لكن هجرت نعم هجرت فخلها

تبكي وتندب حظها ونقول

وامر ما لاقيت في اسر البلا

قرب الخلاص وما اليه سبيل

كالعيس اقبل ما يكون لها الصدي

والماء فوق ظهورها محمول

ف ب لقد تم لنا ما تمني . وفي العنا عنا
فسر بنا مولاي الى هرميون وبلغ من الاقتران
بها منك

ب ف وهلاً يسوء ذلك اندروماك .

ف س انا لله وانا اليه راجعون . لاتزال
مشغلاً بذكرها . ومهتماً بامرها . وماذا عليك
بعد هجرها . من غضبها او رضاها . ومن اقبالها
او جفاها

س ف الله يافنكس ان قلبي لا يزال . . . لا
أعلم ماذا حل به فهو يطلب الرجوع عن
هذه الحال

ف س اجزل الله عليك النعم

ايها المولى الهام

قدمت يا بدر يا غامة يا
عالي الذرى يا هام يا بطل
ياشهم يا سهم يا مهند يا
ليث الشرى يا هام يا رجل
الأكر

قد بدا لنا بعد الظلام
ونأى العنا يا ابن الكرام
قدم ما تجلى بدر النام
يا من علا على العلى بين الملا
واسلم ما حلا حسن الختام

الفصل الثالث

الجزء الاول

اورست بيلاد

ب

ب و كهك حزنا وغما

مولاي فالخون يضني

قد ذبت فيو سقاما

وكاد يخفك عني

كفى

.....

وب ... اييلاد دعني

فالذنب منك ومني

تبعك رأيك لكن

لشفوتي لم ينفدي

سئمت عيشي ودهري

كل المصائب يجني

ولا ازال حزينا

حتى انال التمني

لا تفل لا بعد قول نعم

ليس ذا شأن الكرام

س ف لا تخف يا صاح عود العنا

بعد ما حاذرت

ان قلبي وهو قلبي انا

لو جفني غادرت

(يشدان ذلك على قد «شمس خدر تجلي فوق بان»)

كيف اعود اليها وقد هجرني وهي اسيرة .

ذيلة حنيرة . واني لو خائني طر في انفلعت .

ولو جناني قلبي ما صحبته . فاننا اسلم ابنها الى

اليونان واعلمها بعد المودة بالعدوان

(ثم يشد فنكس مع جوقه للملك)

(على قد «العيون النرجسية»)

في سما الانس الدنيا

فمر الاصلاح لاح

وبما اهدي اليها

طائر الافصاح صاح

قد نأى وجه العناء

ودجى الانراج راح

فسكرنا بالهناء

انما الافراح راح

طاب الهناء لنا وقد نلنا المنى

وبدا هلال سرورنا

والغم عنا قد نأى ودنا الهنا

بدنو انس نصيرنا

على الحن « تلك المنازل والقصور العاليه »)

نشيد

نالت يزيد الهناء انفسنا

من بعد ما كاد يقطع الامل

ب و ان هذا لمن الزعم . او بالاولى من
الوهم . فانها نجس يروس واوغدر . وتروم
قربه واوهجر . وان اغربتها بتركه فكلية واحدة
عن عزمها تشبها

وب ولذلك اريد ان اسبها

كيف ارضى بان اسير وتبقى
بسرور وافى وقلبي بثقي
ضعفت فمني مصائب تترى
واناني البلاء غرباً وشرقاً
كم اراعي وقتاً واكظم غيظاً
ومصاباً وكم من الحب التي
لا تلهمني اذا رايت اضطراي
يا أخي انا الذي مت حقا
مت حقا لكننا بعد موتي

من يد مت لا يعيش ويبقى
سوف بلقي يروس مني فتى لا

برهب الموت اي نعم سوف بلقي

ب و نعم الآراء . وما تكون نتيجة سفارتك
لنفس سفائك دم (يقول ذلك سائلاً مستغفراً)

وب لا اعلم . . . ولكن لا تحقرني هذه
الظلمة ان عدت بالحجة من هذه الديار .
فخبرني ان يتعجب اليونان من فعلي من ان
اكون اضحكة في ايبره والبس العار . اني
ارى الحق في يدي فاي شرع يحكم علي بالحد .
ولا يتجاوز في حكمه الحد . اما انت فقد
تحملت في المودة تعبا . ولقيت نصبا . فدعني
وكلفني الى تدبير الافذار . اذهب وخلي ما
بين الاخطار . وخذ الى اليونان الغلام الذي
اسلمه يروس اليها . اذهب

ومني ذات حسن

مذ كلفني سبتي

فاعلم صدقتي الي

ان لم انلها فاني

ب و احسنت . . . نأخذها . كيف كانت
الطريقة التي نتخذها . ولكن هل تبصرت فيما
نقول . الم تر مانعا دون ذلك يحول . تأمل
ومر عيونك ان تكسر . واخف عن
هرميون امرك . ولا تتدعك الظواهر . فقد
تخالفتها السرائر . انظر الى هذا النصر وما حولة
من العساكر . هؤلاء الحرس وما دون مقاومتهم
من المخاطر . كلهم ليروس وهرميون له ايضا
لا محال . فكيف تخطر لك هذه الافكار في مثل
هذه الاحوال

وب ان زمامي ليس بيدي وقد فقدت
الرشد . من شدة الوجد . حتى كدت اجهم عليه
وعلى من نهواه . بلا مبالاة

ب و وهل تكون نتيجة هذا العمل . غير
الفشل

وب ولكن اي نفس تلقى ما لقيت . وتشقى
كما شقيت . ولا تخطر لها هذه الافكار . ولو
كان دون نفوذها اخطار . فقد طالما صبرت
للمصبر وعانيت جزيل عناء . وكيف اصبر
وفي الغد يقتل يروس بهرميون واقدمها
الي يدي وايتها تلطخ بدمائها

ب و ولماذا . . . وهل تحسبه راضيا بهذا
الاقتران

وب لا لعري . . . انه لا يقترب بها الا ليسابني
اياها ويضرم في قلبي النيران . واسفي لقد
اصبت بالفشل . بعد ان كدت ابلغ الامل

و ه لا ياسيدي فهو ببحك . ولولا ذلك لما
طاب لك قربك . ولحظك الغزال لا يحوك
الاما برضيه
ه و وسيدي ان الشرف يأمرني بذلك فلا
اقدر ان اعصيه

و ه اصبت فلا سوي حظي يلام
ولا عنب عليك ولا ملام
واني لا الومك غير اني
اذوب اسي كما شاء الغرام
شككا قلبي عذابا يلتقي
فقلت اصبر كما صبر الكرام
فقال وقد أصيب بسهم غدره
على الدنيا وبهجتها السلام

ه ي اسمعت هذه الشكوى التي تحزن النفوس
ي ه هو المعلوم فانه لولا تماؤنه لنال المراد .
ولما كان ييروس اجابه الى ما طلب . مخافة
ان يبلى بالعطب

ه ي ييروس لا يخاف فقد سارت بهجائته
الامثال . وماله فيها مثال . فكأنك لاترهب
بي ما يستحق الميل . حتى حملت ميله الي على
خوفه من الويل

ي ه لا ولكن لكل قلب جاذب وللناس
فيها يعشقون مذاهب . . . ان اندروماك
آتيه . وهي باكيه

ه ك لا اقدر ان امتنع نفسي من الطرب .
ولكن ماذا اقول لما . احسن ما اراه
الهرب

ب و فلنذهب سيدي ونجرب ما نرغب . فلا
نغضب . اني ارافتك في الاخطار حتى نال الاوطار
فسر بنا الى اصحابك اليونان ننشطهم ونحسن
التدبير . فمراكبنا مجهزة والريج تنادي بنا طاب
المسير

وب اني شاكر لك ايها الصديق . فانت خير
من برجى في الضيق . وارجو ان نعتو عن
نعيس زاد يأسه وفقد كل ما يحبه فكرهته نفسه
ب و اقدبك مولاي فحنف عنك الآلام
وتناس خيانة هرميون . ها هي قادمة الى هذا
المقام

وب سرانت للتدبير وعلى الالهة التدبير

الجزء الثاني

اورست هرميون كليون

و ه ي

و ه ان مسعاي قد اناك فوزا

وسعودا لازلت بالاسعاد

عاد ييروس طالبا منك قربا

فتبني بالقرب بعد البعاد

ه و بلغني ذلك وقيل لي انك نطلبني
لتعبرني بالخبر

و ه اراه خبرا يزبل عنك الكدر

ه و لا يجلب الفرح . ولكنه لا يجلب الترح

و ه لك الهناء . . . تنهب وانا افوم
بالدعاء

ه و ولا انكر انه ربما فضل مصلحة على محبته .

وان ليعوني سلطة على مهجنتك ليست على
مهجته

الجزء الرابع

اندروماك هريون كليون سفتز
ك ه ي س
(اندروماك ندخل ودرميون تكون)
(على عزم الخروج)
ك ه مهلاً فاني في حماك ومالي
من ذلة كي تقطعي آمالي
وفقدت بعلي في القتال ومالي
والدهر لي كأس المذلة مالي
لله من ذل العزيز الغالي
ابكي على والذي ودمعي جاري
كالغيث لكن ليس بطني مناري
سلبوا بما طلبوا يسير قرارى
لا تسلبوا فان حفظ الجار
فرض على اهل المقام العالي
قد صنت املك يوم راموها بشر
ومنعنا من ان يدانيها بشر
فاحي فنى الف الكآبة والكدر
حيران ما بين السلامة والخطر
حتى غدا سقماً خيال خيال
ه ك ان حزنك يحزنني ولكن واجباتي تمنعني
من تثيم هذا الطلب . اما يروس فلا اعزمك
لديه . وقد تسلطت لوماظك مدة طوي . فدعها
تكلمه وتقدم في ذلك اليه (وتذهب)

الجزء الخامس

اندروماك سفتز
ك ف
ك ف بقلبي من اذى دهري لميب
لدمعي فوقه اي انسكاب

فلا نطفي الدموع لميب حزني
وغير القبر لا يطفي التهابي
كريت معدني ليس يطفي
بماء وهو بطناً بالتراب
(ثم تنشد على الحن « يا بدر جنح الضباب »)
انوح نوح الثوا كل
والدمع جاري وسابيل
والقلب راج وسابيل
وما لصبري وسابيل
في مثل هذه المسائل
(وبلى ذلك)
ان قهري حان . واصطباري خان
خيبت املي . هذه الاحوال
من لنا بالهنا . والعنا قد دنا
غير محمل . حمل ذي الاهوال
ف ك سيدتي دعي النعم فظرة واحدة منك
تكفي فتنتني عنك الاحزان . وثقلني هريون
وكل اليونان
ك ف اي نعم لا بد من هذا الامر . فانا
اجاريه وان كنت افضل على ذلك مجاورة
القبر .

سأجاريه وللدهر احتكام
وفوادي فيه من حزني ضرام
مقصدي بررلي واسطوي
هكذا قال لنا بغض الانام
ف ك سيدتي انه آت ها هو قد دنا

الجزء السادس

بيروس فنكس سفتر اندروماك

ب ن ف ك

ب ن ابن الملكة المُنقل لي انها هنا (معرضاً
عن اندروماك)

ك ف ارأيت سطوة لحاظي

ب ن ماذا تقول

ك بذاتها تركت بلا معين ولا محجور

ن ب هلم بنا تتبع هريمون

ف ك ما هذا الانتظار انه يسير

ك ف انه وعد بتسليم ابني

ف ك ولكنه لم يسلمه بعد

ك ف قد وعد بذلك ولا يخلف الوعد

ب بذاتو بالعجب . انها لا تزال تتبني وتجنب

ك ف وامصبتها اني ازيده غضباً فلنذهب

ب ن فلنمض من هذا المكان . ونسلم ابن

هكتور لليونان

ك ب لله مولاي مهلاً

فانت اعظم حلماً

ان رمت تسليم ابني

سلم مع الابن اما

مولاي كنت حلماً

لم نأت من قبل ظلمنا

عذبت قلبي شديداً

كانني جئت جرماً

فاسمع فانت كريم

أبا وخالاً وعماً

أمولاي رفقا فالدموع سوافتح

وكاسات حزني بالمصاب طوافح

فسامح اذا ما كنت ذات جريمة
فانت كريم والكريم سامح

(ثم نقول على قد «يا من حوي الخد
الاسيل»)

وارحم فقد اضنى الالم

جسي واضواه العذاب

والحزن عندي قد الم (م)

بمهيبي والقلب ذاب

ب ك قد وعدت به

ك ب الست الذي كان بدعي حيي

ب ك كنت اعنى فصرت بصيراً فعصيت

قلبي

ك ب ان اندروماك تجنوا لديك وابي الله

ان تجنوا لدى غيرك من العالمين

ب ك لاتداهني من تبغضين

ب ن سر بنا يا وزير (يقول ذلك بغضب

ومعرضاً عنها)

ك ف وانا اسير لالحق ببعلي فهو لي خير

محجور... (ونهم للذهاب)

ف ك سيدتي...

ك ف وماذا افعل

ك ب مولاي رفقا بقلبي

واشفق على سوء حالي

فانت تعلم الي

فقدت اهلي ومالي

رايت بعلي فتيسلاً

يجز فوق الرمال

وفي الدي الشهم ايضاً

قضى بذاك القتال

الى الميكل فاما ان تقبلي فيه اكليل الفرات
واما ان اسلم ابنك الى اليونان
(ويذهب)

الجزء الثامن

اندروماك سيفتر

ك ف

ك بذاتها احرق الدهر بنار كبدي
عندما رامول بشر ولدي
انت ياهكتور عزي عضدي
سيدي ركي مجيري سندي

اقصروا اللوم وكفوا العذلا
لست ارضي من حيبي بدلا
لا وحق الحب ياهكتور لا
ما قيادي يامليكي في بدلي
(تنشد ذلك على لحن «ياغزالي كيف
عني ابعدوك»)

ف ك فلنذهب اذا ولسلم ابنك الى اليونان
ك ف ويلاموت ابني . ابني خليفة هكتور
بقية ابطال الزمان . سيفتر دعيني . ابك عليه .
او هلم نذهب الى يروس . . . لا لا اذهبي
انت اليه

ف ك وماذا اقول له
ك ف قل لي له ان حبها لابنها شديد
وهل نظنين ان ما قاله عن عزيمه على قتل
ابني اكيد

ف ك سيدتي سيأتي الان

ك ف اذهبي

ف ك وماذا اقول . هل اعده عنك

لم يبق لي غير طفل .

من اسرني ورجالي

مولاي قد ذاب قلبي

مولاي رفقا بجالي

ب ن اذهب يا فنكس وانا اتبعك بعد حين
(ويذهب فنكس)

الجزء السابع

بيروس اندروماك سيفتر

ب ك ف

ب ك سيدتي ابن من عليو تبكين . انا اعلم
اني كلما زدت تقربا . زدت تجنباً وقد كنت
احسب بغضي اعظم ما اري ولكن جري حكم
الغرام بما جرى . انظري الي اترين في عيني
حاكم ظالم . الا ترين فيها حنونا تبكيا بانعطاف
ملازم . واني اسألك بابنك الذي تحببته ان
تحفظني بغضك وترفعه . وارجو ان تحفظني
ابنك وتنقذه . وهل يقتضي ذلك ان انطرح
بين يديك . او اجثو على قدميك . وبالنتيجة
انقذه سيدتي وانقذه ذاتك . واحفظني بحفظو
حياتي وحياتك . واعلي اني الاتي دون ذلك
اهوالاً ومهالك . ولكنني احبك فانا اترك
هرميون ان رضيت بي . واقدم لك قلبي .
والبسك من الجدا اكليلاً . واري كل ذلك بالنظر
الى ما نستحقين قليلاً . ويجب ان املك مستبداً
فان العاجز من لا يستبد . واني في طلب ذلك
مجد ولا اخاف وعداً او وعيدا .
فانا اموت ان خسرتك على اني . اموت ايضاً
ان زدت صدوداً فاعلي اني ساذب بك

الفصل الرابع

الجزء الاول

اندر و ماك سفتز

ك ف

ف ك قلبي اشتفى وبدا هلال هنائه

فأغشاء في ظلمات ليل عنائه

انقذت طفلاً سوف يحبي ذكر من

سلفول ونالوا المجد من آباءه

ك ف انقذته .. وبلاه .. عز نصبري

كيف السبيل الى حفاظ بقاءه

هيا بنا نلقاه اخر مرقه

ونذوق خطب البعد بعد لقائه

ف ك وبلاه ما

.....

ك ف لانعجي ان كان لا

بندي فوادي شخصه بوفائه

هكتور لا تجزع فلست اخون من

انقذت عمري في سبيل ولائه

هكتور ياخير الوري هكتور يا

ليك الشري والمفندي بعلائه

هكتور انت رجاه قلبي لاسوا

ك فكيف يهنا بعد فقد رجائه

ليبك اني مثلما شاء النضا

اقضي وما من دافع لقضائه

هذي يدي تنضي لبانة هجني

بشقي يفرى الحشا بهضائه

ف ك مولاتي بالله ما هذا الكلام

ك ف اوله باسمبرتي لا بد لي من شرب

كأس الحمام . واترك ابني متكلة عليك . وقد

بالقبول

ك لذاتها (نقول على نعم » ومن عجي ان

الصوارم والقنا »)

ابادهر كم بالصابرين تجور

وما من نصير في بلاك يجيز

فسد واحنكم واطلم وعذب كانشا

فان فوادي بارمان صبور

ف ك (من النغم ذاته)

مهيلاً ستقضي الامر آله الوري

وليس عليهم في الامور عسير

ك لذاتها لقد ذاب باهكتور قلبي ومهجي

بها من زمان لوعة وسعير

ثم نقول اندروماك مع سفتز

(الاكرك)

اما كفي ما قد جرى

فالسقم بالجسم مري

قد فاز من قد صبرا

فالصبر اول ما اري

والدهر ييدي العبرا

كما يروم

لقد جني ذهري العنا

وحل بالجسم الضنى

وقد نأى عنا هذا

والغم واني ودنا

فارفق بنا ياربنا

انت الرحيم

هـ ي ها هو آت فكانه علم بما نحن فيه

الجزء الثالث

هرميون كليون اورست

هـ ي و

و هـ بلغني انك تسألين عني فأقبلت ولو

استطعت لسعيت على العين والراس

هـ و طلبتك لاعلم ان كنت تحب فازيل

عني الالباس

و هـ تسألني ان كنت صباً بجها

يحييك دمعي وهو منك صيب

سلي حسرتي اولوعي او تذلي

فلي شاهد ما تربت يجيب

هـ و انتقم لي فاصدق بما نقول

و هـ ليك ياسيدي فانا عن القيام بامرك

لا احول فلهم نضرم النار ثانية في اليونان

فانت مكان هلين . وانا في مكان ابي اغامنون

ملك ملوك الزمان . ولنجلب البلاء على هذه

الديار ونجعل اخبارنا تناقلها الاجيال في

الاعصار

هـ و لالا فلنلق فاني لا ارضى بهذا الكلام .

كيف اري الاهانة هنا واسير الى اليونان

منتظرة هنالك الانتقام ولعمري فاني اريد ان

ابكي كل من في ايبره قبل ان اسافر .

فاذهب الى الهيكل ولطح سيفك بدم هذا الغادر

و هـ دم من

هـ و ييروس

و هـ ييروس سيدني

هـ و نعم نعم فهو غادر ولا يحسن الصبر .

على اهل الغدر

عهدت بنريته واصلاح حاله اليك

ف ك لا تردي غصني . فانا اتبعك

واجعلي من حصتي . ان اوافي معك

(على نعم اشرفت شمس الكمال)

ك ف ان كنت تحبيني فابقي للاعتناء بابني

الاتعلمين انه خلاصة السعادة . وانه بقية

هكتور وبطل ترواده . فانت لتولين امره وتسيرين

به على سنن اجداده الكرام . واسألني ييروس

ان يحافظ عليه كي لا يضام . واني اقبل ايضاً

ان تسألني في ذلك عني واخبرني ولدي في

كل يوم انه من دم هكتور الجليل . الذي

اجود بروحي ولا ارضى منه بديل

ف ك لله ما هذا المقال

قد عزّمني الاحتمال

ك ف من يزحم الفوادا

بين الوري

ف ك اما كفى وزادا

ما قد جرى

(نغمه تركي « بردل كوزل باندم سني »)

اصمني اني اسمع حركة من هذه الناحية . . .

فلنذهب هذه هرميون آتية (وتذهبان)

الجزء الثاني

هرميون كليون

هـ ي

ي هـ لا اقدر ان اسكت عن تهاونك فالامر

مضى . وهو سيفقرن باندروماك ويتركك لتفليين

على جمر الغضا

هـ ي آتيني يا اورست لتذاكر فيما يشفيني

و يشفيه

هـ و ولكنه سيقترن باندروماك في هذا النهار .
وماذا بموفق عنه فهو يقدم لك رأسه لتضربه
وهو بلا حرس
اورست بذاته

خأدت يا حب ذكر الهم في خلدي
وكأدت منك ازواج العنا كبدي
فأت صبري وهب الدمع بندبه
حتى بكاه بكاء أم على ولد
ما زلت نطلب صبري غير مثله

حتى ألهته مني يدًا بيد
فليت شمك لم تشرق على وطني
وأجت بدرك لم يطلع على بلدي
لكل صاب على علانوه امد

الا أذاك فلا يجري الى امد
يا من أصيبت بسم الهم ههجه

أصبر فاني الوري خال من النكد
واستوقف الدمع ان نالتك نازلة

فان دهرى لا يهني على احد

هـ و وبلاء قد اطلت الجدال فحق لي الممل
واراك تريد ان تشكو ابدًا ولا تجري شيئًا . فلا
نعيب اذا لم تنل شيئًا

هـ و لله ما يفعل الغرام
فلا اعتذار ولا ملام

صبرًا على كل ما قضاه
العب يا ههيني احكام

طوعًا لما رمت من محب
فانك النصد والمرام

فسوف يلقي يروس مني
فتني لديد طاب الحام

هـ و سيدني اري ان الغيظ قد اخذ منك
كل مأخذ حتى ستر عنك الحقيقة . نتقم .
مناسب . ولكن بغير هذه الطريقة . واكون
عدو ييروس ولا اكون قاتله . فهو فعل
لا يحسن ان اكون فاعله . والاولى ان تثير
عليه حربًا عادسة نهلك انصاره . وتخرب
امصاره . فهل تؤثرين ان اعود الى اليونان
برأسه بلا سبب . وماذا تكون نتيجة سفارتي
فاعدي اذا عن الغضب . واقتكري انه ملك
جليل . وان رأسه ذو اكليل

هـ و الا تكتفي بحكي عليه . والا نرضى
باحتراري ذنبًا يستوجب القتل . فاقمته فانه
يحسن في عيني هذا الفعل . واعلم اني كنت
احبه ولا افضل عليه احدًا وان احترني اليوم
فيمكن ان احبه غدا والظاهر انك خلي البال
لا تبالي بهذا الحال

هـ و نقول خلي البال عني وما رأيت
حوالي فواد حشوهن عذاب

سقام ووجد واحترق وانها
صوف عذاب في الغرام عذاب

هـ و فانتقم لي ان كنت صادقًا
هـ و سيدتي مناسب يجب قتله ولكن ما العمل
وما التدبير . انريدين ان يدًا واحدة تقاوم
ملكة اير . واي سبيل الى ذلك تأمرين بقتل
ملك ولا تفسمين لي بفرصة يقتضيها خطر العمل .
انريدين ان اقتله بين شعبه حيث ليس بالنجاة
امل . وادنس الهيكل بهذا العمل . فاناشدك
الالهة . ان تنأني فاني في مساء هذا اليوم
اهيئ لقتله امضي الاشباب وفي هذا الليل
طوعًا لامرك اقتله .

العهود التي لم تبرم على وجه شرعي وقد . تعذر
عليّ ان اجعل هذه العهود تغلب على ميل
نفسي . وما كنت لولا ذلك لانقض عهدي
واخلف وعدي فلك الان ان تسميني خائناً
او متخلف القلب اذا لم تؤثر الصغ عن قلب
قيده الغرام فاصبح لا يستطيع منه انفكاكاً .
واصبحت لا ارى له في غير هواه حراكاً . واني
لاخاف سكونك اكثر مما اخاف كلامك

هو المحب حتى ينفذ العزم والصبر
وما المحب الا الذل والهول والاسر
فلا منجد ان جار وهو محكم
ولا منقذ من حكمه وله الامر
اذل فوادي وهو في العز رافع

واوهن عزمي بعد ما ناله النصر
ومن عجمي اني اخوض الوغى ولا
ابالي وقد غصت بها البيض والسر
وأغشى الظبي والموت رهن مضامها
واخشى الظبا حياً ومسكنها الففر
وها انا في ذا الحب رهن احكامهم
وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر
هـ ب ابن المروءة شئمة الابطال

والصدق في الاقوال والاعمال
ابن الوفا شأن الكريم وابن من
نادى انا ابن مدلل الاقبال
من كان لابلويو ليك رهبة
عن عهده بلويو لحظ غزال
بطل تحاذره الاسود اذا سطا
وبروعة ظبي بغير نزال
يا من اتاني بعد ان نقض الولا
قد هجت بلبالي ولست تنبالي

واليوم تبدو سوق المنايا
وبيننا ينصف الحسام
ان لم امت في الوغى قتيلاً
لا نذبت فندي الكرام
تفديك روجي وانت روجي
التي مني فلا الامر
هـ و رح ولتكن السفن مهبأة لركوبنا في
الحال
(اورست يذهب)

الجزء الرابع

هرميون كليون
ك

ك هـ سيدتي اضعت رشذك في هذه الاعمال
ك هـ نعم لا بد من الانتقام فليست لاشتني من
حزني . واذهي يا كليون واخبري اورست ان
يقول له عند قتلوا ان يقتله عني
ك هـ سيدتي اري الملك متبلاً
هـ ك سارعي اذا وقولي لا اورست ان لا يجري
شيئاً قبل ان يقابلني

الجزء الخامس

يبروس فنكس هرميون
ب ف هـ

ب هـ اراك الان ولا ريب انك ترينني
باستغراب . وقد رغبت في مقابلتك لا بوعيد
او وعد كذاب . بل لاخبرك ان جرماً ارتكبته
بالرغم مني بقودني اليك بنفس ذلها الوزر .
وهي تطلب العذر . اني احب تروادية وقد
عزمت على الاقتران بها على معرفة ما بيننا من

ولكن خف ايضاً من ان تراني هناك
(وتذهب)

الجزء السادس

بيروس فنكس
ب ف

ف ب مولاي سمعت وعيدها فلا تأمن
عاشقة وقعت في اليأس وهي تطلب الانتقام
فان اليونان الذين هنا يساعدونها واورست
لا يزال بها ذا غرام فافتكر فيما قلت
وحاذر...

ب ف ان اندروماك تنتظري فحافظ انت
على ابنها بالعساكر

ف ب الامر أصبح باناصري

في خطرهم بخذر من غادر

ذلك ما يخطر في خاطري

والامر في ذلك للامر

(على لحن «لحظك يا بدر غدا ظالي»)

ف بدانو (يقول على لحن «مشرق بالحسن
بدري»)

قد غدا خوفاً عظيماً

ايها الملك الممار

واري خطباً جسيماً

قاصياً بالاهتمام

كن بما تبدي حكيماً

نال ذو الرشد المرام

فهي قد زاد جواها

بمناة الغرام

واذا زاد بلاها

رغبت في الانتقام

اكبرت نفسك وهي صغرى بالهوى

ورضيت بعد العز بالاذلال

عار عليك عليك عار دائم

يبقى مدى الاعصار والاجيال

ب ه سيدتي يجب ان تسدي الآلة شكراً
على ما سهلت لنا من سبل الانفصال . لانه
ياوح لي ان قلينا لم يخلفا ليكون بينهما نصال .
وقد كان علينا ان نطيل الاختبار قبل ابرام
العمود اما الان فلا يصح ان ينسب الى احدنا
خيانة او اخلاف وعود . فان الخيانة انما
تكون بنقض الوداد وهو امانته . فان لم يكن
وداد فكيف تكون الخيانة . وانت تعلمين اني
لم افعل ما يجعلك على حبي . فربما كنت بذلك
تكرهين قربي

ه ب انتكرحي والمدامع تبديه

وينشره سقي وصدك بطوي

اتيتك والامال مل خواطري

وقلبي يصنو والزمان بصافيه

فعاملتني بالغدر ياساقط الوفا

واورثني سقا تراه ويرويه

وما زال قلبي وافيًا وهو ذائب

متى انت تشفيه وحتى تشفيه

على انه اذا كان لا بد من انفاذ مرامك
فاصح لي ان يتم ذلك بعد ذهابي . ولا تزد
بمراي خيانتك عذابي . واني اعدك بسرعة
المسير . فلا تجزع من التأخير
ما بالك لانجيب لا بأس فانك
مصيب . فانت تحسب الدقائق التي تصرفها
معي الان تعوفك عن مشاهدة اندروماك .
فرح وامناً بقرنها وقدم لما قلبك في الهيكل

كيف اقضي بقتلوه وهو روحي
ابن رشدي .. ماذا جرى .. ما احيا لي

الجزء الثاني

هرمبون كليون
ه ي

ه ي ما وراءك يا كليون . ماذا فعل بيروس
ي ه رأيته ذاهباً الى الهيكل وقد لعب
الطرب بعطفيه . واندر وماك بين يديه . وهو
ينظر اليها . نظراً من لم يصدق بالحصول
عليها . اما في فقد رأيها نسيروهي حزينة
كان هكتور نصب عينها .

ه ي بالليانة . وهل تأملت فيه وهو على
تلك الحال . ألم يخجل عندما رآك

ي ه انه لم يسأل عن هذا الامر . فان
السرور انساء القصر . وهرمبون وجميع البشر .
وقد اقام الحرس لحفظ ابن هكتور زاعماً ان
الغلام وحده في خطر .

ه ي وماذا قال لك اورست

ي ه دخل هو واصحابه اليونان الى الهيكل

ه ي وهل هو مستعد لتتيم الامر

ي ه لا اعلم

ه ي ماذا تقولين .. اورست ايضاً يندعني

ويقابلني بالغدر

ه ي اورست عبد غرامك . ولا يروم الا

تتيم مرامك

لكنه بين المخافة والرجس

يسري ولا يدري فاصبح فاكرا

اضحى بطالبة الغرام بقتلوه

والرشد يشبه فاضحي جائرا

لا تلتل عزمي وحزمي

وجنودك والمقام

وذاك . عقلي وعلمي

وثباتي في الصدام

كم بعوض دون عزم

اسد منها يضام

فكرك السامي سليم

فاذا ضلّ تلام

ايها المولى الكريم

احسن الله الختام

الفصل الخامس

الجزء الاول

هرمبون

ه بذاتها ..

ابن رشدي .. ماذا جرى .. ما احيا لي

كيف انجم من البلا والوبال

فغرام غريم قاب كليم

وظالم بنكتني لا يبالي

جار ظلماً فخار قلبي وراح آل

سهم يشفيه وهو اعم الـ

لا اعبري فسوف ياتي جزاء

يا الهي رقتا به وبجالي

كيف يقضي وجهه في ضيري

وبه لوعتي ومنه اتالي

ربما عاد عادلاً بعد ظلم

انت ترجو يا قلب عين الحال

فليت .. فليت .. ولكن فؤادي

عنده قد ثوى دون ارحال

هـ ي لالا انه جبان لا يخاف الا الموت . ألا
يتذكر الساقط الهمة ان امي اثارث من اجله
حرباً دامت عشرين سنين وقتل بها عشرون
ملكاً وانا اسأله وهو يدعي حي قتل خائن
غادر فلا يجيب

يا مهجني زاد البلا فتزالي
ما جرى غماً ولا نتعلي
بئس الحيرة فلسنت او تحفظها
يا مهجني سبهوت من لم يقتل
فلاشقين النفس ثم اميتها
فاذا اشتفت فكأنني لم افعل

الجزء الثالث

هرميون كليون اورست
هـ ي و

(اورست يدخل وثوبه ملطخ بالدم ويده)
(خنجر يقطر دماً)

وه قد تم الامر . ويروس لاقى في الهيكل
جزاء الغدر

هـ و مات (تقول ذلك سائلة بلهفة وارنعاد)

وه اجل لقد تم امرك فاني سرت الى الهيكل
باسحابي اليونان فنظر الي الخائن غير مبال
بي وأدنى منه اندروماك وتوجها قائلاً . لمكتك
نفسى وابيره واني لاحظ ابنك ولو طلبه
القتلان فلما سمع اصحابي هذا الكلام . هاجوا
وماجوا وطاب لهم شرب كأس الحمام . فاخترقت
بهم الجمع وبات بيروس محاطاً بهم لا يعلم
من اين يأتي البلاء

رأى اسداً ما راعها الموت في الوغي
يروع قلوب العاشقين زئيرها

تدك الجبال الراسيات بعزمها
وان سل سيف تلقبه صدورها
وأسيافها والموت رهن مضائها
حداد مواض ليس يطفي شعيرها
احاطت به كالعاصفات فلم يكن
ليدفعها رداً وعزمي يثيرها
انا ابن الذي لا يرهب الموت قلبه
وتنهده الاحياء وهو نصيرها
هـ و ما الذي فعلوا (تقول ذلك ببأس شديد)
وه ارجوك المعذرة فان غيظهم افضى بهم
الى العجلة واني اعلم انك توثرين ان اكون
انا قائله دون غيري ليعلم وهو يلاقي الموت
انه يموت عنك وبك ومنك

هـ و لآكنت يا قاتل الشهم الكريم ولا
لقيت انسا ولا ذقت السرور ولا
لبست يافظ عاراً لست تنزعها

مدى الزمان فرح يا ابن الطفافة الى
وه يا اللعيب مولاتي كيف تأمرين ثم تغضبين
اذا نفذ امرك

هـ و وهل كان من الحزم ان تجاري عاشقة
ذهبت الغيرة بعقلها حتى هونت عليها ما لا
يهون اما كان عليك ان تراجعني مائة مرة
قبل العمل فأنت المذنب انت الظالم
انت القاتل انت المطالب بدم ذاك البطل
قتلتك السماء قتل اللثام

وسقتك الصروف كأس الحمام
رح ودعني فلم يعد من مراي
ترك هذي الديار فهي مقاي
(تقول هذا وتخرج)

الجزء الرابع

اورست

اورست لذاته

اما والنهي لم يبق دهرى على رشدي
فمن منجد قلباً أصيب على عمد

جنود الاسى قد نازلت ربع مهجني
فما حال فردى بين ذالكم الجند
كاني والاهوال زند ودملج

يضيق ولا ينفك عن ذلك الزند
كان البلا جاري وقد الف الوفا

وعاهدني قرباً فدام على العهد
كان بنات الثائبات شغفن بي

فواصلني وصل المقيم على الوجد
يقرب مني الدهر من لا ارومه

ويدنيني من قد يطيب له بعدي
تفصل ظل الانس عني واقفرت

ربوع سروري وانقضى اجل السعد
مصائب وذنوب وارتياع وحسرة

تعددت البلوى على واحد فرد
البط عزمًا وضعفته نوائب

وامنع رشداً بالضلالة يستهدي
اطعت الهوى وهو الهوان معللاً

بأماله نفسي فخاب به قصدي
قتلت مليكاً ابدته يد العلى

وقاومت شخص العزم والحزم والمجد
وخالفت شرع الملك والوطن الذي

وجدت لاحي مجده في الوري جهدي
وذلك طوعاً للغرام وانه

غريم على رغي عدو على عمد

لك الله بامن زدت عما فاعرضت
وقد قابلتني بالتجنب والصد

رويدك ما هذا الصدود وانني
نفصت عاراً كي اقابل بالصد

فصمت المنايا والظبي تفرع الظبي
ويحمل وخز الشوك مقتطف الورد

فيازمن الاهوال حسبك ما جرى
وقدك اجترأ يا زمان بما تبدي

ويا موت ما اشقى بعاذك عن فنى
تضيق عليه قسمة الغور والنجد

حنانيك جد لي باللقاء وانني
الف عنال يبق دهرى على رشدي ...

(يقول ذلك كمن سلب عقله)

الجزء الخامس

اورست

بيلا

و

(بيلا يدخل مسرعاً مرتعد الفرائض ومعه
بضعة رجال من اتباع اورست)

ب و سيدي يجب اما ان نخرج من هذا المقام .
او نستعد للملاقاة الحام . فان اصحابنا اليونان .

يمنعون الباب الان . وقد اجتمع الشعب
وسارت فيه اندروماك طالبة للانتقام . فانها

اصبحت بعد مقتل بيروس ارملة الحقيقية
ونائبة في الاحكام . وربما كانت ترغب في

الجميع ادراك ثأره وثأر بعليها فلنخرج ما دام
القوم منشغلين عنا بامر هوميون فنبليخ السفن

قبل قوات الفرصة
وب لا لا فقد ألف البلا بل خاطري

يانفس لا تخشي البلا بل خاطري

اني لانبج هرميون فسرولا

تنفذ أذا جرم اليك جرائر

ب و دع ذكرها مولاي واعلم انها

قتلت فصار مثل امس الغابر

وب مانت

..... .

ب و ... اجل مذعانت محبوبها

صاحت رويدا بالملك السائر

ماذا دهاه فدهه نفسي هل قضى

وبعيش قلبي ليس عنه بصابر

وتسمنت صخرًا ونادت قد دنا

يوم اللقاء بذي صدود نافر

وبخبر طعنت حشاها طعنة

فجرت دماها كالقدير لناظر

وتهدت والموت ارعش جسمها

فعدت جوارحها كخنج الطائر

وبذاته . اطري ايها السموات سمع

غضبك ولا تبقي ولا تدرى

وارمني بسهام النوائب عن قوس الانتقام . . .

واجعلي لي في هذه اليأس مقاما . . . أليس

انا . . . من اوجدت لنظري في مثال

غضبك ليكون انموذجا للنعاسة . . .

نعم وقد استحكمت علاقات المصائب . . .

وباتت نفسي في دائرة اليأس . . . فلا يخرجني

منها غير الموت . . . نعم الموت . . . نعم الموت

ارشدوني اين جسم العاشقين

لست اطوي بيننا شقة بين

واجعلوا ائدة لم نأنف

بوداد . واقتلوا عيننا بعين

بالقوي قد نبجا ليل البلا

بين بلال واهوال وبين

ما احبالي خاتمي الصبر وقد

بات عزمي اثرًا من بعد عين

لا ارى غير دم حولي جرى

ابن رشدي يا اخا الارشاد ابن

ب وسيدي

وبذاته

ماذا أرى . . . بيروس عدت فكيف قد

انقذت نفسك كي تراني حينما . .

هذا هو الجرح الاخير . . اجل وذا

دمك الذي يجري . . فيالله ما . .

ذي هرميون لدي ضمت جسمه

لنذود عنه . . . وهي تصرخ كلما . .

ترنو الي بلحظ منتقم كما

هاج المقاتل عندما نظر الدما

ونفود من جنس الالباس عسكريا

واراقا نسعى وتنث عندما

(هنا يذهب يلاذ)

مهلا بنيات الجمع فاني

رجل الى هذا العذاب نقدا

من الاراقم . . . فهي فوق رؤوسكن (م)

فهل سمعت سعيًا لتلسعني كما . .

بادرن نحوي لا فتحن مانعًا . .

اتلفن جسما للعذاب مسلما

وافتحن لي باب الجمع . . كفى كفى . .

عايته سجنًا مخيفًا مظلمًا

(يقول كفى كفى . . كمن رأى شيئًا مخيفًا

بقوله افتحن لي باب الجمع)

(ثم يصرخ قائلاً)

رواية شارلمان

وهي ذات اربعة فصول

الادوار واسماء الشخصيات

شارلمان ملك فرنسا

برت ابنة شقيقة شارلمان وابنة

رولان وحيبة جرال

الكونت اموري كانلون متكرراً وصهر

شارلمان

جرال

ابنة

الدوك نعيم

شيخ مقرب الى الملك

وهو من اعيان فرنسا

اسير سكسوني

رجنهار

منفذ اموري

روبر

ريشار

شيوخ

هراري

جوفروا

خفراء الملك

عدد ٢

حرس

٢

الفصل الاول

الجزء الاول

روبر

روبر بذاته - اني منشرح الصدر في هذا
اليوم لما بلغتني من قدوم الكونت بعد غيابه
شهرين وارجو ان اراه صافي الخاطر قرير العين
فانه حسن الطوية . وذو نفس اية . على انه
مقيد بسلاسل احزانه . وغيوم الغوم متكاثفة في
افق جنانه . فلا تراه صافي البال الا اذا كان ابنه
بين يديه . فبالله من سر عجب وقفت عليه

سرحن لي هذي الارقام عليها

تقضي بقتلي فهي فاعرة فما

لا لا ... فهذي هرميون تقدمت

ترجي فوادي من لظاها اسما

لا تجتلي ...

... ها مهجتي لا ترجعي

فلقد وقت قبل التراق وبعدما

(بقوله (لاتجتلي) مخاطب هرميون كأنه

يتصور وجودها ويقول البيت الاخير بصوت

متقطع من اليأس ويستط سقوط من لا يعي

علي شيء واذا ذاك يحضر بيلاد ومعه اصحاب

اورست اليونان فبوصولهم الى المسرح ومشاهدتهم

اورست بتلك الحالة ترنعد فرائضهم ويصفقون

الجميع صفقة اليأس ثم يتقدم بيلاد نحو اورست

فبراه قد قضى نعبه وهكذا يسدل الستار وتختتم

هذه الرواية)

ادوار الرواية واسماء شخصياتها

يروس	ملك
اورست	سفير
بيلاد	صاحب اورست
فنكس	وزير
هرميون	خطيبة يروس
اندروماك	ارملة هكتور
كليون	سيرة هرميون
سفتز	سيرة اندروماك
حجاب	عدد ٤
حرس	٢ "

الجزء الثاني

روبر مملوك

مر سيدي اننا رأينا الكونت قادمًا من بعيد فاسرعت لاخبرك بالخبر علمًا بانك تسريه اما انا فقد شملني السرور لان فضل مولاي وحلمه يفضيان عليّ بمحبته واني اكاد اذوب غيظًا كلما رأيته في كدر وما يحملني على العجب اني لا اراه متكدرًا البته حين يكون لديه سيدي ولده جرال وبالحقيقة ياسيدي ان مرأى جرال يزيل الاكدار
رم مناسب . عد الى عملك

الجزء الثالث

روبر اموري (بلباس السفر)

ري

ري السلام بالاحترام ياسيدي
ري اصلح الله احوالنا
ري ولدي ولدي ابن ولدي
ري لا خطر عليه بعون الله وقد سار بجماعة من الابطال للصيد والقتل
ري لانتمني اذا خفت عليه المصائب فاني اري ما احتمله من العذاب غير كاف لتكفير ذنوبي ولذلك اخاف ان تنزل بي النوائب نزول الضيوف بدار الكرم واخشى ان يكون لابني منها نصيب
ري خفف روعك وازل عن فكرك هذه التصورات فاني اراك كمن يتربص حلول المصيبة

ري كيف كانت المصيبة فاني استقبلها رجلاً واقبلها مذنباً

ري مذنباً . نعم لقد كنت من قبل مذنباً وكان في ذنبك قصاصك حتى اشتهرت بالغادر الخائن اما انا فقد انقذت جسمك بعد ان كاد يدركه الفناء وشفيت نفسك بعد ما اشفيت من الذنوب فلقيت جزاء عملي باني لم ابق فيك اثراً من ماضيك ولما انت فقد محوت بالثوبة ذنوبك الكثيرة فتغير خلقك كما تغيرت اخلاقك حتى غدت حين اراك او اسمعك احسب ماضيك امراً محالاً فارتاب فيه ولا اري فيك الان يا اموري ذلك الرجل الذي ائلفه شارلمان فلنك الان ان تذكره كما تذكر غريباً أدت الى ذكره شجون الحديث

ري ان ذنوبي ياسيدي وان برئت جراحها لن نزول آثارها وانك تعلم بكل ما لي ولذلك لم تقدرني حق قدري وصفاً . فاسمع

ري قل يا صاح

ري ان غابة سفري في السباحة الاخيرة لا تخفى عنك . ذلك اني شعرت بل ايقنت اني اذا عابت الاماكن الشاهدة بنظائمي امكن من ندب آثامي فاستغفرني ذلك الى قصد تلك النواحي ذات الجبال الشاهقة والوادي العميق حيثما هلك رولان بخيانته كانلون فشاهدت تلك الغابة الكثيفة والصخور النائرة الحادة الرؤوس فرأيت التبت الاخضر في بعض تلك البقاع اخصب من ذي قبل وذلك انها قد سقيت بدم رفاقي اولئك الابطال الشهداء بالدفاع عن الملك وعن مجد فرنسا . واني اذا فحصت تلك الاراضي برأس جسامي

الجواب... فتناقلته الجبال وتواتر به رج
الصدى... الى الابد . الى الابد . ثم خفضت
رأسي الى الحضيض وقد فعلت بي الدهشة
فعل العقار فرأيت كأن الارض قد انشفت
وخرج من جوفها صور مختلفة الاشكال واشباح
هائلة قد احتاطت بي ذات اليمين وذات الشمال
وجميعها فاغرة افواهها كأنها تريد ان تبتلعني
وصائح بصيح امامها بالنارات رولان فنشف
لهذا الهول ربي وجهد الدم في عروقي
وناديت عنواً عن شقائي وذاتي
وصفحاً عن الذنب الذي اوجب النكد
وقلت الى مَ ذا العذاب وذا العنا
فصاحت بي الاشباح هذا الى الابد «ا»
اما انا فصعقت من هذا الجواب وسقطت
على الارض سقوط قتيل ولبثت لا استطيع
حراكاً

حتى بدا ملك الصباح براية
بيضاء بين مواكب وكنائب
فهمضت ونزلت من الجبال بصوت
وسكون وسوّلت لي نفسي ان ادفن ذاتي حباً
بين هاتيك القبور... غير اني ذكرت
نصائحك لي فعلت اني مطالب بكثير من
الامور وان لي ولداً
ري ابعد عن فكرك هذه المخائل فان الصدى
كان يحبك لا خيال رولان فهو اكرم ما
ذكرت لان الاحياء تهيمهم البغضاء فيرفضون
الرجاء واما الاموات فهم اوفر حلماً فانقصر
(١) هذان البيتان ليسا موجودين في الاصل
وانا اضافتهما الى الرواية جوق حضرة الاديب
يوسف افندي خياط في الاسكندرية

اجد في ثراها لامحالة بقايا رفيق منهم واري
تحت تلك الصخور كثيراً من جثثهم الطعنة
بسهم العدى

فانمت في ذاك المكان ثلاثة
انا وصحيفة ما ارتكبت واندب
وغدا لسان الحال فيه قائلاً
اذكر ذنوبك وابكها يامذنب
وقد ذكرت شراسي الماضية والعار الذي
ارتكبت بتسليسي اربعة وعشرين بطالاً من
رجالنا للعدى وبغضي رولان وغدري بشارلمان
حال كوني نسيبه فتصورت ابطالنا وقوعاً تحت
المواضي ورولان... رولان يستقبل الموت
باسماً ويزلزل الجبال بصوت نفيه
ري اموري روبدك

ي ر انا... انا لست اموري... انا
كانلون كانلون... الخائن... كانلون الغادر...
فلبثت هنالك وحدي منكساً رأسي وانا بين صلالة
ونواح والليل يهبط من حولي فيملاً قلبي رهبة
وخوفاً والرعد يلعلع فيذكرني قاصفة صياح
شارلمان قائلاً بالنارات رولان... تلك ذكرى
ضعضت همتي فسقطت وعفرت بالثرى جيني
وناديت عنواً وسلاماً قبل المات اي هذا الخيال
فهل قضى بعذابي الى الابد... الى الابد كان
الجواب فرفعت رأسي فخيّل لي بل رأيت تحت
عجاج النوء بين تلك الصخور فارساً منتصباً
بلا حراك وقد سنره الكفن الى اخمصه غير
انه شف عن درعه ولا متوه وكان صوته شديداً
كصوت الفوارس تحت العجاج... رحماك
هتفت رحماك يارولان الشهير... اما من
مغفرة لي الى الابد... الى الابد كان

أدب على الاهتمام بولدك وانجح له طريق
الصلاح فاني متوسم فيه الفلاح لما حواه من البسالة
والاستقامة وارجو ان يبلغ من الجدارف مقام
ي ر آه... روبر... اذا احاط علماً بذنبي
او دوى بحقيقة امري وعلم اسي
ري عليك بحمد الله وان حلت بك النعمه.
وارض بما يقضي واحسن فصاحه نعمه لان
النفس الملتحمة بالقبائح والذنوب لا يغسلها غير
الدموع
ي ر ولكن ناشدتك الله الا ما قلت لي :الم
يدخل ولدي ريب في حقيقة ولادته والم ينضج
له شيء من ماضي امري ام كان ما اتخذناه من
الوسائط لذلك كافياً
ري لا تخف فالامر على ما تريد
ي ر الا يسألكم عن امي فان من كان في
سنه يكون متباحاً يتطلب معرفة كل شيء
ري يسألني فأموه عليه لانسيت ذكراؤه
الصيبانية وهو لا يصدق عن حاله الا ما اقوله
له او نقوله انت فلا يعرف لذلك مصافه ونعاسه
وحقيقة اسمي فكن مني على ثقة ..
ي ر ان الوثوق بك واجب ولكني اري ان
ذنوبي تربو على ما لقيت من الفصاح فاذا
اردت ان افكر في عاري الا بدني ذكرت يوم
قدت الى الهيكل ارملة ميلون دويش اميرة
بريطانيا والدة رولان اخت شارلمان وذكرت
شارلمان قائلاً لي وهو بأبهة الملك .. يا اخي
كن عادلاً ورولان باسطاً يده لزوج امي
وهو غير مضطرب بالغيرة .. آه آه... لم نجوت
يا نرى ولم لم اسقط قتيلاً في ذلك اليوم
يوم كبريائي .. وانت يا روبرت لم لم تتركني

فاموت يوم شقائي ذلك عين العدالة ...
لقد كان يجب عليك ان نهمل هذا الجسد
الفظ الدامي المتلف الطعيب ليكون طعاماً للذئاب
والعقبان فتريحني من احتفال ما لا يعبر عنه
بلسان واعظم مصيبة عندي هي ابني جرال
فان قلبي يكاد يتخلع خفوقاً كلما فكرت انه يقدر
ان يقول لي ذات يوم امي هي ام رولان فاذا
فعلت يا اخي وكلما خطرت لي انه ربما وقع عليه
يوماً ما ثقل خطائي آه اي اضطراب حل
بي ... اسمع هذا صوت نفي ... اسمع ما
هذا نغم صيد ان هو الا نغم قتال
ي ر (مطلين من الكوة)
ري هذا هو ... لكن معه غريبه ... وغريب
هذا اسير سكسوني

الجزء الرابع

روبر أموري جرال برت رجتهار

ر ي ج بر

ج ي أي

ي ج ابني جرال... هل اصبت بجرح (وبعانة)
ج ي لاسوء حظي فانك قد ذكرت لي ان
اول جرح يصاب به المرء حين قضاء الواجبات
يطيب له ولم يكن احسن من هذا اليوم للحصول
على ذلك (الى برت) غير ان الاعداء لم يتركوا
لي غير فرصة قليلة لاحارب عنك
بري

ان كان برفض ما استحق من الثنا

كرماً فما منع الكلام الا لسانا

لم يهزم الا اعداء الأ بعدما

لعبت بجمعهم الصوارم والقنا

ي بر هذا النّاء احله واجله
عندي محلاً في الجنان وموطنا
فثبات نفسك في كلامك شف عن
صدق ودلّ عليّ فيك وبرهنا
فرحبا بك ياسيدي انك لا تعرفين هذا
المكان لبعده من محافل الناس ولا اتصالها
بغابات متصلة بغاباته فكيف كان قدومك
الى هذه الارض المفترّة وهل حللت بها من
زمن مديد

بري اني قادمة من شطوط وزر من فرزلاند
هنالك مقام كثيراً ما تنجّه انراي لزيارة ترب
الشهداء فلما وصلنا الغابة سمعنا ضجيجاً تردده
صدي الادوية ودهمتنا جماعة من الرجال كالذئاب
المخاطفة ففرقوا جماعتي ودنا مني واحد منهم
يريد القبض عليّ وقد اسود وجهه واحمرت
عيناه... فسمعنا اذ ذاك ضجة وكان السبب
في تلك الضجة قدوم ولدك هذا فرأيتك وقد
كر على الاعداء باسماً وجعل لي من حسامه
حرزاً منيعاً فاركنت الى الفرار فتبعهم ضارباً
في اعناقهم حتى اذا اخففت انارهم عاد اليّ وقال
سيرى بنا فقد صدت اليوم خير صيد

ي ج احسنت يا جرال

ج ي واني لم افعل غير ما وجب عليّ وقد
علمتني الا اعد اعدائي الابد وقوعهم في
ساحة القتال وقد تبعك ذلك على اني اشكى
اليك نفسي فاقول : انه لما تمزق ليف السكسون
ورأيت لأول مرة يدي مغمصة بالدم خلت ان
كل شيء فيّ تغير من قلبي وشعوري وعيني
وصوتي وايقنت ان للقتيل على القاتل سطوة
وان القتل لا يخلو من النظاعة ولو كان عدلاً

فانما في كل من الناس بقية من قاييل
جزت الصفوف وفرقت الالوف وأر
غمت الانوف وجيش الموت بصطدم
افنيت اجسام اقوام مركبة
مثلي واقدمت والارواح تنهم
وعدت والنصر يزهيبي برونقه
نيكي الفوارس من فعلي فأبتسم
وقد رأيت فتاة المجد ناظرة
ترنو اليّ بليظ حشوه كلم
تري انتصاري بعين نايتها حزن
وهبة نالها من حزنها الم
وتسأل الله عفواً للذنبين قضيلاً
في ساحة قد سقاها كالغدير دم
كانها باسان الحال قاتلة
معنى القتال يعيه السامع الفهم
شأن المقاتل جهده في القتال وان
لا يزدهيه انتصار سمة ورم
وكان في آخر الاعداء رئيسهم
هذا الاسير

ي ج

..... سيجزي كالاولي ظلموا

بري الا رفقاً بو ياخير مولى

مخافة ان تدان كما تدب

ي بر اعامله اذا بالرفق طوعاً

.....

ي ه

فما اسمك يا غلام ومن تكون

ي ه اسي رجنهار

ي ه وباسنك

ي ه ثلاثون سنة .. تاريخ وقوع بلادي في

العبودية

ي ه وما نسبك

ي ه عي ونكد

ي ه وابوك

ي ه كان ملكاً حين قدم شارلمان

ي ه انت ابن ملك ونهجم كادنياه اللصوص

على حمولة سيدة

ه بذاته كاللصوص

ه ي ما يرح الغالب ينعت المغلوب بما شاء...

فانت يا من يستطيع قتلي لماذا تهينني

ي ه ان للحرب آية ناسخة... ان عمك وتكد

وشيوخ قبائله الاثني عشر تنصروا خاضعين

فسلوا

ه ي خضع الآباء واما الابناء فلا... ومع

هذا فان ابي قد قتل وعلي ان ادرك ثاره

لا ان اقتني آثاره . وقد رأيت الفرنك يذلونه

غير راحمين وكنت حينئذ صبياً غير ابي لم

انس من ذلك شيئاً

ي ه ان السكسون جميعاً لهم على التلبس

مقدرة عظيمة بما لهم من سرعة الخاطر على ابي

ارى فيك من الجراءة ما يدل عليه كلامك

الحسن وعيناك البرافقان . فانت تستغنى الموت

ي ه اتحسني أجهل ذلك . ابي انما اتيت

لأقتل فاقطني

ي ه ان التي اردت الايقاع بها بدناءة في

التي شفعت فيك عندي فيمكنني لذلك ان

اغفو ولكن عليك ان تتخذ للخلاص سبيلاً

ذلك ان تنصروني ههنا... تكلم أجب...

ان نصيبك في يدك

ه ي لعل الله لي مقصداً اجهله... اذا

لا استطيع ان ارفض فاعرض علي النصرانية

ولو اردت ذلك مني امس لما فعلت

ي ه أرى ان شعاع الهدى قد اخترق ظلمات

قلبك فاثبت واقم هنا

بري جزاك الهك خير الجزا

ولا زلت تنقي جربيل الهنا

فان هداية هذا الاسير

اسير بها بالهنا من هنا

ه بر كيف سيدتي انساقرين

بر ه على الفور... وما شألك انت

ه بر اعل معك حرصاً كافياً

بر ه لا . ولكي اوئل ان يكون لي من

يحيى

ج بر نعم ان الحامية متهمون

ه بر لا ترحلي ياسيدي

بر ه ولماذا

ه بر لقد ضار علي من الواجب ان اخلص

لك النصيح جزاء شفاعتك في... ان قبائل

السكسون يظلون هذه الغابات في هذا الليل

وهم بعدد غدير فاصبري حيثاً ضمن هذه الاسوار

فاني اقدر ان انجيك ولا اخدعهم وهذا جزاء

وفاق صنيعه بصنيعة من مثله

ه للبيوع واعلموا ان السكسون جميعاً على

اهبة القتال وقد هاجم حب الانتقام وسيكون

القتال شديداً فانهم لم ينسوا ما مضى... ان

شارلمان قد امر قديماً بقتل كل سكسوني زاد

طولاً على الحسام... فحاذروا ايها المنتصرون

ان الندم قريب منكم... حاذروا اولاد الشهداء...

(وبخرج)

الجزء الخامس

اموري روبر برت جرال

ي ر ر ج

بر ر اني لديك اسيرة فانعم بها

ارجوه يامولاي منك تكروما

كيف السيل الى النجاة من العدي

ياسيدي ان سرت من هذا الحى

ي بر سيدتي لاسيل الى ذلك

بر للجميع انوكدون لي

ي بر نعم سيدتي ابتي هنا فلربما كنت انت

التي تنفذين الحى وحاميه

بري البستني ثوب الفخار تفضلاً

وشماتني بالفضل يا شمس العلى

فتلوت في صحف الشنا بين الملا

آيات فضل منك ان نناؤلا

واحب ياسيدي الكونيت ان لا اجعل

كلامك في غير موقعه أو بالاولى احب ان

اربك في اهلية لموانستك واسمي وحده كافر

لذلك فانه ليزدرك بما تثار منه الرجال حال

كونك فارس قرنسا الامين

ي بر وما اسمك ياسيدي

بري انا ابنة اخت شارلمان اما والدي فهو

رولان

ج بذاتو ابنة رولان

ي بذاتو ابنة رولان

بر للجميع وانا يتيمة من يوم رنشقو الشهير .

(هنا اموري يبدي علام الرعدة والخوف)

ري حذاريا اموري فانك ترتعد . . . وممالك

فان ابنك ينظر اليك

برت للجميع

انا ابنة من اذا طلبوه نادى

انا ابن جلا وطلاع الثنايا

اي رولان لا يخفى وامي

شقيقة من تطبع له البرايا

ي بر سيدتي اعذريني عن اضطراري وقتلي

فان اسم رولان لا يمر بسمع جندي نظيري الا

وتضطرب نفسه وقد اشرت الى ذلك فاعذريني

بري اصلحت يا ابن الكرام

بالفضل حالي

فجل في ذا المقام

قدري وحالي

لا زلت عالي المقام

في كل حال

ولا عدا للمدى - هذا المكانا

انس الهنا والشنا - ما البدر باننا

(تشدد ذلك على نعم «اصل افتضاحي غدا»)

واعلم اني لا اريد ان اكون هنا الا برت . .

برت هذا هواسي

ي ج جرال ان الاسير اكد لنا . . . ولكن

لا فجرائد السكسون بقدرتون كيف كانت

الحال ان يهاجموا ايضاً اسوارنا واحب ان اكون

الاول في خوض هذا الخطر فان نوبتي جأت

فلا تنهم بأمرى واصرف اهتمامك الى برت

وحدها وخف عليها كل اذى فاذا تم لي ذلك

المطلب المجيد . اذا وقعت بين يديها قتيلاً

لا تبكي يا ولدي . ولتقدم الان جنودنا

الى المتأربين منتظرين اول صوت يسمع ولجي

الحراس الليل على انتباه لكل حركة وضعف

عددهم بل اجعلهم من خيار جنودنا . . لا لا فهذا

قدمت يا عين الكرام
في نعمة الرب الكريم
ج بر اني احسب خدمتك فوزاً عظيماً
برج لقد زدت فضلاً وملاطفة حتى اعجزتني
عن الشكر وانا اودعك الان لاني في حاجة
الى الراحة وارجو ان يصل عن قليل الفرسان
الذين انتظر وفودهم من جانب الامبراطور
ج بر لماذا تهمين ان ياأنا بسرعة
برج لاكون آمنة من مكائد الاعداء استودعك
الله الان وافارقك متذكراً فضلك وانتظر
وفود الفرسان لاسير بهم (وتخرج)

المظهر السابع

جرال

ج

ج ج لاسير بهم . . . اه . . . تسافر . . . كيف
افارقها وقلبي يرافئها . . . بالسرفي قلبي لا بداع . .
اي نجل يعتري عند التفكير في . . . أأكتله
ولو اذابني . كيف لا ولكل امر سريرة والله
اعلم بالسرائر . . لا ابوح به نعم فان شئني
الصبر ومن كان مثلي لا بداع له سر . . ولكن
اي ضرر يكشف هذا السر . . لا لا ان النفس
الايية لا ترضى الاستنار ولا اقدر ان اكم ذلك
السرفاذن ساخبر ابي بكل شيء ولكن لماذا
احزنه واسلمه يدي الى الكآبة والكدر * فالاولي
ان اخني امري * لا لا * من ابن تعلمت يا جرال
هذا الفن فن المواربة والخاتلة * كيف اسلك
هذه الطرق التي لا اعرفها * ارى نفسي حزينة
فكيف يرقص فؤادي لعمرى انه لا يرقص طرباً

متعلق بي وانت ابقى هنا فهذا هو مقام الشرف
ج ي شكراً لك يا والدي فلعل الله ين علي
بقضاء ما وجب لفرنسا ولاسم رولان العظيم
ولي بذلك امل واني في حال طنواني لم اكن
اسمعك - وارجوك المعة - نذكر هذا الاسم الا
قليلاً على اني كنت اكرر ذكره الف مرة بنفسي
واري . . . واشعر اليوم بكبريائي ان في شيئاً
يقربني اليه حتى كنت اظنه في تصوراتي
الصيانية مجاً في وحي فيه وكان يخيل لي
اني اراه واجبه وتبعه في مجده اللامع واشتغاله
النافع وطالما تصورت نفسي ساقطاً نظيره في
ساحة القتال في رونسو ذلك نتيجة تعلقي به
على غير معرفة اما ابنته ففهمها كما اشرت وتكون
في آلتنا وبين رجالنا ولن ترى بيننا كائنون
كما رآه ابوها

ي ر سربنا ياروبر فهذا ما يمزق الاحشاء
هلم نذهب

ج ي استودعك الله يا وادي وانا ابقي هنا
الى مطلع الفجر متربصاً للاعداء وحامياً ابنته
رولان (اموري وروبر يذهبان)

المظهر السادس

جرال برت

ج

بر ج من لي بان ابدي الثنا
عليك يا ياداي السنا
دافعت عني محسناً

واعدت لي روح المنى
اجيت لك العليا وسام
يا صاحب الخلق الوسيم

ج بے بین اللہ

المظهر التاسع

اموري جرال روبر

ي ج ر

رج ان الارصاد قد رأوا من اعلى الاسوار
جماعة من الفرسان مقبلين وهم فرسان الملك
الذين تنتظرهم السيدة برت ورأينا انهم يسلكون
الطريق المؤدية الى هنا ونحت الوينهم الدوك
نعيم وهم بأبهة الملك
ي بذات الدوك نعيم اه لا يلزم ان اظهر لابني
شيئا (وبذهب)

المظهر العاشر

روبر جرال

ج ر

(على نعم « طرز الريجان حلة الورد »

ج ر ياروبر الان ساعة الهجر

مدمعي هتان راهوى عذري

واي ما كان قابلا عذري

فانا حيران قد وهى صبري

برت منها سهدي زائد في الحد

واي من وجد بے عامل بالصد

آه لو برضاه لرها وقتي

والها يزداد من صفا برت

رج عنك دع يا صاح حالة الوجد

فالهى فضاخ قط لا يجدي

ج ر لانحاول لوي لاتغير عزي

قد جفاني نومي لاتضاعف سفي

ان بي اشجان حيرت فكري واصطباري بان

نقي امين كبرا بوهلني لها وشيئا لا اقدر على
وصفه بطبعني في الحصول عليها وبدل على
رفعة قدري

ي ج لانك لست اهلا لها فلا تتبعها وقد
امرت فكن مطيعا .. او بالحري اقسم عليك
بجنوي الوالدي .. ولقد اخطأت اذ خاطبتك
بكلام أمر واني لا تقدم في ذلك الى قلبك
فاعذرنى اني حزين باجرال واتجنبك احيانا
مع اني احبك يا ولدي وانت مجدي وانت
فضيلتي وانت انت سعادتي ولكنني اخاف ان
ينبعث ظلام الكدر من نفسي الى قلبك النقي
ج ي والدي

ي ج فاحكم اذن يا ولدي على حزني ...
ان قلبي قلب جندي صلب ومع ذلك انظر دموعي
ج ي والدي

ي ج جرال اسمع ان محبتك لبرت هي عين
خسارتك واني مؤكد ذلك ... يطعمك اليوم
الرجاء وغدا يدهلك الكدر ثم العذاب وبعد
الحسد ثم الاعداء ومكائدهم ثم الخجل من ان
يخطئ السهم الغرض ولا سيما استغفاف المحبوب
بالحب

ج بے بارباه

بے ج سافر يا ولدي ولكن كن متيقنا اني
اموت

ج بے اي

بے ج سافر اذا شئت

ج بے وانت

بے ج اموت

ج بے اي

بے ج فاحلف اذا ان لاتسافر

آدلو تدرى

(الاثنا)

جفاني رشدي فنأى سعدي واضى قصدي
على الضد
فاذا ابدي وماذا يجدي هوأا عندي
بلا حد

هي الاحزان تزيد الاشجان وحشى الوهان
منها في اتلاف

الفصل الثاني

المظهر الاول

روبر اموري
ر ي

ي ر قد تمت تعاسي... الدوك نعيم...
هذا الشيخ المهاب بين الف من الشيوخ...
هذا... نسطور النصارى بأني داري...
دار كانون... وان عرفني
ري هذا لا يتفق فانهم يظنون كانلون ميتا
على ان شعرك الذي البسنة السنون حلة بيضاء
والجاري التي فتحها سيول الدموع في خديك
تخفي عنهم حقيقة امرك

ي ر اصبت ولكن الانسان كيفا تقلبت بو
الاحوال يحفظ علام في هينته لا تزول... فإ
القول ان لفظ الدوك باسي الحقيقي امام جرال
ري تشجع باصاحبي الى النهاية ولاقي الخطر
الجديد بقلب جديد وثبت نظرك بحيث لا يبقى
موضع للشك وقابله بشبات وسكون وعينين
مرتفعتين فيذهب الحال اضطرابك اني سامع
حركة واظنه قد دنا من هنا فكن كما عهدتك
باسلا يضاد التوايب بقلب نعوذها... ها هم

قد اقبلوا فخاذر

(يدخل الدوك نعيم وتباعه ومعهم جرال
وفي اخرهم رجتهار وهذا يجلس متحايدا عنهم)

المظهر الثاني

اموري روبر جرال الدوك نعيم رجتهار
ي ر ج ن
ن ج نعم نعم... اخبر السيدة برت بقدومي
(جرال همس لاجد الخدمة بذلك) ولا شك
ان والدك هنا فسر لي اليه
ج ن ها هو ياسيدي (مشيراً الى ابيه)
ي ر الدوك نعيم

ري تشجع
ن ي باسم شارلمان ملك الفرنك وامبراطور
المانيا اسلم عليك ايها الكونت واقدم لك مع
رفاتي هولاء وافر الاحترام
ي ن اهلاً بكم جميعاً ياسادتي
ي ر عرفتهم فهل يعرفونني
ري تشجع

ن ي لا اراني اعرفك من قبل هذا اللقاء
ياسيدي الكونت على اني اتوسم فيك بسالة
رجل حرب نعود القتال فكيف انت...
حين ان لقب الكونت حصل لي صدفة فاعلم ياسيدي
اني لم اكن سوى ركبدار الكونت اموري
الاكتيني وقد انقذت ذات يوم من خطر
فرعى لي ذلك ولما دنت منه الوفاة واجتضر
منخني لقبه واسمه

ن ي اعظم به لقباً قد زدته شرفاً
والسر بالمر ليس السر باللقب

لا يبلغ المجد الاكل مجنهد

المجد بالجدة ليس المجد بالنسب

واني منشرح الصدر اليوم لكوفي ضيفك
فان وادك فعل فعل الابطال الكرام ولا ينسى
انه هذا الاقدام تعال يا جرال . . . يا للعجب
ان يشبه هذا الفتى

ي بذاته بالله

ن ي لا اذكر . ادن مني يا جرال كلما تأملته
انضح لي . . . نعم . . . نعم . . . انه اشبه الناس
برولان .

ج بذاته رولان رولان

ي ر باخيه رولان

ي ن سيدي ان مؤنسك وما حركت في من
الافتخار الوالدي انساني حقوق المضيف فتأخرت عن
قضاءها فتفضل بالجلوس لتتال شيئاً من المشروب
ن ي حباً وكرامة

ي (الغلام) فليحضر باغلام شي من المشروب
(الغلام) يخرج ويتبادر الحاضرون
الى الجلوس وفي خلال ذلك يحضر الغلام
الطاولة والمشروب والاقداح)

ن ي بسري باسيدي الكونت ان اكون
قبل مسيري من هنا مع رفيقي هؤلاء بين يديك
على اني احب ان ترتفع من هذه الحضرة الكلفة
اشارة الى حصول الالة فلنشرب معاً

(يشرب اموري والدوك نعيم معاً)

الجميع - (يشدون ما يأتي على نعيم -
اصلة نعيم « في رياض الجبلنار » ولكن المطرب
المنشد الشيخ سلامه حجازي لحنة بغيره ما هو
اطرب واحسن وقعاً في الاذان وذلك على
عهد الجوق الذي تألف اخيراً برئاسة حضرة

مديره البارع يوسف افندي خياط)

(المذهب)

طالع الاسعاد عاد والانس زاد الناظرين
خمرة من عهد عاد فيها المراد للشاربين
واني الهنا نلتنا المنى

فاملاً كؤوس فتحكي شمس هي المرام هي المرام
(وهنا يشربون جميعاً الا رجها رثم
يشدون على النغم ذاته)

دور

راحة الارواح راح والانشراح فيها كمين
نورها في الكأس لاح مثل الصباح للناظرين
لاجناح فذا مباح

فاجل المدام يا ابن الكرام فلا ملام فلا ملام
نعيم . . . (يقول على نغم « قداه المياس
زود وجدي »)

روض الافراح ابدى انسي (١)

فاغنم يا صاح طيب الغرس
في كأس الراح نور الشمس
والسعد لاح بصفاء النفس

دور

صوت الانغام يحلو نعي

(١) « ان هذا القد لم يكن موجوداً
في الاصل وانما زاده على الرواية حضرة صديقنا
الاديب السليم الذوق محمود افندي واصف
وكذلك مذهب القد السابق وهو الذي اضاف
ايضاً الى كلام « كانلون » البيتين الواردين
في الصفحة ٢٠٦ واشير اليهما في ذيل الصفحة
مدعوا الى هذه الاضافة من قبل حضرة خليلنا
مدير الجوق السوري المصري يوسف افندي
الموما اليو »

حسن الالحان ايمى صنع
فيه للناس كل الخير
ورحى الكاس منه سكرى

ن ي لا ينقص سرورنا الا شىء واحد . اما
بيننا شاعرٌ اوراوية ينشدنا شيئاً من الاشعار
الحمسية فان الاشعار رياحين النفوس
ي ن ليس ما بيننا شاعر غير ان ولدي هذا
كان ذا عناية بالشعر (ثم بانفت الى جبال
ويقول له) انشدنا يا جبال شيئاً من ذلك
ظوعاً لامرالدوك

ج ي عفواً فاني لا اراني قادراً على ذلك
فان قريحتي في جهود واخاف ان لا يفتح علي
رج لا بد من الاجابة الى ما طلب فانشدنا
يا ولدي منظومتك في السيفين فاني اعدّها
من المتبول
ج الجميع ليكم واني ارجوكم المَعذرة فلا جود
الامن الموجود

السيف اصدق من تنبأ وادعى
واعز من لبي الكوي واسرعا
قد كان في هذا الزمان للمكنا
سيفان الباب الفوارس روعا
سيف لرولان الشهير مهند
ان هز آمن من يشاء وافزعا
هذا درندال الذي اضحت له
في ارض اندلس الاعادي خضعا
سيف اذا عابته يوم الوغى
تلقى له في كل هام مرتعا
وحسامنا الثاني بقبضة شارلما
ن بجبهة يوم القتال اذا دعا

هذا جوليس البائر الماضي الذي
لو مس اجرام السماء لرزعها
ان رامة او فر منه مسرع
كانت منيته اليه اسرعا
نزع العدا منا درندالاً وقد
ابقوا اسي بقلوبنا ان ينزعا
فعسى الزمان كما نريد بعيده
كي يلعب السيفان في وقت معا
ن ج احسنت وأطربت . . . فاملأوا
واشربوا جميعاً بسر شارلمان (يشربون هنا
الارجنهار)
ن بذاتو (يقول منشداً)
ملك يسير المجد تحت لوائه
ويجده الاقبال والفتح والنصر
مطالبة العليا وفكرته الهدى
وحضرته الدنيا ونائلة الغمر
(ثم يقول الجميع على قد « قل للحبيب
ظف ووال »)

اعد حديث الكرام فالقلب بهواه
واملاء كؤوس المدام واستغفر الله
يشفي غليل النفوس ذكر الكرامات
وخمرة في كؤوس منها الكرى مات
ن للجميع ثم فلنشرّب على ذكر رولان (يشربون
الارجنهار)

ينشدون على نغم (شربت الكاس من اجفانك)
مذهب

شجاع ماجد دانك له العليا
كريم جوده عا
سجايه قد ازفانت بها الدنيا
هام مجده تما

يعيد اليها ماضي شغلنا وقد جاء ذكره بكدر
هذه الساعة التي تجتمعنا . . اذا فلترفع الايدي
للعنة جميعاً ولنهبط عليه اللعنة الى اعماق المجيم
(الحاضرون جميعاً » الاروبرواموري » يرفعون
الايادي امثالاً للدوك)

المظهر الثالث

الجميع يرت

.. بر

ن بر نقدي يا برت نقدي فان لك الحق
الاول بلعنو

برن بلعن من ياسيدي

ن بر كانلون

برن شهد الله ياسيدي ان هذا الاسم كان
بعيداً من فكري . . . وقد امرني شارلمان
بمساحة اعدائي جميعاً كما امر الله الا كانلون
فانا اشارك بلعنو

ج للجميع هو عدل لامحالة وانا ايضاً ارفع
يدي لالعن هذا الاسم القبيح

ر ج اسكت يا جرال اسكت . اني كاهن ولي
ان انبهم الى كل شيء

من مات نال جزاءه من ريو

عدلاً فدعه بابي تأدياً

هيئات يجدي الميت رحمة راحم

ان كان مغضوباً عليه معذبا

او نعتريو نعاسة من لعنة

ان كان في المدار النعيم مقرباً

بر ر صدقت ياسيدي الكاهن

ن للجميع ربما كان كلامي شديداً ولكني

لم اتمالك من ذلك فاني قد انقضت كانلون

دور

هملو نشرب الراحا بتكرار

على ذكره لة اسني

فنجم الانس قد لاحا بانوار

حكمت اخلاقه الحسنى

ج ه ما بالك يارجنهاراني اراك مكتئباً فاعل
كأسك فارغه

ه ج لا ياسيدي

ج ه فاشرب اذامعنا بسر البطلين الفرنسيين

ه الجميع لو كنتم باسادتي في مثل حالتي

لما فعلتم غير ما فعلت فان شيوخكم قد علموني

احترام السلف فافهمو سبب تمنعي من الشرب

على ذكرها وانا اشرب على ذكر وتكند على

ذكر السكس على ذكر المغلوبين

(وبشرب)

ج ه تنبه يا رجل (ويهجم عليه) حذار ايها

السكسوني

ن ج جرال . . .

ج ن هذه جراءة لانطاق

ن ج فلنعذره فقد دعنته الى ذلك عزة

النفس

ه ن شكراً لك ايها الدوك فانك قد رأيت

ان جرال حملته الكبرياء على ستر عيوبكم فيما

انشدمع ان لنا كالكلم من المفاخر والانتصارات

ولكم كالكلم من المعاييب والانكسارات فاتم

تفاخرون برونلان . ولكن كانلون

ي بذاته يا الله

ن ه صه ايها السكسوني ولا تذكر هذا الاسم

القبيح . . . اي كدر جئت تهيج في نفوسنا . .

كانلون . ان ذكره برعش صوتي فهو الذي

ي ه لاريب في ان القانون يمنعك من الرجوع
الى السكس وإذا كنت ترجو
ي ه لا فإنه يجب علي أن ابقي مدة
في فرنسا
ي ه وما قصدك بذلك
ي ه ستعرفه الآن اودعك ايها

الكونت

ه بذاتو هذا هو نظره بعينه (ويخرج)

المظاهر الرابع

(المذكورون انفسهم)

ن ي ارعني الان سمعك ياسيدي الكونت
ان شارلمان يريد ان ابنيك يرافقني الى حضرتي
ليكافئه على انقاذه ابنة اخيه من الخطر
ج ي آه يا ابي

ي ج جرال دع عنك هذه الآمال .
لقد حلفت فيجب ان لا تنزع برت . . تذكر
العهود التي عاهدتني بها واعلم ان برت لا تنازل
الى محبتك حال كونك تحبها . فارفض اذا

ن ي ماذا نقول ياسيدي الكونت

ي ن ليس لي ما اقوله فان ذلك متعلق
بابني .

ج بذاتو (ملتفتاً الى برت) برت . . آه برت
ي ج آه يا ولدي

ج ي لقد تبصرت ياسيدي فرأيت اني
لا اقدر

ي بذاتو آه واشتفتاه انا السبب في
انكسار قلبك

ن ج اذن نسافر نحن (ثم الى برت) فتأهي
ايها السيدة للسفر

من الموت مرة . نعم وذلك في وردن مساء
القتال فان ملكاً سكسونياً يقال له مركولان
لا ازال متصوراً فائته المرتفعة قبض على
كانلون وجعل رأسه على ركبتيه وهم يقتلوه
ذبحاً فما كان اسرع من ان هجمت عليه فحوالت
حسامه عن عنقه

ي بذاتو نعم ان هذا لاريب فيه
ن الجميع فتهض كانلون مسترجعاً قواه وهم
على قرنه الذي كان قد وطد على النصر امله
وضربه فصاح غلام من الاعداء رحماك لا تقتلوا
ابي (هذا رجناه يهتز مضطرباً) فنظر الى الغلام
شزراً فرجع الفهري وقتل الاب فما مضى على
ذلك غير برهة يسيرة حتى غدر كانلون
برولان ومنذ ذلك اليوم لا يعنني ضميري الا
بانقاضي كانلون من الموت
ي بذاتو آه آه آه

ه بذاتو يا للعجب كيف قد اكمد وجه الكونت .
هذا شيء غريب . واره فيجنب المحاظ الدوك .
فلماذا باتري فلندن فلنلاحظ

ي ه ماذا تريد رجناه
ه بذاتو لم يخطئ ظني هذا هو لحظه
ه ن سيدي الدوك اجزي ان اقول كلمة
ه ن تكلم

ه ن قلت ان الملك الذي قتله كانلون
كان يقال له مركولان

ن ه نعم وكس الافرنج يعرفون هذا السكسوني
الباسل ولكن ما الذي دعاك الى السؤال عنه
ه ن ان الملك مركولان هو ابي

ه ي ياسيدي الكونت انك قد دعوتني الى
النصرانية فاجبت فهل انا من بعد ذلك حرّ

فما الشكوى وما بك مثل ما بي
فدعها أو يضيق بنا المقام
فهاك بدي لتبرم عهد حب
وثيق لا يكون له انفصام

ج بذاتو

اعاهدما وبي للحب قلب
وفي لا يفارقه الغرام

ويطر بني اللنا فاذوب حزناً
مخافة ان يكون له انصرام

ج بر شكا قلبي غرامك وهو غص
فقلت اصبر كما صبر الكرام

فان الحب سلطان مطاع
نذل له الجبابرة العظام

وكيف استطيع الا احبك ام كيف لا يعشق
من ينظر جمالك نعم قد ملكت يا برت قلباً
لم يسكر بخمر الغرام قبل الان وقلبي يباركك
في حالتي الصفو والكدر وكلمة واحدة منك
تذهب عني الاحزان وقد قلت لي يا برت
ويا برد ما قلت على كبدي . . احبك يا جرال . .
اما انا فلم يعد لي بعد ذلك ما اتناه وصرت
ارى كل شيء حسناً ولكن ليتك تعلمين . .
ان ابي من برهة قال لي . . لا . لا . فانا احب
وارجو . . وقد رد علي ما فقدت من السعادة

ج وماذا قال لك ابوك

ج بر دعينا من هذا فاني لا اقدر ان اعرب
لك عما المي من الخجل حين قلت لك اني محبك
بسظت له امري فقال معتقاً

لقد رميتها جهلاً ولست لها اهلاً

فعدت الى نفسي وقلت مراجعاً

بحق الهوى مهلاً فقد رميتها جهلاً

بر ن اني سألحق بك على الاثر
بر بذاتنا هذا غريب . . جرال يتردد . .
فلماذا . . انه بلا ريب يحبني
(نعم يودع جرال ويخرج فبتبعه اموري
وجرال يجلس مطرقاً تنتف برت بين يديه
شاخصة اليه)

المظاهر الخامس

جرال برت

ج بر

برج انا احبك يا جرال

ج بر آه . . برت . .

برج نعم وحيث كان عظم منزلتي واسي في
فؤادك منعك عن بك غرامك بدأت بشرح
الحب اولاً مفخرة باني اقدم لك قلبي

اخفيت سرك في الفؤاد فلاح لي

ومن الفؤاد الى الفؤاد سبل

فاشرح غرامك كي ابك صباي

ان اللسان على الفؤاد دليل

ج بر بامن تناجيني بضر سرها

شرح الغرام كما شملت ظويل

قد اطعنتي النفس وهي اية

في مطلب ما لي اليه وصول

فكنمت حتى لا يقال مملق

وصبرت حتى لا يقال ملول

برج كنمت وفي فؤادك نار وجد

يلوح لها ولو شترت ضرام

فلا ينبغي مع الحب اضطبار

ولا يجدي مع الوجد اكتنام

سيعلم ان الحب اعظم قدرنا
فحل بقلينا والبسنا فضلا
وان لنا مستقبلاً ان بدالة
يرى حبنا عدلاً فلا يؤثر العذلا
(ثم يقول على قد «خليك عن الدلال
وتنازل»)

ياكارها ظلماً هو انا والامر عنه سترنا
نخاف ان نافي هو انا بالحب لكن سترى
دور

برج لا تخشى بامولاي لا غم اللوم يضي بالهوى
وكن على عهدي ملازم شرط الهوى حنظ الهوى

المظهر السادس

جرال برت اموري

ج بر ي

بري سيدي الكونت انا احب جرال وجرال
يجبني وقد اخبرني بما دار بينك وبينه من
الكلام في هذا الشأن ولي الامل . . .

ي بر سيدي

ي بذاته قاوماني فكيف اطلب فوزاً

وضعيان يغلبان قويا

كان خوفي عليها من مصاب

ولعمري ما جئت شيئاً فرياً

ي لما قد تولى الغرام قليكما من

بعدما كان ذاك امراً قصياً

والى شارلمان مرجع هذا

ليس بغني عنه كلاهي شيئاً

بري اني قد افكرت في ذلك فاعلم ان شارلمان
لا يعارضني حيث انه يعلم بحقيقة حالي وانا
طالما نطلمنا معاً رجلاً يكون لي اهلاً فيغدني

اهلاً حتى رأيت جرال وهو وحده يثقل لي
قدماء الابطال ولكن طامعة في أكثر من
ذلك وهو ان يأتي بما لم تستطعه الاوائل وان
كان الاخير زمانه فليتبغني الى البلاط لاني احب
ان بنال بعزمي ما اريد ان انيله فيكون مساوياً
لرؤسائنا ولا ارى ذلك ايضاً كافياً (وتلثفت
الى جرال) فسر يا جرال على اثر ابطال فرنسا
القدماء الذين بنوا في ذروة المجد مقاماً وتبول
في البلاد واطلب الشرف الرفيع وعهد سبل
المجد لتبلغ الدرجة القصوى وعد الينا فنري
فيك رولان ثانياً . (ثم الى الكونت) فهل
تألومني بعد هذا ايها الكونت ام في فؤادك
مخاوف لا اعرفها . . . اني آخذ ابنك ولكني
اسلمه الى فرنسا وشارلمان الكبير واستودعه الله
ي بر لا هذا لا يمكن لا

ج ي كيف لا يمكن . . . ابعد كل هذا الانزال
مصرّاً على الرض فالي والحالة هذه الا ان اخضع
واحمل رفضك على امر لا اعلمه

ي ج لالا . . . لا اقدر

ج ي آه يا والدي

مولاي صانك بري

طرح في اليأس قلبي

هل كان والفرض دين

قضاء فرضي ذني

قد زاد في اضطرابي

وتباه بالغيظ لبي

ي ج هل كان غيظك مني

.

ي بذاته

الغيظ من ظلم دهري

قضيت بالعدل واجباتي
والله يقضي بما يشاء
(وتلفت الى جرال)

اما انت يا جرال فافتكر في كل زمان
فيما وعدتك وفيما انتظر منك
ج بر يمين الله يابرت اني انتفى ابامي في
الاجتهاد فلا انفيا ظلال الراحة ولا يشغلني
عن طلب العلى شاغل فاطر ح كل شيء يؤخرني
حتى ذكرك وانا اسير هذا المساء كيلا ارى
الصبح الا منمأ امرك .. اسير اسيراً في ودادك
حتى اذا صرت اهلاً للانتماء لابيک اعود ..
المظهر السابع

جرال برت اموري الدوك نعيم

ج بر ي ن

ن بر سيدني قد جاءت الساعة وركب
فرسانك للمسير

برن اني ذاهبة للحال (تسير قليلاً ثم تقف
ملتفة الى جرال)

بر بذاتها آه ... كنت اظنني اقوى على الفراق
(وتلفت الى جرال) للملتقى يا جرال للملتقى .

بري استودعك الله ياسيدي الكونت

ي بر اني ازودك الدعاء

ج بذاتو رحلوا فلولا انني

ارجو اللقاء قضيت بحبي

والله ما فارقتهم

لكنني فارقت قلبي

ثم نقول برت على قد «اشكو وابكي»

ومالي معين»

اسبر وقلبي ليدي اسير

ودمعي طليق وجفني كسير

ج اني بما انت قاضر

ارضى ولو عيل صبري

لكن تأمل عذابي

وفرط غمي وفهري

اضحي رجاء فؤادي

ما بين موت ونشر

ولست افعل خيراً

الأ بجلي بشر

حظي وانسي وسعدي

والحب مالك امري

ذا كنه مستطاع

ان شئت من غير نكر

وكلمة منك تقضي

بجبر قلبي وكسري

ولست ترضى بهذا

واحبرتي ضاق صدري

ي ج ولدي ولدي لعلني كنت

مخطئاً فان الوهم يغلب عليّ احياناً فلا استطيع

دفعه ولكني قد اخذت ان افهم فرأيت ان

اعظم ما احاذره هو وقوعك في اليأس الذي

اكاد ان اقع فيه فاقض يا بني واجباتك كما

تأمرك برت وانا اسأل الله لي المغفرة ان كان

في قبولي هذا خطأ وافتكره يا بني يوماً وانت

في حال السعادة ان خوفي لم يكن الا عن

حب والدي

ج ي والدي

ي ج رح يا ولدي فذلك عدل

بري اليك مني جزيل شكر

قارئة المدج والثنا

انا في الرحيل وجسمي نحيل

ورسي محيل وصبري عسير

بري ارجوك ياسيدي ان تكونت ان تمنحني
البركة الوالدية

ي بر سيدتي

ي بذاتها آه... وربما كان ابوها رولان ناظرًا
اليها من اعالي مقامه

ج ي وانا اسير متكلاً على الرب القدير
وارجو ان تمنحني البركة وتزودني الدعاء واني
اسال الله ان يسهل لي نيل المجد لاكون
جديراً بالانتساب اليك

الفصل الثالث

المظهر الاول

جيوفروا رجتهار ريشار هردي

ف ه ش د

ف د دعونا من هذه الاحاديث التي لا
طائل تمنحها فانه عما قليل يأتي الفارس الاندلسي
ساحة التزال فهل تنتصرون عليه بمجرد الكلام
ه ش ارجوك عفواً فانك عظيم الاهتمام بامر
رولان

ش ه نعم فانك كنت اولاً تابعة ثم صرت
ركبداره

ه بذاته لعله ذلك الشيخ فلندقق النظر فيه

ه ش بالحقيقة ان موت رولان خطب عظيم
واني لا احب ان اعلم كل ما يتعلق به فهل
ادرك يا صاح ثاره

ش ه نعم ولكن قليلاً

ه ش وهل عوقب كانلون

ش ه لم يعاقب كما يستحق

ه ش وهل كنت انت هنالك

ش ه نعم واني آسف

ه ش لماذا

ش ه ما من يجهل الامر هنا ايها السيد

السكسوني ذلك انه بعد ان قبض على كانلون

وربط وهو في حالة الضعف بجواد واطلق الجواد

في الغابات تالاً ذاك الغادر قصد انلافه

فتبعته انا آثاره لاري ماذا يكون من امره وما

زلت مقتنياً منه الاثر حتى وصلت الى ضفة

غدبر فرأيت ثم الجواد وحده فنظرت بمنة

وبسرة ولم ار الجسم ثم رأيت رهباناً يصعدون

الى دير هناك فتبعهم ورأيتهم يحملون جسد

كانلون وهو في حالة الموت فأسفت لانه

فاتني معظم الانتقام من ترك جسده تتناوشة

الذئاب والعقبان وتميت لو كنت ذنباً فانهشة

او عقاباً فانشب فيه مخالب

ه ش يقولون انه كان لكانلون واد

ش ه نعم وقد ستروا هذا الولد وكان الاولى

استئصال الشافة وانلاف بيضة الحية بعد

هلاكمها ولكن من ستر الولد ومتي وايين .

فهذا لست اعلمه

ه للجميع كفي كفي... اني اعلم ما لا تعلمون

وقد انضمت لي الحقيقة شيئاً بعد شيء (بذاته)

ان نظر اموري... هو اول داييل والدليل

الثاني هو ان كانلون جملة الرهبان وروبر

راهب... قد انضج الخفاء... اموري هو لا محالة

كانلون متلبساً وقد ستر الراهب بخدق جميع

ذلك... اما الولد الذي ستروه فقد غيروا

اسمه وهو جرال... نعم... اموري هو كانلون .

وجرال هو ابنة... يجب ان يثبت كل ذلك

فلننتظر الى النهاية

(ربشار جيوفروا يتذاكران في خلال كلام رجنهار)

ش ف آه من لي بان انازلنا... انازل ذلك الاندلسي فاخلص منه درندال حسام رولان المشهور ويعلم الناس انه لا يزال فينا شيوخ يحق لهم ان يقرعوا جرس الفضة متى شأوا ولا تحسب تلج المشيب مطلقاً نار همني فانه لعمرك لم يزد بها الا اشتعالاً

ف ش وآسفاه ان هذا الجرس الذي كان شجاعان فرنسا يقرعونه عند الملمات للدخول على الملك لم يقرع منذ عشرين سنين فلعل ارباب ذلك قد ذهبوا ام صار الناس بخافون ان يقرعوه لعلهم ان من يقرعه على غير استحقاق يقاص قصاصاً شديداً

ش ف لانيقل قد ذهبت اربابه

كل من سار على الدرب وصل

اما انا فاكاد انميز من الغيظ كلما

ذكرت هذا الاندلسي فانه في كل يوم يبارز الابطال ويقرعهم وقد حتى ذلك الحسام الذي يتوقف شرف فرنسا الان على تخلصه منه والحق اولى ما يقال ان هذا الاندلسي شجاع مجرب تعود القتال وهو لا يبالي بالحمام ولا يهرب وقع الحسام رجنهار يدنو منها في خلال ذلك فيسمع مذاكرتهما)

ه ش وما سبب هذه المبارزة وقدم هذا

الاندلسي بحسام رولان المشهور

ش ه ان هذا الاندلسي ورد علينا في جماعة من اصحابه منذ ثلاثين يوماً ودخل على شارلمان وهو جالس يوماً فقال ايها الملك . اني حضرت

يوم رانسفو صيياً واخذت عن جسد رولان حسامه درندال المشهور وقد اثبت لارده على فرنسا ولكني لا اعطيه الا لمن يستطيع ان يأخذه وهكذا فتح باب المبارزة فتبادر فرساننا الى مبارزته وجملة ما قتل منهم الى الان ثلاثون بطلاً وصرت اخاف ان يارح الاندلسي هذا المقام قبل ان تأخذ منه الحسام على انه في كل يوم يركب الى ساحة النزال فيأتي الملك متوكئاً على السيدة برت ابنة رولان فانها وحدها ترافقه فيدخل هذه الحجرة رافعاً جبينه الذي جعدته السنون ويترأى للناس من هذه الكوة بالهدوء والسكينة ناظرًا نظرة اضطراب بين الخفاة والرجاء ابرى من من الابطال يقدم على القتال لانقاذ درندال فيبقى الى آخر النزال وان ضعف امله بالنصر ثم يشرف من الكوة على ساحة القتال او بالحري على مدفن الابطال فيبارك بيد مرتجفة ذلك الفارس الذي يسقط في الساحة . ثم يدخل وقد ازداد اضطرابه ووجله وهو يردد اسم رولان ف للجميع الامبراطور... الامبراطور آت مع السيدة برت

(الجميع يتفرون)

المظهر الثاني

شارلمان برت

ل بر

(نقول برت على نغم « عيونك سود حواريه »)

نولت فكرك الاحوال

وسأمت عندك الاحوال

وهذا مشهد قاس

يزيد الحزن والبلبال

فدعنا اليوم منه ولا
تزد في قلبنا الوجلا
وكن مولاي في البلوى
على الرحمن متكلا

برل سيدي ان هذا المشهد محزن فخلنا
منه اليوم

ل بر هذا فرض علي ولقد تعودت ان ارى
مثله كثيراً فطالما توارد علي شجعان الرجال
من الاندلس وغيرها يريدون منازلة ابطالنا
فيتصدى لهم كل اروع صنديد لا يروعه
الصدام ولا يرهبه الحمام مثل اوليقيه اورنو
اورولان

وما كان اسرع من بروز احدهم لفرقوا
رجوعه برأسه وسلبه وكنت اذ ذاك اشعر
بكبرياء ملكية لا استطيع وصفها آه تلك ايام
لا يظلم في رجوعها لقد اصبحت المجد
فيجب ان اصبر للذل... رولان رولان اي
عاره علي اعظم من ان ارى خسامك درندال
في يد العدو

برل لا تياس ياسيدي
ل بر الامر لله ولا حول الا بالله لقد نزع
منا القوة الى عدونا واني اعلم انه ما من احده بين
رجالنا يغلب هذا الاندلسي

برل ربما...

ل بر من...

برل جرال...

ل بر ولكنك يا بابه لا تعرفين في اي ارض
هو ولقد بعثت الى ابيوان بجندك الى سريعا

ليقدم حساباً عن اقطاعه رجاء ان اعرف
شيئاً عن حال جرال وقد مضى على ذلك
شهران ولم يرد لي من الكونت اموري جواب
فالظاهر ان الاقدار تعاكسنا
برل سيدي قلبي يبتغي ان جرال يأتي قبل
هذا المساء

ل بر لقد كان لي ايضاً هذا الامل فاني
كنت كلما سرحت نظري في هذا البلاط الخالي
اخال والامل يطعم في كل شيء ان جرس النضة
قرع وان جرال قدم فكان ذلك البرق خلباً
وذلك الغيم جهاماً

برل سيدي جرال سيأتي عن قريب ويقرع
جرس النضة وانا اعرف ذلك وانتظره
ل بذاته لقد عرفنا ابتك يارولان بهذا
الثبات والاقدام وهذه العيون يتلأل بها
نظرك

ل بر فبارك الله فيك يا بريت فلقد حفظني
بك تذكاري مجدي وقد علمت وحدك باحزاني
وعلى جبينك هذا جرت دموعي ولك وحدك
انك تفت قوادي واري ان اكرامك لي في حال
الحزن اكثر منه في حال السرور ففرت الله
عجبي خبيك جرال لاني اريد ان اجمع بينكما
قبل موتي... ولكن الموت لا يهمني

برل سيدي ماذا نقول
ل بر الموت لا يهمني وكل ما اراه يدلني على
ذلك وهذا نسيم المساء يمر على وجهي

ل بر لماذا تبكين يا ابنتي تشددي واسمعي ما
اقول ان اعظم شغل للانسان في حال
حياته هو معرفة نفسه وما من يعرف قدر
نفسه ما دام حياً

بعدك بإشارلمان ابقى لم الملك قرناً واحداً
من الزمان ساعرف ذلك عن قريب اعرفه
حينما تأخذني سنة الوفاة فانرك هذه الارض
لارى المستقبل بلا حجاب وتلو ثم في كتاب
الازمنة نبأ مجدك او ذلك يافرنسا اواه هل
ارجو ان يتضعف مجدك في الايام الآتية كما
نتضعف حلقات السلسلة وتمتد ظلالك على
العالم بأسره وتكوني مصدراً للتمدن حتى يقال
يوماً ما ان لكل من الناس بلده وفرنسا ...
(ثم يسمع صوت حركة فتقول برت الملك اسمع)
ل بذاتولة دجاء . هذا هو البطل الغريب المنتصر
رويدك فوالدي كفناك خفوقاً ما افجع ما ختم
لي . يغلبني هذا الاندلسي انا شارل انا الذي
صرت . بل انا الذي هو شارل الكبير . لا لالم
نعد الكبير فاخضع رأسك ايها الملك لان
الله مبتعد عنك (يسير فيستوي على العرش
ويدخل الاندلسي ويجلس بين يديه)

المظهر الثالث

الامير الاندلسي شارلمان جوقه

ل

س

س ل انا انا الامير الاندلسي ادعوك يا شجاعان
فرنسا للبراز فهل منكم من مبارز فهل من
مناجز بالسيف او الرمح او الرماية وسيفتح باب
القتال فمن منكم يبرز للحماء ايها الابطال
ج س انا انا انا

ل ج مهلاً مهلاً قد كفنا ما سنك من
الدم اما انت فارجع الى قومك

س ل طوعاً لك ايها الاميراطور ولكن تذكر
يوم كنت في اعظم من هذا الجدد يوم كان

الموت يكشف ما استتر

ذي عبرة لمن اعتبر

اني لاجهل حالي

بل لست ادري ما الخبر

وانا المليك اخو العلا

سامي الذرى بين البشر

كم قد شقيت وكم نعمت

وكم لقيت من الخطر

دمشت اخلاق البرابر

وهي افسى من حجر

وفتحت اوروبافدا نت لي واسعدني القدر

اكن اليس بين اعمالى الماضية ما الام عايو

نعم قد اسرفت في تذليل اولئك الشعوب

ارادة ان اخضع بعضهم الى بعض ... لعمرى

ان الملك لايعرف هذا الا بعد سقوطه وشجرة

الحقيقة لا تنبت الا على قبره

برل سيدي ان شعب الفرنك ومثله العالم

باسره قد سماك الملك العادل وشارلمان الكبير

ل بر ان المداهنة تتبع الملوك ما داموا احياء

سميت بالعادل الكبير واكن ماذا يكون اسمي

بعد الموت سيعرف ذلك عن قريب

لو كان يعلم من يعلم من البشر

مصيره هجر الدنيا بلا كدر

الدهر يهبط رغماً كل مرتفع

لا تنصف الرمح الا عالي الشجر

شاب الزمان على غدر الانام لذا

تراه يبيع بعد العيب بالاثر

قابين الملوك الذين سادوا وشادوا الحصون

هل نجتهم حصونهم من المنون ابن اولاد مبراف

اولاد كليوفيس وما تكون حالة اولادك من

برل سيدي جرس النضة يفرع

ل بر جرال

برل نعم ياسيدي هو بعينه

ج ل سيدي اني قد تجرأت على فرع جرس
النضة استناداً الى اذنك في ذلك لكل رجل
حرب فان كنت قد اخطأت فاني اقبل ما
يتعين علي من النصاص

ل ج لاني اعرف ايها البطل حنك واقدرك
حق قدرك فلك ان تفرع الجرس وتثنى الان
ما تروم

ج ل حيث منحتني يامولاي هذا الحق فجل
ما اتنى ان انازل للجمال هذا البطل واني قد
وصلت متأخراً على ان الوقت الباقي لي يكفي
ببول الله فاسألك ياسيدي ان تبني ذلك
لاتنصر بعزمك او اموت من اجلك

ل ج تقدم ايها البطل فقد حسن عندي اقدامك
يا ابن الكونت اموري لقد ذكرت لي بسالك
فانك قد حفظت حياة ابنة اختي ولكن كن على
حذر فان من تطلب مبارزته رجل شديد
العزم ثبت الجنان وتأمل بجنته تعلم مقدار قوته
ج ل جنته هذه اقيسها بعد ما اطرحها في
ساحة القتال

ايبت اللعن ان الحرب سوق

تباع وتشتري فيه النفوس

سيعلم من ينازلنا باننا

لنا في الحرب تخفض الرؤوس

نكسر على الخميس ولا نبالي

ونلقاه فيمنزير الخميس

ل ج مثلت لي رولان فانه لو كان حياً لما قال

احسن من هذا فانا راض بما طلبت

لك معظم اسبانيا ولم يكن لنا بها غير سراغوسا
وقد ورد عليك في قرطبة من قبل ملكنا
الرسل العشرة فرأوك في حديقة غناء مستوياً
على عرشك وبين يديك رولان واوليفيه
والدوك هانس وانت في عظمة وسكوت والشيب
يزبدك هيبة ووقاراً فابتسمت حين رأيت
رؤوسنا منخفضة وزاد لديك السفير خضوعاً
طالباً منك المساعدة وجعلني عندك رهناً فاجنبه
ولكن بنون العظمة فاعلم ايها الملك ان
الزمان تبدل وان لكل زمان دوله واكل
دولة صوله وقد استرجعنا الان الاندلس فنحن
الان في طرب وطرفك يدع فانا الان اعود
حسب امرك وقد تم نصري وما من يتهمني
باحتيال فيه اعود بدرندال حسام ابن
اخنك رولان فاني قد حفظته حق حفظه
(يستل السيف) ها هو فانظره اخر نظرة

ل س رويدك ما انا بملوم اذا بخلت بدم
قومي وقد ساعدك السعد عليهم واني وهب
العظم مني واشتعل الرأس شيباً وقد اناقت
سني على السنين على ان هذه البقية تكفي للفاء
رجال هذا الزمان فانا انازلك واذا ساعدتك
الاقدار على شارلمان فحسي اني بنظره اخير
املاً قلبك خوفاً ووجلاً فاهل القتال

من ل سيدي الامبراطور لاتنفل كرمًا
برل والدي والدي لاتجلب بيدك الموت
ل الجميع لالا فانا افضل ذلك واني اذا
عشت ايضاً يكون عذابي اشد

الهم ان لاقى الهوان (م) بعيشه لا يرتضي
لاخير في عيش باكتاف (م) المذلة ينفضي
فاهل ايها الفارس لتقتل او تقتل

ج ل ان هذا المطالب الذي يجعل قوتي
بمقدار واجباتي يشغل فكري منذ سنة حتى اذا
رجعت من سفر طويل في افريقيه بعد وقائع
جيدة العاقبة أخبرت بأسر هذا الاندلسي وما
نابك وناب فرنسا من الاضطراب فبرزتني الحمية
واستفزتني الى قصده لاحارب عنك ايها
الامبراطور فاستأذنت في ذلك والذي فأذن
لي وتبعني الى هنا ايضاً وأنا انتظره وارجو . .
ل ج ان هذا النظر النافذ وهذا الكلام
البايع بيعشان الي الرجاء غير اني لا ازال متردداً
في الحكم . . فهل تحسن بابني الرماية فانك
تعلم ان الانداسيين ارمى منا

ج ل سيدي اني اترك هذا السلاح للعيد
والغلمان وانكل على الحسام فهو سلاح الشجعان
ولا جرم ان الذي اخترع الفوس كان جباناً
او يخاف من الانقام عند الصدام
ل ج انك نتكلم بعزة اجدادي فسر اذاً
وادرك ثأرنا وانتقم من عدونا واسترجع درندال
حسام رولان الذي يهزه هذا العدو بينه
وحيث انك تؤثر القتال بالقتال فخذ حسامي
خذ جوليس فهو لا تقبل بملك واعلم اني لم
اسلمه لاحد من قبلك

ج ل تقلدني هذا الحسام تكريماً
وذي نعمة طالت وزادت على الامل
فاقسم بامولاي اني ارده
اليك وقد رويته من دم البطل

الجميع ل (على قد خالك الند)
ياهاماً ساداً فينا وملك
ملك انت هباب ام ملك

فاز من بين الملاقاة املك
والهنا بعد العنا قد ام لك
(ثم الى جرال) سر بحفظ الله يا هذا المهام
وابلغ الامال وارجع بسلام
وانقذ من خصمنا ذاك الحسام
سر اليه واسق كأس الحمام
ج الجميع ان قدر لي النصر فقد نلنا المرام
واسترجعنا الحسام والا فلا يرد قضاء الله فانه
كان على كل شيء قديراً ولقد أتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً
بر ج جرال انظر الي وهاك يدي فابسط لي
يدك فانها لا ترجفان اذهب يا حامي رح

يا جرال

س ج لله انت ما اعظم اقدامك ايها الفارس
فهل بنا
الاثنان الى القتال الى القتال

المظهر الخامس

برت شارلمان

بر ل

ل بر هل بين الله علينا بالنصر فانا عليه
متوكلون هلي يا برت نضرع اليه فعساه ان
ينجنا لنا (برت تجثو وشارلمان يبسط يديه
والاثنان يدعون) اللهم يا الله يوسف ويهوديت
ودانيال اليك نضرع وانت السميع البصير
يا من يقضي على الظالمين بعذاب اليم ويبشر
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً
اعن جرال على عدونا كما اعنت داوود على
جالوت وهب له اللهم نصراً مينا
ل بر (سائراً نحو الكوفة) ابي هنا يا برت

ما من يضعف مجدك يا فرنسا لازالت قوتك
بازدياد ولا برح عزمك في نفوذ
الجميع جرال قد نال النلى
وقد نفي عنا العنا
جاء النصر وفى الاقبال
زال العسر نلنا الآمال
فليعي جرال البطل
من نال بالحرب الامل
فقد نفي عنا النجل
ولم يخف وقع الاجل
جاء النصر وفى الاقبال
زال العسر نلنا الآمال

ج ل (حاملًا السيوفين) سيدي هذا جوليس
وهذا درندال

ل ج بورك فيك ايها البطل (وبعائه)
هات درندال (بأخذه وبقبله) خلصت أخيراً
بادرندال هذا انت هذا فرندك واعرف
فولاذك هذه قبضتك الذهبية المتضمنة الذخائر
الثمينة... هذه الذخائر لم تزل موجودة آه دعني
اضع شفتي على حدك ايها السيف الشهير سيف
رولان بطل فرنسا كم احتملت في اسر الاعداء
فتعز والمع فرحاً انك في قبضة شارلمان . ان
رولان ينظرك في لحدته ونحن نضعك
عليه لتحصل له المسرة وهو في دار البقاء اما
الان فابق على العرش واسطع تحت الراية
الفرنساوية واما انت يا جرال فهذا جزاك ان
ابنة رولان تكون من الغد زوجتك فهل بنا
الان الى الهيكل لنقدم لله الشكر على ما وهب
لنا من النصر (بمخرجون جميعاً)

ساذكر لك حركات هذا القتال
بر ل (وهي تتبعه) اني اريد ان اعين ذلك
بنفسي (بطلان من الكوة فيسمعان علامة
الحرب)

ل بر هذه علامة التزال قد برز جرال
بر ل آه قد خنت الان يا الهي انفذ جرال
ل بر قد برز الآخر والتفيا
بر ل قد تدانيا

ل بر وقع السلاح على السلاح
بر ل لمع السيوفان

ل بر قد هجم العدو
بر ل تفهقر بالسرور

ل بر لا انقد عاد

بر ل درندال يتلوّى كالافعي وامصيتهاه لمع
على جبين جرال

ل بر آه اراه يرتعش ما اشد هذا القتال
بر ل واصيبتهاه قد انشق المغفر واكتشف رأسه
فجرى دمه وخضب الارض

ل بر لله دره انه لم يرجع هوذا جوليس يلعب
في يده

بر ل والهناء قد لمع درندال على رأسه ثانية

ل بر خلا عنه هذه المرة

بر ل وثب

ل بر مر من تحت درندال

بر ل نهض

ل بر قد اصاب مقتلة

بر ل هلك العدو واطرباه

ل بر سقط مرتجفاً ونعفر جسده بالتراب

بر ل بالسرور جرال انتصر

ل بر بالمجدك يا فرنسا وللجميع) اضربوا الطبول

المظهر السادس

كانلون (هو اموري)

كانلون بذاته لالا اسير فاني غير مستحق
ان اشارك ابني في مجده بل ربما رشقني
الاحاظ فانكشف امري لقد اثبت هنا مكرها
ولو تمنعت لاستغرب ذلك جرال وقد حاولت
ان اجد لي عذرا فامتنع من الحضور غير اني
خفت ان افتح له بابا للشك . . . فيابلط
شارلمان ايها المقام الذي ولجته اقداعي المرتجفة
والجدران العالية التي يرفرف عليها النسر
الذهبي باسطا جناحيه كأنه يدها على العالم
بأسره وبأبنائها الحجر والجالس انك جميعا
ممتلئة بشروري وقبائحي وكلما نظرت اليك
ذكرتها على اني وحدي اعرفها هنا بالسريزداد
ثقله يوما فيوما على عاتقي . . . ما من احد
هنا يعرفني وقد خفيت عن ركبدار رولان
كما خفيت عن الدوك نعم

المظهر السابع

شارلمان كانلون (اموري)

ل ك

ل ك كانلون

كانلون بذاته بارباه

ل بذاته نعم هذا هو كانلون رجل رانسو
الغادر فهل خرج من الحميم لارتكاب فظائع
جديدة

ك ل سيدي

ل ك .

ك ل سيدي

ل ك اسكت ايها الغادر كيف قد نجنا هذا

الخائن بمجزئة قيمة فعاد اليها يوم عاد مجرنا
نعم هو نعم هو بعينه لقد نجنا من الاولى
فلا ينجون من الثانية فان رولان حري بان
يدرك ثأره مرتين نعم كانلون ستهلك ستهلك
ايها الخائن في هذا المكان الذي يثقله صوتك
في هذا المكان الذي ماتت به اخني زوجتك
اثر ما بلغها من خيانتك القيمة في قنلة زوجها
الاول رولان فسقطت بين يدينا مائنة تحت
هذه الجدران نعم ستهلك ايها الغادر الذي
كان لي اخا

المظهر الثامن

شارلمان اموري جرال

ل ي ج

ج ي كنت اسأل عنك يا اي

ل بذاته ابوه ابوه

ي ج اني كنت اسأل الملك نعمة جديدة

واخاف ان يشوش علينا حضورك

ج ي اني اخرج يا اي

ي ج ولكن لا تتبعد فرما دعت الحاجة

اليك

ج ي سمعا وطاعة يا اي

المظهر التاسع

شارلمان اموري

ل ي

ل بذاته جرال ابنة جرال منقذ ابن اخني جرال

مدرك ثأر رولان جرال فخر شينوخني هذا

البطل الباسل هو ابن اخني ابن كانلون

ي ل نعم سيدي هو ابني وانا اسألك الرحمة

له وحده فانه يموت لامعالة ان عرف حقيقة اسمي

ي ج نعم فقد وجب النذر
 ج ي ا يكون ذلك بعد خطبتي
 ي ج لا بل قبل لما اذا اضطرب ...
 اي فكر خطر لك . افكر فذا نذر وقد عاهدت
 الله ان اترب
 ج ي كيف تسافر بعد ان حلت لي ان
 اقدم النقد حسب العادة واقود برت الى
 الهيكل وانت وحدك لا تحضر هذا الاحتفال
 ل ي لا ايها الكونت أي الله ان
 يكون هذا فانا اجيب جرال الى ما طلب
 فابق الى غد
 ج بذاتو هذا غريب

الفصل الرابع

جرال برت نعيم وجنهار اموري جفروا هردري
 ج بر ن ه ي ف د
 ن ج بر تقدا ايها الفتى وايها الفتاة فقد
 ولاني الامبراطور انا الدوك نعيم ان اعتقد
 بينكما اليهود فتقدما وتبادلا حسب العادة تقديم
 الواجبات وطلي ان اسأل كلاً منكاً عن مطاني
 ارادتي كي تكونا على هدى . جرال . . . كان
 رجل في عصر الابطال من اعظم العظماء واكابر
 الرجال هذا هو رولان وهذه ابنته انامك
 فقبل ان تتحدث بها راجع فكرك فهل فيك ما
 يمنع من ان تكون اهلاً لها
 ج ن لا . . . ولذلك اقدر ان اقدم لها النقد
 على هذا الترس (يقدمه لبرت فتأخذه وتعطيه
 لتابعها)
 ن بر وانت ايها السيدة قددي لـ حسب

ل بذاتو ابنة ابنة ابن كانلون وفيومثل هذه
 الشمامة كيف يتفق هذا
 ل ي ولكنك نسيت امه يا للعجب العجيب
 اهذا هو الانسان الذي كرهته نفسي اكثر من
 كل الناس انت كانلون الذي كنت الان
 تتكلم فانت اذا تبكي رولان كما ابكي انا . انت
 غدرت برولان وابنتك ادرك ثأره فاذا نسيتك
 الان اموري ام كانلون . انصف عن الاب
 بفعل الابن ام نعاقب الابن بفعل الاب هل
 اخلف وعدي له بدون ان يعرف سببه . . .
 وبرت . . . برت تحبه باله من مشكل اعياني
 حلة من جهة كانلون ومن الثانية رولان من
 جهة اعظم الشرف ومن الثانية اقبح العار وكيف
 التوفيق بينهما . الليل يهبط وقد رصعت برده
 النجوم . هذا هو كتناي وهذه احرفه المتلاثلة التي
 طالما انبأتني بارادة الله فعلمت منها مجيئ السعادة
 وحلول الشقاء فلنستخيرها الان . . . ايها السماء
 التي تنظر اليك عين الشقي بخوف اهديني سبيل
 الهدى وابعدي عني غيوم الاضطرابات (يجلس
 هنيهة ناظراً الى النجوم)

ل ي ناد ابنتك

ي ج جرال

المظهر العاشر

شارلمان اموري جرال

ل ي ج

ل ج قد خفنا ان نزعج فؤادك الرقيق بما
 نخبرك به وهو ان والدك حين رأى اشتداد
 القتال نذر ان يهاجر الى بلاد فلسطين مجاوراً
 ج ي ماذا . . . اي . . . تسافر حين ابسم ثغرسعدي

العادة الرداء والسيف

برن سيدي اني اقدمها لك (نعطيه اياها)
فياخذها)

ن بذاتو والان يحب ان يصادق الاب على
ذلك . . . تقدم ايتها الكونت . هوذا العروسان
فلا يرتبطان بلا مصادقك فقل

ي ن سيدي الدوك اعذرني فاننا اريد في
هذا اليوم الذي ينال فيه كل ما يستحق ابني
من المجد ان يكون ذكرى متسبباً فان ابني بعد ما
فعل وما سيفعل هو رئيس البيت الحقيقي اما
انا فلم أعد شيئاً مذكوراً فافعلوا ما يريد

ج ي آه يا والدي ان جل مجدي هو افتقائي أثرك
ي ج اني ثابت يا جرال فيا قلت وما انا الا
الماضي فسر انت نحو الاستقبال

ن بذاتو فاذن بقي علينا ان نسأل الحاضرين
فهل منهم من يكون له في ذلك كلام
ه ن انا

ج بر رجتهار

ي بذاتو السكسوني

ن ه قد فهمت ان بغض المغلوب شئت ناره
ثانية . . . تكلم ايتها السكسوني

ه بذاتو بغض المغلوب صدقت فاني قد قاسمت
وبغضت ولم يكن من دأبي سوى البغض اما الان
فقد صار شأن العدل فانت ايتها السيدة برت
وانت ايتها السيد جرال انما قرنا ورايان
وانا سكسوني ولو كنت مبغضاً لكما لما تكلمت
واكن لا اسكت بل انفذكما معاً قبل وفوعكما
في المصاب

ن ه اشرح ما تقول

ي ن لانسمعول هذا الرجل فهو عدونا

ه ي احترز انت يامن بسبوتة اموري

ي ه كيف تجرأ ان تقاوم ابني وتنافض مجده
وفضيلته

ه ي انا لا افارقه بل احامي عنه

ي ه ومن نحامي عنه

ه ي احبب منك

ن ه تكلم

ي ن لا . لانسمعول فهو كاذب واني نادماً لاني
ابقيته حياً (يدنو من الدوك نعيم)

ه ي انت نادم (هاساً في اذنه) اليس لك
ما يبعث على الندامة غير هذا

ه ن ان هذا الرجل الذي يجرأ ان يمس
يدك انا اعرف ماضي امره واسمه الحقيقي وما
انا ذا اذكره لكم جميعاً

ي ه انت تكذب ايتها السكسوني انت كاذب

ه ي قل ما شئت فاني ابث صدقي لدى
الامبراطور . . . ان هذا الرجل يقال له . . .

ي ه اسكت لا نقل هنا لا نقل امامه . امام ابني

ه ي ايتها الكونت انا اكرم منك انت قتلت

ابي امام ابني اما انا فلا البسك العار امام

ابنك وكان بودي ان ادفع هذا الامر عن

جرال غير اني اخاف ان تلوح لي اشباح

الشهداء في منامي فعظم ما اقدر ان افعله هو ان

اسمع لك ان نخبير ابنك بما كان من قصدي

ان اقوله

ي ه مناسب

ي ج ابني هنا يا جرال

ي للجميع اسمعول لنا بخلاوة

بر بذاتنا ما هذا الامر يا رباه ما هذا الحادث

المدعش

ه بذاتوا نظر كيف قد علت وجهه صفرة الوجمل

المظهر الثاني

اموري جرال

ي ج

ج ي والدي اني اري هذا السكسوني مختل
الشعور

ي ج لا

ج ي ولكن كيف يكدرك هكذا وهو لا يعرفك

ي ج انه يعرفني

ج ي امثل هذه الاهانة ..

ي ج ذلك عدل

ج ي اه يارباه اي اضطراب اعتراني

ي ج جرال .. ثبت جاشك .. كيف عرف

هذا الرجل الحقيقة ذا لا بهم فاسع .. ليس اسي

الحقيقي اموري بل هو اسم مكروه وملعون عند

المجتمع وقد ظننا المسمى يو ميتا من زمن

طويل مع انه لا يزال حيا وهذا السر لا يعرفه

غير السكسوني والمملك ان كانلون لم يمت

ج ي ومن هو كانلون

ي ج انا هو

ج ي اه برت

ي ج آه بالعزة النفس والشهامة لقد خالف

ظني فلم يفتح كلامه بلعني

ج ي بلعنيك .. هذا لا يكون ولا في مثل

هذا الوقت فاني احتمل كما احتملت

ي ج آه كلمني على الاقل بكلام جاف فاني

ظان للاهانة صرح بها ان كانت تخفف

أملك

ج ي الاهانة هذا لا يكون .. فاني لا اريد

ان اعلم ما علمتني وهو التيام بمقوق الشرف

والطاعة وعزة النفس والشهامة ... وكل ما

في من حسن فهو مستند منك وكيف كانت

ذلك فانا انا ابنك ولكن دعني ابكي .. آه ..

هكذا كانت امي تبكي حين علمت بما علمت

الان

ي ج جرال

ج ي لانتكلم

لانتزع النصل دعه

في مهيني فهي جرحي

فلست اسطيع صبرا

ولست اسمع نصيحا

وقد بدا لي امري

وسوء ظني صحا

عرفت دائي وسرا

يو فوادي اوحى

فيالارث الذي لا بد من انتقاله الى الابناء

ولعل وصوله الى ابي كان بالارث ايضا ..

نعم نعم قد عرفت الان ذلك السرائخي الذي

كان يجعلني اظنه انا واطمني هو وكان يخال

لي اني ان تكلمت فبصوته وان مشيت فبقدمه

اه بالنعاسة ... لالا هذا محال .. هذا فوق

الاحتمال

ي ج جرال .. ولكن لا يحق لي ان اعارضك

ونظرة منك واحدة تكفي لخجلي ... فقد كان

امس عفو شارلمان كبيرا اما الله فلم يشأ ان

يعفو ... وحسي قصاصا ما اري الان من

حزنك

ج ي حزني .. اصبحت فقد كانت الصدمة

وبرت . برت . اه ياربي هل مخطت علي

المظهر الثالث

جرال شارلمان برت نعيم هردي جنروا

ج ل بر ن د ف

ريشار خدم عدد

ش خ ٢

ل ج جرال قد كشف لنا السكسوني الامر ..

ان التوفيق خالفك وانت في اول الرجاء

وكان يتقص مجدهك باجرال الصبر والاحتمال

واني قد عرفت الامر منذ امس ووازنت بين الجريمة

والاستغناء فرأيت ان احساناتك رحمت سيئات

ايلك وكفاك فخراً انك اعدت مجد فرنسا

وادركت ثار رولان الذي رأته انا تحت

ظلال الاشجار الضخمة في ساحة رونسفو فقصته

وهو ملطخ بدمه واقسمت ان ابكي ما حبيت ثم

طلبت حسامه فلم اجده واشتد علي ذلك لان

رولان كان قد عهد ان يدفن سيفه معه وقد

استولى عليه العدو واعيانا تخليصه ولك وحدك

الفضل في استرجاعه وسيودع هذا الحسام في

ضربجو فانغرا اذا ايها الهام ونبل المنزلة التي

انت لما اهل بين اولادي وانت يا ابتي يا برت

اصيلة المجد تكلي فذلك حق لك

بر ل وما الداعي الى ذلك ياسيدي كلمة

واحدة تكفي . الهيكل معد وانا مستعدة . هلم

جرال هلم . لماذا تخفض رأسك . لماذا تحول

نظرك جرال ما هذا السكوت عندك في ودادي

ريب اترى ان ارفع صوتي . صرحة . . .

سيدي انا احب جرال بمقدار ما اجله وقد

زدت فيه حباً لان هذه النائبة التي جلت به

شديدة حتى ارتعدت لما بل بكيت كالصبي

وكان علي ان اخفي في قلبي حزني ولكن يجب

علي ان اكفر ذنبي فان كان لابزال الجرحي

دواء فاني ارضى به ولو كان شديداً

ي ج اعانك الله باجرال فاني لا استطيع بعد

الان ان اخالفك بشيء فانا خاضع لما تريد

وقد انتهى عملي فانا اسافر . هكذا يجب فان

المانع الذي طرأ عليك وهو وجودي سيزول .

ولكن اسمع لي قبل انطلاقي من هنا ان امزج

بدموع النحل دعة افتخار . اه ان جريتي

قد افعمتك اضطراباً على انك بحكم الحنون قول

هذا هو ابي اما انا فبافتخار لا يعرف اقول

وارجوك عفواً باجرال هذا ابني

ج ي ابي

ي ج استودعك الله باجرال

ج ي ابي

ي ج واذا تم لي ما ارجو من انتهاء ايام عذابي

قريباً ولم بعد لي سوى مجرد الذكر افكر

باجرال رغماً عن ذنبي الجسم ان هذا القلب

المتقي كان يحبك واني قد لقيت قصاصاً شديداً

بان ارى ذراعيك غير منفتحين لي عند وداعنا

هذا الاخير

ج ي (فاتحاً ذراعيه) ابي (ويتعاقبان)

ي ج ابني افارقك الان واستودعك الله

فاني اخاف ان يقوى علي الضعف فيمنعني من

المسير . . اسمع حركة قدومهم فانوارى فان

نجلي يزداد اذا كان لديهم الاب والابن معاً

(يخرج)

ج بذاته هام هوذا الملك خالي اخو امي . .

الدوك نعيم . وكل الذين كانوا يثنون علي . .

لم تنقص من عزه فلم الان يا جرال
 ل ج سلم جرال واقتبل بد برت ثانية
 ج ل سيدي اني شاكر لك في نفسي ولكني
 ارفض هذه النعمة الاخيرة
 برل بارباه ... جرال

ج بر اسمي ان ابسط سريري لديك في
 حضرة الملك نعم ياسيدي اني لا اكون مستغفراً
 لهذه النعمة المحسية ان لم ارفضها فاني اسع في
 نفسي هذا الصوت الذي لا يكذب انا ابن
 الذنوب لا ابن التوبة واحب ان يكون القصاص
 اكبر من الذنوب وان يقاص الابن البري نفسه
 ليكون الغفو عن الاب احق وخير لي ان
 اجرح بيدي قلبي وان لم افعل يقال اني
 لم اكرر ذنوب اني كما ان اني يهاجر واما ارافقه
 ومن العدل ان نكون دائماً معاً
 فليعتبر من كان ذا نظره

وليتمتع من نومه من رقد
 ومن له وسوس ابليس ان
 يعتذر فليظن بعقبي الولد
 ان ذنوب الوالدين الى
 ابنائهم تنقل يا ذا الرشد

برج انت راحل يا جرال

ج بر نعم برت

برج اه ان كنت تحبني لاتكن قاسياً

ج بر انا لا اجسر ان احبك

برج وانا جرال ... انا ... ما ذنبي لتعاملني
 بهذه القسوة

ج بر ما خصمتنا الا القدر

برج لاتجازه على ظلمي واحرص على السعادة

ج بر اجهل لك تخلي

برج انظر الى المستقبل
 ج بر الماضي نهض عيني
 برج ما من ينظر اليه غيرك الا يكفيك
 عفو الملك ام تريد ان تسع صوت اني من
 اعماق قبره او من اعالي مقادي في السماء مصراً
 بالعفو والرضا استملك يا جرال باسم اب
 رولان

ج بر اخفضي صوتك او يسمعك اني كانون
 برج (ساقطة بين ذراعي نابعتها) آه
 قطع الرجاء

من لم يذق في الناس كأس فراقه

لم يدرك كيف مصارع العشاق

قد كان في كأس الغرام بقية

فشرت وحدي كل ذلك الباقي

يا من بلوم على الاسى ان الهوى

يرمان يوم نوى ويوم تلاق

وافي النوى فجرت بوادر ادمعي

ومن الوداع نصيحة المشاق

لاتحسبوا دمعاً جرى من اعيني

هذا فولأدي سال من آماقي

ج ل سيدي خذ بيدي فبكائها اعياي

كنت آملاً ان انال ابنة رولان واما الان

فمذا الامل قد كرهني بنفسه لكوني ابن ...

يارباه لالا هذا لا يكون اليوم تراني بعين الشفقة

ولكن غدا

ل ج أصبت يا جرال اني لا الوملك على هه

الشهامة ولكن هذا قضائي الملكي النهائي امس

سلمتك جوايس لتسترجع درندال واليوم اصنع

فوق ذلك فان بسالتك تقضي جزاء اعظم

فاريد ان يكون درندال لك ولو كان رولان

المجوق الى حضرة شقيقه وخليلنا الذكي الحاذق
انطون افندي خياط ان يقوم بامرها لإدارة
وتمثيلاً فلي الطلب واجاب دعوة العارفين
بسعة باعه فنزل الدورين في مصر والاسكندرية
بما لا يزال أثر الكمال في اثنائه محفوظاً في
الاذهان مذكوراً بكل لسان

فهذا وما نشأ عنه من استغسان الناظرين
والسامعين لما في هاتين الروايتين من غرائب
المؤثرات وحسن البيان وغير ذلك ما يذكر
به فقيدها صاحب هذه المنتخبات كان لديها في
جملة البواعث التي اوجبت حفظها في هذه
المجموعة فأفردنا لها فيها مقاماً واسعاً

منتخبات العصر الجديد والمحروسة ومصر الاخيرة وغيرها

كتب رحمه الله في مقالة نشرها في العصر
الجديد موجهاً بها في الخطاب الى مصر وذلك
بعد عودته اليها من بيروت لثراً وسود
منصب رئاسة النظار في مصر الى دولة شريف
باشا فقال

عند الصباح بمحمد القوم السرى
غينا وكانت اليك عودتنا
باسكناً لم يغيب عن الفكر
خيرنا الدهريين بعدك والا
فقد فلم نرض خطه القدر
وزادنا البعد في رضاك جوي
فاستحكمت منه علة الصدر
وما برحنا في ليل حيرتنا
حتى يدت منك آية الفجر

حيّاً لسلمك اباه فهو ظآن لورود دم الاعداء
فانت اهل له فاسقو نهضة من دمهم حتى اذا
بلغت فيه منانا وطردت به عدوا من المغرب
الى المشرق نعيده الى قبر رولان
ج ل نعم الى قبره الى اكتبنا ثم اذهب لالقي
المنية في مكان اقصى

برج واذا باعدك المنية
ج بر أجد في طلبها حتى ادركها
برج (بعد سكوت طويل) مناسب كن
كاشئت فان من تحبك تمانك وقد خافى
الله قلبينا منشاهين وهو وجده يجمع بينهما
استودعك الله يا جرال
ل الجميع ايها الامراء والابطال اخفضوا
رؤوسكم ليديه فهو اعظم منا
تمت رواية شارلمان

تنبية

(من جامع هذه المنتخبات)

لما انعم الجنب الخديوي العالي عام ١٨٨٥
على حضرة صديقنا النبيه يوسف افندي خياط
بالانتخبة في قاعة الاوسر الخديوية مدة
شهرين في فصل الشتاء مثل جوقه اذ ذاك
هاتين الروايتين البديعتين (اندروماك وشارلمان)
ببراعة لم تنزل الى هذا اليوم موضعاً للثناء على
حضرة مؤلف المجوق وعنايته بانقان فن الروايات
العربية

واذ كان في الروايتين دوران مهمان بقتضيان
علماً واسعاً بفن التشخيص وتمثيل الوقائع على
اختلاف مؤثراتها وما دور اورست في اندروماك
واموري او كالمون في شارلمان بطلب مدير

آية فجر الحرية من مجلس نور الوطنية
ناجحة احكام الجهالة مبددة ظلمات الضلالة
فاحتلنا اليك جارية

كانها بالذي بنا تدرى
تشق جوف العباب مسرعة

وقلبها مثلنا على حجر

حجر من الشوق اليك نصرة الغيرة
عليك بين جنبي محب ولاك اصغريه وجعلك
احدى غايتي فصرنا الى حماك وافلنا تحت
سماك

وما بعد مصر للنبي مطلب

وان كان اسباب الهناء كثيرا

بل هناك امنية في القلب وحاجة في
النفس لا ترى العين من دونها شيئا ألا وهي
كمال نعمك ونعم بعثتك وظهور آثارك وعلو
منارك ووصولك الغاية ما تروم وحصولك
في المأمن ما تخاف لتكون دليل الشرف في
سبيل النجاة وهاديه في مسلك النجاح

فقد رأيتك مثبه طرف الفكرة من رقدة
ذي الغفلة تؤيد اميرك الكريم وتوفيقك العزيز
فيما يريد من جمع الكلمة وتوحيد الوجهة وإعلاء
شأن الفضل ورفع مكان العدل وثبت للغرب
انك لا تزال حيا تعرف نفسك ما لها ولا
تنكر ما عليها آخذا في ذلك بوسائل الحكمة
واسباب الدربة حتى كانتك عرفت السياسة
طفلا والفتها يافعا وكهلا وجبتها حزنا وسهلا
ولست في شيء من ذلك وإنما في نبالة الطبع
تؤدي الى الامل وإصالة الرأي تصون من
المخطر فاستوقفت اهل الغرب حيرة واستغرابا
واهل الشرق سرورا وعجابا هؤلاء ينظرون

اليك نظر المحب الآمل فيك او الداعي لك
او المحاذر عليك وأولئك يجدونك بعين
الغريب الطامع بك او الخائف منك او
المرتاح اليك

ورأيت اميرك الهام العلي المقام راضيا
عنك مستبشرا بك حريصا على مجدك مبرما
ميثاق عهدك بروم منك الثبات فيما شرعت
والحكمة فيما نزعته والاعتدال فيما سلكت
والاحسان فيما ملكت وان تكون يده التي يدرأ
بها عنك الشر ويحلب بها اليك الخير فتصلح
بذلك حالك ويحسن ان شاء الله مالك

ورأيت وزيرك الشريف ذا المقام المنيف
مؤيدا أحجنتك مهادا محجنتك ناشرا بنودك حافظا
عهدك ناهضا بما انتدبته اليه قائما بما توكلت
فيه عليه يصلح من شؤنك ما كان فاسدا ويروج
من امورك ما كان كاسدا يحلف لك قلوب
المصنين ويقطع عنك ألسنة الجائرين سالما
في ذلك مسلك الغيرة والاجتهاد والحكمة والتدرج
شأن المحكم الراشد ينظر الى ما وراء الامور
ويستشف ما تحت الستور

ورأيت نبهاء قومك ووجهاء اهلك
يجمعهم الاتحاد بعد الانفراد ويضمهم الائتلاف
بعد الاختلاف فهم في المصلحة العمومية ساعون
وعن اللغو واللغو معرضون علوا مزية الحمد
فالتمسوه ورأوا مقام الحمد فطلبوه وبدت لهم
الحرية منيرة الطلعة باسمه الثغر باهية الجمال
باهرة الجلال فحملوا اليها مطي الهمة وجدا
وساقوا اليها جواهر الانس نقدًا

وبين ذلك قلوب واجنة منك وانس
خائفة عليك وعيون محذقة بك وإفئدة داعية

لك ومحبون امناء يخاطبون قومك بلسان
الغيرة والاخلاص وبيان الحب والاختصاص
فينولون

يا قومنا لقد نلتم بالسلم والحكمة والرضى
والقبول ما بذل غيركم من اجله الاموال
واراقوا في سبيله دم الرجال وما لا يزال كثير
من المخلق يطعمون فيه ولا يجدون اليوسيلاً
وهي نعمة الله واجبة الشكر ويد للامير لازمة
الذكر ومزية للشرق لا يطوي الزمان لها خبراً
ومحمد ماصراً لا ترى العين من مثلها اثرًا وما
نزيدكم علماً بما لقي اهل الغرب في هذا السبيل
فقد بربت السنة خطبائهم باقلام علمائهم في
الدعوة اليو اعصاراً وجرت اموال اغنيائهم
ودماء ابطالهم في الذود عنه انهاراً حتى رأوا
فيه كواكب الليل نهاراً وانتم لا علمتم ادرككم
الغاية منه او تكادون لم تهرقوا فيه مجحماً ولم
تنتقلوا دياراً فحذار اخوان الاوطان ان تكونوا
مصادق قول القائل

ومن اخذ البلاد بغير حرب

يهون عليه تسليم البلاد

اعينكم من ذلك بمكة اميركم وثبات
وزيركم وهمه فيمائنكم واتحادكم كلكم اجمعين كما
اعينكم بالله من غرة الأمن وسكرة الظافر
وغفلة القوي وزلة العالم ومن حيلة المداحي
وخدعة المفاجي ومكر العدو وجهل الحب فانكم
بين الحساد والرقباء والمتردددين منكم والذين
يخافون النوران بظنهم ما كانوا يسترون وعليكم
للاجبي حقوق واجبة الاداء وذمة لازمة الوفاء
وفي الزمان احوال مفروضة الرعاية وضرورات
نافذة الاجكام

فاخطوا مع الدهر اذا ما خطا

واصروا مع الدهر كما يجري

وبعد فللحياة السياسية ادوار من مثل

ادوار الحياة الطبيعية فهي تنتقل من الطفولية
الى المراهقة الى الصبا الى الكهولة الى الهرم ملزمة
في كل دور بحال وفي كل حال بشأن لا تختار
وحد لا تتعداه ولا بد للام من المرور بهذه
الادوار وان مر عليها الصبر والانتظار فغاية
ما نستطيع ان تكون واسعة الخطا وان نجنب
وقفات الخطا

ومعاذ الله ان اريد انكم لا تصلحون لما
تريدون بعد اذ ناديت لكم بهذا الحق سرّاً
وجهرّاً شرقاً وغرباً في الباطن والظاهر والاول
والآخر لم ياخذني فيه لوم ولم اخش عيباً
ولكني اصونكم وانزه نفسي عن الملق والتغريب
ولقد رأيت الذين حرصوا على الحياة السياسية
من قبلكم يلمسونها باسبابها ويدخلونها من
ابوابها متدبرين متدرجين يراعون جانب
الامكان ولا يذهلون عن احكام الزمان والمكان
علماً منهم بما تقتضيه الاحوال وان الطافرة في
عالم الوجود محال . هذا مع قرب الوسائل
وفرة الاسباب وسابقة العهد وعموم المعارف
وكمال الدربة ووحدة القصد وعدم المعارض
ونظام الاستقلال

وما ينكر ذو عيين ان مصر لا تعدم
عددًا غير قليل من العلماء والنضلاء والنبهاء
وذوي الغيرة الوطنية والمعارف السياسية يقيمون
امورها ويديرون شؤونها وينظمون احوالها
فاذا حصلت لهم قبة الحرية واستقلال الرأي
لم يعجزوا عما ينهض به نهباء الناس في البلاد

الزمان وساعدكم التوفيق فوائتكم اهل العصر
على احياء الفضل واعلاء الحق ميثاقاً بظالمكم
والاحياء وبذكركم به التاريخ
والناس لا يبقى سوى

آثارهم واعين تنقد

بل قد امنت عليكم الوهن بانتهاء الوطن
بما رأيت في مجتمعاتكم وما سمعت من سرائكم
رأيت اثار الغيرة وعلائم الحمية وسمات النخوة
الوطنية على وجوه مستبشرة من قلوب متوازية
على العزم متوافقة على الحزم متضافرة على الاتحاد
متوافقة على الاجتهاد . وسمعت بشار النور
ووجود الثبات وعهود انواء بالسنة ما نظمت
بغير الصدق من افواه ما عرفت غير الحق

فاذنبوا لي ابشر الاحياء وانذر الاعداء
وازيل مخاوف الصادقين واقطع آمال المنافقين
واعد مصر والناظرين الى مصر بعين الرجاء
والاقتداء انكم تتخذون الحكمة شعاراً والثبات
سبيلاً والحزم دليلاً

هذه امانتي محبة ما ظهر فيكم بعلم ولا
اشهر بعرفان ولكن استوى فيه اصغراه فما كان
في قلبه فهو على اللسان

الواجبات بقدر الحقوق

آية الحكمة في عالم الوجود وسنة العدل
في حياة الاجتماع ان يكون الحق والواجب
متعاقبين متلازمين يتبع احدهما الاخر وينشأ
عنه وجوباً فاما ترى حقاً بلا واجب يعادله
فلا ترج هناك عدلاً واما تجدد واجباً بلا حق
بمثله فلا نطلب ثم انصافاً

فواجبات الامم تختلف بحسب اختلاف

الحرّة فان لم يبلغوا بادئ بدء درجة الكمال
فالملال اول البدر والغيب اوله انقطر ولكن
سائر الامة في حاجة الى التأديب العلمي والتدريب
السياسي فلا بد للوجهاء والنبهاء من مراقبة ذلك
فيما تنزع اليه نفوسهم الذكية وان يجعلوا المطلوب
بقدر الحاجة والمستول بقدر القوة

فما تحمل نفس غير طاقتها

ولا تجود يد الآما تجدد

فاذا ارتقوا اول مراتب الكمال السياسي
غير متزلزلين كانت الغاية اليهم ادنى والبغية
لم أبسر بما يحصل في الكفاية من عادة النهوض
بالاعمال والقيام بالامور والحرص على الحق
والعلم بالواجب فلهذا كلها ملكات كسائر الملكات
العلمية والصناعية والخلفية لا تستحكم ولا تحصل
الا بعادة واستمرار بخلاف ما لو ارادوا ادراك
الغاية قبل قطع المسافة او ارتقاء المخرج من
غير سبيل التدرج فانهم في الاول يحاولون
محالاً وفي الثاني لا يأمنون زلة القدم
على ان التدرج لا يبيد الوقوف كما ان
التأني لا يتناول الاهمال فلا بد من الثبات
والاستمرار مع الحكمة والاعتدال

وقل من جد في امر يحاوله

واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وما نضرت لملك الامثال ان الملل آفة
الاعمال وبلية الآمال ومجلية الخسران والوبال
فلا تهولنكم الغفبات ولا ترهبنكم المضاعف ولا
تروعنكم المحادثات ولا تخيفنكم المناعب واذكروا
انكم ساعون فيما تزد يد في القبور رمم الاباء
وفي المهود قلوب الابهاء

وكيف يهنون ولا تثبتون وقد اسعدكم

انهم في موضع استبداد ومكان استعباد وإن
رأيتهم على خلاف ذلك ينطقون بالحق ويجهرون
بالصدق ولا تبعد الحرية فهم من رزق ولا
تقرب اجلاً فانت ولك الهناء في جنة عدل
وفردوس انصاف

وإن كان القوم احراراً مختارين فيما يقولون
ويفعلون مما لا يخالف حكم العدل ولا يخرج
عن حد السواء

وإن كان الامر شوري بينهم ينفذ الحكم
فيهم بهم ويكون الاثر منهم لم فهم الامرون
فيما يأثمرون وهم الحاكمون فيما يطبعون
وإن كان اميرهم الذي غدت عليه
القلوب ورئيسهم الذي اجتمعت له الآراء وسراهم
الذين اعلام الفضل

فهؤلاء لا عذر لهم في ضعف المهتم وفساد
النفس واهمال الفروض فإن حق الحرية ملزم
بواجب العدل وحق الاختيار بواجب النزاهة
وحق الامر والحكم بواجب التدقيق والانصاف
وجملة هذه الحقوق المدنية والسياسية بواجب
افتداء المصلحة العمومية بالمصلحة الذاتية

ولقد كنتم اهل مصر في الزمن السالف
على عهد الجور والاستبداد عبيداً ارقاء
مستضعفين تسلب نعمتكم ونهتكم حرمتكم
ويستول فيكم سائر ما حرم الله فلا تعرفون
لانفسكم حقاً ولا تجدون للنجاه من الضيم
سبيلاً فلم يكن عليكم من حرج في ااهال
واجبات الوطن من دفع الاذى عنه وجلب
النفع اليه وبذل النفاس والنفس فيه لان
هذه الواجبات لا تلزم الا عن حقوق معلومة
من مثلها فاذا سلب الحق سقط الواجب

احوالها ولا تكون على اي حال الا بمقدار ما
لها من الحقوق . مثلاً في هذا الشأن كمثل
الفرد من الانسان له او عليه كلاً كامل الرجولة
موفور قوة البدن والعقل ما ليس له ولا عليه
ياقناً او صياً او طناً لا يعي شيئاً

فكلما نقصت حقوق الامة بالحجر والنهر
والاذلال رفعت كلفة الواجبات عنها بمقدار
ذلك النقص وكلما وفرت حقوقها في الحرية
والسواء من طريق العدل كثرت واجباتها
فيما يحفظ تلك الحقوق ويمنع من انقلاب نفعها
ضراً وتحول خيرها شراً

فإن كان القوم عبيداً ارقاء يصدعون
بما يؤمرون ويكرهون على ما يكرهون ويأثمرون
الارادة من مجموعهم باثباتها لواحد منهم اطلاقاً
وإن كانوا عبي النواظر من الصائر
لا يرون الا ما ينعكس عليهم بضياء نار
الوهم يتعقلون الا ما كان منحصراً في دائرة
التقليد

وإن كانوا الآت صاء يدارون فيما لا
يعلمون لما لا يستفيدون منه نفعاً ولا يعلمون
انه قصداً

فهؤلاء ليس عليهم من حرج ولا تاريب
فيما يبدو من ضعف عرائهم والنواء قلوبهم
وقعودهم عن واجبات ذوي الحقوق الموفورة
الا بقدر ما يؤخذ الطفل على كسر الاناء
والصي على اثار اللهب فقد قيل ان ضعف
الهمة والفاق والاهمال صفات ملازمة للرق
والخوف والذل فإن مرت بقوم بظهورون
غير ما يضررون ويقولون غير ما يعتقدون
ويتغاضون عما يجب عليهم فاعلم وفيت السق

اللازم عنه.

أما وقد بدا لكم طالع التوفيق في المظهر الشريف فنجوكم من اسار العبودية وحصلت لكم البعثة الوطنية فنلتكم الحق الذي كان مساوياً او مضيعاً من قبل فقد لزمكم الواجب المتعين على سائر ابناء الاوطان المحرة في العالم الانساني لا نندح لكم عنه ولا بد لكم منه او يتعكس الامر ويلتوي القصد وتخلل الاحوال ويسوء المنقلب والعياذ بالله

اجل وليس الذي نلتكم او كدتم تنالون من الحق بسيراً لتساحلوا في اغفال الواجب اللازم عنه فقد اهرق الانكليز من اجله دماً عزيزاً واهلكوا مالا كريماً ولم ينالوه الا برور الايام وكرور الاعوام وتلاهم الفرنسيين في طلبه واخر الملة الماضية فتهالكوا عليه واستماتوا فيه وتبعهم سائر الاقوام من بعد الى هذا العهد فمنهم من فاز بسوء جملة كالاميركان والهنديين والبلجيكيين وغيرهم ومنهم من اخذ منه بنصيب كالنساويين والابطالين والامان والعثمانيين والاسبانيين ومنهم من لا يزال في سبيل السعي اليه كالروس والكثير من الامم الشرقية الا وهو الحكومة العادلة الحققة الشورية . نلتكم هذه الحكومة بلا قتال ولا جدال من مكارم امير صادق النية بعناية وزير صحيح الوطنية بسعي رجال اصفياء الطيبة رأوا في قلوبكم جذوة غيرة فاضرموها وانسوا من انفسكم شعبة همة فاوقدوها اضرموا الغيرة بالاقدام واوقدوا الهمة بحسن الاهتمام فاهتديتم بمنارهم وصرتم على آثارهم فالقيتم لدى الامير جانب رضى واشتمال وعند الوزير مكان قبول واقبال فانتقلتم بسرعة

توشك ان تنفي ان الطفرة محال فانتم اليوم على مراحل ما كنتم فيه بالامس احبا الله ميت وطنيتكم من الرمس وصرتم في عداد السعداء تحت مطلع الشمس فاعيدكم بالفضل ان تذهلوا عن واجبات هاته السعادة وتلك الحياة

ان الوطني الحرب وقد صرتم وطنيين احراراً - مرعي الحق الذاتي والحق المدفوع والحق السياسي آمن على الروح والعرض والمال من السلب والهتك والاغتيال فلا بد له من حفظ الاحكام الفاضلة بتلك الرعاية والتزام الحدود المعينة في تلك الاحكام

والوطني الحرب متأهل بقدر المستطاع للخدمة والمناصب العمومية على وجه الاطلاق جدير بحسب الاستحقاق للرتب والكمالات المدنية بلا استثناء فلا بد له من بذل الهمة وصرف الاجتهاد فيما يجعله حرياً بالشرف قوياً على خدمة الوطن عارفاً بمخائيل احواله واقفاً على آثار ماضيهِ ودلائل آتية مهذب التكرم مطهر القلب مثقف الطباع

والوطني الحرب مساوٍ لجميع اخوانه في الوطنية والحرية معادل لهم في الحقوق المدنية والسياسية فلا بد له من رعاية حق السواء الى حد الاخاء بحيث لا يتولاه العيب والنيه في الرفع والنجاح ولا بناله الحسد والبغضاء في المحلة والاختلاف بل يكون على حد ما قبل

وما انا فيما سررتي متناول

ولا انا فيما ساءني متفامر

فيسعى ما وصل اليه امكانه في سبيل خدمة الوطن لعلمه بان الامة المحرة كآل البيت الواحد يسعون في طلب الرزق على اختلاف

فالكمل يؤمنه فيو اليو وهي اعلى مراتب الوجود
الانساني وارفع درجات الاجتماع المدني فلا بد
للمرئني اليها من اداء حتمها واقامة واجبها سعياً
واجتهاداً وجوداً بالمال والروح وطلباً للمعارف
والعلوم والناساً للفضائل والكمالات بحيث
يصادف فيها محلاً ويكون لها اهلاً

وقد يسر الله للامة المصرية ارتقاء هذه
الدرجة او قرب الوصول اليها بما قبض لها
من مكارم الامير ومظاهر الاجتهاد والغيرة
والوحدة الوطنية فلزمها القيام بالواجبات
المرتبة عليها والتأهل لها بما تقدم بيانه من
المازيا الوطنية والفضائل المدنية ولا شك ان
ذلك لا يحصل الا بعموم المعرفة وانتشار
العلم وهو ما نأمل في الحكومة السنية وما نرجوه
من اهل الثروة والوجاهة والمحبة

نأمل في الحكومة توسيع نطاق المعارف
بتكثير عدد المدارس وتجهيد سبل الطلب واعلاء
شأن العلم وانشاء المكاتب الابتدائية في المدن
والقرى وفتح باب المجانية في التفصيل وتجهيد
سبل الالتزام بالتعليم ولا اسف على النفقة في
هذا السيل فانها كنفقة الزارع في شراء البذر
ثمر خيراً وتنبت الحبة منه مائة حبة

ونرجو من ذوي الوجاهة والمحبة الاقبال
على مغارس المعارف بالخدمة المعنوية والمساعدة
المالية تمثلاً بنظرائهم في الاقطار الغربية فهم
اولى الناس بهذه الخدمة المشكورة بمحبتهم بها
آثراً بانهم ويسعدون احوال ابنائهم فثبت
لهم التاريخ ذكراً لانهم الاعصار ما تعاقب
الليل والنهار

الطرق والمقادير وبأوي كل احد منهم الى
المنزل مساء بما رزقه الله فيكون سعي واحد
للكل وكلهم للواحد

والوطني الحر - متأهل لانتخاب نواب الامة
المتدينين لتقرير الاحكام وجلب المنافع ودرء
المفاسد وتنظيم الاحوال وصيانة الحقوق واعانة
الحكومة على القيام بالامر العمومي فالواجب
عليه ان يكون بصيراً خبيراً على بينة ما
يترتب عليه النفع ومعرفة بن يصلح لهذا الامر
ونزاهة عن الغرض الذاتي وبعد من التقليد
بلا رشد لا يقع اختياره الا على النباه النزاه
ولا يصدر في رأيه الا عن الرشاد والسداد
ليأمن على وطنه ان تكون النيابة فيو لفاسد
يسلك طريق الشر او جاهل لا يهتدي سبيل
الخير

والوطني الحر - جدير بالنيابة على شروط
لا يتعدى كثيراً من القوم فلا بد له من
استكمال صفاتها ونوال معدنها من العلم بشؤون
الامة واحوال الوطن ومجاري الاعمال ومواضع
الصلاحيات ومظان المنفعة مع التزهد عن ميل
النفس وشهوة القلب والتعفف عن غرض
الذات وارب الاثرة والاخلاص في حب الامة
والاختصاص بخدمة الوطن فان فاته ذلك او
بعض ذلك فهو نائب نفسه على ضد ابناء
جنسه

وجملة القول ان الوطني المرعي الحقوق
الفائز بالسواء المؤهل للانتخاب صادراً منه
وموسوداً اليه هو المأمور والامر والمحكوم
والماكم والمسوس والسائس والمسود والسائدوهي
الباقم بنفسه على نفسه والعامل بذاته لذاته

الحياة السياسية

ان للوجود الانساني في هذه الحياة الدنيا ثلاثة ادوار متوالية يأخذ بعضها باطراف بعض الاول دور الفطرة وهو الوجود الطبيعي والثاني دور الاجتماع وهو الحالة المدنية والثالث دور السياسة وهو موضوع كلامنا في هذا المقام فالمرء يوجد ساذجا فطرياً يلتمس الغذاء والمبيت وسائر الحاجات الطبيعية ما تصل يد امكانه اليه ثم يدفعه الحرص على الذات الى حفظ النوع وتلجئه كثرة الحاجات الى طلب الاعانة فيتألف ويجمع فيصير مدنياً ثم يتقدم في هذه المرتبة فينظر في شؤونه نفسه وبهمم باحوال جنسه فيصير سياسياً وهو الانسان المدني الكامل الحقوق والواجبات

ولا شك في وصولنا الان الى هذه المرتبة العالية وحصولنا في هذا الدور الخطير بما اطلق لنا من الحرية وما نقرر لنا من الحقوق السياسية عفواً واختياراً من دون غصب يلزم فيه الرد ولا تقرير يحمل النقص وانكنا لا نزال في دور الطولية من هذه الحياة فلا بد من مربٍ حكيم يأخذ بيدنا فيما نعانيه فلا نستط ونحن في اول الدرجات ومن دليل راشد يهدينا الصواب فلا نضل ونحن في اول الطريق

ولا يتوهن محب الحرية ان الحاجة الى المربي والدليل منافية لما تنفضيه حريته او مشعرة ببقاء الاستبداد فان هذه الحاجة قد عرفت والفت في اظهر البلاد تمدنا واحرص الامم على الحرية السياسية وكانت ولا تزال

من لوازم النماء والبقاء في الاجتماع الانساني ولن نبرح كذلك مادام في الارض علماء وجهلاء وحكماء وسفهاء وخاصة وعامة وما دام الانسان محل خطاء ونسيان ولكن يشترط في المربي او الدليل ان يكون من اجتمعت الكلمة عليهم وحصلت الثقة بهم والافه من ذوي السلطة الناشئة عن القوة في جانبه والخوف او الوهم في جانب الرعية ليس الا

وهذا الشرط حائل لاريب في اولي الامر منا فان الجباب الخديوي المعظم ابده الله قد عرف بالرغبة في اصلاح الوطن والميل الى اعلاء شأن الامة والحرص على حريتهم حتى صار يقال وينشر في عهده ما كان يخشى بعضه من قبله فكثرت في ايامه الجرائد وبانت نورا نليلاً وتألقت الجمعيات الخيرية والادبية ولم تكن شيئاً مذكوراً واطلقت الناس حرية الكلمة وكانوا يتكلمون في ديارهم همساً ولا يأمنون

اما النظار الكرام فهم هم الذين اخبرتهم الامة بارادة ذلك الامير العلي الشأن ثقة بهم وعلماً بانهم اصحاب الرئاسة الحقة والزعامة المستحقة بين الذين يرومون احياء مصر لاهل مصر ويريدون ان يكون الوطني في مقام الانسان فائزاً بحقوقه ناهضاً بواجباته مساوياً لجاره غير معارض في دأره بمحصد ما يزرع للعيال لا لاهل الاغنياء ويحني ما يغرس للاولاد لا لاهل الاستبداد وقد اخذ هؤلاء الادلاء الراشدون في تمهيد سبلنا وازالة العقاب منه متوسلين الى ذلك بالحكمة والاعتدال آخذين باسباب التؤدة ومراعاة الاحوال حتي

تبيين في المطلب السابق ماهية هذه الحياة من طريق الاجمال وانها عبارة عن وصول المرء في هيئة الاجتماع الى درجة الاهتمام بامور نفسه والنظر في احوال جنسه فبقي ان يعلم كيفية سيره في ذلك السبيل وما يترتب عليه وما يحق له ان يكون فيه ليكون على بينة من الامر فيأخذ بأسبابه ولا بدخله من غير ابوابه ان هذه الحياة توجب للوطني ان يكون حراً في رأيه متصرفاً في شأنه الى حد ان لا يضرب بالهيئة المجمعة ولا يس شأن سواء فهناك الحرية على شرطها المذكور تقتضي العلم بالمصلحة العمومية والحدود الشخصية وهو ما يعبر عنه بالادب السياسي ووجه الضرورة في معرفة هذا الادب ان المرء اذا عرف مصلحة قومه سعى فيها بوجوب لها البناء والنماء واذا رأى حدود اخوانه اقام لنفسه حداً لا يتعداه وخطأ لا يتخطاه بخلاف ما اذا جهل ذلك فانه لا يأمن حينئذ ان يظهر بما يخالف تلك المصلحة ويفسد هذه الحدود فتكون حربته ضرراً باوطانه ووبالاً على اخوانه

وليس هذا الادب ما يؤخذ بالماكاشنة ويحصل بالسليقة او يعرف بالهداية بل لابد في تحصيله من الطلب والاجتهاد وحسن الاقتداء ودقة النظر والتبصر في احوال الناس من قبل وفي الحال وهيئات مع ذلك ان يحصل بقدر اللازم ويتم بحسب المرام الا بعد توالي الاجيال ونعاقب الاعوام بدل على ذلك ان الذين سعلوا اليوم من قبلنا بنبأث من السنين سعي من شمر ذيله وادرع ليله مجدين ساهرين بياض

وثق بهم الاجنبي فضلاً عن الوطني وبدت مقدمات سعيهم وآثار اجتهادهم بمظاهر حسن الادارة وإقامة العدل ونفوذ المساواة وإصلاح الخلل السابق تدريجاً فاستحكمت علائق الولاء بينهم وبين المتبوع الكرم وتأنبت صلات الموالات بين حكومتهم والدول العظام كما تدل عليه اقوال وزرائها على منابر المجالس وكلام وكلائها في دوائر الخبايا

فالموجب على الوطني الراشد ان لا يعبأ بعد ذلك بما تنشره بعض الجرائد مما لا يمكن له من الصحة جهلاً منها بحقيقة الحال او ميلاً مع الاهواء او اضلالاً لافكار ابناء الوطن المصري فان اراجيف تلك الجرائد بدئية الفساد

وكذلك يجب على الصحف الوطنية التي هي في مقام الارشاد والهداية الا تفلن المخاطر عبثاً بابرار ماتيك الارجيف على علم ببعدها من الصحة وان كان منها ما يلزم نقله بياناً لتفاصيل الاحوال السياسية فلا ائبل من التفريق بينه وبين مقاصد الحكومات وآرائها كراهة ان يقع اللبس في الامور فينشأ عنه النفور في محل الائتلاف والوحشة في مكان التقرب والكدر في موضع الصفاء خصوصاً وان الحكومة السنية على يقين من ان الدول المحبة لا تنصد بنا الا الخير ولا تنوي لنا الا الموالات وانها تتركنا وشأننا نصلح منه ما يحتاج الى اصلاح وننشئ ما يترتب عليه النجاة ما لا يس حقاً مرعياً ولا يؤثر في اليهود المبرمة شيئاً ونحن في اهتمام بهذا الشأن نسأل الله فيو فوزاً قريباً

وقد عنيت حكومتنا السنية بتقرير هذه الحقوق وتعيين هذه الحدود اخذاً بما يحق لها وما يجب عليها من ذلك وصدوراً عن الرأي العمومي الذي اختارها لتكون دليله في هذا السبيل فبقي على الجرائد الوطنية ان تقندي في ذلك باثارها وتهندي بانوارها فتسلك بالاذهان مسلكاً سليماً من الآفات خالياً عن العقبات وتشرب القلوب سياسة صافية سائغة زللاً تفيدها عافية ولا تزيدها اعتلالاً مجنبية في كل ذلك ما يشيعه المرجفون متجافية عما يرجف به اهل الاغراض مما لا يصح التعويل عليه ولا يكون له في جانب التصديق مكان جاعلة مصلحة الوطن نصب عينها في كل حال عالة انها بمنزلة المربي للارواح والعقول فلا يحسن بها ان تكون من المفسدين

وبقي على الوجهاء والنبهاء والرؤساء والعلماء وسائر ذوي الكلمة النافذة ان يحسنوا السيرة ويظهروا السرائر وينبذوا الاغراض الذاتية نبذ النواة ويطرحوا الاهواء النفسانية طرح القذاة ويسيروا بالناس في طرق السلامة الى غايات الهناء والكرامة فهم في الركب الاجتماعي بمقام الادلاء واذا لم يهتدوا الدليل سواء سبيل فغاية الركب الضلال

وعليك يا ايها الوطني كائناً من تكون ان تحرص على شأن اوطانك حرص النخيل على درهمه وتخاف على منفعة قومك خوفاً الجبان على دمه وتعلم انك ان احسنت فلنفسك وان أسأت فعليها وعلى ابناء جنسك اذ ليس ما نتصرف فيه بحريتك ما يعود ذاهبه او

النهار وسواد الليل لا يزالون على مراحل من قايمة الكمالية يرون ذلك من انفسهم ويعترفون به سرّاً وجهراً ولا تأخذهم عزة الانفس في الاسترشاد بالسابقين منهم وبآحاد اهل العلم السياسي وافراد ذوي الكمال المدني فهم يشربون باساعهم خطب الوزراء والنواب ويأكلون بانظارهم منشورات الجرائد الوضاه فيردون من تلك الخطب سلسيل الحكمة والاعتدال ويتناولون من هذه المنشورات غذاء المحبة والوطنية وفيهم بين ذلك علماء تدبير ورجال حكمة وزعماء سياسيون وفضلاء رجالون يكشفون لهم حجب الاوهام عن اوجه الامور ويحلون للافهام صور الحقائق فلا تكاد تخفى عنهم خافية الا ما لا يعلمه غير الله

فاذا حصل هذا الادب للوطني السياسي وكان مع ذلك نبيل النفس طاهر الذليل صادق النية قادراً على اثار المصلحة العمومية فله حينئذ (حينئذ فقط) ما لسائر اهل الحياة السياسية وهي حقوق كريمة مقدسة لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون من درن الدنثيات حرية رأي وحرية قول وحرية انتخاب

ولكل من هذه الحقوق الثلاثة حد او نغدها لكائنات الحرية فيه شراً من القيد واشنع من العبودية فحد حرية الرأي ان يكون مبنياً على القياس موافقاً للمصلحة مطابقاً للصواب وحد حرية القول ان يراد به الخير ولا يجاوز فيه حد المنفعة والملازمة ولا يمس شرفاً مصوناً ولا يفسد بريئاً اميناً ولا ينشر عن غير علم يقين وحد حرية الانتخاب ان يراد به مصلحة الوطن العزيز ليس الا

يسيروا في سبيله آمنين مهتدين اقتداء وتقليداً
او بتدرجوا به في مراتب الحياة السياسية حتى
يتوالى التكرار ويطول الاستمرار فبصير فيهم
من الملكات الذوقية التي تعرف ولا تعرف
كما كان الغرب في الجاهلية بالنظر الى اللغة
ينطقون بالكلام المركب بالوضع ولا يعرفون
له من قاعدة غير الذوق

وانا اذا تأملنا احوال الامم العريقة في
التمدن والسياسة لم نر هذا الادب في احد
مجموعها بقدر الحاجة ولم نره في الافراد السابقة
على حد سوى وانما هو في عدد كثير من ذوي
رئاستهم وارباب الكتابة والخطابة فيهم يعتقدون
له الوبة مختلفة الالوان فتسير العامة تحت
ظلالها فرقا متنوعة المسالك مع وحدة الغاية
للجميع الا الذين احترقت اذهانهم بنيران
الحدة والطيش وما هم بكثير وان كثير ما يضمجون
وما يعجون

ولكن مها بلغت الامة من مبالغ السياسة
وكثير عدد افرادها المتأدين بذلك الادب
فلن يكون لها ناء ولا بقاء في الحياة السياسية
ما لم تكن ذات وجهة معلومة ووحدة لا تقبل
النزاع والخلاف يدل على ذلك تقدم الذين
اتحدت وجهتهم وتآخر الذين تفرقت كلمتهم
من قبلنا وفي هذه الايام

فان قيل مالنا لا نرى تفرق الامم
الاوروبية اقساماً واحزاباً انما من تزايد ثروتهم
وتعاظم قوتهم واستعمال امرهم في الحياة السياسية
قلنا ان اولئك الامم لا يختلفون على غايتهم
المقصودة بالذات وانما انتنوع الطرق التي يسلكونها
الى تلك الغاية فان كان الفرنسي جمهورياً

يمكن الاعتياض منه بسواه وانما هو المصلحة
المقدسة الوطنية فحذار ان تأخذك فيه الحدة
وتبولاك التزق اغتراراً بها وصلت اليه وذهولا
عما كنت بالامس عليه

فانت في اول درجة من مرقاة السياسة
وفي اول مرحلة من طريق الحرية فلن تبلغ
الدرجة العليا الا ان صعدت سائر الدرج ولن
تدرك الغاية القصوى ما لم تقطع سائر المراحل
فان حاولت غير ذلك لم تأمن الهبوط من
الدرجة التي بلغت والرجوع من المرحلة التي
وصلت بل ربما صرت على مسافة اعوام ما
كنت ترجو ادراكه بايام

هذه نصيحة مختص في محبتك ومشورة
حريص على منفعتك لا يسألك عليها اجرا
ولا يلتمس شكراً

فان لم تكن لمقال النصيح
سبعاً ولا عالماً انت به

ينتهك الدهر من رقعة ال
ذهول وان فلت لا انتبه

الادب السياسي على ما عرفناه في المقالة
السابقة لا يحصل لافراد الامة كلهم اجمعين
ولا يكون في الذين يحصلونه سواء بمقدار واحد
لانه من الملكات الصناعية العلية والملكية لا
تحصل الا بتكرار العمل وان حصلت فانها
تختلف استحكاماً وكالاً بحسب اختلاف القابلية
والتفرغ في الناس

على ان الادب السياسي وان لم يتيسر
عمومه في الامة الا انه قد يحصل لافراد كثيرة
منهم على مقادير مختلفة فيمكن لمجموعهم ان

او ملكيا او امبراطوريا فهو فرنسوي على كل حال وقيل كل شيء وان كان الالماني يحافظا او نجاحيا او اجتماعيا فهو الماني من وراء ذلك وهكذا الانكليزي والاطالي والتمسوي وسائر اهل المدنية والحياة السياسية

وما قيدنا الوحدة اللازمة لهذه الحياة بان لا تقبل النزاع والخلاف الاحترازا مما يحسب في الظاهر موضع ثلثاف واتحاد ولا يكون كذلك في الواقع ونفس الامر وما لا يمكن ان تجتمع كلمة الامة بجهانها عليه لاختلاف الاراء وتنوع العقائد فيه فان هذه الجامعات وان كانت جذيرة بان تحفظ ونصان الا انها بعيدة من السياسة لتعلقها بالنظر الفكري وتجردها في الذهن عن المحسوس فضلا عن كونها غير واحدة في مجموع الامة فالجدير باهل الحياة السياسية من اي الناس كانوا ان يجعلوا الوطن وحدتهم لامتناع الخلاف فيه بين ذويه

ومعلوم ان قدر الشيء يعلو ويسفل ويزيد وينقص بمقدار ما يكون له من الشأن وما يتعلق به من المنافع فاذا كان الوطن هو الوحدة التي تجتمع كلمة الامة عظم بذلك شأنه المعنوي وتعلقت به المنافع الكلية وصار المحور الذي تدور عليه المقاصد والمسااعي فيرتفع قدره وعلو مكانه واذا ارتفع قدر الوطن فذلك يعود بالشرف والعز على ساكنيه لانه لا حقيقة له الا بهم وفيهم ولا رفعة فيه الا منهم ولم فهم اياه وهو لفظ وجودهم معناه

فيا ابناء الوطن العزيز لئن فرق بينكم اختلاف الاراء وتنوع المشارب وتلون التصورات فقد وجدتم في الجامعة الوطنية ما تأتلفون

به وتجتمعون عليه فيجعلكم عصبة خير منلاحة الاطراف متوازية متضافرة كالبيان المرصوص فاهل الى هذه الجامعة تنشر لواءها وترفع منارها وتظهر للعيان آثارها باعمال تثبت التنزه عن المقاصد الدنية والتعفف عن المآرب الذاتية واقوال تشف عن صحة الابصار والبصائر وحسن الاسرار والسرائر لعلنا ننطع السنة الذين يرموننا بالجهل والغباء والبعث عن مراتب الحياة السياسية وعلنا نحقق آمال الذين يتمنون لنا السعادة وحسن الحال وبلوغ الالماني وادراك الآمال وعلنا بجول الله نكون من المفلحين

وسفيين ما هو الوطن وما حقه علينا فوعدنا قريب وعلى الله تتوكل واليه نتيب ***

نقرر فيما سلف ان لا بد لذوي الحياة السياسية من وحدة يرجعون اليها ويجمعون عليها اجتماع دقائق الرمل حجرا صلبا وان خير اوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه ونحن الان مبينون بعون الله ماهية هذا الوطن وبعض ما يجب على ذويه

الوطن في اللغة محل الاسان مطلقا فهو السكن بمعنى ان نقول استوطن القوم هذه الارض وتوطنوها اي اتخذوها سكنا وهو عند اهل السياسة مكانك الذي تنسب اليه ويحفظ حثك فيه ويعلم حقه عليك وتأمين فيه على نفسك وآلك ومالك ومن اقوالهم فيه لا وطن الا مع الحرية وقال لا بروير الحكيم الفرنسي لا وطن في حالة الاستبداد ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب سمية وكان

حد الوطن عند قدماء الرومانيين
المكان الذي فيه للمرء حقوق وإيجابات
سياسية

وهذا الحمد الروماني الأخير لا ينقص قولهم
لا وطن إلا مع الحرية بل هما سياتان فان
الحرية إنما هي حق القيام بالواجب المعلوم
فان لم توجد فلا وطن لعدم الحقوق والإيجابات
السياسية وإن وجدت فلا بد معها من الواجب
والحق وهما شعار الاوطان التي تنفدى بالاموال
والابدان وتقدم على الاهل والخلان ويبلغ
حبها في النفوس الزكية . فقام الوجد والهيام

أما السكن الذي لا حق فيه للمساكن ولا
هو آمن على ائمال والروح فغاية الذول في
تعريفه انه مأوى العاجز ومستقر من لا يجد
الى غيره سبيلاً فان عظم فلا يسر وإن صغر
فلا يساء قال بروير السابق الذكر ما
الفائدة من ان يكون وطني عظيماً كبيراً ان
كنت فيه حزيناً حفيراً تعيش في الذل والشفاء
خائفاً اسيراً

على ان النسبة للوطن تصل بينه وبين
السكان صلة منوطة باهداف الشرف الذاتي
فهو يغار عليه ويدود عنه كما يدود عن والد
الذي ينهي اليه وإن كان سيء الخلق شديداً
عليه ولذلك قبل في هذا المقام ان ياء
النسبة في قولنا مصري وإنكليزي وفرنسوي هي
من موجبات غيرة المصري على مصر والفرنساوي
على فرنسا والانكليزي على انكلترة فانكر ذلك
بعض الناس وكان الامر لاشك سوء فهم او
سوء افهام
وجملة القول ان في الوطن من موجبات

الحب والمحرص والغيرة ثلاثة تشبه ان تكون
حدوداً الاول انه السكن الذي فيه الغذاء
والوقاء والاهل والولد والثاني انه مكان
الحقوق والإيجابات التي هي مدار الحياة السياسية
وهما حسيان ظاهران والثالث انه موضع النسبة
التي يعلو بها الانسان ويعز ان يسفل ويذل
وهو معنوي مخضاً

فاذا نقرر ذلك ما قلناه وجب على
المصري حب الوطن من كل هذه الوجوه فهو
سكنه الذي يأكل فيه هنيئاً ويشرب مريئاً
ويبيت في الاهل ايئاً وهو مقامه الذي ينسب
اليه ولا يجد في النسبة عاراً ولا يخاف تمييزاً
وهو الان موضع حقوقه وإيجاباته التي حصلت
له بما اوضحناه من دخوله في دور الحياة
السياسية

ولحب على اهله شروط محفوظة عند
الاذكياء مجهولة عند المدعين الاغبياء فما تنفع
فيه الشكوى ولا تقوم لصاحبه دعوى الا ببيان
من الواقع وشاهد من الفعل وما احسن ما قيل
دلائل الحب لا تخفى على احد

كحامل المسك لا يخلو من العبق
وله مراتب مناسبة لموضوعه موافقة لمنشاء
فهو في الكرامة كرم وفي النبالة شريف وفي
المأثرة حميد وفي العز والمجد رفيع وفي الوطن
جامع لكل هذه الصفات فان قيل في حب
الحسان

احبك حباً لو تخمين مثله
اصابك من وجد علي جنون
لطيفاً مع الاحشاء اما نهاره
فدفع وامسا ليله فأثين

يكتب في صدر تاريخها تحرير ارقاء العصر
السالف فلقد رجونا وحقق الله هذا الرجاء
ان يختم ذلك التاريخ بتحرير الذين كانوا
ارقاء في هذا العصر وحسن ذلك ابتداء
وحسن ذلك ختاماً

السياسة والاخلاق

قال احد حكماء الفرنسيين : اتى على الناس
الوف من السنين وهم يتصورون ويقولون
فما ترك الاول الآخر وجاء السلف باحسن
ما يمكن ان يقال في الاخلاق (والسياسة)
فغايبتنا جمع ما نثروه والنفات ما استقطوه .
ونحن في هذه المطالب مصداق ذلك القول
فهي شذرات لبعض حكماء العصر بلحية من
خطرات الفكر تنسج على هذا المنوال وتشر
تحت هذا العنوان

(١)

قالوا دع السياسة لاهل الرئاسة فهم فيها
احق وبها اعلم وعليها اقدر
لا يعرف الحكم الا من يكايده

ولا السياسة الا من يعانيها

ونقول هل اتى على الناس حين من
الدهر لم يروا واحداً او غير واحد من ذوي
الافلام والافهام يبحثون عن حقائق السياسة
من خلف ستور العزلة وينظرون الى آداب
الاخلاق من وراء حجب الخفاء . . . ألف
الكاتب الفرنسي (روسو) كتاب الميثاق
الاجتماعي في السياسة وشعر من اهل زمانه بمثل
ذلك الاعتراض فاجاب : يقولون أ انت امير

فقل في حب الاوطان
احبك حباً لو تمهين مثله
اصابك منه باديار تغبر
شديداً مع الاشواق اما نهارة
فسمي واما ليله فتفكر

واقد كان بعض الناس يحاولون خلع
الشعار الوطني عن ذوي الحقوق والواجبات
في مصر واثباسهم جميعاً لباس الجهالة والذل
ولكن أبت الحوادث الا ان تثبت لنا وجوداً
وطنياً ورأياً عمومياً ولو كره المظلمون على ان
منهم فئة لا يزالون يؤمنون اسماعيلياً يكررون
من سنساف التول من مثل اننا نعودنا
احتمال الظلم والخياف والفناء والخدعة والرق
فلن يستقل لنا رأي ولن نهتدي سبيل الحرية
كأنما هم لا يعلمون ان اهل الغرب اجمعين
تعودوا مثل ذلك الخيف اعصاراً او كانوا
في قدم الايام على ضروب من الرق وانخفاض
الجناح وان العالم بأسره كان فريقين احراراً
بظلمون وعبيداً بطيعون او لم يكن في بلاد
الفرنسيين من قبل هذا العهد صنوف من
الرفيق يشتغلون في الارض لغيرهم ويباعون
كما تباع العجاوات او لم يقل كاتبهم فولتير في
وسط المائة السالفة لا يزال في بلادها ستون
الفا او سبعون الفا عبيداً للرهبان

فما بال هذه العادة لم تمنع الفرنسيين من
الوصول الى ما ادركوه من رفعة المقام وان
يروا امثال تيارس وجريفي وغامبيتا في ابناء
الذين كانوا من قبل عبيداً ارقاء

ولئن كان من فضيل هذه المائة ان

ام انت حاكم لتكتب في السياسة واقول لا
ولكني من اجل هذا كتبت فاني لو كنت اميراً
او حاكماً لما اضعفت الزمان في كتابة ما ينبغي
ان افعل بل كنت افعله او انزم السكوت

ولكنه مقال يشف عن حسن الظن
بالنفس فان قبل من مثل روسو فلا يقبل من
سائر الناس ولذلك لسنا نتخذة حجة على حقيقة
خوضنا في هذا البحث ولكن حجبتنا في ذلك
انه لا يلزم الباحث في الاحكام والقوانين
السياسية ان يكون اميراً او حاكماً او وزيراً
كما لا يلزم المؤرخ الناقد ان يتولى كل خطة
ويشهد كل واقعة ويحضر كل حادثة يقع
نقده عليها بل من حقوق الانسان الطبيعية
بل من واجباته ان ينظر فيما يسه وما يحيط
به من الامور الدنيوية والاحوال الاجتماعية
ولقد جاز للمرء ان يبحث عن اسرار الوجود
ويستكشف نوااميس الطبيعة في حالة كونه لا
يستطيع تغيير شيء من نظامها ولا يقوى على
مخالفة حرف من احكامها فكيف يحظر عليه
النظر في النظام الذي هو جزء منه والاحكام
التي هي من وضع الانسان

نعم وقاية النظام وإنفاذ الاحكام واجراء
ما يتعلق بذلك من الامور منوط باهل الحكم
لمقدرتهم عليه واستحكام ملكتهم فيه واختصاصهم
به من دون سائر الناس الا ان تقرير اصول
الاحكام وتحديد شروطها وتبيين انواع الحكومة
وتعيين الحقوق والواجبات كل ذلك من باب
العلم لا الحكومة فان اهل الحل والعقد يشتغلون
بالعمل عن التصور ولو راموا الدخول في
المباحث الخلافية والمسائل الخيالية لاهلوا

الشؤون واضاعوا المصالح التي يجب عليهم
حفظها من الضياع ولكن اهل البصيرة والرشد
منهم ينظرون الى ما يقال في ذلك بعين
النأمل والاعتبار فياً خذون بالنافعة وينذون
ما لا نفع فيه كما هي الحال في رجال حكومتنا
الحرة واولي امرنا الراشدين في هذه الايام

فاذا تبين ذلك ما ذكرناه ثبت وجود
علم باصول تعرف به احوال السياسة والحكومة
لا احوال حكومة معلومة مقصودة بالذات
ولكن الحكومة على الاطلاق بالنظر الى طبائعها
وقوانينها واشكالها الاصولية وما يجب عليها وما
يجب لها وما ينشأ عنها من الآثار وهو ما ساء
بعضهم بالفلسفة السياسية

(٢)

على ان السياسة وان كانت من حيث
هي علماً منفرداً بقواعد معلومة متعلقة بنظام
امور ومسط شؤون لا ينبغي ان تختلط بغيرها
في حال ما الا انه من النافع اللازم الانفصال
عن العلم الذي نمسه من كل ناحية وتصل
به من كل سبيل وتبنى عليه في كثير من
الاحوال الا وهو علم الاخلاق المسي في بعض
مظاهره ادباً وفي بعضها تربية وحكمة

ولم يكن الاقدمون في ريب من وجوب
هذا الاتصال بل بالغوا في تمكينه وتقريبه
حتى جعلوا السياسة والاخلاق علماً واحداً لم
يفصلوا بينهما ولم يميزوا احدهما من الاخر
بشيء تدل على ذلك تصانيفهم في الحكمة والسياسة
بما بنيت عليه من وحدة الموضوع وان كتاب
السياسة منهم هم الحكماء الافاضل المرتبون
الباحثون عن آداب الاخلاق كافلاطون

هو الذي بدأ الفلسفة السياسية وتعلم غايتها
الحقيقة لما انه مبني على العدل الذي هو
قسطاس الاعمال والفضيلة التي هي حد الكمال
كما سيجيء

والثانية انه لا قيام للامة ولا قوام للدولة
الا بادب زاجر للانفس عن السوء واخلاق
كافلة يحفظ النظام وتربية عمومية يتيسر معها
نفوذ الاحكام والادب وحسن الطباع والتربية
من فروع علم الاخلاق وفي من لوازم السياسة
فهو وعلم السياسة متلازمان

(٢)

تفصيل الحجة النظرية والحجة الواقعية على
اتصال علم السياسة بعلم الاخلاق
الاولى اذا صرف النظر عن التربية
واحوال الطباع والحكمة التي هي البحث عن
الحقيقة والعدل تاه الفكر في اصول الحكومة
وعجز عن معرفة الواجب والجائز والمحظور
والمكروه لامتناع العلم بذلك من التاريخ او
الآثار ولانه لو حصل هذا العلم المنع لما دل
على احسن تلك الاصول لامكان وقوع الخطاء
والظلم وخلاف الحق في الاصل الاول كما امكن
وقوعه في الكثير مما تفرع عنه فلا بد والحالة
هذه ان يكون الحكم في ماهية الحكومة الحقة
مبنياً على المقابلة بينها وبين موجب العدل
ومتقضى الفضيلة وهو علم الاخلاق فان
الحكومة ليست بآلة مركبة من اجزاء معلومة
تدار على اعمال معينة غير قابلة للتغيير وانما
هي جسم مؤلف من رجال ذوي طباع واخلاق
فهي بمنزلة موجود واحدة غاية اديبة وحقوق
مدنية وعليه واجبات فغايتها حسن الحال

وارسطو وشيرون

غير ان اتساع نطلق المعارف والعلوم
في العصر الاخيرة بانفساح مجال التصور
وتوفر مادة الاختبار واجتماع اشتات الآثار
قد اوجب اختصاص كل من هذين العلمين
بفريق من الباحثين يقتصر على النظر فيه غير
مبالٍ بالذي يليه كما حصل في كثير من الفنون
التي كانت فيما سبق فروعاً من اصل واحد
معلوم ثم صارت الان بمنزلة الاصول يختص
كل منها بطائفة من العلماء كالطب الذي
كان يشمل الجراحة وعلم الطباع والأمراض
الباطنية وعمل العيون والاسنان وسائر ما
يتعلق بعلم الابدان وهو الان علوم مستقلة
على نوع ما بقدر هذه الفروع ولكل علم منها
رجال يقومون عليه فيقال لزيد فسيولوجي
ولعمرو طبيب اسنان وليكرو طبيب عيون ولخالد
طبيب نساء وهلم جرا

ولكن اختصاص اهل الحكمة والتربية
بعلم الاخلاق تفرغاً له واستيفاء لما اقتضاه
الاتساع واختصاص اهل الادارة والتدبير
بعلم السياسة تجرداً له واستيعاباً لفروعه الكثيرة
غير مانع من تلازم العلمين واتصال احدهما
بطرف الاخر وجوباً كما يتصل طب النساء
بالفسيولوجية وطب العيون بالامراض الباطنية
والكل باصول الطب العمومي وذلك لان
السياسة تتناول حتى التربية والتهديب
والتأديب لغة واصطلاحاً وفي واقع الامر
وعلى اتصالها بعلم الاخلاق حجة نظرية
وحجة واقعية

الاولى ان علم الاخلاق والحكمة الادبية

يلزم من ذلك الاتصال كون الفضيلة هي
انغاية انقصودة بالذات من الحكومات فالحكم
لم يكن الا لحفظ الحق اما الفضيلة فهي واجبة
على الافراد . وغاية الدولة العدل ولا عدل
الا مع حرية الامة ولكن استعمال الحرية لا
يجلو عن الضرر الا اذا اهتدى الوطني فيسـو
سيلاً مستنمياً فعرف شأن اخيه واعترف حق
دولته ومواطنيه ولم ينس واجبات الوطن
فالساسة من هذا الوجه محتاجة الى علم الاخلاق
وان لم تكن مبنية على الفضيلة

أرأيت لو ذهبت الامانة وعدميت الشجاعة
وزالت الاستقامة وضاع حب الوطن فكيف
تكون احوال الدولة والامة .. اتوجد في
اهل النضام ما يغني عن النزاهة .. اتحدث
للحامية ما يعوض من الاقدام .. اتبدي لاهل
الادارة ما ينوب عن العفاف او تبدي للكافة
ما يكون بديلاً من المحبة الوطنية .. فان
قلت نقيم على اهل القضاء رقباء ونجعل لذوي
الادارة رؤساء قلنا اذا لم يكن رقباءك
ورؤساؤك من الفضلاء فاهم بمصلحين فالحاجة
الى الفضيلة واقعة على كل حال . وان حسبت
نظام الجند كافياً في تعويد الشجاعة وقانون
الاحكام مغنياً عن الادب الوطني فاعلم ان
النظام والقوانين عوامل غير محركة وحواجز
غير حصينة لا تجلب حسنة معدومة ولا تدفع
سيئة في النفوس وانما نظام الشجاعة في القلوب
وقانون الوطنية في الاحشاء فليصلح القلوب من
رام من الجند الحماية ويطهر النفوس من رام
من الامة حفظ القانون فانه

وحقوقه اجراء الحق واجباته اقامة العدل
وكل ذلك لا يحصل الا بالفضيلة في جانب
وفي جانب الامة معا (والفضيلة غاية علم
الاخلاق)

والثانية ان الحرية التي هي غاية الحياة
السياسية والكمال المدني لا تكمل ولا تحصل
الا بالفضيلة فان الملكة الحرة ان هي الا
بلاد تجوز فيها امور كثيرة محظرة على الناس
في بلد غير حر من مثل الاجتماع والمخاطبة
والكتابة والغدو والروح والادلاج واطلاق
الارادة في اهواء الانفس المتعلقة بها بالذات
وهلم جرا فان وجدت هذه الحرية مع فساد
الطباع وسفالة النفوس واستحكام الجهل وانتشار
الرذيلة وضياع الفضيلة كانت مدرجة للخلل
والفساد وذهاب الحقوق وقيام بعض الناس
على بعض يتنافسون ويتقاتلون فيغلب القوي
الضعيف ولا يبقى من فارق بين الانسان
وسائر الحيوان اذ تغلب الشهوة على الشهامة
ويستولي الشره على العفة ويستعلي حب الذات
على الحق فتتقلب الحرية استبدادا بيد الاقوياء
وتنوب التخزيات عن الرأي العمومي فينسى
الذين تولاهم الفساد واجباتهم الذاتية والوطنية
والانسانية ويبيعون انفسهم ووطنهم وحقوق
الانسان بشهوة القلب ينالونها وحاجة في
النفوس بقضونها . والجملة ان السياسة لا تصح
الا اذا بنيت على الحرية والحرية لا تحصل
الا بالفضيلة (والفضيلة غاية علم الاخلاق)
(٤)

نتبين بالحجة النظرية والشاهد العملي ان
علم السياسة متصل بعلم الاخلاق غير انه لا

لا تنتهي الانفس عن غيها

ما لم يكن منها لها زاجر

وغاية النظام في الجيش انه يحفظ البسالة
الموجودة ولا يقوم مقام المنقودة . واثرا القانون
في الامة انه يكف عن بعض الاثم الظاهر ولا
يمنع من ارتكاب الباطن الخفي فالحجند ولا الامة
باقل حاجة الى الفضيلة من ذوي الادارة والقضاء
فانه اذا ضاعت الشجاعة فصير المملكة الاستعباد
واذا فقد حب المصلحة العمومية فآلها الضعف
واذا عدم الاتحاد والاخاء فغابتها الذئقة
واذا اهل السعي فخانتم الفخر واذا نبذوا الاقتصاد
فآبها الخراب واذا مانت العزة والشهامة
فعاقبتها الظلم وجميع تلك الفضائل داخلة في
علم الاخلاق

ومن اجل ذلك رأى الحكماء الفضلاء
الذين نستمد من فيضهم هذه الآراء ان يجعلوا
الميث في السياسة تابعا للبحث في الاخلاق
فاقتفينا اثرهم في ذلك ليعلم الوطني منا ما يجب
عليه لنفسه ولآل بيته والحكومة والوطن فاذا
حصل من هذا العلم في ذهنه صورة غير خادعة
فانه ينظر حينئذ الى السياسة نظر الراشد البصير
والله ولي التديير

خطرات الباب

دع الحريري بين حارثه وهامه والمتني
لدى سيف دولته وحسامه وابا نواس عند
ظبية وجامه وقف بنا نندب وقتا اضاعوه وذكاء
في غير محله صرفوه

فالوقت هو التبر الثمين ولكننا نتلقاه غير
مكثرئين فنبدد الاعوام واحدا بعد واحد

لا نستفيد منها نفعا ولا نحسن فيها ضنعا

فقل لمن يصرف الايام بين الاوهام
والاحلام ان كنت تجهل مقدار ما تضع فقف
بالقبور ملتصقا من سكانها برهة من الوقت
تعلم انه العزيز الذي لا يملك فن اضاعه واشترى
به ثمنا قليلا فاولئك هم الخاسرون

الا ان الطبيعة لحكيم يهذب الافكار
بدروس الاعتبار وانا لنموت في كل حين ثم
نحيا ثم نعود امواتا فلنا في كل يوم عمر جديد
واكن اكثرنا لا يشعرون

تمر بنا الاوقات سراعاً ونكر الايام تباهاً
فندهل عن تعاقبها كالمهدق بالكرة الدائرة
بجسمها ساكنة او كالمغتسل في النهر يمر به الماء
جاريا فلا يميز بين منصرفه وآتبه

والحق اننا في ضلال مدين لم يكننا القعود
عن شراء الوقت المفقود حتى نشري بكل نفيس
ما يضيع به الموجود

نبدد كنوز الايام غير شاكرين فاذا بدا الشاغل
قلنا ما ابطأ الزمان متحركا وما اثقله ثريلا
والنسنا الى الفرار منه سبيلا ولا نفر الا من
انفسنا فالزمان عين الوجود

نل البقاء ونرجو الفناء فاذا جاء نذيره
وددنا لو نكون من الخالدين ويقتل لنا الوقت
شيئا تهمل الوطأة فاذا نولى رأينا طائرا عظيم
المناحين فتسعى في طلبه فلا ندرك له اثرا
فنعود عنه آسفين

فما سر هذا التناقض وما بالناس نري اليوم
الحاضر بغيبا فاذا انقضى بكيناه وقلنا ان
الزمان يمثلو لخصنين . ولا يضمن الزمان بالايام
وانما نحن بها مسرفون وما كان ندمنا الا عقابا

على الاسراف كذلك يجزى المفرطون
تفيض علينا الاوقات فننق منها بغير
حساب ثم نحثها على المسير فاذا انصرفت
ناديناها غير مسمعين فثمن نسعى الى الموت ثم
نفر منه كعاشقة حمقاء تغاضب من نهواه سعيًا
الى الهجر فاذا رآه انه مستغفرة انها من
النائبين

وغل الاعمال ولا راحة الا بالاعمال
فالهناء ثمرة لا تنبت الا في حقول الاشغال
والحياة ان لم تكن مقرونة بالهناء فهي عين
العناء

فقل لمن يلتمس الملاهي اصرف ما يحسبه
بطيئًا من وقته السريع اي هذا المسترجل
طاملاً المستطيل كهلاً القاعد عن النعمة سهواً
نراك تحسب اللهو حياة فهل تحسب الموت
لهواً

تنام ملء عينيك على وساد الفساد تحت
ظلال الوبال ولا تسع حركة الوجود كانك
من البحور فاكتنفت الانواء تجر سحاباً يطر
عذاباً فحل دويها باذانهم فهم لا يسمعون

فنبه طرف الفكرة من رقدة الغفلة واحرص
على يومك حرص الخيل على الدرهم فربما
مرت النعمة ثمث جناح ساعة منه وانت
لا تعلم

وأعد بما تعد من الفضل ما صار من
وقتك منسياً فالماثرة تعيد مائت الزمن حياً
واعلم ان من اضاع شيئاً من الوقت فقد سرق
التبريل سلب العمر وكان من القتل
الظالمين

افتتاح مجلس النواب
وله من فصل طويل في
افتتاح مجلس النواب
المصري عام ١٨٨٢
قال

صفاً لهذا الدهر عن هفواته

ان كان هذا اليوم من حسناتوه

وكيف لا وهو حاجة النفس وامنية القلب
منذ توجه المخاطر الى السياسة الوطنية وانصرف
العزم الى احياء الهمم وانفذت النية على حفظ
الحقوق واتحدت الوجهة في القيام بالواجبات
وهو النشأة التي كست الوطن رداء الفتوة
قشيباً وهو البعثة التي غرست للامة غصن
الامل رطيباً وهو ما رجونه زماناً ودافعنا
الزمان فيه وتميناه اعواماً وغالبنا الحداث على
الى ان بدت انوار الغيرة من جانب المحمية
الوطنية ونجملت مكارم التوفيق بمظاهر حسن
النية فبشرنا الامل بحسن الحال واذننا الرجاء
بصلاح المآل قلنا أوعد مثل ما مر السحاب
قال بل نجاح ليس بوارثيات قلنا متى يشبه
التاريخ : قال يوم افتتاح مجلس النواب :

١٢١ ٥٦ ٨٨٩ ١٢٢ ٩٠

١٢٩٩

فيا حسنه من يوم رد فائت البهاء واحيا
مائت الرجاء واعاد شباب الامة وسدل ستور
النعمة واظهر مقاصد الامير وايد مساعي الوزير
وقضى لبانات النبهاء وحقق امانى التزهاء فلا
زال مشرق الشمس مرفوع لواء الانس منقوشاً
على صفحات الصدر باحرف من النور على توالي
الايام والعصور

تاريخ الفلسفة

(تعريب)

رأيت لبعضهم - ولا اسي - كتاباً في تاريخ الفلسفة صغير الحجم كبير النفع مؤلفاً برسم العامة الذين لم يتصل لهم من العلوم والمعارف الاصولية ما يستعان به على ادراك احكام الفلسفة . فدعني سهولة مأخذه ونبالة المقصد فيه الى تعريبه فاقبلت عليه وجعلته هدية لاخواني الذين يرضون لانفسهم بمنزلة المسترشدين اما سادتي الفضلاء الراشدون فحسبهم من هذا الكتاب نفعاً اني قائم في تعريبه بما كانوا يقدون

على اني اعرب ولا اترجم احفظ المعنى المقصود والفائدة الخالصة ولا اتبع الاصل فيما تمنع منه احوال الزمان والمكان ان مراعاة هذه الاحوال ضرورة وان للضرورة احكاماً

نروم تعليم الفلسفة وبيان ماهية علم العلوم للضعفاء الذين لا يكاد يكون عندهم علم من وجود العلم لاختواننا في الانسانية الذين وجدوا اتفاقاً محرومين من نعمة المعرفة العمومية . انك تحاول محالاً . . ما بعدم عن الصواب ولكن ان صح ان الفلسفة هي الحكمة فباي حق تكون مخصوصة بطائفة من الناس دون الآخرين

كان الحكماء القدماء رعاة قطعان الامم يجلبون الحكمة في مقادسها خوفاً عليها من الاحاظ فانها كانت مصدر قوتهم . وقد

خرجت الامم الان من خطبة الغنمية فلم يبق بها من حاجة الى مش اوتك الرعاة فلا بد من رفع الحجب عن تلك المقدس ليدخلها الناس آمين فتبصر عيونهم تلك الشمس التي بها يهتدون . وان كان بعض الحقيقة واجب الاختناء عن الصغار فليس الامر كذلك في البالغين الرشد . وقد انتقلت الامم من دور الطفولية وسئمت انفسها الغذاء من لبن الخرافات والردوز فلا بد لها من العلم بالحقائق السامية كما تعلم المعارف الدانية فقد ازف الوقت الذي يخرج فيه عن صفة الانسانية من لم يكن عارفاً بكل ما اكتشفه عقل الانسان

ولقد علمنا ان افلاطون وارسطو وبأكون ولينز ومن تلاهم ونقدمهم من الحكماء هم الذين صرنا بهم الى ما نحن عليه وان الفلسفة هي التي جعلت السادة والغلمان اخوان اوطان وبددت غيوم الظلمات التي ضيقت انفاس اهل الانسانية فكيف تسير في عالم النور والحرية الذي هو من اثارها غير عالمين بما هيئها وباسماء الذين رفعوا في الارض منارها واوقدوا في القلوب نارها . فلا بد من التعريف بذلك لا بد من تعريف العامة بسير الذين اخرجوهم من ظلمات اليأس الى انوار الامل ومن مهاوي الذل الى مقامات العز ومن منزلة الحيوان الى مقام الانسان

وما سير الحكماء الا في ارائهم وخواطرم ولكن هذه الخواطر ليست منهم اختصاصاً وانما هي ايضاً نتائج لازمة عن النمو المعنوي الذي وصل الانسان اليه في ايامهم . لانه لا يختص احد بفعله وانما الناس شركاء في الافعال فانك

من حيث هي هي جذيرة بان نبنى بعلم الانسان
والقدماء الذين قالوا بانحصارها في مبداء معرفة
الذات كانوا من الصادقين

ولكن الانسان موجود من الموجودات فلا
بد له قبل البحث عن ماهيته من معرفة معنى
لفظ الموجود . ولهذا المسألة درجة واحدة لاشيء
فوقها لانه ليس من وراء الموجود سوى العدم
اي اللا وجود ولكن لا بد من التنبيه الى ان
علم الموجود او الوجود هو المحور الذي تدور
الفلسفة عليه لانه اذا لم يكن ذلك العلم فعلم
الانسان محال

وهناك علم اخر لا تيسر الفلسفة بدونه
قيد اصبع وهو علم قوى الفهم ومساائل اكتشاف
الحقيقة وبعبارة اوضح علم الآلات ذلك العلم .
فهو لازم فيه لزوم المرصد والزيج والنظارة في
علم الهيئة . وذلك اننا نروم معرفة ماهية
الانسان والموجودات فلا بد لنا من واسطة
لذلك فان قيل ان قولنا العقلية هي الواسطة
قلنا ما الذي يدلنا على خواص تلك القوى . .
اهتدينا الى العلم بهذه الخواص فقد وصلنا اول
الفلسفة لان تلك القوى هي الانسان بذاته من
حيث انه موجود عاقل

وسنبحث عن قوى الخواص العقلية ولكن
يلزمنا قبل ذلك ان نفقه معنى البحث ونعلم
ان له وسائل صحيحة ووسائل فاسدة فنبهز
بينها ونختار منها الصحيح

فالفلسفة التي هي اولاً علم الانسان تشمل
ايضاً علم الموجود وعلم القوى العقلية وعلم
وسائل البحث الذي من فروعه علم المطلق .
فاذا امرنا على الخطا ضرور الفلسفة ومذاهبها

ايهذا المشتغل بالارض اذا فلتحما فقد اعانك
على ذلك صانع المحراث ومن دق حديد ومن
قد خشبة من بعد . وايهذا الصانع اذا
نجمت قاشاً فقد ساعدتك فيه الذي زرع
والذي جمع والذي جلب والذي اكتشف
من قبل . فالاعمال سلاسل متواصلة
الحلقات

واذا قصصت عليك سيرة الذين زادت
بهم مقادير المعارف الانسانية فقد بسطت لك
تاريخ الفكر الانساني

ولا تخش العجز عن ادراك معنى ما اقول
فاني مخاطبك بلسانك وبياناتك لا بالرموز ولا
بالمعيات . فاذا قرأت هذا الكتاب الصغير
عجبت من كونك فيلسوفاً على غير علم منك
فان كثيراً ما تراه فيه قد علمته من قبل في
معمل صناعتك ومزرعة فلاحتك وبين ذؤيك
وفي بيت ابيك

(١)

ماهية الفلسفة

يوم وجد في الناس من يتسأل عن هذه
الاسئلة : ما نحن . ومن اين اتينا . والى اين
المصير . وما علة وجودنا في الارض : يومئذ
وجدت الفلسفة في العلم الانساني بالذات
من حيث ان موضوعها الانسان وغايتها معرفة
طبيعته واصلة والنهاية التي ينتهي اليها

وتلك الاسئلة يمكن حصرها في الاولى
وهي : ما نحن : من علم حقيقة ذاته فقد
علم اصلة لامتناع ان لا يكون في ذاته شيء
من ذلك الاصل وعلم مصيره لاستحالة ان لا
يوجد فيه ما يدل على علة وجوده . فالفلسفة

فلينظر اليها باعتبار هذه الوجوه

ومن هنا يعلم السبب في تسمية الفلسفة بعلم العلوم او بالعلم الكلي بالذات . وفي الحقيقة ان جميع العلوم متفرعة عنها صادرة منها لانها يجهلها متعلقة بالموجودات من وجه او اوجه معلومة . فالهندس ينظر الى الموجودات من حيث امتدادها والطبيب يبحث فيها عن الاجسام من حيث صحتها واعتلالها والكيمائي يشتغل بها من حيث انفرادها واتحادها فكلمهم يهتمون بعلم الموجودات فكلمهم من علم الفلسفة مستمدون

فاذا علم ذلك - اذا علم ان الفلسفة هي الاصل الذي يتفرع سائر العلوم عنه ويستمد اربابها منه - فلا عجب من ان يكون تحول احوالها وتبدل اشكالها قد اثر في تلك الفروع تحويلاً وتبديلاً

على ان تأثير علم الفلسفة غير منحصر في المعلومات الانسانية ولكنه يتجاوزها الى حياة الاجتماع فتظهر فيها اثار تغيره بمظاهرها من ثورات الخواطر وتجليات الالباب . ولا بدع في ذلك فهو علم الانسان فلو قدر ان يكون من نتائجه الحكم بكون الناس نوعين اثنين احدهما للامر والسلطة والاخر للطاعة والانقياد للزم من ذلك ان يكون في الارض ظلام لا يرحمون وعبيد لا يأتقون . ولو فرض ان تلك النتيجة قد هذبت فيه ولطفت فلم تنقض الابان يكون في كل جمعية مدنية فريق يتدهرون الامور عن الكفاية وان تكون الكفاية وفقاً على خدمة ذلك الفريق لحصل من ذلك مبدأ الامتياز الارستقراطي الفعّال لزوماً

فمن اين لعلم الفلسفة هذا التأثير البالغ العجيب - الجواب - ان ذلك التأثير ليس قائماً بالعلم ولكن بالحقيقة التي هو مظهرها الاول فان الفيلسوف لا يؤثر بالنظر الى ذاته شيئاً فاذا بت آراءه في الالباب كان تأثيره فيها عظيماً

ولا يصح اطلاق هذا الوصف على السياسي او الاقتصادي او غيرها من ارباب سائر العلوم لان العالم بما دون الفلسفة وان تيسر له الاثتان يتغير شيء من المعارف الانسانية الا ان فعله يكون محدوداً بعيداً من ان يغير نظام الاجتماع يجهلته وذلك لانه يصدر فيه عن حقيقة معينة الحاد في حالة كون الفيلسوف يصدر عن جميع الحقائق التي هي روح الامم . فاذا امكن للجماعة مخالفة السياسي في رأيه الخصوص به فانها ما ان تخالف الرأي الفلسفي الذي تلقته ما لم تستبدله بسواه او تقع في التناقض فان الفلسفة متلازمة الفضايا لا يمكن نبذ شيء من نتائجها الا بنقض سائرها

وقد قلنا فيما سلف ان العلم بحقيقة الانسان من طريق علم الوجود وقوى العقل ووسائل استعمالها هو المقصود بالذات من الفلسفة الا ان الباحثين في هذا العلم والمشتغلين به ممن لا يخافون دركاً قد الحقوا بهذا الغرض مع الاوهام وتبديد الآراء التي ذهب الجديدان يحدتها وانحى الزمان على صحتها فاداهم ذلك الى الامساج بالعقائد حسبان انها ناشئة عن المذاهب الفلسفية وهو ما يجب علينا اجتنابه في هذا المقام

(٢)

المذاهب الفلسفية

يزعم بعض الناس ان الفلاسفة قد اختلفوا وتناقضوا وتغايرت آراؤهم في كل زمان حتى امتنع احصاء مذاهبهم واستقصاء مشاربهم . وسيظهر هذا الكتاب لمن نجد لتصفحه فساد هذا المقال وانه لم يكن قط في الفلسفة غير ثلاثة مذاهب

ولكن بيان هذا الامر يضطرنا الى استعمال الافيصة والالفاظ الفلسفية فنجن نسأل القارئ في ذلك عذراً وصبراً :

انا لا نعرف الاشياء الا بقوانين العاقلة وهذه القوى المختلفة الطبايع ثلاثية المظاهر ولذلك فليس لنا الى معرفة الاشياء غير ثلاث وسائل: الحس والادراك والشعور

والمراد بالحس مجموع القوى التي فصل بها الى معرفة الاشياء المحسوسة كاللون والجمامة وما شاكل ذلك من الاشياء القابلة للكثرة والقلّة والتي يحصل عنها من هذه الحثية تصور عددي او مقدار ما

اما الادراك فهو معرفة الشيء بذاته وبيان ذاك انا اذا رأينا شيئاً من الموجودات وعرفنا بالحس جسمانه او لونه ادركنا فيه ماهية معينة تميزه عن غيره وثبتت لنا انه هو هولا سواه وهذه المعرفة لا تكون بواسطة الحس بدليل ان الذاتية من حيث هي غير قابلة للكثرة والقلّة كما هي الحال في التصورات الحسية وانما هي بسيطة واحدة لا تتجزأ فاننا انا لا اكثر ولا اقل . والقوة المؤدية الى معرفة هذه الوحدة في الذات والى تمييز بعضها من بعض هي

الادراك

واما الشعور فهو القوة التي نستعين بها على المقابلة والمشابهة بين الموجودات فان المعرفة الحاصلة من الحس والادراك منحصرة في تمييز الاشياء وهذا التمييز غير كاف في علم الحقيقة بل لا بد معه من العلم باوجه المشابهة والصلوات التي بين الاشياء وذلك لا يحصل بالادراك لانه لا يدلنا الا على الاختلافات المطلقة ولا بالحس لانها وان ادتنا الى معرفة الاشياء مختلفة بالكثرة والقلّة وبممكنة التماثل والتشابه من بعض الوجوه غير انها لا تدلنا على نفس تلك المشابهة من حيث هي لانها ليست ما يقع تحت الحس

فاذا تبين هذا ما قدمناه علم انه لو كان الناس جميعاً يتوسلون الى معرفة الاشياء بالحس او الادراك او الشعور على حدٍ سوى للزم من ذلك ان تكون معارفهم من طبيعة واحدة لا تختلف حقيقة وانما تكثر او تقل وتزيد او تنقص بحسب درجاتهم من الاجتهاد وما حصل لقوام العاقلة من النمو

ولكن ليس الامر كذلك بدليل اختلاف آرائنا في الشيء الواحد وانما نتفق بما نعرفه بواسطة بعض تلك القوى ثقة لا تحصل لنا فيما نعرفه بواسطة البعض الاخر بل ربما وثقنا بذلك البعض دون سواه . وحيث ان المذاهب الفلسفية ليست سوى مجموع الآراء الشخصية فلا يمكن ان تختلف الا بحسب الفرق الذي بين تلك الآراء ولذلك قلنا ان المذاهب الفلسفية ثلاثة ليس الا

ومنيبت الجامعة ومركز الوحدة لكل نابت في
ارضه الذهبية تحت سمائه الزمردية وهو شفيق
الغرب الاكبر حنا عليه طفلاً وعالة يافعاً
وابده قتيّ ثم احتاج اليه كهلاً فبينهما في
الاصل علاقة الاخاء ثم نسبة الوفاء ثم صلة
الاحتياج . ومصر ولا احاول لما وصفاً شجرة
الآمال ودوحة الاماني لدى كل من اقلته
تربتها العسبدية وظلته ساوئدا النقية وهي بمنزلة
خط الرابطة وهزمة الوصل بين الغرب
والشرق بين المجد القديم والمجد الحديث بين
الاثر التاريخي والحادث الواقعي بين العظمة
الراقدة تحت ظلال الكفاف والهمة السائرة
تحت لواء الطمع فللأمم فيها مصالح وللدول
علاقات والمدنية مداخل لا يتيسر لاي كان
من الناس محوشيء منها الا في مستقبل غير
محدود . فلم يبق الا حفظ هذه العلاقات
وردها بالتقي هي احسن الى حيث لا تزيد
من جانب التداخل ولا تكون مانعة من
تأيد استقلالنا الاداري وان يحصل الانتفاع
من نتائجها بكل ما يمكن استفادته من الثمن
الغربي

واعوذ بالله ان اريد بهذا الانتفاع
استعمال جالية الغرب على اختلاف مشاربهم
ودرجاتهم برواتب الامراء تارة للقيام بما يعلمون
ولا يعملون وحيناً لما يعملون ولا يعلمون
وطوراً لما لا يعلمون ولا يعملون فذلك تأباه
الحكمة ولا يرضاه اولو الامر منا ولا يميل اليه
اهل الحق حتى من الغربيين انفسهم وانما
المراد اصلاح موانيقنا التجارية واحوالنا الزراعية
واحكامنا الداخلية مع الاستئارة بافكار

تنبيه

نظن ان التنبيه وصل الى منتهى القطعة
الاخيرة في تعريب تاريخ الفلسفة فاننا لم نعثر
على البقية في الاعداد التالية من جريدة مصر
الصادرة في القاهرة بعد عودته اليها

الشرق والغرب

وقال من فصل مطول في احوال

مصر

ان كثرة المخترعات وسعة المعاملات ووفرة
حاجات المدنية وغمائل اغراض النفوس وانفراد
كل امة بمزية وكل ارض بخاصة مع رغبة
الانسان في استكمال تلك المزايا وانفجاره الى
هاته الخواص جميعاً كل ذلك قد اوجب
استحكام العلاقات وتقارب الصلات بين الامم
والدول ومنع من تفارزهم وتقاطعهم وراء
اسوار منيعة من مثل سور الصين . بل لو
امكن هذا التقاطع وكانت هاتيك الاسوار
جبالاً تنطح بارواقها النجوم لما وقفت بها حركة
التجار ولا امتنع سير الكهرباء ولا تعذر اتصال
انسان بانسان

ولهذا كان من شأن الناقد البصير ان
ينظر الى الاحوال المدنية والسياسية باعتبار
واقع الامر فيقر هاتيك الصلات رضى بها
واختياراً او يحنسها كرهاً واضطراً ثم يلتمس
منها وجه المنفعة وطريق المصلحة وباب
السلامة لا قرب الناس اليه وادنى البلاد منه
ثم الانسانية على الاطلاق

والشرق ولا ازيدته تعريفاً مغرس الكلمة

ذوي الرشد والحكمة وحب الانسانية من
رجال الغرب . فالغرب لا يعدم الحكماء
الراشدين المحبين للانسانية وإن كانوا في
الارض عدداً قليلاً

وقال في مسئل فصل رائق في مجلس النواب

هذه عروستا في الهي تجلي بجزر الحرية
لا بدياج خوي خطبناها من الدهر فاغلى لها
المهر ومانع ما استطاع ودافع ما امكن الدفاع
فبذلنا في سبيلها الهمة وجعلنا صدقها ارادة
الامير والامة حتى زفت الينا فما نسيم الصبا في
الصباح ولا لقاء الوجه الصباح ولا الراحة
بعد العناء ولا الورود بعد شدة الظاء بارق
منها على الروح وابهج منها في العين ووقع منها
في النفس واغذب منها على القلب
وقد مرت بنا ساعات الفرح بانجلائها
واوقات السرور بظهور بهائها وقرأنا النشائي
بها مراراً ونلقينا التبريك تكراراً وانشرحت
صدورنا بانتماسات المحبين واشتقت انفسنا
بتلفات الاعداء وحمدنا الله حمد المعترف
بالنعماء انشاعر بالسراء

نهي الان في الحمى باحماه الله فتحت لها
الصدور بدل الخدور واسكنت العيون قمت
حجاب الجفون ولا غرو ان ضربنا عليها الستور
فهي فتانة والحب غيور
وما حسنها حسن الدمى والتماثيل لنرضى
لها بالظهور شأناً وبالصورة جمالاً وبالنظر
امناعاً

فالحسن في الوجه قريب الزوال
فلتعلم الحسنة ذات الدلال
ولكنها ربة البيت الذي وفدت عليه
وشريكة البعيد الذي زفت اليه واسوف
نتولى تدبيره ونقيم اموره وتصلح اخلاقه وتداوي
اعلاله وتحفظ ماءه وتعيد بهاءه وتزيد ان
شاء الله نماءه بولد من المنافع بررة صالحين
اخيار مصلحين يكونون لهذا الوطن الذي
سبناه سعيداً اعواناً على الزمان ونصراء على
العدوان

ولكن كما ان البيت لا يصلح والاسرة لا
تفلح الا اذا توثق الحب واستحكم الود وصفت
النيات وخلصت المقاصد وحسنت المساعي بين
الزوجين لتصح تربية الولد ويسلموا من اثار
الحقد واللدن كذلك لا بد في صلاحنا ونجاحنا
واستقامة امورنا وانتظام احوالنا وزوال مشاكلنا
واندفاع نوازلنا من التلاؤم والتوافق على المنافع
الحقة الوطنية ومساعي الهيئة النيابية

وهذا التوافق وان ظهر باديء بدء عياناً
بديهاً لا حاجة فيه للبحث ولا مكان به
للاختلاف الا انه اخفى مكاناً وادق رسماً
واصعب تحقياً ما يتوهم الناظر المسرع قرب
امر ظاهر النفع بادي اللزوم واضح الوجوب
اتمينه قريب المال سهل النوال فاذا دانته
رأيت غير ما ارتأيت وعانيت غير ما ظننت
ورب بعيد يقربه الامل ورب قريب يبعده
الريب فما يجلو الامور الا اخبارها وما تأتي
الامور الا باوقاتها

وقد عرف سادتنا النواب هذه الحقيقة
ولم تحف عنهم من تفصيلها دقيقة فهم الان

ينظرون في الامور نظر الناقد البصير العارف
الخبير المنتبه للمواقب المجانب للمصاعب الذي
يخطو مع الدهر اذا ما خطا ولا يذهل عن
تبطن بعض الصواب خطأ يعلمون ان للوطن
عليهم حقا واجب الاداء ولا يجهلون ان
الاحوال احكاما مرعية الاجراء ويميلون مع
الغيرة الوطنية ولا يتغافلون عن الحكمة السياسية
ففيهم شدة بغير عنف وثبات بغير عناد ولين
بغير ضعف ونساهل بغير ارتداد وهي الحكمة
بما فيها من دقة وفطنة وإصابة وهي السياسة بما
فيها من دهاء وتدير وخلاصة

خاتمة المنتخبات

في ذكر ما اجتمع لنا من
المنفردات التي عثرنا عليها بعد اثبات
ما تقدم

كتب القيد في تهمة حضرة صاحب الدولة
شريف باشا بالنيشان العثماني المرصع من الرتبة
الاولى وقد ورد اليه من جانب نعم الحضرة
السلطانية فقال في فصل راسل به جريدة
المحرسة من القاهرة

ان هذا الوسام الكريم عظيم الشأن
كبير المقدار مخصوص بالملوك والامراء ومن
كان علي الهمة صادق الخدمة

ننوق اليه صدور صدور آل

برية من عجمها والعرب

ومنا ناله غير كل عظيم

وكل هام له منتخب

ولا غرو ان صدر الشريف

ولو لم ينله لكان العجب

فجلى المعالي ومولى العسا
لـ أوى الانام بأوى الرتب
وقال طيب الله ثراه ومعنى اليتيم الاولين
مستند من كلام ويكتور هيكو

قتل امرء في غابة

جريمة لا تغفر

وقتل شعب آمن

مسألة فيها نظر

والحق للقوة لا

يعطاء الامن ظفر

ذي حالة الدنيا فكأن

من شرها على حذر

وقال معارضا بيني ابي تمام المشهورين
وهما قوله

اعوام وصلـ كان ينسي طولها

ذكر النوى فكأنها ايام

ثم انبرت ايام هجره اردفت

قلي اسي فكأنها اعوام

فقال

لا عامنا في وصلكم يوم ولا

ايامنا في هجركم اعوام

فالعمر في الحالين برق وامض

اعوامه في طولها ايام

وقال وهي ايات ذكرت في قصة الباريسية

الحسناء التي عرّبها عن الفرنسية

حسب المرأة قوم آفة

من يدانيها من الناس هلك

ورأها غيرهم امنية

ملك النعمة فيها من ملك

ان لاح في ارض السعادة اسعد (١٨٨٢)
 وقال تاريخاً آخر له
 يا قبرا اسعد راق من بني كرم
 ما انت روض ولا فلق لمن نظرا
 فكيف اخفاء فيك الدهر عن مقل
 رآته بطلع فيه الزهر والزهر
 وكيف وارى بك العليا مؤرخة
 بل كيف اودع فيك الغصن والقرا
 (١٨٨٢)

وقال في قصيدة يمدح فيها حضرة الاديب
 جورج افندي مرزا وكان وقتئذ في دمشق
 كرم متي امدحه اسبق بفكرتي
 على جريها الاقلام مع انلي العشر
 تهي لي في مدحو قبل نظمو
 معاني حكيم العقد في عنق البكر
 ويرغب عنها في المعالي لعلو
 بان العلا للره مجلبة الثمر
 له بين قوحي شهرة عنبرية
 ينوح له ما ينسها طيب النشر
 الى ان قال
 وكرت سنون قائلات لشخصو
 بقيت ابا الافضل حتى انتضا الدهر
 وقال من ايات كثيرة
 حقيقة الحال تنبي انني رجل
 من عظم بلواي قد ضاقت بي الحيل
 ليت الذين سبوا قلبي وما رحل
 ردوه فهو بنار الحب مشتعل
 الى قوله
 كم ضمني ورضائي بات مرثفا
 وقد جرى من لاه في في العسل

فثنى معشر لو نبذت
 وظلام الليل مشد الحلك
 وننى غيرهم لو جعلت
 في جبين الليث او قلب الفلك
 وصواب القول لا يجهله
 حاكم في مسلك الحق سلك
 اما المرأة مرآة بها
 كل ما تنظره منك ولك
 فهي شيطان اذا افسدتها
 واذا اصلحتها فهي ملك
 وقال
 عجباً له والجهر في احشائه
 بني يحاول بالخدعة منه
 بغتابني فاصونه ويريد بي
 شراً فادفع بالصنعة شره
 ويحار في امري فينفد صبره
 ويعينني صبري فكشف امره
 ويروم ضري غير منتفع به
 وارده عني بالمنافع ضره
 فيسوء ما سرني من امرنا
 ابدآ وليس يسوءني ما سره
 وقال في تاريخ المرحوم اسعد كرم وقد
 توفي ببعلبك عام ١٨٨٢
 صبراً بني كرم لما حكم القضا
 لا تهلكوا فيه اسي وتجلدوا
 وذروا القبور على تواريخ لما
 فصرح اسعد في القلوب شيد (١٨٨٢)
 وعد الحبيب حبيبكم بزيارة
 وبمعهد السعداء كان الموعد
 ففضي اليه وليس بدعاً ارخول

العلم عاد لقطرنا رغم العدى
 يا علم سد قد عاد عودك احدا
 ها قد زهت هذي الرياض وازهرت
 اغصانها وبدت بتيجان النداء
 ووفى الزمان لاهله بعد الجفا
 فأبيت الا ان يعزّ ويحمدا
 ما السعد الا بالعلوم فان بدت
 كان الزمان اطالبيها اسعدا
 عجبا لمن يرضى مقال مفند
 ويسرّ متبجحا باقوال العدي
 يا معشر الاعراب بل يامجمع آل
 اداب ها تعلم العلوم لكم بدا
 الى ان قال في زهرة الاداب
 ها زهرة الشرف التي ما شانها
 شين ونالت بالمعالي سوددا
 جدوا بحفظ نظامها كما ترى
 انوارها وجمالها لمن اهتدى
 فبيدها انتظمت حلّى افكاركم
 وبدت لعين القوم عقدا مفردا
 فلكم مع الشكر الدناء مكررا
 ما صاح طير بالرياض مغردا
 وقال
 ايا لائما قلبا نقطع حسرة
 بحملك دعه فالملام بروعة
 والله قلبي ليس يعلم ما الهوى
 ولكن قضاء الله لاشيء يدفعه
 ومذواح منصبا على الحزم والنقى
 وراح صبح الحال لاشيء يوجعه
 عيونى يغمطها جذبت له
 سيقا من الاجفان فبني نطقة

وان يكن منكرا قولي فهاك في
 وها يدي فيها من خصره جل
 وقال رحمه الله من قصيدة في الحب
 هو الحب لولا الدين صرحت انه
 الهى ومعبودى وما فيه اشكال
 سابعة حتى يرى الناس اني
 وفي بهدي والحوادث تغتال
 واشرب كأس النال عزّ اوجب من
 غدا بلباس التيه والصد بخنال
 واشرب اني ثابت بالغرام لا
 تزعزعني عن مركز الحب اقوال
 الى ان قال في وصف الحبيب وفيه الف
 والنشر المرتب

جبين مهيّا ثم ثغر وناظر
 وردف وقد في ربي الحب مبال
 هلال وبرد كوتر ثم نرجس
 كئيب وغصن وهوان شئت عمال
 وقال وفيه نوع الاكتفاء والتورية
 وبى رشام غائبته وهو معرض
 وقلت له قد ذببت مذبت معرضا
 الازر مشوقا قد اضرب به الظا
 لوفيك وانتم بعد سخطك بالرضا (ب)
 واهدى احد اصداقائه رسما له فكشف فوقه
 هذين البيتين

يا من اذا غاب عني
 اقول للروح روجي
 اهديك رسي كأني
 الحقت جنتي بروجي
 والشدة القصيدة الآتية في حضرة جمعية
 زهرة الاداب بعد خطاب تلامذتها

وقال لواقعة حال

قسماً بخمرة نغره ورضاه

لا ارتضي الا بما يرضى به

قسماً بعينه لا اذرق مدانة

نشفي غليل الشوق من اوصاه

الا اذا كان الحبيب يديرها

وانا مطيع كل ما اوصى به

وكتب الى صديقنا الشاعر المجيد مصباح

افندي رمضان

طعنتنا القدود وهي رماح

وغزتنا العيون يا مصباح

فافتنا في نواظر قاتلات

هل عليهن بالجراح جناح

وقال

اصل الغرام لواحق وجفون

وبلنخي بالاثمين عيون

اني لاصبر في الغرام على الاسى

حتي تسيل من العيون عيون

وقال تاريجاً لمولود دعي باسم توفيق

واسم ابيه شاكر

لك الهناء بمولود اناك وذا

من جود ربك فضل انت شاكره

الانس كله والسعد ظلله

والله ارحمت بالتوفيق غامره

وقال من ايات في بعض النساء

هن اهل الوفاء بالعهد مادمت (م)

جليلاً قبل المشيب كريماً

واذا ما رأين طالب حسن

صرت بعد الجديد غمراً ذمياً

كل يوم بطلين عهداً جديداً

وبصير الجديد يوماً قدماً

قد تحكمن بالقلوب فلا تنه

نضع اذا كنت ياسلاً وحكماً

ومدارائهم دالة عقال

يلتقي المرء منه ضرراً اليماً

كيدهم العباد بالله منه

انه كان بالعباد رحماً

وقال مرتجلاً مودعاً صديقنا الفقيد المرحوم

سليم نقاش حين مسيره الى مصر في جماعته

المشخصين عام ١٨٧٦

يا من تعدى بالنوى

ما زال ودك لازماً

سر بالسلامة آملاً

وارجع سليماً غانماً

فاجابه بقوله

اني لاشكر فضلكم

مادمت حياً سالماً

وقال في ذيل كتاب ارسله الى احد

السادة الفضلاء

يا ايها السيد الاجل

ومن اذا ما حبا يحل

سقنا اليك الشاء دراً

كل كثير به يقل

وما بضيع الشاء فيمن

بفضله لا يقاس فضل

فجد بنيت السؤال عنا

فعامنا باغمام محل

وعجل البر ذاك خير

ان لم يكن وابل فطل

بيان

اشرنا في بعض الصفحات السابقة الى عزمنا على افراد مكان في ذيل هذه المختببات لنشر رسائل المدح التي وردت الى الفقيده في حياته ولكن لما كانت تلك الاشارة وارده في محلها اثناء اهتمامنا بجمع مقالات الكتاب ومخاطبة بعض اصداقاء الفقيده في اتحافنا بما راسلوه به من اقوال المدح والثناء فكنا في ذلك معولين على وعودهم بارسال ما لديهم منها وكان قد مضى الوقت ولم يتجمع لدينا منها ما يستحق النشر رأينا ان نختم المجموعة خالية من تلك الرسائل متعجلين انجازها ونوزيعها على طلابها اجابة لرغبتهم والمحاحم الشديده

جامع الكتاب
(جورج مخايل)
(نحاس)

تمت المختببات